

مجموع الرسائل

“الأبحاث والمقالات”

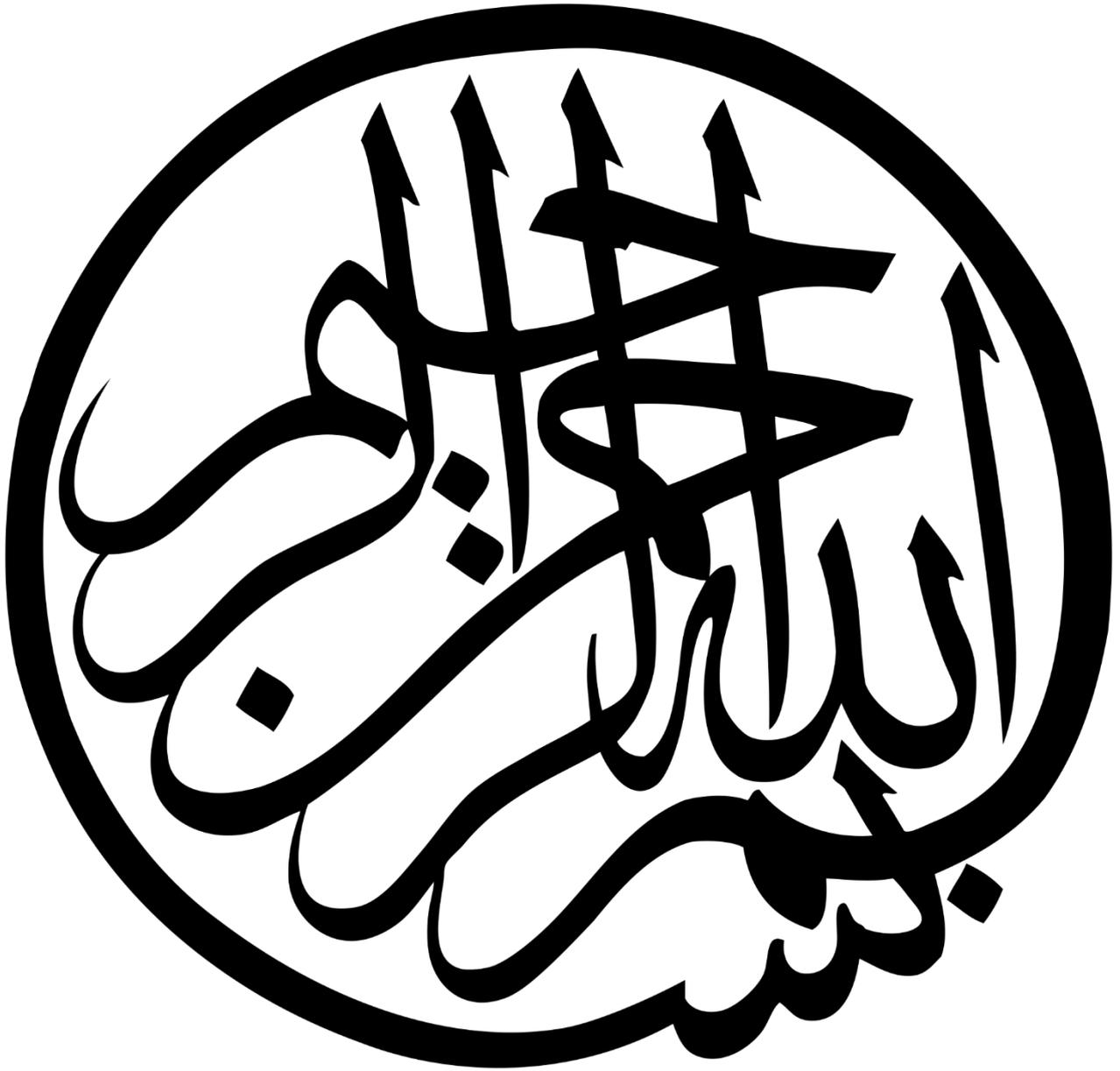
الجزء الثالث

عبد المنعم مصطفى حلیمت

أبو بصیر الطرطوسی







المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

مما يؤخذ على كثير من المراكز والمساجد الإسلامية في بريطانيا . إن لم يكن جليها . أنها لا تواكب تطورات وحاجيات الجالية أو الأقلية المسلمة البريطانية المتواجدة على الأراضي البريطانية والتي يتجاوز تعدادها المليون نسمة .. فالمراكز الإسلامية واهتماماتها في وادٍ، والجالية المسلمة وتطلعاتها وحاجياتها الدينية، والثقافية، والتربوية في وادٍ آخر!

مراكز ومساجد ضخمة .. خاوية من أي نشاط تربوي تعليمي توجيهي يُذكر .. وفي المقابل جالية مسلمة كبيرة .. تعاني من الذوبان والضياع .. وتتقاذفها الفتن والرغبات والتحديات .. متعطشة للالتزام بتعاليم دينها .. لكنها لا تجد من يأويها .. ولا من يروي لها القليل من ظمئها!

فما هي الأسباب .. وما هي الآثار الناجمة عن هذا التقصير .. وكيف نرى الحل أو العلاج؟

أما عن الأسباب الباعثة والمؤدية إلى هذا التقصير الفادح، فهي عديدة:

منها: ارتباط وعمالة هذه المراكز والمساجد والقائمين عليها بجهات خارجية؛ كالسفارات العربية المتواجدة على الأراضي البريطانية .. تتلقى منها التعليمات والتوجيهات .. بما يتناسب مع سياسة وأمن الأنظمة الحاكمة التي تنتمي إليها تلك السفارات!

السفارات العربية – وبخاصة منها السفارة السعودية – لا تكتفي في أن تشل نشاط وحركة هذه المراكز والمساجد .. بل هي تعمل جاهدة على تجيير هذه المراكز والمساجد لصالح الأنظمة الحاكمة في بلادها .. وسياساتها الفاسدة .. من خلال بذل بعض المال والمساعدات لتلك المراكز والمساجد .. وأحياناً من خلال نفوذ شيوخ البلاط الملكي أو الرئاسي المحليين، وإرسالهم إلى أوروبا .. لتتدخل فيما بعد بشؤونها .. وتتحكم بسياسة، وأنشطة، وأئمة وإدارة تلك المراكز والمساجد .. وتجيرهم في الاتجاه التي تريد .. فيأتي عطاء هذه المراكز والمساجد بما يتناسب مع ما تسمح به تلك الأنظمة الظالمة الفاسدة من نشاط .. من خلال سفاراتهم .. وهي لا تسمح بشيء إلا اللهم الصلاة .. ثم يتبعها إغلاق تلك المساجد والمراكز بعد الصلاة مباشرة .. ومنها من تسمح بفتح المساجد في رمضان فقط .. وفي صلاة العشاء

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

والقيام فقط، لتتحول المناسبة إلى دعاية رخيصة للكرم والجود والفضل الذي يمن به النظام الحاكم على الجالية المسلمة المغتربة .. أن سمح لهم أن يصلوا العشاء والقيام في المسجد التابع لهم .. كالمسجد الضخم التابع لأكاديمية الملك فهد، مثلاً .. والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ البقرة:114.

يأتي هذا التدخل السافر المرفوض من تلك السفارات العربية بذريعة، وتحت غطاء .. منع تسرب الإرهاب أو الأفكار الإرهابية إلى تلك المراكز والمساجد، لتجد لسلوكها المخجل والمتخلف المبرر عند الجهات الرسمية البريطانية .. والحقيقة أنه ما حملهم على هذا التدخل سوى الرغبة في لجم الناس وإسكاتهم .. ومنعهم من أن يُمارسوا حقوقهم أو أن يتكلموا ويعبروا عن مشاعرهم وآرائهم من غير خوف — وبخاصة إن جاء هذا التعبير في الاتجاه الذي يعري فسادهم وظلمهم — كما يفعلون مع شعوبهم في بلادهم!

فهم لا يكتفون أنهم يُكتمون أفواه الشعوب في البلاد التي يحكمونها .. ويمنعونهم من حقهم في التعبير .. والمراقبة والمحاسبة .. بل تراهم يُلاحقون المغترب المهاجر منهم إلى بلاد الغربية .. ليمنعوه من الكلام .. والهمس والتنفس .. وبخاصة إن جاء هذا الهمس في الاتجاه الذي يعري فساد وظلم تلك الأنظمة الفاسدة الظالمة .. وهذا لا يتأتى لهم إلا من خلال التدخل والتحكم بشؤون وأنشطة المراكز والمساجد؛ مأوى المسلمين وأماكن تجمعهم في بلاد المهجر والغربة!

وكأنه كُتب على الإنسان العربي المسلم أن يظل جباناً سلبياً؛ تُنتهك حُرُماته وخصوصياته، ويؤخذ حقه من بين يديه ومن فيه من دون أدنى اعتراض أو امتعاض .. سواء كان في بلده الأصلي أم كان في بلده الثاني؛ بلد المهجر!

ومنها: أنه يغلب على تلك المراكز والمساجد الطابع التجاري، والحرص على الكسب والريح، وتجميع الأموال والتبرعات .. وليكن بعدها ما يكون .. تعلّم الناس أم لم يتعلموا .. ضاع أبناء المسلمين أم لم يضيعوا .. فهذا غير مهم ولا بذى بال بالنسبة للقائمين على تلك المراكز والمساجد .. المهم المال .. وكم يجمعون من المال في الأسبوع!

حتى أن من طمع وجشع بعض تلك المراكز والمساجد الإسلامية المشهورة .. مَنْ قَرَضَ على مسلمي المهجر في بريطانيا أن يدفعوا رسوماً مالية محددة ليتمكنوا من صلاة العشاء والقيام في

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

المسجد، وذلك طيلة شهر رمضان الفائت — مستغلين شدة إقبال الناس على دينهم في شهر رمضان المبارك —: الرجل الكبير يدفع ثلاثين جنماً، والمرأة عشرين، والطفل عشر أو خمس جنميات .. المنتدى الإسلامي؛ الذي يصدر مجلة البيان المشهورة .. مثال على ما ذكرناه!!

ترى القائمين على تلك المراكز والمساجد .. يلهثون وراء كل من يتوقعون أنه قد يتبرع لهم أو يدفع لهم بعض المال .. وفي الغالب يكون ذلك على حساب حرية المركز أو المسجد، وحرية قراره وأنشطته وبرامجه .. والصدع بالحق .. والدعوة إلى الله تعالى التي ينبغي أن تُقام فيه .. والضحية الخاسر حينئذ هم المسلمون وأبناؤهم!

المشكلة أنهم يجمعون — من الناس — تلك الآلاف من الجنميات .. وربما الملايين .. وفي المقابل لا يقبلون من أحدٍ أن يسألهم .. أو يُحاسنهم: أين تذهب تلك الآلاف والملايين .. وفي جيوب مَنْ توضع .. وعلى من تُصرف .. ولو حاولت لسرعان ما يتصلون بالشرطة المحلية: يوجد إرهابي يتحرش بنا .. ويقترب من مركزنا ومسجدنا .. تعالوا فخذوه .. والطرف الآخر .. ما إن يسمع كلمة إرهاب أو إرهابي .. سرعان ما يُلبي النداء ويأتي!

تراهم يحرصون أشد الحرص على منع أي نشاط دعوي — ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم . خشية أن يتوسّع هذا النشاط .. وتتوسع صلاحياته .. وينال القبول عند الناس .. فيتدخل في إدارة المركز أو المسجد .. وربما يسحب من تحتهم صلاحية جمع التبرعات والأموال .. والتحكم أو التصرف بها من غير رقيب ولا حسيب .. وهذا الذي يخشونه، ويحسبون له ألف حساب!

مشكلة ما بعدها مشكلة .. أن يروا غيرهم . عند الباب الخارجي للمسجد . يجمع تبرعات لفقير أو

مسكين!!

هذا واقع نلمسه .. ونشده .. والجالية المسلمة في بريطانيا تُعاني منه!

ومنها: جهل القائمين على تلك المراكز والمساجد .. بفقهاء الشريعة والواقع معاً .. فترى أحدهم ليفرض نفسه على المسلمين، ويُصنّف في المجتمع الذي يعيش فيه كإمام .. وشيخ .. يكتفي أن يرتدي ثوباً .. ويُطيل من لحيته .. وبعدها الويل لمن لا يخاطبه بلقب إمام أو شيخ .. وهو في حقيقته أجهل من جاهل .. لو عرضت عليه أن يقرأ فاتحة الكتاب لا يُحسن قراءتها .. فضلاً عن أن يلي حاجيات الجالية المسلمة الفقهية، والتربوية، والتوجيهية .. والأخلاقية .. فضلاً عن أن يفتهم في النوازل والمستجدات ..

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

ولو حاول يُسيء ويُفسد أكثر مما يُصلح .. لأنه جاهل؛ وجاهل الشيء كفاقده لا يُمكن أن يعطيه لنفسه فضلاً عن أن يُعطيه للآخرين!

جهلهم هذا انعكس سلباً على أنشطة المراكز والمساجد .. وعلى الجالية المسلمة كلها .. فلا هم يُعلِّمون ويقومون بالواجب .. لأنهم لا يُحسنون شيئاً .. ولا هم يدعون غيرهم يقوم بالواجب وبما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم .. وذلك حتى لا يخسروا الألقاب والمخصصات والأموال .. والسيطرة على المراكز والمساجد والمنافع التي تُدر عليهم من خلالها .. لكن الضحية حينئذٍ هي الجالية المسلمة .. بل ومعهم المجتمع الذي يعيشون فيه!

لجهلهم لا يستطيعون أن يُناقشوا - على الملأ - أي مسألة ذي بال تخص الجالية المسلمة في بلد المهجر .. تتعلق بحقوقهم .. وواجباتهم .. بما يحق لهم وما يجب عليهم شرعاً!

قوموا - إن شئتم - بجرّدٍ وبحثٍ في مئات المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة في المدن البريطانية .. ثم انظروا - خلال خمس سنوات مضت - كم ندوة أو محاضرة علمية راشدة، تعتمد الخطاب العلمي الفقهي الراشد، بعيداً عن التزلف والكذب والنفاق، قد أقيمت في تلك المراكز والمساجد .. تفقّه المسلمين بحقوقهم وواجباتهم .. وبما يحق لهم وما يجب عليهم شرعاً نحو المجتمع الذي يعيشون فيه .. ستجدون أن النتيجة مخجلة للغاية .. وربما تكون النتيجة صفراً؛ أي لا شيء!

مئات المسائل الفقهية الملحة تتعلق بما يحق للمسلمين وما يجب عليهم في بلدهم الثاني؛ بلد الإقامة والمهجر - ومنهم من يكون بلده الأساس والأول، حيث لا بلد آخر له سواه - تعتلج في نفوس الجالية أو الأقلية المسلمة .. لكن من دون أن تجد لها جواباً شافٍ كافٍ في تلك المراكز والمساجد .. ولا عند هؤلاء الذين يتسمون كذباً وزوراً بإمام .. وشيخ .. مما يحمل بعض أبناء المسلمين على أن يقعوا في الخطأ، ويُمارسوا الخطأ .. ثم يحسبون أنهم ممن يُحسنون صنعاً .. تفجيرات لندن مثال على ذلك!

المسؤول الأكبر في اعتقادي عن كل خطأ يقع به أي فرد أو أفراد ينتمون إلى الجالية المسلمة .. هي هذه المراكز والمساجد .. وهؤلاء الجهلة الذين يتسمون زوراً وكذباً بشيوخ وأئمة .. وما هم بشيوخ ولا أئمة .. وإنما يقتاتون السحت بالمشيخة والإمامة .. فهم لم يتعلّموا .. ولم يتأدّبوا .. ولم يُعلّموا .. ولم يدعوا غيرهم ليعلم ويفقه الناس!

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

ومنها: إضافة لما تقدم يتصف القائمون على تلك المراكز والمساجد بالجبن الخالع والشديد الذي يمنعهم من أن يُمارسوا أو يُمرروا أي نشاط إسلامي نافع وهادف مشروع ينعكس على الجالية المسلمة بالخير .. وذلك كله بحسب زعمهم .. حتى يدفعوا عن أنفسهم ومراكزهم ومساجدهم .. تهمة الإرهاب .. عند السلطات والجهات الرسمية المحلية .. فانعكس ذلك سلباً على الجالية المسلمة في دينها، وأخلاقها، وسلوكها مع الآخرين!

مراكز ومساجد ضخمة .. خاوية خالية .. لا تجد فيها حلقة فقه أو علم .. ولا حلقة تجويد أو تلاوة أو حفظ لكتاب الله .. يا ويلهم من الله!

حتى أن من المراكز والمساجد من منع بعض الطالبات في المرحلة الإعدادية والثانوية من أن يجتمعن في المسجد ليتدارسن فيما بينهن بعض شؤون دينهن، وأحوالهن الخاصة التي تناسبهن كبنات .. وذلك حتى لا يُصنّف اجتماعهن على أنه عمل إرهابي .. ويُتهم مساجدهم ومركزهم بأنه يأوي الإرهاب والإرهابيين .. زعموا!

جمعني لقاء مع مدير مركز إسلامي ضخم معروف، موجود في منطقة " Fulham " من مدينة لندن، فقال لي: كان فيما مضى لهذا المركز - الذي هو يديره - اهتمامات ونشاطات على مستوى العالم الإسلامي كله، وأنا أريد أن أحصر اهتماماته في منطقة وحي " Fulham " أو على مستوى منطقة " Fulham " فقط .. ولا أتعداها!!

فقلت له: ماذا تقدمون لأهالي ومسلمي منطقة " Fulham " .. هل أحصيتم عدد العائلات المسلمة في هذه المنطقة .. وكم عندهم من الأبناء .. لتكونوا على تواصل معهم .. وتطلعوهم على الجديد من نشاطات وبرامج المركز .. لتضمنوا أكبر حضور لبرامج ونشاطات المركز .. وأكبر نفع لمسلمي حي " Fulham " !؟

فقال: لا يوجد شيء من ذلك .. لأنه لا يوجد برامج ولا نشاطات أصلاً .. وهذا كله - بحسب زعمهم - لكي يدفعوا عن أنفسهم ومراكزهم ومساجدهم تهمة الإرهاب!!

والحقيقة أن هذه زيادة من عند أنفسهم ما كلفهم ولا طالهم ولا ألزمهم بها أحد من الجهات أو السلطات الرسمية المحلية .. وما حملهم على فعل ذلك إلا جبنهم الذي لا مبرر له .. والحرص الشديد في النزول عند رغبة وتوجيهات بعض السفارات العربية .. والرغبة الزائدة - إلى درجة التكلف والنفق

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

والضرر – في أن يناوأ بأنفسهم عن تهم الإرهاب .. زعموا .. وفاتهم أنهم بمثل تصرفهم المتخلف الجبان هذا هم الذين يصنعون الإرهاب الذي لا نقره ولا نرضاه!

أبناء الجالية المسلمة عندما يجدون أبواب المساجد والمراكز الإسلامية مغلقة أمامهم .. ثم هم لا يجدون في تلك المراكز والمساجد من يجيبهم أو يجروء على أن يُجيبهم عن تساؤلاتهم المشروعة التي تُحاك في صدورهم .. ويجعلون تساؤلاتهم تهمة وشغباً يستدعي الاتصال بالشرطة ليرحوهم من هؤلاء الإرهابيين المشاغبين .. ويخرجوهم من المساجد .. حينئذٍ قد يلتجئون إلى تحت الأرض .. وإلى الغرف المظلمة .. ليناقشوا قضاياهم بأنفسهم .. بعيداً عن أعين العلماء .. والعقلاء .. والموجهين والمربين المخلصين .. فيحصل الخطأ والمكروه .. ومالا يُحمد عُقباه .. ويحصل هذا الإرهاب الذي هم يفرون منه .. ويحذرونه!

الخطأ لا يمكن أن يقع مع العلم .. والفقہ .. والنور .. وإنصاف الحق .. والجرأة على محاوره الشباب ومن عنده أي سؤال أو مسألة يرغب بنقاشها .. وإنما يقع مع الجهل .. والظلام .. والجبين .. وتكميم الأفواه .. والإرهاب الفكري .. والنفاق .. والاستقواء بالشرطة المحلية على الشباب المسلم عند أدنى خلاف أو حوار يُجرى معهم!

ومنها: أن كثيراً من القائمين على هذه المراكز والمساجد .. يعكسون البيئة المحلية ومشاكلها التي كانوا يعيشونها في بلادهم الأصلية .. على وجودهم في تلك المراكز والمساجد وعلى إدارتهم لها .. ومن ثم على الجالية المسلمة التي يتعاملون معها!

فكل منهم تراه يفرض نفسه وعقليته على المركز أو المسجد الذي يشرف عليه ومعه مشاكله الشخصية، والنفسية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية التي كان يعيشها في بلده الأصلي .. وهذا لا شك أنه يُوجد شرحاً كبيراً بين أبناء الجالية المسلمة في بريطانيا – وبخاصة منهم الذين نشأوا وولدوا في بريطانيا – وبين تلك المراكز والمساجد التي لا تواكب حاجيات ومشاكل الجالية المسلمة والتي تختلف كلياً؛ كما ونوعاً عن المشاكل التي يعيشها هؤلاء المهيمنين المتسلطين على تلك المراكز والمساجد في بلادهم!

ومنها: اتسام الخطاب الديني الذي تُشرف عليه تلك المراكز والمساجد .. بالكذب والنفاق .. وكتمان العلم .. والحق والحقيقة .. التماساً لرضى الجهات والسلطات المحلية .. وهم بغنى عن ذلك

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

كله .. ولم يُطالبهم أحدٌ بذلك .. لكن الرخيص رخيص .. والصغير صغير .. ولو عمّر دهرًا .. وعاش في القمر .. وليس في لندن!

والشاهد أن مثل هذا المنهج لتلك المراكز والمساجد، الذي يتسم بالكذب والنفاق .. والتزلف .. وكتمان العلم والحق .. يُفقد الثقة بين الجالية المسلمة وبخاصة منهم الشباب المسلم وبين تلك المراكز والمساجد والقائمين عليها .. ويجعل الشرخ بينهما كبيراً .. يصعب ترميمه!

هذه هي أهم الأسباب التي تمنع تلك المساجد والمراكز الإسلامية من أن تؤدي دورها المطلوب والمرجو منها .. وتجعلها والقائمين عليها يسيرون في وادٍ، والجالية المسلمة في وادٍ آخر ومختلف .. لكل منهما دربه المختلف .. واهتماماته وتطلعاته ومشاكله المختلفة!

لكن ما هي النتيجة .. ومن هو الضحية؛ ضحية هذا الواقع المرالأليم المحزن لتلك المراكز والمساجد؟!!

أقولها وبكل وضوح . وهذا الذي يؤلمنا ويُقلقنا : الضحية هم أبناء الجالية المسلمة وبناتهم .. هم الشباب والشابات من أبناء الجالية المسلمة .. الذين لا يجدون الرعاية .. ولا التوجيه .. ولا التثقيف .. ولا التفقيه بشؤون دينهم وما يجب لهم وما يجب عليهم .. ولا التربية الكافية والمطلوبة .. فتفتشت فيهم عادات وسلوكيات خاطئة يجدي لها الجبين: منها تعاطي الخمر والمخدرات والاتجار بها!

ومنها: ارتكاب بعض الجرائم من قتل ونهب وسرقة .. وأحياناً – وللأسف – يحصل شيء من ذلك باسم الدين .. والدين من ذلك براء!

ومنها: التحلل والتفسخ والشذوذ الأخلاقي!

ومنها: البعد عن تعاليم وأخلاق وسماحة ورفق الإسلام!

ومنها: تفكك الأسر وتدميرها .. وذوبانها في عادات وقيم مُشينة لا تمت إلى الإسلام وثقافته وأخلاقه النبيلة بصلة!

ومنها: فقدان الهوية الإسلامية، وعقيدة الانتماء للإسلام وأمة الإسلام .. لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ورسمه .. يعيشون الضياع بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى!

ومنها: القيام ببعض الأعمال والسلوكيات الخاطئة التي تؤذي المجتمع الذي يعيشون فيه بعقد وأمان .. وتؤدي من حولهم من الناس بغير حق .. باسم الدين .. والدين من ذلك براء .. لكنهم لا يعلمون!

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

هذا واقع نلاحظه .. ونشاهده .. ونعايشه .. والقائمون على هذه المساجد والمراكز المسماة بالإسلامية لا شك أنهم شركاء في هذه النتيجة المؤلمة .. وهذا الوزر العظيم .. ولهم القسط الأكبر منه، كما في الحديث الصحيح: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته".

فإن قيل: عرفنا الداء وأسبابه .. فما هو الحل .. وكيف ترون الدواء والعلاج؟

أقول: يكمن الحل والعلاج بمعالجة الأسباب الواردة أعلاه: لا بد لهذه المراكز والمساجد من أن تحظى بكامل الاستقلالية لتتمكن من ممارسة نشاطها وأداء رسالتها المرجوة من دون حساب لهذه السفارة أو هذه الجهة أو تلك .. وهذا يستدعي ترشيح الأكفأ من أهل العلم والتقوى والاستقامة لقيادة وإدارة هذه المراكز والمساجد .. يقوم بعملية الترشيح المسلمون المحيطون بكل مسجد أو مركز .. ثم أن عملية الترشيح هذه تتجدد كل بضعة سنوات .. وخلال تلك السنوات تُراقب تلك الإدارة المنتخبة .. من قبل أهل ورواد تلك المساجد .. هل تقوم بدورها المناط بها والمرجو منها أم لا .. فإن كان الجواب، لا .. تُقال بكل سهولة وتُستبدل بغيرها الأكفأ!

مشكلة هذه المراكز والمساجد المشار إليها أعلاه أن مدير المركز أو المسجد لا تعرف كيف أتى ومن أين أتى ومن نصبه مديراً للمركز أو المسجد .. وكما يتقاضى راتباً .. وهو إن استلم المركز أو المسجد تراه لا يتزحج عن منصبه طيلة عمره؛ حتى الممات، ولو أريد تغييره بغيره وبمن هو أكفأ منه فهو يحتاج إلى انقلاب وثورة وحركة تمرد واستعصاء داخل المسجد أو المركز .. كما أنه يتصرف وكأنه المالك للمركز أو المسجد وما فيه .. ومن فيه .. يحل ويربط .. ويجيز ويمنع من دون الرجوع لأحد أو استشارة أحد .. ولا ندري كيف استملكه .. ومن ملكه إياه .. كحكام العرب تماماً ترى أحدهم إذا حكم وسيطر على الحكم لا يتزحج عن سدة الحكم والملك والزعامة إلى أن يدركه الموت .. ويتصرف كمالك للبلاد والعباد .. والويل لمن يُحاسبه أو يسأله .. وهو حتى يتفهم بعض حاجيات شعبه يحتاج إلى مظاهرات وثورات .. وقادة هذه المراكز والمساجد صورة مصغرة عن هؤلاء الحكام وللأسف!

الحل يكمن في أن تُفتَح أبواب هذه المراكز والمساجد لحلقات العلم والفقهاء .. والحوارات العلمية المكشوفة الهادفة مع الشباب المسلم .. وعلى مدار الوقت .. وأن يُعطى العلماء المخلصون الفرصة الكافية .. ومن دون منة من أحد .. ليمارسوا دورهم ونشاطهم المرجو في تلك المراكز والمساجد .. بعيداً عن الإرهاب الفكري .. ومجاملة الظالمين!

المراكز الإسلامية في بريطانيا والجالية المسلمة

الحل يكمن في أن تُعقد الندوات العلمية الهادفة في تلك المراكز والمساجد .. وباستمرار .. وبشكل دوري .. التي تناقش - بكل صدق وجرأة وعلم وسمو أخلاق .. بعيداً عن التزلف والنفاق - حقوق وواجبات الجالية المسلمة .. ما يجب لهم من قبل المجتمع الذي يعيشون فيه، وما يجب عليهم نحوه .. وما تلزمهم به الشريعة نحو تلك الحقوق والواجبات .. ويُشهد على المحسن منهم بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء.

الحل يكمن في استثمار تلك المراكز والمساجد . وباستمرار . في عقد الندوات والمحاضرات العلمية الهادفة التي تواكب تطورات ومشاكل وهموم الجالية المسلمة .. وتقدر على أن تضع لها الحلول المناسبة .. وتجيب عن تساؤلاتهم من دون ممارسة أي نوع من أنواع التهيب والتخويف لأحد، أو الاستقواء بالشرطة المحلية على الشباب المسلم لوجود أدنى خلاف معهم .. يُمكن أن يُحسَم بشيءٍ من العلم والرفق والتواضع والحب .. لو توفّر ذلك!

الحل يكمن في تقهُم الجهات والسلطات الرسمية والمحلية لهذا الملف الحساس .. حتى لا يستقوي بهم في الباطل الجهلة والظالمون والمتزلفون النفعيون من القائمين على تلك المراكز والمساجد .. باسم محاربة الإرهاب .. وتحت وشايات كاذبة .. لا أساس لها من الصحة والواقعية .. ليغطوا على عيوبهم وعجزهم، وعوراتهم، وتقصيرهم الفادح!

ومرة ثانية وثالثة أقول للجميع: لا تخافوا من العلم .. ولا من أهل العلم الصادقين .. ولا ممن يدعون إلى العلم .. وينشر العلم بين الناس .. العلم يُنصف الجميع .. العلم لا يأتي إلا بالخير .. العلم ينتفع به جميع الناس الموافق منهم والمخالف .. وإنما الخوف ينبغي أن يكون من الجهل .. وممن يروج الجهل ويتسبب به بين أبناء الجالية المسلمة .. وممن يمنع حلقات العلم والفقهاء أن تسود في تلك المراكز والمساجد .. لأن الجاهل قد يؤذيك .. ويؤذي نفسه .. وهو لا يدري .. أو وهو يحسب أنه ممن يُحسنون صنعا!

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:88.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1429/01/16هـ

أبو بصير الطرطوسي

2008/01/25م

آدابُ وضوابطُ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

مما تُعاني منه كثير من الحركات، والتجمعات، والشخصيات الإسلامية الدعوية المعاصرة ظاهرة الحساسية الزائدة من النصيحة والناصحين .. والنقد والناقدين .. فلا يقبلون نصيحة من ناصح، ولا نقداً من ناقد مُشفقٍ .. فالكل - إلا من رحم الله - يُحب أن يُحمَدَ .. ويُمدَحَ .. ولو بما ليس فيه .. قد أَلِفُوا المدح والإطراء .. وكأَنَّهُم فوق النقد أو النصيحة .. أو أن يُقالَ لهم: اتقوا الله .. فإِما أن تمدح .. وتُطريهم .. ولو بما ليس فيهم .. وإِما أن تسكت، وتكون شاهد زور، وشيطاناً أخرساً!

والله تعالى يقول: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَارَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران:188.

وقال تعالى عن عبده ونبيه صالح: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ

لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ الأعراف:79. فالنفور من النصيحة، والإعراض عنها، وعدم محبة

الناصحين من صفات وأخلاقيات الكافرين لا المؤمنين!

غاب فيهم النقد الذاتي الداخلي البنّاء الجريء المخلص الذي يصف الأشياء بمسمياتها

الحقيقية وبما تستحقه .. والذي يحدد مواضع النقص والخلل والتقصير في العمل والبرامج،

والمناهج .. ومن غير زيادة ولا نقصان .. حيث لا تكاد تجد منهم من يقول لمن فوقه أو معه في

الحزب أو الجماعة اتق الله .. هذا خطأ والصواب من هنا .. لأن الناصح أو الناقد — في

أخلاقياتهم الحزبية والتربوية — سرعان ما يُسيئون به الظن؛ وسرعان ما يُصنّفونه كعدو

للجماعة أو الحزب .. أو الشيخ .. يستحق الطرد والعقوبة .. وتعميم التحذير منه .. ومن خطره

.. فالتربية الحزبية التي يربون ويُنتشئون أفرادهم عليها؛ إما أن تكون معهم فتوافقهم على كل

آدابُ وِضْوَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

ما يصدر عنهم من حق أو باطل .. ومن دون تعقيب أو نقاش .. وإما أن تكون ضدّهم فترد كل ما عندهم من حق وباطل .. أما المنهج الوسطي الحق الذي يُلزم المرء بأن يستمع إلى القول فيتبع أحسنه .. فيقبل ما فيه من حق .. ويرد ما فيه من باطل أو خطأ .. فبينهم وبينه — عما يبدو. أمد بعيد!

فربُّوا أجيالاً من المدّاحين المتعصّيين .. المتحرّزين .. المداهنين المتزلفين .. الذين يوالون ويُعادون في الحزب أو الجماعة أو الشيخ .. الذين لا يعرفون سوى لغة المدح والإطراء .. والتأييد .. وهزّ الرأس إلى أسفل في كل ما يسمعون ويُؤمّرون به .. الحقّ عندهم ما عليه الحزب أو الجماعة أو الشيخ، والباطل ما يراه الحزب أو الشيخ باطلاً .. أوداجهم منتفخة .. وأصواتهم مرتفعة على كل مخالفٍ يتجرأ على إبداء رأي أو نقدٍ أو نصيحة لحزبهم أو جماعتهم أو شيخهم .. فابتليت الأمة بطابور كبير من المنافقين والمدّاحين المتزلفين .. خاملِي الذهن والتفكير .. الذين يشهدون على الأشياء بالزور وبما ليس فيها!

كل هذا مما أعاق وصعّبَ من مهمة الناصحين المشفقين .. حتى أن كلمة حق تُقال لسلطان جائر أصبحت أهون وأسهل من كلمة حق تُقال لشيخ أو حزب أو جماعة .. محسوبة على الدعوة، والعمل الإسلامي!

وفي المقابل نشهد فوضى في ممارسة النصيحة، وإحياء العمل بواجب التناصح .. ونقد الآخرين .. وبخاصة إن كان الناصحُ ينتمي إلى حزب أو شيخ .. يختلف عن الحزب أو الشيخ الذي ينتمي إليه المنصوح .. فحينئذٍ حدّث عن لهجة التصعيد والتجريح، والتشهير، والتناوب بالألقاب والأحكام ولا حرج .. وهذا كله يتم - بزعمهم - باسم النصيحة .. وإحياء العمل بواجب التناصح فيما بين المسلمين!

يعتدون .. ويظلمون .. ويكذبون .. باسم النصيحة والتناصح .. والنقد البناء .. وما يحملهم على ذلك سوى الرغبة في التشفى والانتقام من المنصوح!

آدابُ وِضْوَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وفريق من هذا الفريق قد غالى في فهم النصيحة .. وممارسة النصيحة أو النقد .. حيث تراهم يحصرون النصيحة أو النقد في تكفير المنصوح .. فإن خطأته وأنصفته وأنصفت الحق منه .. فهذا لا يكفي .. وأنت لست بناصح .. ولا تكون ناصحاً حتى تصدع بتكفير المنصوح . بغير موجبٍ شرعي . وتهدر دمه وحرماته، فحينئذٍ أنت أنت، وإلا فلا !!

كل هذا وذاك .. أشعرنا أن المسألة تحتاج إلى ضبط وترشيد وتوجيه .. مما حملنا على أن نُشْرِعَ . بإذن الله . في بيان أهم الآداب والضوابط الشرعية التي ينبغي أن تُحاط بها النصيحة .. والعملية التناصحية ككل .. ولكن قبل هذا نجيب عن هذا السؤال الهام، كتقديم ضروري بين يدي البحث:

لماذا النصيحة .. والتأكيد على أهمية النصيحة والتناصح؟

أولاً: لأن النصيحة والعمل بالنصيحة واجب شرعي، لا مناص للمسلم — كل بحسب استطاعته - من القيام به نحو الناس أجمعين، وبخاصة منهم إخوانه المسلمين، كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾؛ أي كل الناس في خسر ﴿إِلَّا﴾؛ أداة استثناء تفيد الحصر والقصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾؛ فهؤلاء المؤمنون الذين من صفاتهم أنهم يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر .. هم المستثنون من الخسران في الدنيا والآخرة.

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ"، قالوا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: "لله، وكتابه، ورسوله، وأئمة المسلمين، وعامتهم" [1]. وقوله "إن الدين النصيحة"؛ من صيغ العموم؛ أي إن الدين كله النصيحة .. فالنصيحة الدين، والدين النصيحة .. لا يُقبل من امرئ ديناً بلا نصيحة .. وهو كقوله ﷺ:

¹ رواه مسلم، والنسائي، وأبوداود، صحيح سنن أبي داود: 4135.

آدابُ وضوابطِ النَّقدِ والنَّصيحةِ في الإسلام

"الحجُّ عرْفةٌ" [1]؛ فالموقف في عرفة هو الركن الأعظم للحج .. فلا يُقبل حج بلا عرفة .. كذلك لا يُقبل دين بلا نصيحة.

ومن حق المسلم على أخيه المسلم: "أن ينصح له إذا غاب أو شهَّد" مسلم. أي يضمركه الخير .. فيعينه ويدله عليه، ويمنع عنه السوء والشرّ .. ومن ذلك تبصيره بسبل ودروب المجرمين .. حتى لا يردّها ويحذرّها .. ويكون ذلك في حضرته وغيبته سواء.

وقال ﷺ: "المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يُسَلِّمُه .." متفق عليه. أي لا يدعه يرد موارد الهلكة والظلم والضياع .. بل يأخذ بيده .. فينصحه ويمنعه من السوء، ويمنع السوء عنه ما استطاع.

وقال ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه" متفق عليه. وأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، هو من النصيحة، بل هو من أعظم ما يدخل في النصيحة ومعانيها.

وقال ﷺ: "المؤمنون كرجلٍ واحد؛ إذا اشتكى رأسه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عينه اشتكى كلُّه" مسلم.

وفي الحديث القدسي: "حَقَّتْ محبَّتِي على المتناصحين في" [2]. ومن التناصح في الله أن تكون الغاية من نصح الناصح مرضاة الله تعالى، والقيام بما أمر وأوجب نحو المنصوح .. لا يقصد من نصحه سمعة ولا رياء .. ولا استعلاءً .. ولا عرضاً من أعراض الدنيا!

¹ أخرجه الأربعة في السنن، وأحمد، وغيرهم، صحيح الجامع: 3172.

² رواه ابن حبان، وغيره، صحيح الترغيب والترهيب: 3019.

آدابُ وَضوابطُ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وقال ﷺ: "المؤمنُ مرأةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ، يكفُّ عليه ضيَعَتَهُ"^[1]، ويحوطُهُ^[2] من ورائه"^[3].

وقوله ﷺ: "المؤمنُ مرأةُ المؤمنِ": أي كما يرى المرء نفسه من خلال المرأة .. فيمتدي إلى عيوبه .. وإلى ما يستدعي الإصلاح والتصحيح، كذلك المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن فكل منهما مرأة لأخيه .. وكل منهما يرى نفسه في أخيه .. ويدل أخاه إلى جوانب النقص والخلل فيه وما يستدعي إصلاحه واستدراكه، إن وجد ما يستدعي الإصلاح والاستدراك، كما في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "المؤمنُ مرأةُ أخيه؛ إذا رأى فيه عيباً أصلحَهُ"^[4].

وقال ﷺ: "لا يمتنعنَّ رجلاً هيبَةُ الناسِ أن يقولَ بحقِّ إذا عَلِمَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجْلِ وَلَا يُبْعَدُ مِنْ رِزْقٍ"^[5]. وهذا عام وشامل لكل مسلم؛ فالكل مُطالب بأن ينصح ويصعد بما يعلم من حق، وأن لا يصدنه عن القيام بهذا الواجب الخوف أو الرهبة من المخلوق؛ فإن ذلك "لا يُقَرِّبُ مِنْ أَجْلِ وَلَا يُبْعَدُ مِنْ رِزْقٍ"، إذاً علام الخوف والرهبة من المخلوق ..؟!.

ونحوه قوله ﷺ: "لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ" قالوا: يا رسولَ الله كيف يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قال: "يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ مَقَالًا، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ، فيقولُ اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فيقول: خَشِيَ النَّاسِ. فيقول: فَإِنِّي كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى"^[6].

¹ أي معاشه، كما في "النهاية"، والمراد: أنه يمنع عن أخيه تلف معاشه وسبب رزقه.

² أي يحفظه في أهله ونفسه وماله عند غيابه.

³ صحيح سنن أبي داود: 4110.

⁴ صحيح الأدب المفرد: 177.

⁵ رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 168.

⁶ قال المنذري في الترغيب: رواه ابن ماجه، ورواته ثقة. وقال أحمد شاكر في العمدة 701/1: إسناده صحيح.

آدابُ وِضْوَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وقال ﷺ: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء". قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: "الذين يُصلحون إذا فَسَدَ الناسُ" [1]. وغيرها كثير من النصوص التي تبين أن المسلم إما ناصح وإما منصوح .. إما عالم يُعَلِّمُ وإما متعلم يطلب العلم .. ولا يجوز له أن يكون غير ذلك، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذِكْرُ اللَّهِ وما والاه، وعالمٌ أو متعلماً" [2]. فهذا المستثنى من اللعن؛ ذِكْرُ اللَّهِ وما والاه من الطاعات والعبادات، وعالمٌ أو متعلماً .. وما سوى ذلك ملعون ممقوت.

وبالتالي لا مكان في الإسلام لقول القائل هذه قضية داخلية .. محلية .. لا يحق لغير أهلها المحليين أن يتكلموا فيها .. أو أن يأمرؤا وينهؤا .. أو أن ينصحوا، حيث بتنا نسمع من يقول من ذوي التوجه الإسلامي: هذه قضية سورية لا يتكلم فيها إلا السوري .. وهذه قضية ليبية أو تونسية داخلية لا تخص ولا يتكلم بها إلا الليبي أو التونسي .. وهذه قضية فلسطينية داخلية .. لا يحق لغير الفلسطيني أن يتكلم عنها .. أو يشارك في حل مشاكلها .. وهكذا كل قضية قطرية محلية تراهم يقولون: أهلها أولى بها .. ولا يحق لغيرهم أن ينصح أو يشارك في رأي حولها .. وهذا القول يكرس التقسيم والتفرق الحاصل بين أبناء الأمة .. وهو مردود بالنقل والعقل .. وهو غريب جداً على مبادئ الإسلام وتوجهاته .. فالمنكر يُنكر .. والخطأ يُزال .. والمحسن يُقال له: أحسنت؛ فأنت محسن .. والمسيء يُقال له: أسأت؛ فأنت مسيء .. أياً كان المحسن أو المسيء .. ولا يُشترط في المنكر أو الناصح أن يكون منتمياً لنفس بلد أو جماعة المنكر عليه أو المنصوح!

ثانياً: غياب النقد والنصح يعني التماذي في الخطأ والانحراف والظلم إلى أن يتضخم ويصبح واقعاً مُراً لا فكاك منه، وهذا من لوازمه هلاك البلاد والعباد، والخسران في الدنيا والآخرة .. وغرق المجتمعات الإنسانية في مستنقع آثن من الأمراض الفتاكة المعنوية منها

¹ السلسلة الصحيحة: 1273.

² أخرجه ابن ماجه وغيره، صحيح الجامع: 3414.

آداب وضوابط النقد والنصيحة في الإسلام

والمادية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ الإسراء:16. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الأنبياء:11. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيُّ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُورُ الْمُعْتَطَلَةُ وَقَصُرِ مَشِيدٍ﴾ الحج:45. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص:58. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف:165. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِئِنَّكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ﴾ هود:117. وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة:78-79. فالهلاك والدمار واللعن يتنزل على العباد في حال غياب النصيحة والناصحين، والإصلاح والمصلحين .. وعندما تكون الكلمة والغلبة للمفسدين المجرمين.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "مثلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" البخاري.

قلت: ومثل السفينة في الحديث مثل المجتمعات والدول في حياة الناس .. فإن ترك القائمون على حدود الله؛ وهم المصلحون الناصحون، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المهمة المنوطة بهم؛ وهي النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وتركوا المفسدين المخربين أن يفسدوا في المجتمعات ويبثوا سمومهم وخرابهم — تحت أي ذريعة كانت — فحينئذ يهلك

آداب وضوابط النقد والنصيحة في الإسلام

الجميع: الصالحون، والطالحون، والمجتمع معهم .. وأن أخذوا على أيديهم بالزجر والمنع والإنكار، نجوا جميعاً: الصالحون والطالحون، والمجتمع الذي يعيشون فيه.

وقال ﷺ: "إنَّ الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى تعمل الخاصة بعملٍ تقدُرُ العامة أن تُغيره ولا تُغيره، فذاك حين يأذن الله في هلاك العامة والخاصة" [1].

وقال ﷺ: "ما مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِم بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ، لا يُغَيَّرُونَ، إِلاَّ عَمَّهِمُ اللهُ بِعِقَابٍ" [2].

وعن قيس، قال: قال أبو بكرٍ بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيُّها الناسُ، إنَّكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها على غير موضعها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ، وإنَّا سمعنا النبي ﷺ يقول: "إنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فلم يأخذوا على يديه أو شكَّ أن يعمَّهم اللهُ بعقابٍ". وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "ما مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِم بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ على أن يُغيروا، ثُمَّ لا يُغَيَّرُوا، إِلاَّ يوشِكُ أن يعمَّهم اللهُ منه بعقابٍ" [3].

وقال ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنَّه فلا يستجيب لكم" [4].

وقال ﷺ: "إذا رأيتَ أمتي تهابُ الظالمَ أن تقولَ له أنتَ الظالمُ فقد تُودِعَ منهم" [5]. أي

انتهى خيرهم .. لم يعد يرجى منهم خير .. فهم الأحياء الأموات!

¹ قال الهيثمي في الزوائد 268/7: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

² صحيح سنن ابن ماجه: 3238.

³ رواه أبو داود وغيره، صحيح سنن أبي داود: 3644.

⁴ أخرجه أحمد، والترمذي، صحيح الجامع: 7070.

⁵ قال الهيثمي في الزوائد 270/7: رواه أحمد، والبزار، والطبراني، وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح.

آدابُ وِضْوَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها، قالت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَنهَلِكُ وفينا الصَّالِحون؟ قال: "نعم إذا كَثَرَ الخَبَثُ" متفق عليه. ولا يكثر الخبث إلا مع غياب النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ثالثاً: النقد الهادف الذي يُحدد موضع الداء ويُشخّصه، هو الخطوة الأولى والأساس نحو العلاج، والتصحيح والتغيير؛ إذ لا يُمكن تشخيص الدواء .. والشروع في تناوله من أجل التغيير إلى الأفضل .. من دون تحديد وتشخيص الداء أولاً .. وعلى قدر ما يكون تشخيص الداء دقيقاً يكون تشخيص الدواء دقيقاً ومحكماً .. وتُرجى ثماره وعطاؤه .. وهذا لا يمكن أن يتحقق شيء منه إلا بالنصح .. وبعد فتح الباب على مصراعيه للنقد الجريء الصادق .. الذي يحدد مواطن الداء ومكائنها!

كيف للمريض أن يتناول الدواء .. ويرجو الشفاء من مرضه .. وهو لم يحدد ولم يعرف مرضه بعد .. ولم يسمح للأطباء أن يقولوا له أنت مريض .. وفيك الأمراض العديدة التالية .. التي تحتاج إلى الأدوية التالية ..؟!

أعجب لحزب أو جماعة تنشُد التغيير، وتُطالب بالتغيير .. ثم هي تُحجّر على النصح والناصحين .. والنقد والناقدين .. ويضيق صدرها نحو الناصحين الغيورين من أبناء الأمة .. ونحو أي نصيحة أو نقد يوجه إليها من ناصح غيور!

لا يُمكن أن نصنّف أي حزب أو جماعة .. على أنها جماعة راشدة ترقى إلى مستوى هموم ومشاكل الأمة .. ويمكن أن تنفع في حلّ شيء من هموم ومشاكل الأمة .. ثم هي في المقابل تجرّم الناصحين .. ويضيق صدرها نحو النصيحة أو النقد .. أو لا تعتمد أسلوب النقد الذاتي الجريء الذي يحدد مواطن القصور والتخلف لديها ليتم اجتنابها.

العمل بالنصيحة والشورى والنقد .. ظاهرة صحية في جسد الأمة والمجتمعات والجماعات .. وعلامة على حياة الأمة والمجتمعات .. يحيا الجسد بوجودها .. ويموت ويذبل ويضعف بزوالها أو ضعفها .. والجماعة الراشدة هي التي تربي أفرادها وشبابها على ثقافة

آداب وضوابط النقد والنصيحة في الإسلام

العمل بالتناصح والشورى والنقد البناء .. وتنظم لهم الوسائل التي تنمي مهاراتهم في هذا المجال .. وتعينهم على ممارسة هذه الثقافة بصورة حضارية راقية أفضل.

لأجل هذه الأوجه مجتمعة يؤكد الإسلام على أهمية النصيحة والتناصح .. وبعد أن أجبنا عن السؤال المتقدم: لماذا النصيحة، والتأكيد على أهمية النصيحة والتناصح .. نُشْرِعُ . بإذن الله . في بيان أهم الآداب والضوابط التي ينبغي أن تُراعى في عملية النقد والنصح.

. آداب وضوابط النقد والنصيحة:

لكي تحقق النصيحة ثمارها المرجوة لا بد من أن تُحاط بالآداب والضوابط التالية:

أولاً: تحديد موضع وموطن الخلاف أو المخالفة التي تحتاج إلى نقدٍ أو نصيحة .. وتحديد نوعها وحجمها .. هل هي موجودة أولاً أم لا .. وإن كانت موجودة .. هل هي من الأصول أم من الفروع .. وهل لها مساس بالعقيدة والتوحيد .. أم أنها تتعلق بالمعاملات وبعض التطبيقات العملية الفقهية .. وهل هي من اختلاف التنوع أم من اختلاف التضاد .. وهل يُستساغ فيها الاجتهاد ومن ثمَّ الاختلاف أم لا .. ثم ما هو حجم أثر هذه المخالفة على المخالف ذاته، وعلى الناس والمجتمع من حوله ..؟؟

هذا التحديد - قبل النصيحة أو النقد - مهم جداً في عملية النقد والنصيحة، لاجتناب التعميم في النقد والنصيحة، وحتى لا يُنقد ما لا يستحق ولا يستوجب النقد والنصيحة .. وحتى لا تضيع الطاقات والأوقات من غير طائل .. ولكي يأتي العلاج في موضعه الصحيح؛ إذ دقة تشخيص الدواء من دقة تشخيص الداء وتحديده .. وحتى لا تصدر الأحكام بغير موجب شرعي، وعلى من لا يستحقها .. فلا يُضلل ولا يُفسق من كان خلافه يمكن أن يُدرج في خانة الاجتهاد المستساغ؛ الذي يكون للمصيب فيه أجران، والمخطئ فيه أجر واحد.

عندما يُجرَّم المخالف وجميع أعماله لمخالفة وقع فيها .. لا يستفيد من النقد والنصيحة .. وقد لا يُحسن التمييز بين ما يعنيه مما لا يعنيه .. لأن النصيحة استهدفته كله ما

آدابُ وِضَوايِظِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

عنده من حق وما عنده من باطل .. والنقد شمل جانبي الحق والباطل عنده .. فلا يعرف المراد على وجه التحديد من وراء هذا النقد .. وبالتالي من حقه أن يعترض على الناصح أو الناقد .. وأن يقول له: حدد الشيء الذي تريد نقده .. ولا تُعمم .. لكي أستفيد من نصحك ونقدك!

مثاله مثال الطبيب الذي يأتيه مريض يشكو ألماً في رأسه .. فيقول له الطبيب: أنت مريض .. ومن دون أن يحدد له نوع وحجم مرضه .. ثم يُعطيه أدوية للأمراض كلها .. أو كل ما تقع عليه يده من الأدوية .. لا يُحسن المريض أن يختار المناسب منها لمرضه .. ولو تناولها كلها لقتلته وزادت مرضه مرضاً .. مثاله من النقاد والناصحين – وما أكثرهم – أن يتوجه الناقد أو الناصح بالنصيحة لمخالف جاءت مخالفته مثلاً من جهة التقصير في أداء بعض حركات الصلاة .. أو في المعاملات .. فتراه يسرد عليه الاعتقاد الصحيح .. وما كان عليه السلف من منهج وسلوك .. ومسائل الأصول والوعد والوعيد .. وأدلة الترغيب والترهيب .. وإن كانت النصيحة مكتوبة .. فلا ينسى أن يقتطع له تفسير بعض سور القرآن الكريم .. وأقوال أهل العلم فيها .. لسهولة القطع والتلصيق، وما كان سهلاً فأكثر منه! – إلى أن يدوِّخ المنصوح .. ويجعله في حيرة من أمره .. ويحملة على أن يسأل: ما الذي يعنيني ومخالفتي .. من هذا الكلام كله .. ولو أعرض حينئذٍ عن الناصح أو الناقد لا أظنه يُلام.

خطأ يُرد عليه بأسطر وكلمات محدودات تفي بالغرض .. فيرد عليه بكتب ومجلدات .. ومحاضرات .. تغيب فيها الغاية أو الغرض من وراءها .. وهو إزالة الخطأ وتصحيحه!

هذا التحديد في المواضع التي تحتاج إلى نصيحة أو نقد .. مهم جداً ليس فقط عندما تكون النصيحة بين المسلمين بعضهم مع بعض .. بل عندما تكون النصيحة بين المسلمين وغيرهم من المشركين والكافرين، فالله تعالى أمرنا نبدأهم بالقضية الأساس والأهم، وأن نقول لهم: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آل عمران: 64. وبالتالي من الخطأ الدعوي الحواري .. وأداء النصيحة للطرف الآخر .. أن نتجاوز هذه القضية الأهم .. أو نشرك معها قضايا عديدة تشتت

آدابُ وضوابطُ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإِسْلَامِ

الذهن والانتباه عن القضية الأهم والأساس .. كقضايا المرأة وحقوقها .. أو الموقف من الربا والخمور .. والفساد الأخلاقي .. فهذه قضايا هامة .. لكن لا ينبغي ولا يُستحسن أن تُطرح أولاً أو مع القضية الأهم والأساس؛ ألا وهي: قضية من المعبود بحق في الوجود .. الله .. أم المخلوق؟! إذ لو حُسِمَت هذه القضية الأهم .. واجتمعت الكلمة عليها .. هان حسم المسائل الأخرى .. وكل مسألة قد تكون مثار جدل أو خلاف .. وسهل قبولها على الآخرين .. أما إن لم تُحسَم القضية الأهم والأساس .. صعب جداً حسم أي مسألة بعدها .. أو قبولها .. وبالتالي حرصاً على الأوقات والطاقات من الضياع من غير طائل .. وترشيداً لعملية الحوار والنصيحة .. والتزاماً بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية .. يُستحسن أن لا يُبدأ مع القوم بغير قضية التوحيد الأهم، وهي: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ .. فإن أجابوا إليها .. دعوناهم إلى ما سواها .. وهان عليهم حينئذٍ فهمها .. والإجابة إليها، ومن غير تردد ولا نقاش.

ثانياً: العلم والدراية بالداء والدواء معاً .. إذ لا يكفي . في العملية التناصحية . تحديد أو تشخيص الداء من دون تشخيص الدواء والعلاج ذات العلاقة بالداء .. وأن يُقال للمريض أنت مريض .. أنت مريض .. من دون تشخيص الدواء .. وطرق العلاج له!

لا يكفي أن يُقال للكافر أنت كافر من دون أن يُبين له الإيمان .. وكيفية الدخول في الإيمان .. لا يكفي أن يُقال للمخطئ أنت مخطئ .. من دون أن يُبين له الصواب .. وطرق الخلاص مما قد أخطأ فيه .. فالإقتصار على تخطئة المخطئ من دون أن يُبين له الصواب فيما قد أخطأ فيه .. ولا السبيل للخلاص مما قد أخطأ فيه .. تجريم للمخطئ .. وجلد له .. من غير طائل يُذكر .. وهذا ليس من النصح الراشد في شيء .. وهو مخالف لمنهج الأنبياء – صلوات الله عليهم . في النصح، والدعوة إلى الله.

ولكي يتحقق العلم بالداء والدواء معاً، يُشترط شرطان: أولهما العلم والدراية بواقع الداء .. وصفته .. وكل ما يتعلق به من أسباب .. وآثار ونتائج .. وهو هدف من أهداف الآيات القرآنية التي تتحدث عن سبل المجرمين المخطئين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ

آدابُ وضوابطُ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإِسْلَامِ

وَلْتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ الأنعام:55. فاستبانة طرق المجرمين على وجه التدقيق والتحقيق .. هدف من أهداف البيان القرآني .. لتُعرف، فتُجتنب، ويُحذَر منها.

ثانياً، الدراية بالنصوص الشرعية ذات العلاقة بالداء، وواقعه .. التي تشخص الدواء والعلاج .. وأيما تقصير في الشرطين الأنفي الذكر أو أحدهما .. يؤدي – ولا بد – إلى نتائج سلبية وعكسية لا تُحمد عُقباها .. وبخلاف ما يُرجى من العملية التناصحية الراشدة؛ ومثاله: الذي يستشرف مهنة الطب .. فيصف دواء لمريض من دون أن يعرف مرضه أولاً .. فأنتى للدواء حينئذٍ أن يُصيب مكمّن الداء .. أو يعرف مرضه لكن لا يعرف الدواء الذي يُناسب مرضه .. فيعطيه أي دواء .. وفي كلا الحالتين ستكون النتائج كارثية على المريض لو تناول الدواء .. وأخذ بنصيحة طبيبه الجاهل!

ومن الثمار التي تُذكر لشرط العلم والدراية بالداء والدواء معاً .. تحديد حجم ونوع الخطأ .. ليأتي تشخيص العلاج بما يتناسب مع حجم ونوع الخطأ .. إذ أحياناً قد لا يكون الخطأ المشار إليه خطأً .. بل قد يكون مباحاً ومندوباً .. فيظنه الجاهلون أنه خطأً .. فيتعاملون معه على أنه خطأ، ومع فاعله على أنه مرتكب للخطأ يستحق النصح .. وهو ليس كذلك! كم من عمل مباح ومشروع .. ينكره المنكرون .. ويرتبون عليه موالاة ومعاداة .. وحب وكره .. تحت حماسة النقد .. والرغبة في النصيحة كما يزعمون .. وسبب ذلك كله مرده إلى الجهل .. وعلاجه . ولتفادي المزالق الأنفة الذكر . هو العلم؛ ونعني بالعلم . ما تقدم ذكره . العلم والدراية بالداء والدواء ذي العلاقة بالداء.

ثالثاً: التزام العدل، والإنصاف في النقد أو الشهادة، فيُشهد على المحسن بأنه محسن، وعلى قدر ما عنده من إحسان، وعلى المسيء بأنه مسيء، وعلى قدر ما عنده من إساءة .. ومن غير زيادة ولا نقصان.

فلا يمتنعاً خطأ وقع به شخص ما أن ننصف الحق منه .. وأن نبين خطأه فيما قد أخطأ فيه .. وفي نفس الوقت ننصفه، وننصف ما عنده من حق وخير .. حتى لو كان كافراً أو

آداب وضوابط النقد والنصيحة في الإسلام

عدواً .. أو كان ممن لا نُحِبُّ .. فعدالة الإسلام تُلزمنا بأن ننصف ما عنده من حق إن وجد .. وأن ننصفه من ظلمه إن ظلم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:90.

وفي الحديث القدسي، يقول الرب ﷻ: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا" مسلم. والظلم هو كل ما يُضاد ويُنافي العدل.

وقال ﷻ: "واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء" [1]. أيًا كان هذا المحسن، أو هذا المسيء.

فالعدل يستفيد منه الجميع .. ويتمتع به الجميع .. كما أن الظلم يتضرر منه الجميع .. وينفر منه الجميع.

وكون أن العدل يستفيد منه الجميع .. حتى العدو .. فلا يصدنا ذلك عن أن نحكم بالعدل .. ونشهد بالعدل .. ونأمر وننهى بالعدل .. ونعامل الآخرين بالعدل .. وذلك لأن الله تعالى يأمرنا بالعدل بكل صوره ومجالاته .. وينهانا عن الظلم، بكل صوره ومجالاته.

رابعاً: التزام الاعتدال والمنهج الوسطي في الحب والكره، والموقف من الآخرين .. المنافي للإفراط أو التفريط .. والزيادة أو النقصان .. الاعتدال الذي يربأ بصاحبه عن الغلو والمبالغة في الإفراط أو النقصان.

فمن لم يتسم بالاعتدال .. وجنح بنفسه إلى الإفراط أو التفريط .. إلى الغلو أو الجفاء .. فقد ظلم نفسه والآخرين ولا بد .. وجاءت أحكامه على الأشياء خاطئة ظالمة منافية للحق

¹ رواه الطبراني، والبيهقي، السلسلة الصحيحة: 457.

آدابُ وَضوابطُ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

والحقيقة .. فمن كان يجنح إلى انتهاج الغلو تراه يجنح إلى تضخيم صفات الذنوب إلى أن يجعلها في مصاف الكبائر .. ويضخم الكبائر .. وينفخ فيها إلى أن يجعلها في مصاف الكفر الأكبر .. ويحكم على أصحابها بالكفر والخروج من الإسلام .. ويسلمهم حقوق الإسلام!

وإن كان يجنح إلى الجفاء والتفريط .. تراه يجنح إلى تصغير الكبائر إلى صفات .. وربما يجعلها في مصاف المكروهات .. والكفر البواح إلى كبائر .. ويحكم على أصحابه بالإسلام .. ويصرف لهم حقوق الإسلام.

فمن قبل انطلق الخوارج الغلاة إلى آيات قيلت في الكافرين المجرمين .. فحملوها . بغلوهم وإفراطهم وجهلهم . على المؤمنين الموحدين .. فحكموا عليهم بالكفر .. وانتكوا حرمتهم بغير حق ، كما وصفهم النبي ﷺ أنهم: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان" متفق عليه . وفي المقابل انطلق المرجئة أهل الجفاء والتفريط إلى آيات قيلت في المؤمنين الموحدين فحملوها على الطواغيت المجرمين .. وصرفوا لهم من الحقوق ما يجب للمسلمين .. ومنعوا . بسبب ذلك . الأمة من قتالهم وجهادهم!

وهذا كله مرده إلى انتهاج الغلو أو التفريط .. والابتعاد عن منهج الاعتدال والتوسط في الحب والكره، وفي الموالاة والمعاداة .. وفي الحكم على الآخرين، وتحديد الموقف منهم ومن أعمالهم.

من ثمرات الاعتدال في الحب والكره .. والرضى والسخط .. الاعتدال في النقد والنصح .. وتحديد المواقف من الآخرين بصورة صحيحة .. أما من يُغالي في الحب أو الكره .. لا يُتوقع منه الإنصاف في نقده ونصحه للآخرين .. ولا في الحكم عليهم وعلى أعمالهم .. فهو إذا أحبَّ أفرط في الحب إلى درجة أنه يرى سيئة محبوبه حسنة .. ويرى قبحه جمالاً .. وتراه لا يقبل أن يُقال في محبوبه ما يُسيئه ولا يرضيه وإن كان حقاً .. وإذا كره أفرط في الكره والبغض؛ بحيث أنه يرى حسنة من يكرهه سيئة .. ويرى الجميل فيه قبيحاً .. ولا يقبل أن تُقال فيه كلمة مدح يستحقها .. ولو وقف على سيئة من سيئاته لضخمها إلى أن يجعلها كالجبال الرواسي!

آدابُ وِضَوابِظِ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإِسْلامِ

وهذا مخالف للتوجيه النبوي في قوله ﷺ: "" أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون

بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما" [1].

وصحَّ عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: "لا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا، ولا بغضك تَلْفًا؛ إذا

أحببتَ كَلِفْتَ كَلْفَ الصَّيِّ، وإذا أَبْغَضْتَ أَحْبَبْتَ لِمَصاحِبِكَ التَّلْفَ" [2].

خامساً: توخي المصلحة الراجحة من وراء النقد والنصح؛ فينصح الناصح حيث

يتوقع المصلحة الراجحة من نصحه، فإن رجح لديه العكس .. وأن نصيحته قد تأتي بمفاسد

أو بنتائج سلبية .. أمسك وتوقف، وأرجأ نصحه إلى حينٍ آخر.

لا يجوز للناصح . تحت عنوان النصيحة والنقد . أن يُثير الفتن أو أن يُطلق إطلاقات

يستفيد منها العدو أكثر مما يستفيد منها المنصوح .. فيكون كمن قال كلمة حق أُريد منها

باطل .. ونصرة للباطل .. وهو يدري أو لا يدري .. وهو بخلاف ما يقتضيه العمل بأدلة

السياسة الشرعية التي تُلزم النظر في المآلات .. وفي المصالح والمفاسد .. وتقديم المصالح على

المفاسد .. وما يكثر نفعه على ما يقل نفعه .. ودفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر.

سادساً: أن يكون الناصحُ مخلصاً وصادقاً في إرادة الإصلاح، وأن يُشعر المنصوح أنه

يحب له الخير، مُشفق عليه، وأنه لم ينصحه إلا لرغبة إيصال الخير له، وإبعاد الشرِّ عنه

.. فهذا الشعور لدى المنصوح هام جداً .. فإن تحقق لديه استفاد من النصيحة .. وأقبل

على الناصح ونصيحته بكل أحاسيسه ومشاعره، وتفكيره .. وإن لم يتحقق لديه نفر من

الناصح ومن نصيحته .. مهما كانت النصيحة غالية .. لارتياحه وشعوره بأن الناصح لا يريد

له الخير ولا الإصلاح.

¹ صحيح سنن الترمذي: 1625.

² صحيح الأدب المفرد: 993. والكلف: الولوع والتعلق بالشيء، مع شغل القلب به.

آدابُ وَضوابطُ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

هذا المعنى الهام لا بد من أن يتنبه له الناصح قبل أن يُقدم على بذل ما عنده من نصائح للآخرين .. هذا إن أراد لنصائحه أن لا تُرد، وأن تُقبل ويُسمع لها عند المعنيين من نصائحه.

وهو. أي هذا المعنى . من هدي الأنبياء وسيرتهم مع قومهم، لعلمهم أنه أَدعى في قبول النصيحة والإصغاء إليها، كما قال تعالى عن عبده ونبيه شعيب .. وبعد أن نصح قومه بجملة من النصائح القيمة: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:88. وقال تعالى عن عبده ونبيه صالح: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ : أي أردت لكم الخير، فلم آلو جهداً في تعريفكم على دروب الخير لتسلكوها، وعلى دروب الشرِّ لتجتنبوها ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ الأعراف:79.

سابعاً: اجتناب السباب والفحش في القول، وعبارات التحقير والتصغير .. والتجريح الشخصي .. عند نقد الآخرين، وبذل النصائح لهم .. فهو أَدعى لقبول النصائح والإصغاء إليها .. كما أن تخليص النصائح أو النقد بعبارات الطعن والسب، والتجريح الشخصي .. يكون أَدعى للنفور، وعدم الإصغاء لنصائح أو كلمات الناصح.

كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: 125.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ الإسراء:53.

وقال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ النساء:148.

آدابُ وَضوابطُ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "ليس المؤمن بالطَّعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء" [1].

وقال ﷺ: "إن اللعانين لا يكونون يوم القيامة شهداء ولا شفعاء" [2]. أي كثيري اللعن؛ الذين يلتجئون إلى اللعن لأقل الأسباب وبغير موجبٍ شرعي.

وقال ﷺ: "سبابُ المؤمن كالمُشْرِفِ على الهَلَكَةِ" [3].

وقال ﷺ: "المُسْتَبَّانِ شيطانانِ يتهاتران ويتكاذبان" [4].

وعن جابر بن سليم ؓ قال: قلت يا رسول الله اعهد إليَّ . وفي رواية: أوصني . قال ﷺ: لا تَسُبَّنَّ أحداً". قال: فما سببتُ بعده حُرّاً ولا عبداً، ولا بعبيراً ولا شاةً. وفي رواية: "لا تَسُبَّنَّ شيئاً". قال: فما سببتُ بعد ذلك دابةً ولا إنساناً [5].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: "الأُمُّ أخلاقُ المؤمن الفحش" [6].

المهم في النقد والعملية التناصحية .. الإصلاح .. لا ذات النقد أو التشهير بالمنصوح، والانتقاص من قدره .. وبالتالي يتعين على الناقد أو الناصح أن ينتقي . ما استطاع . أدق العبارات والكلمات .. وأحسنها .. وأرقاها .. وأقربها للقلوب .. عسى الله تعالى أن ينفع بها المنصوحين .. ويضع لها القبول بين العباد.

ثم أن اللجوء إلى السباب والفحش في القول .. ولأدنى سببٍ .. لا يليق بالناصحين الذين يعلمون وينشدون الإصلاح .. ويملكون الحُجج والبراهين فيما يُحاججون به وينصحون

¹ صحيح الأدب المفرد: 237.

² صحيح الأدب المفرد: 240.

³ صحيح الجامع: 3586.

⁴ رواه ابن حبان في صحيحه، صحيح الترغيب والترهيب: 2781. وقوله " يتهاتران "؛ أي يتقابحان في القول.

⁵ رواه ابن حبان وغيره، صحيح الترغيب: 2782. وصحيح الأدب المفرد: 901.

⁶ صحيح الأدب المفرد: 239.

آدابُ وَضوابطُ النَّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

.. بل هو من سمات الجاهلين المفلسين ثقافياً وفكرياً الذين لا يعلمون .. حيث تراهم لجبهتهم وعجزهم عن المواجهة، ومقارعة الحجة بالحجة يَلجُونَ باب الشتم والفحش في القول، ويستعينون به عند أدنى نقاش أو حوار .. وهؤلاء أولى بالنصيحة من غيرهم .. فمكاتبهم الصحيح أن يُنصَحُوا لا أن يُنصَحُوا .. فجاهل الشيء كفاقده .. وفاقد الشيء لا يُمكن أن يعطيه للآخرين!

ثامناً: النصيحة منها ما يكون سراً بين الناصح والمنصوح، ومنها ما يكون علناً وعلى الملأ .. والناصح الذي يبتغي الإصلاح عليه أن يُحسن التمييز بينهما، ويُعطي كل حالة منهما حقها .. وما يُناسبها من النصيح .. وإلا وقع في الظلم والعدوان ولا بد .. وهذا يستدعي منا أن نبين . بإيجازٍ. صفة الذي يُنصَحُ سِراً، وصفة الذي يُنصَحُ علناً.

1- صِفةُ الذي يُنصَحُ سِراً: مثاله الذي يقع في معصية عن ضعفٍ، وعلى وجه التخفي والاستحياء، ثم يراه شخص آخر، أو يُكتشف أمره لشخص آخر .. فهذا ينبغي أن يُسْتَرَّ ويُنصَحَ سِراً .. وعلى الشخص الآخر الذي علم منه مخالفته .. أن يستره ولا يفضحه .. وإن كان ناصحاً يأخذ بيده، وينصحه سراً بينه وبينه.

كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" متفق عليه.

وقال ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه الله في بيته" [1]. فالعقوبة من جنس العمل، فكما عمل على فضح المسلم .. وكشف عورته وزلته للناس .. يفضحه الله .. ويكشف عوراته وزلاته للناس .. مهما احتاط لنفسه!

¹ صحيح سنن أبي داود: 4083.

آدابُ وِضَوايِبِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

ونحوه السلطان المسلم الذي يقترف بعض المعاصي أو المخالفات الشخصية التي ترتد آثارها على شخصه .. ولا يُجاهر بها .. ولا يفرضها على الناس .. ولا يجعلها سنة فيهم .. ثم يعلم عنه ذلك بعض المقربين إليه .. فالواجب في هذه الحالة .. أن يُنصَحَ سراً، وأن لا يُشهرَّ به على الملأ .. وأن لا يُبده النصيحة علانية أمام الناس .. فهو أَدْعَى للإِخْلَاص .. والقَبول عند الله وعند المنصوح .. وإذا كان هذا هو الواجب مع من هم ليسوا من ذوي السلطان والحكم كما تقدم .. فيكون مع السلطان المسلم من باب أولى مراعاة لحقه، وحرمته، وهيبته^[1].

كما في الحديث: "من أراد أن ينصحَ لذي سلطانٍ فلا يُبده علانيةً، ولكن يأخذ بيده فيخلُّو به، فإن قبلَ منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه"^[2].

¹ الحقيقة أننا لا نستطيع أن نحصر النصيحة السرية بين الناصح والسلطان المسلم فيما يتعلق بالمخالفات الشخصية للسلطان المسلم وحسب .. ثم ما سوى ذلك نقول: يجب أن يُنصَحَ علانية .. لا نستطيع أن نقول ذلك .. والنصوص الشرعية لا تُعيننا على هذا الحصر .. وبالتالي يُمكن أن تتوسع مجالات النصيحة السرية لذوي السلطان والحكم .. لتشمل الرأي والمشورة فيما ينفع الراعي والرعية في شؤون الحكم والسياسة .. وتصويب الأخطاء التي يقع فيها الحاكم عن اجتهاد، ويكون لصاحبها أجر واحد .. فإن أمكن أن يُنصَحَ الحاكم في هذه المجالات سراً يكون هو الأولى .. وإن تعسر ذلك .. وكان تأخير النصيحة أو كتمانها .. يترتب عليه ضرر عام يُصيب عامة المسلمين .. الراعي والرعية سواء .. وكان لا سبيل لإيصال هذه النصيحة لمن تعينهم سوى الإعلان على الملأ .. فحينئذٍ لا حرج من الإعلان للمصلحة العامة .. ودفع الضرر عن الأمة والعامة .. فالضابط فيما يُسر وما يُعلن من النصيحة لذوي السلطان والحكم .. مرده إلى مدى سهولة الاختلاء بذوي السلطان والحكم عندما تتعين النصيحة لهم .. وبالنظر إلى المصلحة العامة .. ومدى تضرر عامة المسلمين .. في حال اعتمدت النصيحة السرية أو العلنية، فيُقدم منهما الأسلوب الذي تتحقق فيه المصلحة الراجحة للأمة، ولعامة المسلمين، والله تعالى أعلم.

² رواه أحمد، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 1096.

آدابُ وَضوابطُ النِّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

وقال ﷺ: "من كانت عنده نصيحةٌ لِنِذي سلطانٍ فليأخذُ بيده، فليخلُو به، فإن قَبَلَهَا قَبَلَهَا، وإن رَدَّهَا كان قد أدَّى الذي عليه" [1].

وقال علي رضي الله عنه: "لا تكونوا عَجُلًا مِذايِيعَ، بُذْرًا" [2]. وقوله "بذراً"؛ أي المَفْشون للأسرار، الذين لا يكتُمون سراً يعلمونه!

2- صِفةُ الَّذِي يُنصَحُ علناً: مثاله العاصي المِجَاهِرُ بمِعضيته .. الَّذِي لا يَسْتحي منها .. يبيت وقد ستره اللهُ .. فيُصبحُ يُحدثُ الناسَ بمِعاصيه وفِجوره .. تراهُ يُباهي بها .. فهذا لا حرج لو أنكر عليه علانيةً، ونُصِحَ علانيةً، فيُعاقبُ من جنسِ عمله وإِعلانه .. وليكون أبلغ في استئصالِ فِجوره وفِتنته على الآخرين.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "كل أمتي مُعافي إلا المِجَاهِرِينَ، وإن من المِجَاهِرَةِ أن يعملَ الرجلُ بالليلِ عملاً، ثم يصبحُ وقد سترهُ اللهُ، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يستره ربه، ويصبحُ يكشفُ سِتْرَ اللهِ عنه" البخاري.

وقال ﷺ: "ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يعملُ فيهم بالمِعاصي يقدرُونَ على أن يُغَيِّرُوا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم اللهُ بعذابٍ من قبل أن يموتوا" [3].

ونحوه المبتدع الَّذِي يُجَاهِرُ بِبِدْعته .. ويدعو الناسَ إلى بدعته علانيةً .. ويؤلف فيها ويُحاضر .. فهذا لا حرج من نقده، والإِنكارِ عليه علانيةً، وعلى المَلأ .. فيكون الإِنكارُ عليه من جنسِ فعله .. ليحذرهُ الناسَ .. ويجتنبوا بدعته .. وقد أثر عن السلف الصالح أنهم كانوا

¹ رواه أحمد، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 1098.

² صحيح الأدب المفرد: 250.

³ صحيح سنن أبي داود: 3646.

آدابُ وِضَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

يفعلون ذلك مع المبتدعة، وبخاصة الدعاة منهم .. وكانوا في نقدهم لهم يذكرونهم بأسمائهم .. ليحذرهم الناس، وبدعتهم، وفتنتهم.

وكذلك طواغيت الحكم والجور والكفر .. الذين يُجاهرون بمعاصيهم وكفرهم .. ويقننون لها .. ويفرضونها كقوانين على البلاد والعباد .. ويُعاقبون مخالفيها .. ويزجون بالناصحين في السجون لِيُسامون الذل والعذاب .. فهؤلاء لا حرمة لهم .. يُنكر عليهم بالسر والعلن .. وباليد .. واللسان .. والقلب لمن لا يستطيع إلا ذلك.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "خيارُ أمتكم الذين تحببهم ويحبونكم، وتُصلون عليهم، ويُصلون عليكم، وشرارُ أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"، قالوا: قلنا يا رسولَ الله أفلا ننايذهم عند ذلك؟ قال: "لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة" مسلم. فطواغيت الحكم هؤلاء ليسوا فقط يُنكر عليهم على الملأ، بل يُلعنون على الملأ.

وقال ﷺ: "سيكونُ أمراءٌ من بعدي؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهدَهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدَهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدَهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمانَ بعده" [1].

وقال ﷺ: "أفضلُ الجهادِ كلمةٌ عدلٍ عندَ سلطانٍ جائرٍ" [2].

وفي رواية: "أفضلُ الجهادِ كلمةٌ حقٌّ عندَ سلطانٍ جائرٍ".

¹ صحيح موارد الظمان: 1298.

² صحيح سنن أبي داود: 3650. قلت: وكلمة العدل أو الحق هذه قد تُقال للسلطان الجائر سراً أو علانية بحسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية.

آدابُ وِضْوَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وقال عليه السلام: "سيدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المطلب، ورجلٌ قامَ إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله" [1].

وقال عليه السلام: "أحبُّ الجهادِ إلى الله؛ كلمةٌ حقٌّ تُقال لإمامٍ جائرٍ" [2].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "بايعنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أن لا ننازع الأمرَ أهله، إلا أن تروا كُفراً بواحدٍ عندكم من الله فيه برهان" متفق عليه. فتواغيت الكفر والردة لا يُنكر عليهم علانية وعلى الملأ وحسب، بل يُخرج عليهم بالقوة وحد السيف .. وتُنزع منهم الطاعة والولاية .. ومثل هؤلاء لا يجوز أن تُحمل عليهم الأحاديث التي تُلزم بمناصحة السلطان المسلم سراً .. كما يفعل مشايخ ودعاة الإرجاء في هذا الزمان .. الذين يُلبِّسون على الناس أمرَ دينهم .. فيحملون النصوص التي قيلت في الولاة المسلمين وما يجب لهم على الطواغيت المجرمين الكافرين!

تاسعاً: اعتماد الأسلوب غير المباشر في النصيح والنقد، ما أمكن لذلك سبيلاً، وما رُجيت منه المصلحة والمنفعة؛ كأن يُقال ما بالِ أقوامٍ يقولون كذا وكذا .. أو يفعلون كذا وكذا .. من دون أن يذكر أسماءهم بأعيانهم .. ففي هذا الأسلوب تتحقق عدة مصالح ومطالب شرعية: منها أن هذا الأسلوب أرفق بالمنصوح، وهو أدعى له أن يستجيب أو أن يستفيد من النصيحة، إن كان ممن تُسيئهم سيئتهم. ومنها ستر المنصوح وعدم التشهير به بين الناس. **ومنها:** بلوغ النصيحة للمنصوح؛ فهو يعلم أنه المراد من النصيحة أو النقد. **ومنها:** تحذير الناس من خطأ المنصوح من دون أن يعلموا صاحبه على وجه اليقين. ومنها أن هذا الأسلوب في النصيح والإنكار قد دلت عليه السنة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلُه أحياناً، كما في

¹ أخرجه الحاكم، السلسلة الصحيحة: 491.

² أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 168.

آدابُ وَضوابطُ النِّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

الحديث الصحيح، قال ﷺ: "ما بالُ أقوامٍ يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة شرط" البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صنعَ النبيُّ ﷺ شيئاً فرخصَ فيه، فتزَّه عنه قومٌ، فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فخطبَ فحمدَ اللهَ ثم قال: "ما بالُ أقوامٍ يتزَّهونَ عن الشيءِ أصنعُهُ، فواللهِ إني لأعلمُهُم بالله، وأشدُّهم له خشيةً" متفق عليه.

وعن أنس، أن نفرأ من أصحابِ النبيِّ ﷺ سألوا أزواجَ النبيِّ ﷺ عن عملِهِ في السرِّ، فقال: بعضهم: لا أتزوجُ النساءَ. وقال بعضهم: لا أكلُ اللحمَ. وقال بعضهم: لا أنام على فراشٍ، فحمد الله وأثنى عليه فقال: "ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا؟ لكِنِّي أصلي وأنامُ، وأصومُ وأفطرُ، وأتزوجُ النساءَ، فمن رغبَ عن سنتي فليس مني" مسلم.

وقد استعملَ النبيُّ ﷺ رجلاً على صدقةٍ، فلما قَدِمَ قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبيُّ ﷺ على المنبر، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: "ما بالُ العاملِ نبعثُهُ، فيأتي يقول: هذا لك وهذا لي، فهلا جلسَ في بيتِ أبيه وأمه فينظرُ أهدي له أو لا..." البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبيُّ ﷺ إذا بلغَهُ عن الرجلِ الشيءَ، لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقول؟ ولكن يقول: ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا" [1].

عاشراً: التزامُ خلقِ الرفق، واجتنابُ العنفِ والشدةِ في النصيحِ والنقدِ؛ فالرفقُ ما كان في شيءٍ إلا زانه، وما نُزع من شيءٍ إلا شانه .. به تتألفُ القلوبُ وتتحدُ وتتحاب .. وبخلافه تتنافرُ القلوبُ وتتدابرو وتتفرق .. والله تعالى رفيقٌ يحب الرفق، ويجزي عليه ما لا يجزي على العنفِ والشدةِ، كما في الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: "إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرفقَ في الأمرِ كُلِّهِ" البخاري.

¹ صحيح سنن أبي داود: 4005.

آدابُ وَضوابطُ النَّقْدِ والنَّصِيحَةِ فِي الإسلامِ

وقال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ" مسلم.

وقال ﷺ: "إِنَّ الرَّفِقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ" مسلم.

وقال ﷺ: "مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفِقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ" مسلم.

وقال ﷺ: "سَيُشَدَّدُ هَذَا الدِّينَ بِرِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ خَلَأٌ" [1].

وهذا لا يمنع ولا يُنافي أن تُسمَّى الأشياءُ بمسمياتها الشرعية التي تستحقها، فيُقال: للكافر كافر، وللمنافق المنافق وزنديق، وللمرتد مرتد .. وللزاني زاني .. وللسارق سارق .. فهذه أحكام شرعية لا بد من إطلاقها وإنزالها على مستحقيها .. فهذا لا يتعارض مع الرفق، والعمل بالرفق .. كما يُخيل للبعض.

كما أن الرفق لا يلغي اللجوء إلى الشدة مطلقاً .. وبخاصة عند حصول المخالفات التي لها مساس بالتوحيد .. والعقيدة والأصول الكلية المتفق عليها .. فمن كانت مخالفته ومشاققته من هذا النوع .. لا يمكن أن يُعامل معه من حيث درجة الرفق أو الشدة والغلظة .. كمن تكون مخالفته في الفروع .. أو فيما يدخل في الاجتهاد المستساغ .. لا يستويان مثلاً .. ولا يستويان في الحكم .. كما لا يستويان في المعاملة التي يستحقها كل منهما .. إذ لكل منهما نصيبه . من الرفق أو الشدة . المختلف عن الآخر الذي يستحقه شرعاً.

وهذا مورد دقيق يحتاج إلى فقه وتقوى .. ودراية .. وتجرد من حظوظ النفس وأهوائها .. قلَّ مَنْ يُوقَفُ إليه .. فإن تعذر على المرء الإنصاف وأن ينزل المخالف المنزلة الشرعية التي يستحقها .. وكان لا بد له من الميل أو الجنوح؛ إما أن يجنح إلى الزيادة في الرفق أو الزيادة في الشدة .. **أقول:** في هذه الحالة يجنح إلى الزيادة في الرفق .. فلئن يُخطئ

¹ صحيح الجامع: 3656.

آدابُ وِضوايِبِ النُّقْدِ والنَّصِيحَةِ في الإسلام

في الرفق مائة مرة .. خير له من أن يجنح إلى الشدة، فيُخطئ فيه مرة واحدة، فالخطأ في الرفق خطأ واحد، بينما الخطأ في الشدة خطآن: خطأ بحق الله تعالى؛ بحيث أنه لم يُصب في المخالف حكم الله، وخطأ بحق العبد؛ حيث أنه سلبه بعض حقوقه التي يستحقها شرعاً، والله تعالى أعلم.

حادي عشر: من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الناصح كذلك التواضع، والدِّلَّة للمؤمنين، وأن لا يتصرَّف باستعلاء وكِبْر عند ممارسة عملية النقد والنصح للآخرين .. فهو أدعى لقبول النصيحة، والإصغاء إليها!

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتى لا يبغى أحدٌ على أحد، ولا يفخرُ أحدٌ على أحد" [1].

ليس من أخلاق الناصحين .. اصطِياد عثرات العباد .. وذوي الهيئات .. وعدم التماس الأعذار لهم ما أمكن .. ومن ثم مخاطبتهم باستعلاء، وفوقية، وتصغير لهم عند كل عثرة أو زلَّة .. أو هفوة .. ليُظهِر فضله عليهم .. وأنهم دونه علماءً وفضلاً .. وكأنها فرصته التي ينتظرها منذ زمن .. لينذل المنصوحين .. ويحرجهم .. ويمسح بهم الأرض . على تعبير البعض! . وليستعلي بها بين العباد وفي البلاد .. ويثأرُها لنفسه وحظوظها .. فهذا ليس من الناصحين .. ولا يصلح أن يكون من الناصحين!

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم" [2]. فمن أخلاق الناصحين أن يقبلوا العثرات ما أمكن لذلك سبيلاً.

¹ صحيح الأدب المفرد: 330.

² صحيح الأدب المفرد: 362.

آدابُ وِضَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

ظاهرة: مما يُلفتُ النظرُ في هذه الأيام، ويشتدُّ له العجب .. ظاهرة انفتاح بعض الجماعات والشخصيات الدعوية الإسلامية المعاصرة على التيارات العلمانية .. والديمقراطية الليبرالية .. وبكل انشراح .. وتواضع وذلة .. وبصدر مفتوح .. وذهن متحرر .. وإلى درجة الارتواء في أحضان الطرف المقابل .. ليس من أجل دعوتهم إلى الإسلام .. وإنما من قبيل المجاملة .. والمداهنة .. وإجراء التحالفات .. والالتقاء في منتصف الطريق، كما يزعمون!

وفي المقابل تراهم يأنفون . وبكبر واستعلاء وتجاهل متعمد . عن مجالسة إخوانهم في الدين .. ممن يختلفون معهم في بعض المسائل والتوجهات .. أو أن يستمعوا إليهم في شيء .. وهؤلاء فيهم خصلة خارجية من خصال الخوارج، وهم يدرون أو لا يدرون، فالخوارج الغلاة: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان " كما ورد وصفهم في الحديث، وهؤلاء يذلون أهل الإسلام .. ويتكبرون عليهم .. ويعزون أهل الأوثان .. ويدهانهم .. ويتوددون إليهم .. ويتذللون!

من صفات المؤمنين، كما وصفهم الرب ﷻ: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة:54. وهؤلاء أذلة على الكافرين، أعزة على المؤمنين.

وقال تعالى في صفاتهم كذلك: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح:29. وهؤلاء أشداء على المؤمنين، رحماء على الكافرين .. فعكسوا الآيات .. وفعلوا كما فعل الخوارج من قبل .. وهم يدرون أو لا يدرون!

ثاني عشر: إذا نصحت فلا تملنَّ الناسَ نصيحتك .. واحذر التطويل الممل، والاختصار المخل .. وإذا حدّثت استفهم وأفهم .. واجتنب المتشابه من القول ما استطعت .. حتى لا تزيدنَّ المسائل غموضاً وإشكالاً .. فينفض عنك الناسُ وهم أكثر تشوشاً وجهلاً مما كانوا عليه قبل مجالستك والاستماع إليك .. فتؤذي من حيث تظن نفسك محسناً .. وحدّث

آدابُ وِضوايِظِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

والناس لحديثك راغبون مقبلون .. فإن أدبروا وتبرموا .. وأظهروا سامة من حديثك فأمسك .. فالعلم دررٌ .. لا ترميه في أي مكان .. وعند من لا يقدر له قدرًا.

عن شقيق أبي وائل، قال: كان عبدُ الله بن مسعود يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيْسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن! لوددتُ أنَّكَ ذكَّرتنا في كلِّ يومٍ. قال: أما إنَّه يمنعي من ذلك أني أكره أن أملككم، وإني أتخولكم، بالموعظة كما كان رسولُ الله ﷺ يتخولنا بها مخافةَ السامةِ علينا" متفق

عليه. والتخولُ: التقلل والرعاية.

وفي رواية عند مسلم: فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن إننا نحبُّ حديثك ونشتهيهِ، ولوددنا أنَّكَ حدَّثتنا كلَّ يومٍ، فقال: "ما يمنعي أن أحدِّثكم إلا كراهيةَ أن أملككم، إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهيةَ السامةِ علينا". وهو الرسول ﷺ الذي كلامه فيه حياة للقلوب والأبدان سواء .. وهو أحلى وأشهى من العسل المُصَفَّى .. ومع ذلك كان يراعي عنصر السامة عند أصحابه .. فما يكون القول فيمن سواه من وعَازِظِ هذا الزمان .. لا شكَّ أنهم أولى بمراعاة عنصر السامة عند الناس، عندما يُحدثونهم!

وعن عكرمة، أنَّ ابنَ عباس قال: حدِّث النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فإنَّ أبيت فمرتين، فإنَّ أكثرت فثلاث مرَّاتٍ، ولا تُملِّ النَّاسَ هذا القرآنَ، ولا أُلْفِيَنَّكَ تأتي القومَ وهم في حديثٍ من حديثهم فتقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثهم فتُملِّهم، ولكن أنصتْ، فإذا أمروكَ فحدِّثهم وهم يشتهونه، وانظر السَّجَّعَ من الدعاء فاجتنبه، فإنِّي عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك^[1].

¹ رواه البخاري، المشكاة: 252. قلت: قد تضمن هذا الأثر العظيم عن حبر الأمة آداباً عظيمة، تتعلق بفقهِ وآداب الخطاب والحديث، ينبغي لكل داعية يشتغل في الدعوة والتبليغ أن يتفطن لها، وبخاصة أولئك الذين

آدابُ وِضْوَاطِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"
البخاري.

ثالث عشر: أن يتعاهد الناصح نفسه بالمراقبة والنصح، فلا يزيك نفسه على الله، ولا ينسى حظها من المراقبة والنقد والنصح والمساءلة .. ففي ذلك النجاة والسلامة لنفسه؛ إذ لنفسه عليه حقاً .. كما أن للآخرين عليه حقاً .. وهو أدعى للتواضع .. وأن يتوسع في إقالة عثرات الآخرين .. وأن لا يتفاخر عليهم، وكأن لسان حاله يقول لنفسه: كما يُخطئون فأنت أيضاً تُخطئين وتذنبين .. وإن لم تقيلي عثرات الآخرين .. فمن باب أولى أن لا تُقيلي عثرات نفسك .. ولربما سلط الله عليك من يُعاملك بالمثل؛ فلا يُقيل لك عثرة ولا زلة أو هفوة إلا وقد فضحك، فاتقي الله في الناس .. وعاملهم بما تحبين أن يُعاملوك!

أما من يرى نفسه فوق النقد أو التعقيب .. أو أن يُقال له أخطأت .. يرى الصغائر والهفوات في الآخرين .. وتعمى عيناه عن الكبائر في نفسه .. عندما توجه سهام النقد إلى الآخرين فبصره حديد، لا أحد يفري فريه .. بينما عندما توجه سهام النقد لتلقاء نفسه .. فهو أعشى الليل والنهار .. لا يُبصر في نفسه ما يستدعي تصحيحه أو تقويمه .. فهذا مثله مثل من يأمر الناس بالبر وينسى نفسه .. ويُضيء للناس ويحرق نفسه، ثم هو أدعى له على الكبر والطغيان، كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة:44. وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف:3. وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ الْفَتِيلَةِ: تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا" [1].

يجعلون من الناس حقل تجارب؛ يتدربون عليهم في الإلقاء والخطب، والدروس! وقوله "ولا أَلْفَيْتَكَ"؛ أي لا أجدتك. والسَّجْع؛ الحرص على أن تكون نهاية الجُمْلِ أو العبارات على نسقٍ واحد!

¹ رواه البزَّار، صحيح الترغيب: 126.

آدابُ وِضوايِظِ النَّقْدِ وَالنَّصِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ

وقى الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "يُبَصِّرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيُنْسِي الْجِدْعَ

فِي عَيْنِ نَفْسِهِ" [1].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .. وأن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1429/06/16 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2008/06/20 م

¹ صحيح الأدب المفرد: 460. والقداة: أي الشيء الدقيق الذي يقع في العين من قش صغير ونحو ذلك.

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

لا يُمكن الفصل بين الأزمة الاقتصادية الحادة التي يشهدها العالم اليوم .. وبين القيم والمفاهيم الرأسمالية التي تسببت في هذه الأزمة .. وغيرها من الأزمات الأخلاقية والاقتصادية. يقوم النظام الرأسمالي على جملة من القيم والمفاهيم التي تُطلق العنان للفرد في الكسب الفاحش والسريع .. بغض النظر عن سلامة ونزاهة السبل والوسائل التي يتبعها في تحقيق هذا الثراء .. ما لم تتعارض هذه السبل مع الرأسمالية ذاتها وقوانينها .. فجعلت المال غاية عظمى تبرر الوسائل .. وترخص في سبيلها الغايات والوسائل .. فأوغرت في الفرد روح الشجع والطمع .. والصراع من أجل المال .. والركض من غير توقف وراء التحصيل والاستغناء السريعين .. فأوقعته . في نهاية الركض والسباق . في مطبات ومزالق اقتصادية وأخلاقية واجتماعية ونفسية خطيرة لا تُحمد عقباه وأثارها .. كان آخرها هذه الأزمة الاقتصادية الحادة التي يشهدها العالم اليوم .. والتي كثر حديث وسائل الإعلام عنها .. والتي هي أشبه بالإتهيار للنظام الرأسمالي منها إلى الأزمة .. أو مجرد أزمة!

الفكرة الرأسمالية تقوم على مبدأ . منه تتفرع بقية مبادئ وقوانين الاقتصاد الرأسمالية . أن الإنسان هو المالك الحقيقي للمال .. وبالتالي له كامل الحق في أن يتصرف بماله كسباً وإنفاقاً كيفما يشاء .. وفي الطرق التي يشاء .. ومن دون أن يُسأل عما يفعل من أي جهة كانت! من هذه السبل التي تبيحها الرأسمالية . من أجل التوصل إلى الغنى الفاحش والسريع : الربا .. والميسر .. والبغاء والاتجار به .. والخمور والمتاجرة بها .. والتأمين وأنظمتها الذي مؤداه أن يملك الإنسان ما لا يملك وما لا يحق له أن يملكه .. والسُّحت . الأنظمة الضريبية الظالمة .. والتي منها أخذ الضرائب على مساكن الناس وبيوتهم . والغش .. والاحتكار .. والكذب .. والاحتيال

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

المقنن .. وغيرها من الوسائل المشبوهة غير الأخلاقية .. التي تُحدث رفاهية سريعة للفرد .. أو الدولة .. لكنها مع الزمن تورث كوارث اقتصادية وأخلاقية واجتماعية ونفسية مدمرة على المجتمع والإنسان سواء!

عند التأمل والتحري والتدقيق .. نجد أن الأزمة الاقتصادية الحادة التي نشهدها اليوم .. والتي تُنذر بانتهيار النظام الرأسمالي ككل .. سببها الرئيسي: الربا .. والكذب .. والغش والاحتيال، المحمي بالقانون الرأسمالي: فالسماسة . وشركاتهم . وقعوا في الغش والكذب .. والاحتيال .. عندما ربطوا زبائن غير مؤهلين ولا معروفين بالبنوك بقروض ضخمة .. ظروفهم الاقتصادية لا تؤهلهم للاقتراض .. فالسماسهمة أن يحصل على العمولة المخصصة له من الصفقة .. وليكن بعدها ما يكون .. فأتبع ذلك عجز الزبائن . المقترضين من البنك .. بمن فيهم الضعفاء والأقوياء المعروفين وغير المعروفين . عن السداد؛ للفوائد الزائدة عن المبلغ الأصل التي يجب أن يدفعوها .. والتي تتضاعف مع الزمن .. وكلما تأخر زمن السداد .. فالمشكلة من هذا الوجه .. ربوية .. وغش .. وكذب .. واحتيال .. وغياب الشعور بالمسؤولية^[1].

هذه المشكلة كيف عالجتها البنوك الرأسمالية ..؟!

قامت بإحصاء هذه المبالغ الضخمة التي لا يمكن تحصيلها من الزبائن . والشعوب في ظل الأنظمة الرأسمالية كلها زبون للبنوك الربوية، ومرتبطة بها بطريقة من الطرق، لا فكاك لها منها، فالناس في الأنظمة الرأسمالية واحد من اثنين لا ثالث لهما: إما أنه مقترض من البنوك،

¹ أنا من الناس كانت تصلني إلى بريدي عشرات الرسائل .. ومن جهات عدة لا أعرفها ولا تعرفني .. تقدم عرض اقتراض مغرٍ .. والمبلغ الذي أشاء .. مقابل أن أوقع على الطلب فقط .. وغيري كثيرون الذين حصل لهم هذا الذي أشير إليه .. وإذا أنا لم أوقع على أي قرض .. فأظن أن الكثيرين غيري قد فعلوا .. ولم يواجهوا أية مشكلة عند استلام المبلغ .. لكن المشاكل ظهرت عند بلوغ أوان التسديد .. وتضاعف الربا على المقترض .. وعلى البنك الملتزم نحو المستثمر بأن يدفع له الفوائد على أمواله .. لكن هل ترون أن هذه طريقة مسؤولة وصحيحة تحفظ الحقوق لأصحابها؟!!

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

ومدين لها، أو أنه مستثمر فيها، وله أسهم فيها تدر عليه بالفوائد والربا . وحولتها إلى صكوك وأسهم على الورق ليس لها رصيداً في الواقع أو خزائن البنك .. ثم عرضتها للبيع على المستثمرين .. فباعوا ما ليس عندهم .. وما لا يملكون .. وهذا غش وكذب واحتيال!

قام المستثمرون بشراء هذه الأسهم .. طمعاً في تحصيل الفوائد الربوية .. التي سيقوم البنك بتحصيلها لهم . من الزبائن الذين عجزوا عن السداد . فالدافع لهم هو الربا .. والاستغناء السريع عن طريق الربا!؟

مع الزمن عُرف احتيال وكذب البنوك الربوية .. بعد عجزها عن تسديد مستحقات المساهمين الربوية الذين اشترى تلك الأسهم الوهمية، وبعد ضياع أموال المستثمرين عند زبائن مجهولين وضعاف وغير أكفاء .. فالمشكلة من هذا الوجه .. ربا .. وكذب .. ونصب .. واحتيال .. فحصلت نتيجة لذلك كله هذه الفوضى العارمة للاقتصاد العالمي الرأسمالي .. التي نشهدها في هذه الأيام .. وفقد الكل الثقة بالكل .. وما عند كل واحد منهم من عروض وأسهم .. خشية أن تكون وهمية . ومن دون رصيد . وهم لا يدرون !!

كيف عالجت الأنظمة الرأسمالية الحاكمة في أمريكا وبلاد الغرب هذه المشكلة الاقتصادية والأخلاقية .. والتي تنذر بانهيار النظام الرأسمالي ككل!؟

لم تُعاقب المفسدين والمحتملين .. والكذابين المرابين .. بل ولم توجه لأحد منهم أية تهمة أو مساءلة .. لأن كذبتهم واحتيالهم .. وفسادهم .. لم يخرج عما تسمح به قوانين الرأسمالية .. ثم لو أرادوا أن يُحاسبوا ويسألوا المسؤولين عن هذه الأزمة .. لزمهم أن يُحاسبوا منظومة ضخمة من الموظفين والمسؤولين .. تعدادهم بالآلاف . عليهم وعلى جهودهم غير الأخلاقي يقوم النظام الرأسمالي الحر . وهذا ما لا يقدر على عليه .. لذا فهم عوضاً عن المساءلة والمحاسبة .. عوضوهم وكافؤوهم بضخ مئات المليارات من الدولارات إلى مؤسساتهم وبنوكهم .. ليقفوا على أرجلهم من جديد .. وليمارسوا عملية الغش والاحتيال والنصب الربوي الرأسمالي من جديد!!

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

وأنا أقول لهم: هذه الأموال الضخمة التي تنفقونها على تلك البنوك والمؤسسات ..
ليتماسك النظام الرأسمالي الربوي من السقوط والإنهيار .. هي مجرد مسكنات مؤقتة .. وعلاج
مؤقت وقصير .. لا ينفذ على المدى الطويل .. وهذه الأموال الطائلة ستضيع من جديد .. ثم
تكون حسرة عليكم .. كما ضاعت الأموال التي قبلها .. وستنقذ على بطون الوحوش الآدمية .
التي لا تشيع .. والتي لا يملئ بطونها إلا التراب . التي تجد في القوانين الرأسمالية ما يحميها من
المساءلة والمحاسبة .. وحينئذ ستعود المشكلة للظهور من جديد .. وربما أقوى مما هي عليه
الآن .. وقد تضطرون حينها للإنفاق على هذه البنوك الربوية .. أضعاف أضعاف ما تدفعونه
الآن .. ولكن أيضاً من غير جدوى!

فإن قيل كيف ...؟!

نقول لهم وبكل بساطة ووضوح: لأن أسباب المشكلة الحقيقية لا تزال قائمة .. فهي لم
تُزل بعد .. وبالتالي عندما تُرمى إلى أطرافها ومسببها الأموال من جديد .. فهي ستنهض
وتستشرف من جديد .. لتلتهم تلك الأموال مهما كانت كثيرة .. وبشراهة البطن الممدد .. وبصورة
أكبر مما كانت عليه من قبل .. لأن الخطأ حينئذ يكون قد تضخم أكثر .. والللصوص قد انتقلوا
من مرحلة الهواة إلى مرحلة المحترفين .. والخرق قد اتسع اتساعاً يصعب ترقيعه .. ولو اجتمع
على ترقيعه الراقعون!

فإن قيل . وقد قيل : ما هو الحل .. وأين البديل .. أين المنقذ .. وبخاصة أن المعسكر
الاشتراكي قد انهيار وانهارت معه قيمه ومفاهيمه .. وإلى حيث لا رجعة .. فنحن لا نملك سوى
خيار واحد لا غير .. ألا وهو خيار الرأسمالية، وقيمها ومفاهيمها .. لذا لا مناص لنا من التمسك
به على ما في هذا الخيار من عوج وقصور؟!

أقول: الحل والبديل هو الإسلام .. يكمن في النظام الاقتصادي الإسلامي .. لا اشتراكية

شرقية ولا رأسمالية غربية .. وإنما هو الإسلام .. ولا شيء غير الإسلام.

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

كيف .. ولماذا؟

أقول: لأن الإسلام هو دين الله تعالى .. الذي يتصف بالكمال المطلق في جميع جوانبه وشرائعه .. وكماله مستمد من كمال الله تعالى العليم القدير الذي شرع هذا الدين لعباده .. وفرضه عليهم .. وما يصدر عن صفات الكمال فهو كامل لا يجوز افتراض النقص أو الخطأ فيه .. وإنما النقص والقصور يُفترض فيما يصدر عن قاصر ضعيف جاهل .. من ذوي العلم المحدود .. وهذه الصفات كلها متوفرة في الإنسان .. وهو متلبس بها .. وهي من خلقتة .. ومما فُطر عليه، لازمة له على مدار حياته، إلا بحبل من الله وسُلطان منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء:85.

فإن الله تعالى الخالق هو الأعلم بمصلحة الإنسان المخلوق من نفسه بنفسه .. كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:216.

ولا شك أن شرع الذي يعلم أكمل وأسلم وأحكم .. من شرع الذي لا يعلم .. والذي يجعل من البشرية حقل تجارب لشرائعه وقوانينه القاصرة الخاطئة .. التي يغيرها بين الفينة والأخرى .. كلما عنى له ذلك .. وكلما اكتشف خطأ وقصور ما كان قد شرّعه .. أو ظن أن في هذا التغيير والتبديل مصلحة له .. فلا يعرف الثبات ولا القرار .. لأنه عاجز وقاصر عن إدراك الكمال أو الاقتراب منه .. فهو. من دون الله تعالى . يتخبط .. كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

فإن الله تعالى الذي خلقنا .. ورزقنا بالمال .. ومَنَّ علينا بالنعم والخيرات التي لا تُحصى .. وبكل ما تحتاجه البشرية من نعم على هذه الأرض .. لم يخلقنا . سبحانه . عبثاً .. من غير شريعة توجهنا وترشدنا .. وتبين ما لنا وما علينا .. كيف نتعامل مع هذا الرزق والمال .. كسباً وإنفاقاً .. وما يجوز لنا منه وما لا يجوز .. وما هو حرام وما هو حلال .. وهذا أمر قد دل عليه النقل والعقل؛ إذ أن من يخلق .. هو وحده الذي له الأمر والحكم فيما خلق .. ولا يجوز أن يكون غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. وقال تعالى:

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:17. هل يستويان .. فيرد الحكم والتشريع لمن لا يخلق شيئاً .. ولا هو قادر على أن يخلق شيئاً .. كما يُرد إلى من يخلق .. وقادر على أن يخلق .. وقد خلق السموات والأرض .. فهل يستويان مثلاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟!

فنظرة الإسلام للمال أنه ملك لله تعالى وحده .. فهو الذي خلق المال .. وبالتالي فهو المالك الحقيقي له .. والإنسان مستخلف على هذا المال ثم تاركه لمن هم وراءه من بعده . شاء أم أبى . وهو مطالب في حياته بأن يتصرف بالمال . كسباً وإنفاقاً . وفق مشيئة وإرادة وشرع مالكة الحقيقي .. ألا وهو الله تعالى .. فإن لم يفعل يكون كمن بغى على حق ليس له .. ولو عُوقب في الدنيا والآخرة على بغيه وظلمه وعدوانه .. فلا يلومَن إلا نفسه .

كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ يونس:14. هل تعملون . فيما استخلفكم الله تعالى عليه . وفق شرع الله تعالى ومنهجه .. أم وفق شرع الطاغوت وأهوائه .. وكل شرع غير شرع الله تعالى فهو من شرع الطاغوت وأهوائه؟ وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ الحديد:7. والمستخلف هو المُستأمن على ما استُخلف عليه .. ثم سرعان ما يودعه ويتركه .. عندما تنتهي مهمة استخلافه بالموت.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لن تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصالٍ . منها : وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه ." ومن هنا يتعين على الإنسان المستخلف على المال وإدارته .. أن يتعرف على حكم وشرع مالك المال وخالقه .. ما الذي أباحه وأحله وما الذي حرمه .. وما هو المسموح به وما هو الممنوع .. ثم كيف يدير هذه الأموال .. وكيف يتصرف بها .. وأين يصرفها.

وفيما يتعلق بشؤون المال والاقتصاد .. فقد أحلَّ الله تعالى الطيبات .. وهي الأصل .. وما أكرهها .. لو اقتنع الإنسان بها .. وحرَّم الخبائث .. والظلم .. وأكل أموال الناس بالباطل ..

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

ومن الخبائث والظلم، والعدوان، وأكل أموال الناس بالباطل: الربا .. أساس بلاء الأنظمة الاقتصادية التي لا تنضبط بضوابط شرع الله .. ولا تأتمر بأمره .. كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة:175-276. وهذه الأزمة الاقتصادية المالية الحادة التي نزلت بالقوم .. إن لم تُسم محققاً .. فما يكون المحق إذا؟!

وفي آية أخرى قد توعد الله تعالى أهل الربا .. الذين يصرون على أكل الربا .. بالحرب إن لم ينتهوا عن أكلهم الربا، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة:278-279. ولا شك أن هذا الانهيار الاقتصادي الذي كلف الرأسماليين المرائين مئات المليارات من الدولارات .. وزاد من نسبة البطالة في البلاد أضعافاً مضاعفة .. ولا تزال آثاره مستمرة .. هو من جملة الحرب الذي تضمنته معاني الآية الكريمة أعلاه .. والحرب لا تزال قائمة ومفتوحة مع المرائين ما داموا مصيرين على أكلهم الربا .. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر:31.[1].

ومما حرمة الإسلام كذلك .. الميسر .. وكل كسب يأتي من حرام، أو عن طريق الغش والكذب والاحتيال .. والاحتكار .. والغبن .. والسُّحت .. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا

¹ كم من محلّ تجاريّ ضخم .. يُفتتح .. ويفرح أصحابه به .. ثم ما هي أعوام قلائل تمضي .. وربما أشهر. إلا ويُعلنون عن إفلاسهم .. وإغلاق محلهم .. وعرضه للبيع .. ليأتي مجرب آخر .. يجرب تجربتهم .. ثم يُعلن عن إفلاسه وخراب بيته كما أعلن الذين من قبله .. وسبب ذلك كله مرده إلى أن هذه المحلات قائمة على الربا .. وعلى القروض الربوية .. وهذا من الحرب الذي توعد الله تعالى به آكلي الربا .. لو كانوا يعلمون .. صدق الله العظيم: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿ المائدة:90-91.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار" [السلسلة الصحيحة:1058].

وقال ﷺ: "إنَّ التجار هم الفجار"، قيل: يا رسول الله أوليس قد أحلَّ الله البيع؟ قال: "بلى؛ ولكنهم يُحدِّثون فيكذبون، ويحلفون فيأثمون" [السلسلة الصحيحة:366].

وقال ﷺ: "التاجر الأمين الصدوق المسلم: مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة" [السلسلة الصحيحة:3453].

وقال ﷺ: "من احتكر حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُعْلِي بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ" [السلسلة الصحيحة:3362].

وقال ﷺ: "إن صاحب المكس في النار" [السلسلة الصحيحة:3405]. وصاحب المكس: هو الذي يسعى على تحصيل الضرائب من الناس بغير وجه حق، ولا سلطان من الله.

وقال ﷺ: "إن الله إذا حرَّم على قومٍ أكلَ شيءٍ حرَّم عليهم ثمنه" [صحيح سنن أبي داود:2978].

وفيما يتعلق بأحكام الدين والتداين، قال تعالى في أكبر آية من آيات القرآن الكريم . التي أطلق عليها أهل العلم اسم آية الدين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَانْقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة: 282﴾.

تأملوا هذه الإلزامات .. والتفصيلات .. والقيود .. والشروط .. الواردة في الآية الكريمة أعلاه .. عند إجراء عملية الدين فقط؛ سواء كان الدين صغيراً أو كبيراً .. أترون بعد هذه القيود والشروط والإلزامات .. تقدر شركات السمسرة المحتملة أن تفعل ما فعلته في ظل الأنظمة الرأسمالية الغربية؟!

وغيرها كثير من النصوص الشرعية التي تناول أحكام النظام الاقتصادي في الإسلام .. وعلى وجه التفصيل والتدقيق والتفريع .. ليس الغرض هنا استقصاءها أو الحديث عنها .. فهذا له مجلداته ومراجعته المتخصصة .. وإنما أردت أن أبين . ولو بصورة موجزة . أن الإسلام يملك الحل والبديل الأمثلين .. كما يملك التصور الشامل للمشاكل الاقتصادية وكيفية علاجها . بشرط أن تخضع لقانونه وسلطانها لا لقانون وسلطان غيره . والذي يختلف مع النظام الرأسمالي في كثير من جزئياته وتطبيقاته .. وتصوراته .. وليس كما يشيع العلمانيون والديمقراطيون .. والرأسماليون المتحاملون .. بأنه لا يوجد بديل عن الرأسمالية الغربية الحرة .. سوى الرأسمالية ذاتها .. وأن الإسلام لا يملك تصوراً عن الاقتصاد ومشاكله .. كما لا يملك حلاً لها!

وعليه، فاليعلم الجميع أن الباطل .. وإن علا صوته وصخبه .. وظهر له بريق مُزيف في مرحلة من المراحل .. إلا أنه لا ولن يدوم .. فهو إلى زوال وأفول لا محالة .. وبوادر أفوله تُشير في الأفق القريب .. والبقاء للحق .. والكلمة الدائمة هي للحق .. والمستقبل للحق .. مهما حاول المبطلون أن يُشوشوا عليه .. أو أن يُلغوا فيه .. حتى لا تُسمع كلمته القوية .. أو يُرى نوره .. وكما أن الاشتراكية قد أفلتت من قبل .. وأفلت معها قيمها ومفاهيمها .. فإن الرأسمالية الحرة

أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية

.. سيأفل نجمها .. وتأفل معها قيمها ومفاهيمها .. وينطفئ بريقها المزيّف .. ويبقى الإسلام شامخاً ثابتاً عزيزاً .. لأنه الحق .. لأنه دين الله .. لأنه كلمة الله في الأرض .. ولأنه يملك الحل الأمثل والشامل لمشاكل العالم كله .. لو خضعوا لسلطانه وقانونه .. وإن ذلك قادم . بإذن الله . لا محالة .. ولو بعد حين .. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ الرعد:17. يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، والله تعالى ينصر من يشاء، وقت يشاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1429/10/19هـ

أبو بصير الطرطوسي

2008/10/19م

لماذا كَفَرْتُ يُوسُفَ القرضاوي ..؟

لماذا كَفَرْتُ يُوسُفَ القرضاوي ..؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

منذ سنوات قد أصدرت فتوى . هي مبنوثة ضمن الفتاوى المنشورة في موقعي على الإنترنت . بكفر وردة يوسف القرضاوي .. وقد عللت في حينها بعض الأسباب التي حملتني على تكفيره .. إلا أن من الناس المتعصبة للرجل . لغرض في نفوسهم . نشروا الفتوى من دون أن ينشروا الأسباب التي حملتني على القول بكفره .. مما جعل كثيراً من الناس يسألونني عن هذه الفتوى .. وعن موضعها من الفتاوى .. والأسباب التي حملتني على إصدار هذا الحكم بحق الرجل .. وأظن أن هذا السؤال سيتكرر ما دام الطرف المغرض الآخر ينشر الفتوى من دون أن ينشر الأسباب التي حملتني على إصدار هذه الفتوى .. لذا أجد نفسي ملزماً بأن أعيد بيان الفتوى من جديد في مقال مستقل .. ليسهل مراجعته لمن يشاء أن يعرف الأسباب التي حملتني على إصدار هذا الحكم .. ولأقطع دابر الأسئلة والمراجعة حول المسألة من جديد.

لكن قبل أن أبين الأسباب التي حملتني على القول بكفر الرجل .. لا بد من ذكر

جملة من الأمور، ينبغي أن يعلمها الجميع:

منها: أن الزمن الذي يتخذ الناس فيه الأخبار والرهبان أرباباً من دون الله؛ فيُتبعونهم في الباطل، وفي تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله تعالى .. قد ولى وانقضى منذ أن منَّ الله علينا بالإسلام وبني الإسلام صلوات ربي وسلامه عليه .. ومنذ أن أنزل الله تعالى قوله في أهل الكتاب منكرأ عليهم اتخاذهم لأخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة:31. وذلك عندما أطاعوهم واتبعوهم في التحليل والتحريم من دون

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

سلطان من الله تعالى؛ فأحلوا ما حرم الله، وحرّموا ما أحل الله .. فكانت تلك ربوبيتهم من دون الله .. وذلك كان اتخاذهم أرباباً من دون الله.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64.

وبعد، فلا يطمع القرضاوي ولا من كان على شاكلته من الأُحبار والرهبان .. ولا من كان وراءهم من الجماهير الضالة المغفلة .. أن نتخذهم أرباباً من دون الله بعد أن منّ الله علينا بعقيدة التوحيد .. فنطيعهم ونتابعهم في معصية الله .. وفي التحليل والتحريم .. والتقبيح والتحسين .. من غير سلطان ولا إذن من الله تعالى.

ومنها: أن العصمة ليست لأحدٍ بعد الرسول ﷺ .. فلا يوجد أحدٌ . بعد النبي محمد ﷺ . معصوم عن الزلل والخطأ .. أو أن يُشار إليه بالكفر، لو وقع بمقتضاه وانتفت عنه موانعه .. فكل يُؤخذ منه ويُرد عليه .. يُقال له أصبت وأخطأت .. عدا النبي محمد ﷺ .. وهذا من أبرز ما يُميز عقيدة أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الفرق الضالة التي وقع بعضها في الغلو والإفراط في الأشخاص، ووقع بعضها الآخر في الجفاء والتفريط!

ومنها: أن قاعدة رفع الملام عن الأئمة الأعلام . التي كثر عنها الحديث في الآونة الأخيرة بطريقة خاطئة . ليست على إطلاقها .. فهي تنفع عندما يقع العلم في اجتهادٍ خاطئٍ .. أو حتى في كفر متشابه حمّال أوجه ومعانٍ .. وبخاصة إن كان هذا العلم من ذوي الجهاد والبلاء في الله .. وممن له سابقة نصره لهذا الدين .. فيُقدّم بحقه تحسين الظن .. ويُلتَمَس له العذر والتأويل ما أمكن .. أما إن وقع في الكفر البواح الذي لنا فيه برهان من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ .. فحينئذٍ لا يتشفع له شيء .. ولا يمنع من تكفيره شيء؛ فالكفر يطاله ويُحمّل عليه ولا بد .. حتى لو كان من الأعلام والنبلاء .. وبخاصة إن كان هذا العلم يُرى كثيراً في قصور ومجالس الطواغيت

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القِرضَاوي ..؟

الظالمين .. يؤاكلهم ويُشاربهم ويُداهنهم .. يخدم دنياهم وأنظمتهم الباطلة الفاسدة بدينه وعلمه .. كالقرضاوي.

ومنها: أن التكفير أو التفسيق أو التضليل والحكم على شخص معين بأنه كافر أو فاسق أو ظالم أو ضال .. ونحوها من الاطلاقات الشرعية .. مرده لله تعالى وحده .. فالحكم له ﷻ لا لأحدٍ سواه .. ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف:40. فمن حكم الله عليه بالكفر حكمنا عليه بالكفر ولا بد .. ومن حكم الله له بالإيمان والإسلام حكمنا له بالإيمان والإسلام ولا بد .. فالمسألة من هذا الوجه مردها لله تعالى وحده .. وهي خاضعة لقواعد ونصوص شرعية لا مجال فيها للهوى .. أو للرغبات .. أو حب التشفي والانتقام.

لا بد من أن نحكم بما أنزل الله .. في الأعمال والأقوال وعلى الأشخاص .. ونرضى بحكم الله تعالى ونسلم له تسليماً، وإلا حُمِلَ علينا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .. فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .. فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة:44-47. وقد أخطأ من حصر هذه الآيات في الحكام والسلطين دون غيرهم!

فحكم الله تعالى لا بد من أن يُحْمَلَ على مستحقه؛ على من وقع بموجبه أيّاً كان؛ سواء كان كبيراً أو صغيراً .. وسواء كان فقيراً أو غنياً .. وسواء كان ضيعاً ضعيفاً أو شريفاً .. أما أن نُكْفِرَ من كَفَرَ من الفقراء والضعفاء وصغار الشأن المغمورين .. ونتجرأ عليهم .. ثم إذا كَفَرَ منا الشرفاء والأغنياء .. والأعلام .. والمشهورون .. تركناهم .. وتأولنا لهم . رهبة أو رغبة . فهذا الخلق ليس من الإسلام في شيء .. فالإسلام منه بريء .. وقد حذَر منه .. ولما أراد أسامة بن زيد ﷺ أن يتشفع للمرأة المخزومية التي سرقت .. غضب النبي ﷺ غضباً شديداً .. وتلون وجهه، وقال: "أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله .. أتكلمني في حدٍّ من حدود الله .. فإنما أهلك الناس قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ، والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" البخاري.

لماذا كَفُرْتُ يُوْسُفَ القِرْضَاوِي ..؟

ومنها: أن العبرة بالخواتيم .. وبما يُختم به على المرء؛ فالمرء قد يعمل بعمل أهل الجنة طيلة حياته حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبقه الكتاب وما كُتِب في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيموت فيدخل النار، وإن المرء ليعمل بعمل أهل النار طيلة حياته حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبقه الكتاب وما كُتِب في الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت، فيدخل الجنة، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" متفق عليه.

وقال ﷺ: "لا تعجبوا بعمل أحدٍ حتى تنظروا بما يختم له، فإن العامل يعمل زماناً من دهره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً، وإن العبد ليعمل زماناً من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته فوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه عليه" [1].
نسأل الله تعال الثبات وحسن الختام.

ونحن نعتزف أن للقرضاوي بدايات طيبة .. وبعض الكتابات الطيبة .. يُستفاد منها .. لو ثبت عليها .. ولم يغير ولم يُبدل .. ونأى بنفسه عن مجالسة الطواغيت الظالمين .. وعن تزكيتهم .. لكن .. عما يبدو وللأسف . قد غرّته بداياته .. وظن أنها تعصمه من الكفر .. وتجعله فوق أن يُشار إليه بالكفر .. أو الزلل .. مهما بدر منه من قول أو عمل!

بلعام بن باعوراء كان أكثر منه علماً .. وكان ممن وُضع لهم القبول، وقد آتاه الله الآيات والكرامات .. وقيل أن دعاءه كان لا يُرد .. فغرّه ذلك من نفسه .. فدعا لقومه الكافرين الجبارين على موسى ومن معه من المؤمنين بأن يرد الله بأسهم عن قومه .. ولم يفعل شيئاً آخر غير ذلك

¹ رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة:1334.

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

.. فانسلخ مباشرة من آيات الله .. وأنزل الله تعالى فيه آياتٍ كريماتٍ تُتلى إلى يوم القيامة .. لتكون عبرة وعظة لمن يأتي بعده من البلاعمة الذين يسرون على نهج وسيرة سلفهم الأول بلعام بن باعوراء .. فيجمعون بين العلم والانسلاخ منه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف:175-176.

فإن علم هذا الذي تقدم .. نبين الآن أوجه التبديل والتغيير والانسلاخ عند الرجل .. والأسباب التي حملتنا على القول بكفره وردته، أجمالها في النقاط التالية:

أولاً: إغاثته لكبير الأصنام في أفغانستان الذي يُعبد صراحة من دون الله .. وسعيه . نزولاً عند رغبة طواغيت الحكم . لإنقاذه .. وثني المجاهدين عن تحطيمه وإزالته .. وهذا مما هو معلوم وثابت عنه لا يُجادل في ذلك أحد .. فالرجل لم يقصد أفغانستان طيلة مراحل الجهاد التي مرت بها البلاد .. إلا مرة واحدة .. وهو عندما أراد أن ينقذ الطاغوت كبير الأصنام الذي يُعبد من دون الله من التحطيم والإزالة .. لم تُحركه دماء وأشلاء مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء .. بينما من أجل الطاغوت الصنم قد تحرك وشد الرحال نزولاً عند رغبة وإرادة الظالمين! وهذا العمل في شرع الله تعالى كفر بواح .. لا خلاف فيه .. فهو يتنافى مع التوحيد وركنه وشرطه؛ وهو الكفر بالطاغوت والبراء منه ومن عابديه .. كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة:256. فالعروة الوثقى هي لا إله إلا الله .. فالذي يأتي بالركنين معاً: الكفر بالطاغوت .. ويؤمن بالله .. فهذا الذي يكون قد استمسك بالتوحيد وشهادة التوحيد .. أما من أتى بأحد الركنين دون الآخر .. فهذا لا يكون ممن استمسك بالعروة الوثقى .. ويكون ممن نقض التوحيد وأبطله بإتيانه لضده .. وبقوله بالشيء وضده في آن معاً.

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضايي ..؟

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
النحل:36. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ الزمر:17. والقرضاوي لم يجتنب الطاغوت بل دافع عن الطاغوت .. وجادل عنه
.. وعن حيات وبقاء الطاغوت مع علمه أن هذا الصنم الطاغوت يُعبد صراحة من دون الله ﷻ
.. وقوله عنه أنه آثار وهو يُدافع عن الآثار .. هو من الكذب المفضوح .. ومن الجدل عن
الطاغوت الذي يُعبد من دون الله!

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ
مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ الممتحنة:4. فأين صنيع القرضاوي هذا من هذا البراء...!؟

فالرجل بفعله هذا . أقل أحواله . أنه جادل عن الشِّرك .. ورضي للشرك أن يبقى شامخاً
قائماً .. والرضى بالكفر كفر بلا خلاف .. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء:48.

ثانياً: الفتوى الشهيرة التي صدرت عن الرجل، والتي تنص على أن للمسلمين في أمريكا
أن يتجنّدوا للقتال مع الجيش الصليبي الأمريكي .. وأن يُقاتلوا مع الجيش الأمريكي ضد
المجاهدين والمسلمين في أفغانستان .. وغير أفغانستان .. من قبيل وتعاونوا على البر والتقوى .
كما زعم! . وأنهم . حتى لا يُشكك بولائهم الوطني . يجب عليهم أن يُغلبوا ولاءهم الوطني .. وللوطن
الأمريكي .. على ولائهم لله .. وللعقيدة .. وأخوة العقيدة والدين!!

فمن كلماته في ذلك التي أُثرت عنه ونُشرت، قوله: "إن هذا السؤال يعرض قضية شديدة
التعقيد وموقفاً بالغ الحساسية يواجهه إخواننا العسكريون المسلمون في الجيش الأمريكي، وفي
غيره من الجيوش التي قد يوضعون فيها في ظروف مُشابهة .. (فهي إذاً فتوى موجبة إلى إخوانه

لماذا كَفَرْتُ يُوَسِّفُ القِرْضَاوِيَّ ؟..

العسكريين الأمريكيين وغيرهم من إخوانه العسكريين الآخرين الذين يخدمون في جيوش الطواغيت الظالمين .. والمماثلة ظروفهم لظروف إخوانه العسكريين الأمريكيين).

الواجب على المسلمين كافة أن يكونوا يداً واحدة ضد الذين يروعون الأمنين .. يجب على إخواننا العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي أن يجعلوا موقفهم هذا . وأساسه الديني . معروفين لجميع زملائهم ورؤسائهم .. نرى ضرورة البحث عن الفاعلين الحقيقيين لهذه الجرائم، والمشاركين فيها بالتحريض والتمويل والمساعدة .. وهذا كله من واجب المسلمين المشاركة فيه بكل سبيل ممكنة، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة:2. .. ولكن الحرج الذي يصيب العسكريين المسلمين في مقاتلة المسلمين الآخرين، مصدره أن القتال يصعب . أو يستحيل . التمييز فيه بين الجناة الحقيقيين المستهدفين به، وبين الأبرياء الذين لا ذنب لهم في ما حدث، وأن الحديث النبوي الصحيح يقول: "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار، قيل هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: قد أراد قتل صاحبه " رواه البخاري ومسلم. والواقع أن الحديث الشريف المذكور يتناول الحالة التي يملك فيها المسلم أمر نفسه فيستطيع أن ينهض للقتال ويستطيع أن يمتنع عنه، وهو لا يتناول الحالة التي يكون المسلم فيها مواطناً وجندياً في جيش نظامي لدولة، يلتزم بطاعة الأوامر الصادرة إليه، وإلا كان ولاؤه لدولته محل شك مع ما يترتب على ذلك من أضرار عديدة.

يتبين من ذلك أن الحرج الذي يسببه نص هذا الحديث الصحيح إما أنه مرفوع، وإما أنه مغتفر بجانب الأضرار العامة التي تلحق مجموع المسلمين في الجيش الأمريكي، بل وفي الولايات المتحدة بوجه عام، إذا أصبحوا مشكوكاً في ولائهم لبلدهم الذي يحملون جنسيته، ويتمتعون فيه بحقوق المواطنة، وعلمهم أن يؤدوا واجباتها.

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

وأما الحرج الذي يسببه كون القتال لا تمييز فيه؛ فإن المسلم يجب عليه أن ينوي مساهمته في هذا القتال أن يحق الحق ويبطل الباطل، وأن عمله يستهدف منع العدوان على الأبرياء أو الوصول إلى مرتكبيه لتقديمهم للعدالة، وليس له شأن بما سوى ذلك من أغراض للقتال قد تنشئ لديه حرجاً شخصياً، لأنه لا يستطيع وحده منعها ولا تحقيقها، وإنما الأعمال بالنيات، والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ... فإذا كان يترتب على امتناع المسلمين عن القتال في صفوف جيوشهم ضرر على جميع المسلمين في بلادهم. وهم ملايين عديدة. وكان قتالهم سوف يسبب لهم حرجاً أو أذى روحياً ونفسياً، فإن الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام، كما تقرر القاعدة الفقهية الأخرى .. وإذا كان العسكريون المسلمون في الجيش الأميركي يستطيعون طلب الخدمة . مؤقتاً أثناء هذه المعارك الوشيكة . في الصفوف الخلفية للعمل في خدمات الإعاشة وما شابهها . كما ورد في السؤال . من دون أن يسبب لهم ذلك، ولا لغيرهم من المسلمين الأمريكيين، حرجاً ولا ضرراً فإنه لا بأس عليهم من هذا الطلب. أما إذا كان هذا الطلب يسبب ضرراً أو حرجاً يتمثل في الشك في ولائهم، أو تعريضهم لسوء ظن، أو لاتهام باطل، أو لإيذائهم في مستقبلهم الوظيفي، أو للتشكيك في وطنيتهم، وأشباه ذلك، فإنه لا يجوز عندئذ هذا الطلب. والخلاصة: أنه لا بأس . إن شاء الله . على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من تُقرّر دولتهم أنهم يمارسون الإرهاب ضدها، أو يؤوون الممارسين له ويتيحون لهم فرص التدريب والانطلاق من بلادهم، مع استصحاب النية الصحيحة على النحو الذي أوضحناه، دفعاً لأي شبهة قد تلحق بهم في ولائهم لأوطانهم، ومنعاً للضرر الغالب على الظن وقوعه، وإعمالاً للقواعد الشرعية التي تبيح بالضرورات ارتكاب المحظورات، وتوجب تحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد، والله تعالى أعلم وأحكم "اه [المصدر: إسلام أون لاين].

لماذا كَفَرْتُ يوسُفَ القرضاوي ..؟

يُرد على كلامه أعلاه، من وجهين أو منظورين: منظور واقع الفتوى وأثرها، ومنظور موقف الشَّرع منها.

أما منظور واقع الفتوى وأثرها، فقد وقع صاحبها في مزالق وتناقضات خطيرة جداً، **منها:** اعتباره أن العسكريين المسلمين الأمريكيين لا خيار لهم سوى الرضى والموافقة على القتال .. وفاته . أو تعامى . أن الخدمة العسكرية في الجيش الأمريكي، وغيره من الجيوش الأوروبية تطوعية لا إكراه فيها .. فالفرد هو بنفسه .. ومن تلقاء نفسه .. ومن دون أن يُطلب منه أو يُكره على شيء .. يُقدم طلباً للالتحاق بعساكر تلك الجيوش .. وبالتالي .. حديثه عن الإكراه .. والضرورات .. كلام ساقط لا اعتبار له .. وهو من قبيل التلبيس على الناس .. ولكي يبرر جرمه الذي أقدم عليه!

ومنها: عندما تقرر أمريكا وغيرها من الدول الصليبية محاربة الإرهاب والإرهابيين .. فهي عملياً وواقعاً تقرر محاربة الإسلام والمسلمين .. تحت ستار وغطاء محاربة الإرهاب والإرهابيين .. وهذا أمر يعلمه صغار المراقبين والمتابعين للأحداث .. فكيف فات وغفل عن هذه الحقيقة العلامة الفهامة .. وحيد عصره؟!

والسؤال الذي يُطرح على العلامة الفهامة .. فقيه عصره: هل لمجرد أن تقرر هذه الدول الصليبية أنها تريد محاربة الإرهاب والإرهابيين . وهي حقيقة وواقعاً تعني الإسلام والمسلمين . يجب على المسلمين في تلك الدول أن يلبوا النداء للقتال معهم .. وينخرطوا في عساكرهم لمقاتلة المسلمين .. الإرهابيين .. كما يزعمون .. وكما يقررون؟!

ومنها: بعد مرور سنوات على كلامه والفتوى التي أصدرها أعلاه .. وبعد أن لبي من لبي من المسلمين الأمريكيين للقتال مع الجيش الأمريكي .. ما الذي حصل .. وكيف استخدمت أمريكا كلامه أعلاه .. وكلام أمثاله من شيوخ الضلالة؟!

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

ها هم قد غزوا بلداً بكاملها وأسقطوا دولته الإسلامية المتمثلة في حينها بدولة " الطالبان " .. واستبدلوها بحكومة عميلة خائنة كافرة مسلوقة الإرادة والقرار .. وقتلوا المسلمين في مساجدهم ركعاً سجداً .. وبالآلاف .. إن لم يكن بعشرات الآلاف .. كم من عرس وفرح قلبوه على أهله ماتماً وحنناً بواسطة صواريخهم وقاذفاتهم .. ولم يكتفوا بذلك .. فأتبعوا بأفغانستان العراق .. فغزوها .. وقتلوا عشرات الآلاف من أهلها المسلمين المسالمين .. وانتهكوا الأعراض .. وجميع الحرمات .. وهم فعلهم هذا كله .. يبررونه .. بضرورة ملاحقة ومحاربة الإرهاب والإرهابيين زعموا .. وفتوى العلامة الفهامة .. تلزم بالقتال مع الجيش الأمريكي متى يقرر قاداته أنهم يُحاربون الإرهاب والإرهابيين !!..

فأنت يا قرضاوي . بفتواك أعلاه . شريك الغزاة الصليبيين في جميع جرائمهم التي ارتكبوها في بلاد المسلمين .. ولك مثل وزهم .. فاستعد للقصاص والمحاسبة .. عندما يكون خصمك يوم الحساب آلاف النساء التي انتهكت حرمتهم .. وآلاف الشيوخ الذين قُتِلوا في مساجدهم وهم ركعاً سجداً .. وآلاف الأطفال الذين يُتموا على أيدي الغزاة المعتدين .. استعد للحساب .. وأعد للسؤال جواباً من الآن!!

أهذا هو البر والتقوى الذي تأمر الناس بأن يتعاونوا عليه .. وتحمل عليه . كذباً وزوراً وتلبساً على الناس دينهم . قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة:2.

ما أجراًك على الكذب .. وأن تقول على الله غير الحق!؟

في الدنيا .. تسخر من محدثيك .. وتناقض كالثعلب .. وتستخدم مهاراتك الكلامية والجدلية .. وترمي مخالفيك .. بأنهم لم يفهموا فتواك ولا كلامك .. وأنهم من العوام الذين يُغلبون فقه الظواهر على المقاصد .. هذا تقوله في الدنيا .. لكن ما عساك أن تقول يوم الحساب .. في محكمة قاضيها رب العالمين .. وخالق الخلق ﷻ!؟

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

أنت . يا قرضاوي . تعلم أكثر من غيرك قوله ﷺ: "مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أْفْتَاهُ". فحذار أن تتملص .. وتتهرب . كالثعلب وكما هي عادتك . من المسؤولية؟!!

ومنها: أن الرجل قد ميَّع الدين كله عندما وجد في القاعدة الشرعية الصحيحة التي تنص على فقه الموازنات وضرورة ترجيح المصالح عند تضاربها .. مدخلاً لهواه .. ولباطله .. فجعل المرجوح راجحاً .. والراجح مرجوحاً .. والباطل حقاً .. والحق باطلاً .. والبر والتقوى إثماً وعدواناً، والإثم والعدوان براً وتقوى .. والمصلحة الكبرى مصلحة صغرى والمصلحة الصغرى مصلحة كبرى .. والمفاسد مصالح .. والمصالح مفاسد .. بحسب ما يهوى .. وبحسب المناسبة .. وما يُطلب منه .. والجهة التي تطلب منه .. وما يريده الجمهور .. أو المستمعون .. وهذا منهج أدى بالرجل للوقوع في الزندقة .. إذ نراه كلما رُوجع في خطأ من أخطائه .. ويُن له أن خطأه مخالف لنصوص الشريعة .. سرعان ما يتفلت كالثعلب . ومن دون أن يعترف بخطئه . ويرد المنتقدين والمخالفين له .. إلى قاعدته التي يقبع خلفها قاعدة " فقه الموازنات " .. وأن المخالفين له من العوام الذين يُغلبون فقه الظواهر على المقاصد؟!!

وفيما يتعلق بكلامه أعلاه .. نسأله .. أين تكمن المصلحة الكبرى .. وما الذي تقضي به قاعدة فقه الموازنات .. وما الذي يقرره النقل والعقل: أن يقتل المسلم أخاه المسلم ويُعين الكافر على قتله .. مقابل أن يُحافظ على مستقبله الوظيفي، وحتى لا يُساء به الظن، ويُشكك بولائه الوطني .. أم يُضحى بمستقبله الوظيفي وإن ساء به وبولائه الوطني الظن .. ولا أن يقتل المسلمين سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق مساعدة الآخرين على قتلهم...!!؟!

العلامة الفهامة! .. يقول . كما في كلامه أعلاه . أن فقه الموازنات يقضي بتقديم ومراعاة مصلحة المستقبل الوظيفي، والسمعة الوطنية الجيدة ... على مصلحة حرمان ودماء المسلمين؟!!

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القِرضَاوي ..؟

بينما صغار المسلمين يعلمون أن هذا الذي ذكره الرجل . بالنص وإجماع جميع العلماء والعقلاء من تقدم منهم ومن تأخر. لا يبرر للمسلم أن يعتدي على ظفر أخيه المسلم .. فضلاً عن أن يكون مبرراً لقتله أو التعاون على قتله!

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء:93.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجِيرُ عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم، يردُّ مُشِدُّهُمْ على مُضعِفِهِم، ومُتَسَرِّعِهِم على قاعدِهِم، لا يُقتلُ مؤمنٌ بكافرٍ، ولا ذُو عهدٍ في عهده" [صحيح سنن أبي داود:2391].

وقال ﷺ: "ما من امرئٍ يَخْذُلُ امرءاً مسلماً في موطنٍ يُنتَقِصُ فيه عِرضُهُ، ويُنتَهِكُ فيه من حُرْمَتِهِ، إلا خذَلَهُ اللهُ تعالى في موطنٍ يُحِبُّ فيه نصرتهُ، وما من أحدٍ ينصرُ مسلماً في موطنٍ يُنتَقِصُ فيه من عِرضِهِ، ويُنتَهِكُ فيه من حُرْمَتِهِ، إلا نصرَهُ اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نصرتهُ" [صحيح الجامع:5690].

وقال ﷺ: "المؤمنُ من أهلِ الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسدِ، يألمُ المؤمنُ لما يُصيبُ أهلَ الإيمانِ، كما يألمُ الرأسُ لما يُصيبُ الجسدَ" [صحيح الجامع:6659].

وقال ﷺ: "تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" متفق عليه.

وقال ﷺ: "المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمُهُ ولا يُسْلِمُهُ" متفق عليه. اي لا يُسْلِمُهُ للظلم، ولعدوان المعتدين.

وقال ﷺ: "كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: ماله، وعِرضُهُ، ودَمُهُ، حَسْبُ امرئٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلمَ" مسلم.

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القِرضَاوي ..؟

وعن أبي بكر الثقفى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، خَطَبَ النَّاسَ . وَذَلِكَ يَوْمَ حِجَّةِ الْوُدَاعِ . فَقَالَ :
"أَلَا تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ
اسْمِهِ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَيُّ بَلَدٍ هَذِهِ؛ أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ
الْحَرَامِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ
حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟" قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ
اشْهَدْ، فَلْيَبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ يُبَلِّغُهُ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ " فَكَانَ كَذَلِكَ، قَالَ: "لَا
تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبٍ نَفْسِهِ؛ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا حَرَّمَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ" [رواه أحمد وغيره].

وقال ﷺ: "سُبَابُ الْمُسْلِمِ فَسَوْقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "إِذَا شَهَرَ الْمُسْلِمُ عَلَى أَخِيهِ سِلَاحًا؛ فَلَا تَزَالُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَشِيمَهُ عَنْهُ"

[السلسلة الصحيحة:3973].

وقال ﷺ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُ أَحَدَكُمْ إِذَا أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ
وَأُمِّهِ" مسلم. فكيف بالذي يرميه بالصواريخ والقنابل .. ويقتل من المسلمين . بواسطة الطيران
والصواريخ . الآلاف وغيرها عشرات من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تبين
غِلْظَةَ حَرَمَةِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ .. لَكِنْ هَذِهِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ . عِنْدَ الرَّجُلِ . كُلِّهَا فِي كِفَّةٍ
.. وَالْمُسْتَقْبَلُ الْوِظَافِي لِلْجُنْدِيِّ الْمُقَاتِلِ مَعَ الْعَدُوِّ الْكَافِرِ فِي كِفَّةٍ .. وَمُصْلِحَةُ الْمُسْتَقْبَلِ الْوِظَافِي
لِلْجُنْدِيِّ الْمُقَاتِلِ مَعَ الْعَدُوِّ الْكَافِرِ تَرْجِعُ عِنْدَ الْقِرْضَاوِيِّ .. عَلَى هَذِهِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ كُلِّهَا ..
وعلى مصلحة المسلمين ودمائهم وحرمتهم كلها .. كما تملي عليه قاعدته " فقه الموازنات !!"

الإكراه الصريح المحقق يبرر للمرء أن يقول كلمة الكفر .. وأن يُضْحِي بما هو أقل منه
قيمة وحرمة .. لكن لا يبرر له قتل أخيه المسلم .. حتى لو هُدِّدَ وأُكْرِهَ بِالْقَتْلِ . وليس فقط

لماذا كَفَرْتُ يُوَسِّفُ القُرْضَاوِي ..؟

خسرانه لمستقبله الوظيفي . وكان قتله محققاً إن لم يفعل ما يُطَلَبُ منه .. فالنص والإجماع على أن المُكْرَه يُقْتَلُ .. ويؤثر القتل لنفسه ولا يَقْتُلُ أخاه .. لتساويهما في القيمة والحرمة .. فلا يجوز أن يفدي نفسه بأخيه!

هذا مثال عن فقه الموازنات كما يفهمه الرجل .. وكيف يسيء استغلاله واستعماله .. ولو أردنا أن نتبع ما يمرره الرجل من باطل صراح .. تحت عنوان فقه الموازنات .. وفقه المصالح .. لكتبنا في ذلك مجلدات .. وليس مجلداً واحداً!

ومنها: أن حديثه عن " استصحاب النية " يثير الضحك والحزن في آنٍ معاً .. فهو يعني من قوله عن استصحاب النية .. أن على إخوانه من الجنود الأمريكيين المسلمين .. عندما يقتلون المسلمين الأفغان .. ويقتلون أطفالهم ونساءهم .. أن يقصدوا وينووا من فعلهم هذا .. أنهم يقتلون الإرهابيين .. وأن مرادهم ونيتهم من قتل المسلمين التعاون على البر والتقوى .. وهذه النية تظل تصحهم . حتى لا يقعوا تحت طائل الشعور بالندم والمؤاخذه . طيلة الفترة التي يُمارسون فيها عملية القتل للمسلمين ...!؟

أرأيتم التضليل .. والكذب .. والقول على الله غير الحق .. وعن سابق علم وإصرار .. فأنا متيقن أن الرجل يعلم أن هذا الكلام باطل نقلاً وعقلاً .. وأن النية الحسنة لا تبرر فعل الخطأ .. وأن أي عمل يُشترط له شرطان لا يُقبل إلا بهما معاً: سلامة القصد والنية، والإخلاص .. وأن يكون العمل مباحاً ومشروعاً .. فالرجل يعلم هذا كله .. ومع ذلك يتنكر لما يعلم .. ويُفتي بخلاف ما يعلم!

فقوله عن استصحاب النية والمسلم يقتل أخاه المسلم .. أشد بكثير من أن يفتي المرء بالزنى .. شريطة أن يستصحب نية التحصن وهو يزني .. أو نية التقوي على الطاعة .. أو ينصح المرء بأن يسرق شريطة أن يستصحب نية التصدق والإحسان على الفقراء .. فإن النيات . عند القرضاي . تبرر فعل الجرائم .. والمنكرات .. والموبقات!

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القِرضَاويي ..؟

هذا بعض ما يؤخذ على فتوى الرجل وكلامه أعلاه من حيث واقع وأثر الفتوى .. وما نتج عنها .. أما من حيث المنظور أو البعد الشرعي العقدي .. فبيانته كالتالي:

فأقول: كلامه أعلاه كفر بواح .. يتضمن مزالق عقديّة عدة:

منها: أنه أجاز وأباح للمسلم أن يكون جندياً في عسكر الكفر والشرك .. يُقاتل مع الكافرين والمشركين .. ضد المسلمين، وهذا كفر بواح، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة:51. ولقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران:28. ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَعَمَّا أَنْزَلِ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ المائدة:81. فاتخاذهم أولياء دليل على انتفاء الإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ الكهف:102. فإن قدروا على أن يتخذوهم أولياء من دون الله .. خرجوا من دائرة العبودية لله .. ومن صفة كونهم عباد الله .. وغيرها كثير من الآيات القرآنية التي تدل على كفر من يُظاهر الكافرين المشركين على المسلمين .. وديارهم وحرمااتهم .. كما أن إجماع أهل العلم منعقد على كفر من ظاهر الكافرين المشركين على المسلمين.

ومنها: أنه يتضمن تحليل ما حرم الله تعالى .. ولما هو معلوم حرمة من ديننا بالضرورة .. وهو مظاهرة الكافرين المشركين على المسلمين .. فهذه زيادة في الكفر .. فتحليل ما حرم الله تعالى كفر بلا خلاف .. فهو لم يُظاهر المشركين وحسب .. بل أحلّ وحسّن مظاهرة الكافرين والمشركين على المسلمين .. والتطوع في عسكرو جيوش الكافرين والمشركين لأغراض دنيوية واهية .. وخاطب المتطوعين منهم للقتال في جيوش الكفر والشرك .. بأنهم إخوانه المسلمين .. وهذا زيادة في الكفر .. يُغلّظ الكفر ويضعفه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القِرضَاوي ..؟

حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿النحل:116. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ النحل:107.

ثم نسأل أيهما أشد جرماً وإثماً بلعام بن باعوراء الذي تقدم الحديث عنه .. والذي اقتصر جرمه فقط على أن دعا الله لقومه الكافرين على المؤمنين المسلمين، فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الأعراف:176. أم القرضاي الذي أباح للمسلمين بأن يُقاتلوا مع الكافرين المشركين ضد المسلمين .. وحضَّهم عليه .. ورغَّبهم فيه .. وأوجب عليهم طاعة المشركين في ذلك .. وتمنى لهم النصر والظفر على المسلمين المجاهدين .. وزعم . ضاحكاً عليهم . أن ذلك من الدين .. ومن التعاون على البر والتقوى .. لا شك أن القرضاي بفعله هذا أشد جرماً وإثماً وكذباً من سلفه وأستاذه بلعام بن باعوراء!

ومنها: أنه جعل من الوطن وثناً يُعبد من دون الله .. يُعقد فيه الولاء والبراء .. وتُقدم الموالة فيه وعلى أساس الانتماء إليه على الموالة في الله وفي العقيدة .. وتُقدم حقوقه .. وحقوق المواطنة على حق الله تعالى .. وحق أخوة الإسلام .. وما توجبه عقيدة التوحيد .. وما أكثر كلمات الرجل الدالة على هذا المعنى لو أردنا أن نتبع كلماته في مقالاته الأخرى .. وهذا كفر بواح .. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ : أي يوالون فيهم ويُعادون كما يوالون ويعادون في الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ البقرة:165.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء:98. أي يسوون الأنداد والأوثان برب العالمين في المحبة .. والطاعة ..

لماذا كَفَرْتُ يُوَسِّفُ القرضاوي ..؟

والموالاتة والمعاداة .. فيوالون بهم ويعادون كما يوالون في الله ويُعادون .. فتلك كانت تسويتهم للأنداد والأوثان برب العالمين!

ثالثاً: من الأسباب كذلك التي حملتنا على القول بكفره .. استخفافه واستهانته بالخالق ﷻ وهو على المنبر في خطبة الجمعة .. وعلى الملأ .. وعبر الأثير .. بعد أن حيى الانتخابات الديمقراطية الإسرائيلية .. وأثنى عليها خيراً، وقارن بينها وبين الانتخابات التي تحصل لبعض حكام العرب الذين يحصلون فيها على نسبة 99,99% قال: "هذا مما نحمده في إسرائيل، نتمنى أن تكون بلادنا مثل هذه البلاد؛ من أجل مجموعة قليلة يسقط واحد، والشعب هو الذي يحكم، ليس هناك التسعات الأربع أو التسعات الخمس التي نعرفها في بلادنا؛ تسعة وتسعين وتسعين من المائة (99,99%)، لو أن الله عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ مَا أَخَذَ هَذِهِ النِّسْبَةَ، ما هذا الكذب والغش والخداع، نُحْيِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ..."-ا- هـ.

ولما عُرِضَتْ مقولته هذه على الشيخ ابن العثيمين قال: "أعوذ بالله، يجب أن يتوب، يتوب من هذا وإلا فهو مرتد؛ لأنه جعل المخلوق أعظم من الخالق فعليه أن يتوب إلى الله، والله يقبل التوبة من عباده، وإلا وجب على ولاة الأمور أن يضربوا عُنُقَهُ"-ا- هـ.

قلت: وقول من يقول بأن الشيخ ابن العثيمين رحمه الله لم يكن يعلم أن صاحب هذه المقولة الكفرية هو يوسف القرضاوي، ولو كان يعلم بأنه هو الذي قال هذا الكلام لما قال فيه ما قال !!

أقول: هذا ظن .. وهو افتئات على الشيخ ابن العثيمين وتقويل له ما لم يقل .. فالذي يدعي عليه هذا الادعاء عليه بالبينة وأنى .. ثم علام بلغنا كلام الشيخ الأول بلفظه وصوته .. ولم يبلغنا استدراكه المشار إليه بلفظه وصوته ..؟!

وأياً كان الأمر، فإن الاستخفاف والطعن بالخالق ﷻ .. مما لا يُعذر فيه كبير ولا صغير .. ولا عالم ولا متعلم .. ولا علم ولا مغمور .. ولا يتشفع فيه تأويل ولا جهل .. ولا مانع من موانع

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

التكفير إلا الإكراه .. والرجل يقيناً لم يكن مكرهاً .. بل كان . ولا يزال . متكبراً قد أخذته العزة بالإثم .. فهو على ما قيل فيه وفي مقولته .. ومن قَبَل عدد من أهل العلم .. لم يتراجع .. ولم يستغفر .. ولم يتب ويعتذر إلى خالقه!

لا نريده أن يعتذر للمخلوق .. وإنما يعتذر لخالقه؛ فيتوب ويستغفر الله .. ما أجملها منه لو قال في الخطبة التي تلت خطبته الأنفة الذكر: قد قلت في الخطبة السابقة كذا وكذا .. وهذا الكلام لا يجوز أن يُقال في حق الله .. وقد سقط مني سهواً وأنا لا أريده ولا أقصده .. وأستغفر الله وأتوب إليه .. ما أجملها منه لو فعل ذلك .. لكنه الكبر قد صده عن الحق .. والرجوع إلى الحق .. والتذلل للحق!

قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ نوح:13-14. وقال تعالى: ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ التوبة:74. وقال تعالى: ﴿ قُلْ أِبَالَهُ أَصَابَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ التوبة:65-66. والذين نزلت فيهم هذه الآيات فكفروا بعد إيمانهم قالوا كلاماً أقل خطورة من كلام القرضاوي أعلاه .. ومع ذلك قال تعالى عنهم: ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

رابعاً: قوله بالديمقراطية بمعناها الإباحي الكفري، ومطالبته بفرضها على المسلمين في بلادهم: حرية الاعتقاد والارتداد عن الدين .. وحرية تشكيل وتعدد الأحزاب الكفرية المرتدة، بكل اتجاهاتها بما فيها الأحزاب الشيوعية الملحدة .. وما يتبع ذلك من نشاطات لتلك الأحزاب الكافرة المرتدة مؤداها إلى إفساد البلاد والعباد .. وصددهم عن دين الله .. وإغراق السفينة وجميع من فيها .. ثم التحاكم إلى الأكثرية المزعومة من الشعب والجماهير عبر صناديق الاقتراع .. والشعب هو الذي يختار النظام الذي يشاء .. والحاكم الذي يشاء .. وخياره مقدس لا يُرد .. يعلو ولا يُعلى عليه .. حتى لو اختار الكفر والإلحاد .. واختار الكافر الملحد المرتد .. ورفض الإسلام ودولته .. فدولة الإسلام حينها . وبحسب تعبير القرضاوي الديمقراطي : " اتروح في داهية " ..

لماذا كَفَرْتُ يُوسُفَ القرضاوي ..؟

هذه الحرية الإباحية . بمعناها الأنف الذكر . والعمل من أجلها والمطالبة بها مقدم ومفضل . عند الرجل . عن المطالبة بتحكيم شرع الله .. والعمل من أجل تطبيق شرع الله .. وهو لا يتردد في أن يوصي المسلمين في بلاد الغرب وغيرها بأن ينخرطوا وينتموا إلى الأحزاب العلمانية المنتفذة في تلك البلاد .. على مال تتضمن تلك الأحزاب من تصورات واعتقادات تناهض وتغاير الإسلام وعقيدة الإسلام .. وإليك أمها القارئ بعض كلماته الدالة على هذه المعاني الكفرية الأنفة الذكر ، والتي أكثرها منشور في موقعه: "بالنسبة لأي حزب ينشأ في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية يهمني أمران أساسيان: أن يحترم الإسلام وغير الإسلام .. يعني يحترم الأديان كلها .. الثاني أن لا يكون هذا الحزب امتداداً لجهة خارجية كأمریکا أو روسيا .. القول بأننا نطالب الآخرين بأن يسمحوا لنا بتشكيل حزب شيوعي .. ثم إذا وصلنا إلى الحكم لا نسمح للشيعيين والعلمانيين بتشكيل أحزاب سياسية .. هذا طرح خلاف الفقه الذي ندعو إليه ونؤمن به، بعض الناس يقولون: إن الإسلاميين من حقهم فقط والآخرون لا وجود لهم، لا؛ نحن نسمح للآخرين ... بما فهم الشيوعيين إذا كانوا سيحترمون الدستور .. لا يليق حتى أخلاقياً إذا وصلنا عن طريق التعددية أن نمنع الآخرين .. لا يجوز هذا .. فالبعض يقولون: بعدما نحكم بالإسلام يعني نعرض أنفسنا إننا نسقط في الانتخابات؟ والله إذا بعد أن حكمت في الإسلام وصارت السلطة في يدك، وفي يدك مقاليد الأمور ثم أسأت حتى فقدت ثقة الناس .. يستهلووا إيروحوها في داهية .. التعددية الدينية، والتعددية الثقافية، والتعددية الحزبية كل هذه التعدديات شرعها الإسلام .. نحن ندعو المسلمين في المجتمعات الأوروبية والأمريكية أن يشاركوا ولا ينزلوا .. وحتى لا مانع أن ينضموا إلى أحد الأحزاب .. حتى في الدين من حق الإنسان أن يختار الدين الذي يراه .. شرع القتال من أجل الحرية .. الإسلام يُقاتل من أجل تقرير الحرية للبشر .. كل الحريات متاحة لغير المسلمين: الحرية الدينية، والحرية المدنية، والحرية الفكرية، والحرية السياسية؛ كل الحريات متاحة لهم .. يفرق في حد الردة بين من خرج من الإسلام وكانت رده عادية .. وبين من خرج على

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

الإسلام وكانت رده مثيرة للفتنة وتشكل خطراً على المجتمع .. فالأول لا حد عليه .. والأخر هو الذي يُطبق عليه الحد .. إحنا قلنا إنه ليس العقاب على الخروج من الدين، العقاب على الفتنة التي يثيرها المرتد .. كل شيء ممنوع مرغوب .. الكتب تُخدَم بالمنع .. مثل كتاب آيات شيطانية لسلمان رشدي .. حينما نمنع هذه الكتب التافهة نفتح لها أبواب الشهرة .. أنا لا أدعو إلى مصادرتها إطلاقاً .. أنا أفضل تحقيق الحريات على تطبيق الشريعة الإسلامية .. قلت في بعض برامجي إن تحقيق الحريات العامة للشعوب مقدم عندي على تطبيق الشريعة الإسلامية .. إطلاق الحريات في العالم العربي أهم من تطبيق الشريعة الإسلامية .. حكم النظام العلماني في بعض البلاد التي لا توجد بها أغلبية دينية ظاهرة قد يكون أفضل من الحكم الديني المتعصب؛ لأنه يقسم السلطة والثروة ويتيح الفرص للجميع .. كما في الهند .. هل الديمقراطية كفر .. هل الديمقراطية التي تتنادى بها شعوب العالم، والتي تكافح من أجلها جماهير غفيرة في الشرق والغرب .. هل هذه الديمقراطية منكر أو كفر كما يردد بعض السطحيين المتعجلين .. الواقع الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام "أ- هـ وغيرها كثير من الاطلاقات والعبارات التي تُصيب قارئها بالصداع والتقيء .. التي تدعو إلى الإباحية المطلقة تحت غطاء الحرية .. والحريات .. والدعوة إلى الديمقراطية .. والتي مؤداها . ولا بد . إلى تغييب وإلغاء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. التي بها أصبحت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس .. والتي من دونها تفقد الأمة المناعة والمقاومة .. وتغرق السفينة في بحور من المنكرات والفتن والكفر والشرك والأهواء .. وتفقد مباشرة صفة الخيرية والريادة بين الأمم!

لم نُرد مما تقدم الاستقصاء .. والإحصاء .. فاستقصاء كلمات الرجل حول هذا الموضوع .. يستغرق مجلداً كاملاً .. وجهداً مضميناً على صاحبه أن يستعد للتقيء وهو يقوم بجمع كلمات وعبارات الرجل .. وهذا ما لا نقدر عليه الآن .. وإنما أردنا فقط التذليل على منهجه .. وصحة مأخذنا عليه .. كما أننا لو أردنا أن نرد على كلماته عبارة عبارة .. ونبين وجه الباطل والكفر فيها

لماذا كَفَرْتُ يُوَسِّفُ القِرْضَاوِي ..؟

.. لربما كتبنا أيضاً في ذلك مجلداً .. وأحسب أن الباطل في كلمات الرجل أعلاه معلومة للجميع .. كما أنني رددت على بعض كلمات الرجل حول الديمقراطية والإباحية . التي يحلو له أن يسميها بالحرية . في كتابي " حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية " ما يغني عن الإعادة هنا .. فليراجعه من شاء.

خامساً: تغييبه وإلغائه لعقيدة الولاء والبراء في الإسلام .. عقيدة الموالاتة والمعاداة في الله .. أوثق عرى الإيمان وأمتنها .. فأخى الكافرين والزنادقة الملحدين .. وأثنى خيراً على كثير من الطواغيت الظالمين الحاكمين .. لم يدع ملة من ملل الكفر والشرك .. والزندقة .. إلا وجادل عنها .. وقال عنهم هم إخواننا .. هم منا ونحن منهم .. لهم ما لنا وعليهم ما علينا .. حتى الأيزيدية عبدة الشيطان في العراق قد قال عنهم ذلك . في اتصال هاتفي للجزيرة معه .. وقد سمعته بنفسه . بحجة أنهم مواطنون .. وأن حقوق المواطنة تستوجب لهم مثل هذه الحقوق والموالاتة .. وأن الإسلام كفل لهم حرية عبادة الشيطان .. وفي كثير من الأحيان لخبثه .. ولكي يمرر باطله .. يخلط بين الإحسان وأدلتها وبين الموالاتة وأدلتها .. ويحمل الأدلة الدالة على إحسان المسلمين على غيرهم .. ممن دخلوا في سلمهم وأمانهم وعهدهم .. ممن يجوز لهم أن يدخلوا في سلم وعهد وأمان الإسلام .. على الموالاتة .. وأتى للقارئ أو المستمع العامي . أو حتى المثقف . أن يميز بين الإحسان والبر والقسط .. الذي يُعطى للمسلم ولغيره ممن يدخل في أمان وعهد وذمة الإسلام .. وبين الموالاتة والأخوة التي لا تُعطى إلا للمسلمين!

وإليك أمها القارئ بعض كلماته وعباراته الدالة على هذا الكفر والمروق .. والتي أكثرها منشورة في موقعه: "كن سنياً، كن شيعياً، كن كردياً، كن أيّاً ما تكون، والكن الوحدة هي سبيل الخلاص .. أنا منذ ثلاثين سنة ألفت كتاباً سميته غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مرضيتش أقول الكفّار .. لا داعي أن تقول مثلاً الكفار .. يعتمد المنهج الإسلامي في مخاطبة غير المسلمين على جملة من الأسس الفكرية والأخلاقية يجب أن تُراعى، نذكر منها أهمها وأبرزها: استخدام

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

كلمة غير المسلمين بدل كلمة الكفار، وكلمة المواطنين بدل كلمة أهل الذمة .. التركيز على الجوامع المشتركة وتقوية نقاط الاتفاق وتعميقها وتوسيعها، وعدم التركيز على نقاط التمايز والاختلاف إلا في مجال البحث العلمي الخالص .. ومن الخطوات العملية التي يجب اتخاذها في التعامل مع غير المسلمين ومخاطبتهم سواء في الداخل أم الخارج: إنشاء ثقافة وسطية جديدة تقوم على الحب لا البغض، على التنوع لا الانفراد .. ليس مجرد الكفر هو المانع للولاء، لا؛ إنما المحاذة .. نحن نعادي من يُعادينا ونوالي من يوالينا .. كل القضايا بيننا . أي بينه وبين نصارى مصر. مشتركة، فنحن أبناء وطن واحد، أمتنا واحدة، أنا أقول عنهم إخواننا المسيحيين، البعض ينكر علي هذا كيف أقول إخواننا المسيحيين؟ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:10. نعم نحن مؤمنون، وهم مؤمنون بوجه آخر .. الأقباط إخوان لنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا .. هناك كلمات لم تعد مقبولة لدى إخواننا من الأقليات غير المسلمة وهي مصطلح أهل الذمة .. فلا أجد مانعاً من استخدام كلمة المواطنة والمواطن .. ومن التعبيرات المطلوبة في عصر العولمة التعبير بالإخوة عن العلاقة بين البشر كافة، والمراد بها الإخوة الإنسانية العامة .. المشكلة مع اليهود ليست مشكلة عقيدة ولا شريعة وإنما هي مشكلة أطماع .. سبب العداء بيننا وبين اليهود المظالم التي ارتكبوها .. المعركة بيننا وبين اليهود ليست من أجل العقيدة، بعض الناس يمكن بيظن أن إحنا بنحارب اليهود من أجل عقيدتهم، هذا خطأ، نحن لا نحارب اليهود من أجل عقيدتهم؛ نحارب اليهود من أجل الأرض التي اغتصبوها وشردوا أهلها، من أجل أنهم احتلوا الأرض .. اليهود الذين يبرؤون مما تفعله إسرائيل أنا أرحب بهم وأكون معهم .. نحن كما قلنا ليس بيننا وبين اليهود كدين أية مشكلة، نحن لا نعادي الصهاينة لأنهم يهود .. نقدم عزاءنا في هذا البابا. باب الفاتيكان . الذي كان له مواقف تُذكر وتُشكر له .. مواقف الرجل العامة وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه، فقد طاف العالم كله وزار بلاداً ومنها بلاد المسلمين نفسها، فكان مخلصاً لدينه وناشطاً من أعظم النشطاء في نشر دعوته والإيمان برسالته .. لا نستطيع إلا أن

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدّم من خير للإنسانية وما خلف من عمل صالح أو أثر طيب، ونقدم عزاءنا للمسيحيين في أنحاء العالم ولأصدقائنا في روما وأصدقائنا في جمعية سانت تيديو في روما ونسأل الله أن يعوّض الأمة المسيحية فيه خيراً .. أنا لا أكفر العلمانيين؛ فكيف نكفر أحداً وهو يصلي ويصوم، ويقول: أشهد أنه لا إله إلا الله ..."-ا- هـ. وغيرها كثير من الاطلاقات والعبارات . الثابتة عنه . التي تدل على المعنى الذي أشرنا إليه .. وقد تقدم معنا كيف أن الرجل يغلب الولاء الوطني، وللجنسية، وللمستقبل الوظيفي على الموالاتة في الله وفي العقيدة .. بزعم فقه الموازنات، والترجيح بين المصالح[1].

ويكفي القارئ النبيه لكي يعلم بطلان وكفر ما تقدم من كلام الرجل أعلاه .. أن يقرأ قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران:28. وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ النساء:138-139. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء:144. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

¹ كذلك لو أردنا أن نحصي عباراته في الثناء على إخوانه الشيعة الروافض .. فهي أكثر من أن تحصى .. وموقفه الأخير الذي يُطالب فيه الشيعة الروافض بأن يمسكوا عن الدعوة إلى التشيع والرفض في بلاد المسلمين، والمناطق التي فيها أكثرية سنية .. مقابل أن يمسك المسلمون السنة عن الدعوة إلى الإسلام في المناطق ذات الأغلبية الشيعية .. قوله هذا على بطلانه وعدم واقعته .. لا يغير شيئاً من حقيقة موقفه السابق والمضلل من الشيعة الروافض .. فهو إلى الساعة لا يزال يأخذهم ويأخذونه بالأحضان .. ويطربهم ويضفي عليهم ألقاب المديح: العلامة .. والسماحة .. والآيات .. كما أن نائبه على رئاسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين . الذي لا يمثل إلا نفسه وما حواه من أعضاء كثير منهم مشبهون . هو من كبار آيات التشيع والرفض الصفوي " محمد علي تسخيري"، والذي باسمه وبعد توقيعه وموافقته .. تصدر فتاوى وتعليمات اتحاديهم العالمي .. للناس!!

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القِرضَاوي ..؟

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهِمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ المائدة:51. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة:57. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة:81. وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال:73. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ التوبة:23. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود:113. وقوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ الكهف:102. وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ الممتحنة:4. وغيرها كثير من الآيات القرآنية التي تدل على بطلان كلام الرجل أعلاه.

سادساً: منهجه القائم على الزندقة: حيث بقليل من التأمل والمتابعة تجد أن منهج الرجل كله يقوم على أمرين: فقه الموازنات، والترجيح بين المصالح .. وانتهاج التيسير والتسهيل .. فهو تحت عنوان فقه الموازنات الذي يخضع لهواه .. ولهواه وحسب .. يحلل ويحرم من تلقاء نفسه ومن دون سلطان من الله .. ويمرر الكفر والشرك ويُضحى بمصلحة التوحيد لأدنى مصلحة مادية موهومة .. فهو . كما مر معنا . يضحى بالتوحيد .. ويبرر موالة ومظاهرة المشركين على المسلمين والمجاهدين حتى لا تُفوت مصلحة مستقبل الوظيفي، أو يُشكك بولاء المرء الوطني .. ويبرر الانتماء والمشاركة في الأحزاب العلمانية . كما في الدول الأوروبية وغيرها . ويبرر انتخابها .. ويبرر العمل التشريعي النيابي الشركي .. مقابل مصالح مادية موهومة .. ومرجوحة .. كثير منها

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

لا يتحقق .. والذي يتحقق منها لا يقوى أن يرجح على مصلحة التوحيد .. وعلى هذا الأساس والاعتبار نراه قد أفاقت كبر الأصنام في أفغانستان الذي يُعبد من دون الله .. ونصح وأفتى طاغوت الجزائر بأن يحذف مادة الشريعة الإسلامية في المدارس لجميع المراحل الثانوية .. وأن يحرم الشباب من حقهم في تعلم الإسلام .. وأن تُبنى الكنائس في جزيرة العرب .. وأثنى خيراً على الدستور العراقي الحالي . الذي مزق البلاد ووضع بإشراف ورعاية الغزاة الصليبيين . وباركه .. وأثنى ويثني خيراً على كثير من طواغيت الحكم والكفر الذين لا ينبغي أن يختلف على كفرهم اثنان .. فليس لمصلحة التوحيد في فقه الموازنات عند الرجل أدنى قيمة أو اعتبار .. فهو لأدنى مصلحة . وأحياناً بلا مصلحة . يُضحى بمصلحة التوحيد .. أعظم وأعلى وأغلى وأجل المصالح، والمقاصد التي جاء الإسلام لتحقيقها .. والتي من أجلها أرسل الله الرسل .. وأنزل الكتب .. وخلق الخلق .. هذا الإجماع بحق دين الله يرده . لكي يجد لترويجه مستساغاً وقبولاً عند الناس . إلى فقه الموازنات .. والترجيح بين المصالح والمفاسد .. ليظن الناس أن له مستند شرعي فيما يؤصل ويُفتي به .. فقه الموازنات . عند الرجل . في كثير من الأحيان كلمة حق .. يُراد بها باطل .. وعلى القارئ لكتب الرجل .. أو المستمع لحديثه أن يتنبه لذلك .

أما مبدأ التيسير والتسهيل .. فهو لأجل التيسير والتسهيل يحل الحرام ويحرم الحلال .. ويتتبع ذلات العلماء .. والشاذ من مذهبهم وأقوالهم . ليظن المرء أن له مستنداً معتبراً من علماء الأمة . ثم يُفتي به .. وقد صدق من قال: من تتبع ذلات العلماء .. وشكل منها مذهباً جديداً لنفسه .. فقد تزندق!

من الأمثلة الدالة على هذا المنهج في التيسير والتسهيل . على سبيل المثال لا الحصر . قوله: بتحليل الاختلاط؛ اختلاط الرجال مع النساء وبضرورة وغير ضرورة .. وأن تغني المرأة وهي على المسارح وبالمعازف .. وأحل بعض المعاملات والبيوع الربوية المحرمة .. كما جاء ذلك في النشرة الصادرة عن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث والذي يترأسه القرضاوي، حيث جاء في

لماذا كَفَرْتُ يُوَسِّفُ القِرْضَاوِي ..؟

النشرة كخلاصة للتوصيات التي توصلوا إليها في مؤتمرهم الثاني الذي عُقد في إيرلندا: "أباح المجلس بيع الخمر ولحم الخنزير في متاجر يملكها مسلمون إذا كان لا بد من بيعها، وشرط المجلس أن تكون نسبة تلك المواد المحرمة قليلة من جملة التجارة العامة .. وحرم المجلس بيع الخمر في المطاعم لأنها تحتل نسبة عالية من المبيعات .. وأباح المجلس اشتراء المنازل والسيارات بواسطة البنوك والدفع بالأقساط .. أباح المجلس اشتراك الرجال والنساء في مكان واحد، في إطار ضوابط الشرع مثل مجالس العلم والمحاضرات والدراسة، والنشاطات الاجتماعية وغيرها .. وجوز المجلس دخول النساء والرجال من باب واحد للقاعات والمجالس، ولم يرف في ذلك بأساً، واعتبر كلمة اختلاط كلمة دخيلة على المصطلح الإسلامي .. وأباح المجلس أكل المطاعم التي تحتوي على كميات قليلة من مواد محرمة مثل لحم الخنزير وشحمه شرط أن لا تتجاوز نسبتها 1% .. وأجاز المجلس المشاركة في الانتخابات البلدية والنيابية في الدول الغربية بما يحقق مصالح المسلمين!

ومما حلله كذلك شرب الخمر إذا كان بنسبة قليلة مع الطعام أو الشراب .. وأباح للمرأة المسلمة أن تبقى في ذمة زوجها الكافر .. ولم يرف في ذلك حرجاً .. وأن كفر الرجل لا يجوز أن يكون سبباً للتفريق بين الرجل وزوجته المسلمة .. وهكذا فهو يحلل ويحرم ما يشاء ومن تلقاء نفسه .. ومن دون سلطان من الله .. ومما يُخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة .. تحت رغبة وزعم التيسير والتسهيل .. ففتن الناس عن دينهم .. وأضلهم ضلالاً بعيداً!

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى

اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل:116.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ

أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ يونس:59.

لماذا كَفَرْتُ يُوسُفَ القرضاوي ..؟

والرجل لكي يجد لنفسه السعة الكافية في الكذب على الله .. لا يفوته بين الفينة والأخرى أن يكرر مقولته المشهورة والمتكررة حتى ملها السامعون منه، وهي: أن للإسلام ثوابت لا تتغير ولا تتبدل .. وهو الجزء اليسير القليل من الإسلام .. وهناك الفرعيات .. والظنيات .. والمساحة المرنة وهي الجزء الأكبر والأرحب والأوسع من الدين .. هذه المساحة يحق لنا أن نجتهد فيها ونغير ونبدل .. ونأخذ منها ما نشاء .. وما يناسبنا .. ونرد منها ما لا نشاؤه وما لا يناسبنا .. وهو على استعداد من أجل ذلك أن يستدل بالدليل الضعيف ويصححه .. وبالشاذ من أقوال العلماء .. ويرد الدليل الصحيح، والأقوال الراجحة الثابتة من أقوال أهل العلم .. لينصر مذهبه التيسيري التسهيلي .. القائم على الهوى!

وهو من أجل ذلك لا يتردد بأن يحذر من كتب السلف القديمة .. وما فيها من مفاهيم وخير ومصطلحات .. وأنها وجدت لزمانها .. وهي لم تعد تصلح لزماننا .. ليخلوله الجوبان يؤصل لمنهجه الجديد القائم على التسهيل والتيسير . بمعنى التفريط . وعلى التعارف والتعايش لا التناكر، وعلى الحب لا البغض بين ملل وطوائف الأرض كلها، كما يقول في مقال له تحت عنوان " الإسلام يرى البشرية أسرة واحدة " : "تنقية ثقافتنا العامة التي نلقنها للتلاميذ في المدارس، وللجماهير في الإعلام من بعض ما حوته كتبنا القديمة من مفاهيم مغلوطة تحمل طابع عصرها وبيئتها، ولا يجوز أن نعممها على الأجيال؛ فقد انتهت بانتهاء ظروفها .. وإنشاء ثقافة وسطية جديدة تقوم على التعارف لا التناكر .. وعلى الحب لا البغض، على التنوع لا الانفراد، على السلام لا الحرب !!"

سلمت من القرضاوي كتب سلمان رشدي وروايته الشيطانية " آيات شيطانية " .. ولم

تسلم منه . ومن شره . كتب السلف الصالح!!

لماذا كَفَرْتُ يَوسُفَ القرضاوي ..؟

وبعد، لأجل جميع ما تقدّم وذكرناه عن الرجل أعلاه .. حكمت . ولا أزال . إبراءً للذمة، ونصحاً للأمة على " يوسف القرضاوي " بأنه **كافر مرتد زنديق** .. تُجرى عليه جميع أحكام الكفر والردة والزندقة .. إلى أن يتوب مما ثبت عليه .. وتقدم ذكره أعلاه.

هذا الحكم لم يصدر عني عن هوى أو رغبة في التشفي .. أو على طريقة المتهورين المتسرعين .. من دون النظر في شروط وموانع التكفير .. وقد ترددت وراجعت نفسي مراراً وتكراراً قبل إصدار هذا الحكم .. وقد قلبت الأمور .. وعدت النظر فيها من كل جوانبها وأطرافها .. وأمسكنا عن الخوض في الرجل دهنراً طويلاً .. حتى سدّ علينا جميع منافذ التأويل والإعذار .. فلم يترك لنا فسحة ولا منفذاً للتأويل أو تحسين الظن .. وخشينا على أنفسنا الإثم والوزر لكتمان ما يجب علينا بيانه بحق هذا الرجل الذي شاعت وعمّت فتنته على البلاد والعباد .. وبخاصة أن الإعلام الفاسد . لغرضٍ خبيث في نفوس أصحابه والقائمين عليه . قد صنع للرجل رهبة بين الناس وعند بعض أهل العلم وطلابه .. حمل الكثيرين منهم على الإحجام عن بيان الحق فيه .. فكان لا بد مما لا بد منه .. فإن أمة محمدٍ ﷺ لا يجوز أن تجتمع على ضلالة أو كتمان حق أو علم!

هذا الحكم الصادر عني أعلاه .. كنت . ولا أزال . أود أن ألمس أو أسمع من الرجل كلاماً يُجرئني على الرجوع عنه .. لكن الأيام تأتي لتثبت أن الرجل في غيه وضلاله مستمر .. وأن الكبر يصدّه عن الرجوع إلى الحق أو إنصاف الحق من نفسه .. وأن أخطائه وانحرافات لم تكن ناتجة عن هفوة أو زلّة أو اجتهاد .. وإنما عن منهج وتأصيل وتخطيط مُسبق يُراد منه هدم الإسلام .. وتمييع الدين .. وهي في توسع وازدياد؛ فأخطاؤه في الأمس تهون تجاه أخطائه اليوم .. وأخطاؤه اليوم تهون تجاه أخطاء الغد .. ولا ندري إلى أي مستنقع أسنّ سينتهي حال الرجل .. أرادته الطغاة كاسحة ألغام لمآربهم وباطلهم .. وسياساتهم الظالمة الكافرة .. فأجابهم . وللأسف . لما يريدون .. ففعل ما فعله بلعام بن باعوراء وأشد!

لماذا كَفُرْتُ يُوسُفَ القرضاوي ..؟

أعلم أن للرجل أتباع وعوام ورعا .. ومشبهوهون يقتاتون بضلاله .. يتعصبون لاسمه وذكره . قد صنعتهم الدعاية والإعلام الفاسد . لا يقدرّون على أن ينصفوا الحق منه .. ولا أن يسمّوا لحكم الحق فيه .. سيصيحون ويصرخون .. ويولولون .. ولهؤلاء **أقول**: كفوا عنا صراخكم .. وجهالاتكم .. بكم وبأمثالكم تقوَى الرجل وطغى .. واستكبر .. ويتقوى غيره من الطغاة والمنحرفين على هدم الدين .. المورد ليس لي ولا لكم .. والحكم ليس لي ولا لكم .. وإنما هو لله تعالى وحده .. فإن كان عندكم علم تردون به كلامنا أعلاه .. فأظهِروه .. ونحن سنصغي إليه ونستفيد منه .. ونرحب به .. فالحق مطلبنا وغايتنا .. وليس لنا غاية ولا مطلب غير الحق .. فالرجوع إلى الحق أحب إلى أنفسنا من أنفسنا .. أما غير ذلك من الجهالات .. والعصبيات .. والكلمات السوقية النابية .. فإنني لا أقف عندها .. ولا أستمع إليها .. ولا أسمح لبصري بأن يقع عليها .. ولو مررت عليها مررت مرور الكرام .. فوفِّروا عليكم الصراخ والعيول لمناسباتٍ أخرى خير لكم!

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

هود:88.

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1429/11/03هـ

أبو بصير الطرطوسي

2008/11/01م

حوار الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

حوار الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

منذ زمن ليس بالبعيد يتبنى النظام السعودي مؤتمرات " حوار الأديان " ابتداء بمؤتمر مكة المكرمة .. ومروراً بمؤتمر مدريد .. وانتهاءً بالمؤتمر الأخير الذي انعقد في الجمعية العامة للأمم المتحدة .. والذي ضم كبار ومسؤولي دول العالم .. ولا أظنه آخر المؤتمرات التي ستُعقد حول " حوار الأديان " .. إذ أن القوم عازمون على الاستمرار فيما قد بدأوا به .. وتفعيل ما قد توصلوا إليه .. ولا ندري إلى أين سينتهون!

وقد اختلفت قراءة الناس لهذا الحدث ما بين مباح وطاعن .. والمادحون هم الأكثر والأعلى صوتاً وظهوراً .. فالتبس على الناس كثير من معاني ومعالم الحق مما يجب أن يُعرف .. وأن يستبين .. مما حدا بي للكتابة حول هذا الموضوع؛ موضوع " حوار الأديان " .. كيف نقرأه .. وكيف ينبغي أن نفهمه ونفسره .. وما هي غاياته ومراميه .. وما هي آثاره على حياة وواقع الناس .. وما هو الموقف الشرعي منه .. راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق.

ألخص قراءتي للموضوع، في النقاط التالية:

أولاً: الأنظمة العربية .. والنظام السعودي منهم .. منذ عقود وهي في حرب معلنة مع الإسلام والمسلمين .. يرفضون الإسلام كدين ودولة وسياسة وحكم .. كما يرفضون الحوار مع شعوبهم .. والإصغاء إليهم .. ويجرمون الحوار والمتحاورين .. ومن يُطالبهم بالحوار فغياهب السجون مصيره .. وسجونهم المليئة بالدعاة إلى الله تعالى تحكي هذه الحقيقة الصارخة .. ومن كان كذلك لا يصح له أن يتكلم باسم الإسلام أو ينوب عن المسلمين .. فضلاً عن أن يُحاور الآخرين باسم الإسلام والمسلمين .. ففاقد الشيء لا يُعطيه .. ولو كانوا صادقين في الحوار .. وأنهم يؤمنون بالحوار .. أو يحترموا الحوار .. لتحاوروا أولاً مع شعوبهم .. وتصالحو معهم!

جواز الأديان كيف نقرأه وكيف نُفسرُه

ثانياً: من المقومات الأساسية لإجراء أي حوار .. ونجاح أي حوار .. أن يتصف جميع أطراف الحوار بالحرية الكاملة التي تمكنهم من طرح ما يريدون .. وقول ما يريدون .. وهذا ما تفقده الأنظمة العربية ويفقده حكامها .. والأطراف المحاوره التي تمثلها .. والتي تشعر بالتبعية والعمالة لأمريكا وغيرها من دول الاستكبار والظلم العالميين!

فكيف للعبد المملوك الذي يكون قراره لغيره .. وبيد غيره .. ولبرضي غيره .. والذي يخاف على نفسه أن يُعاقب لو خالف ما رُسم له من قبل سيده .. أن يُحاور حراً .. أو يُحاور سيده؟!

ثالثاً: إن كثيراً من أطراف الحوار .. وبخاصة منها الأطراف التي شهدت المؤتمر الدولي الأخير في الجمعية العامة للأمم المتحدة .. ملطخة أياديهم بدماء عشرات . بل مئات . الآلاف من الأبرياء .. من الشيوخ والنساء والأطفال الرضع .. وآلهم العسكرية الضخمة لم تتوقف عن قتل الأنفس البريئة المعصومة .. حتى في ساعة انعقاد مؤتمريهم الدولي عن حوار الأديان .. كانوا يُمارسون القتل .. والهدم لبيوت الأمنين من المسلمين المستضعفين .. وكانوا يُمارسون حصار شعب بكامله كما في مدينة غزّة البطله الصامدة .. ومن كان كذلك كيف يحلوه أن يُفاوض ويُحاور باسم الأديان؟!

كيف للقتلة المجرمين الذين يُمارسون القتل والإجرام على مدار الساعة وعلى أوسع نطاق، ويُمارسون أسوأ أنواع الإرهاب بحق مئات الآلاف من الأبرياء .. وهم ما إن تهدأ لهم حرب .. إلا ويخططون لحربٍ أخرى .. تلبية لنداء الأحقاد والأطماع في نفوسهم .. كيف لهؤلاء أن يتكلموا عن الحوار بين الأديان .. وعن السلام .. وهم في كل يوم يذبحون بأيديهم السلام ألف مرة ومرة؟!

يذبحون أمة الإسلام والسلام من الوريد إلى الوريد .. ومن أقصاها إلى أقصاها .. ثم يتكلمون عن الحوار .. وعن السلام .. ولو كان عند القوم ذرة من حياء .. لما تجرأوا على الحديث عن حوار الأديان .. ولا عن السلام .. ولكن غاب منهم الحياء .. وصدق فيهم الحديث النبوي: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت!"

حوار الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

رابعاً: يريد النظام السعودي .. ومن سار في فلكه وعلى طريقته من الأنظمة العربية .. من وراء هذه المؤتمرات الداعية للحوار والتقارب بين الأديان .. أن يسجلوا لأنفسهم موقفاً في المجتمع الدولي . خوفاً على كراسيهم وعروشهم . يفيد أنهم ضد الإرهاب .. وأنهم براء من الإرهاب المنبعث من بعض أفراد شعوبهم .. ومجتمعاتهم . والذي هو أثر من آثار حكمهم وظلمهم . فسلخوا من أجل ذلك مسلكاً صعباً .. حملهم على التضحية بثوابت الدين الإسلامي والبراء منها .. فجزموا وأثموا الحق، وحسّنوا الباطل .. عن طريق ما يُسمّى بحوار الأديان .. وهو في حقيقته حوار البراء من الأديان!

خامساً: الحوار من لوازمه وجود شيء يُختلف عليه فيتم حوله الحوار؛ ليُعرف فيه جانب الحق من الباطل .. ومؤتمرات حوار الأديان . كما هو معلّن عنها ويُراد لها . لا توجد قضية للنقاش والحوار .. وهي قائمة على المداينة والكذب والمجاملة والنفاق .. والتنازل من الطرف الذي يمثل زوراً الحديث عن الإسلام .. وعلى مبدأ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم:9. وأتى لحوارات تقوم على هذا الأساس أن تُثمر .. أو تُؤتي أكلها المرجوة .. وقد صدق من وصف هذه الحوارات بأنها حوار الطرشان .. وليس حوار الأديان!

الله تعالى أمرنا بأن نحاور أهل الكتاب .. وأن نتوجه في حوارنا معهم إلى المشكلة الأساس والأعظم بيننا وبينهم .. وأن نخاطبهم الخطاب التالي: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64. فهل حصل شيء من ذلك .. في أي مؤتمر أُعلن حول حوار الأديان .. علماً أن الجميع يتخذون بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. ويشرعون الشرائع التي تعبد العبيد للعبيد ..؟!!

لم يحصل شيء من ذلك .. بل دعا الملك الجاهل القوم إلى الاجتماع على الأخلاق والمثل العليا المتفق عليها بين الجميع .. وترك المختلف عليه إلى يوم القيامة .. ليفصل الرب ﷻ فيما اختلفنا فيه!

حوار الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

إذا كنا سنترك ما اختلفنا فيه إلى يوم القيامة .. فلماذا الحوار إذاً .. ولماذا تُعقد هذه المؤتمرات والمحافل .. ويُنفق عليها الملايين من الدولارات؟!

هذا ما سيعرفُ الجواب عنه في النقطة التالية:

سادساً: الهدف الأكبر من وراء هذه المؤتمرات والحوارات .. تغييب وإلغاء ثقافة وعقيدة الجهاد في سبيل الله، وعقيدة الولاء والبراء عند المسلمين .. وهذا مطلب هام .. ومكسب كبير جداً لو تحقق للعدو .. فهم أشد ما ينتقمون من الإسلام والمسلمين .. عقيدة التوحيد .. وعقيدة الجهاد في سبيل الله .. وعقيدة الولاء والبراء .. وأيما حوارٍ يؤدي إلى تعطيل أو إلغاء هذه العقائد والأسس .. فهم لا يترددون من إجرائه .. والسعي إليه .. وأن يُضحوا في سبيله بالغالي والنفيس .. للمكاسب الضخمة التي تتحقق لهم عندما تُغيب هذه العقائد عن شعور وحياة المسلمين .. والتي من دونها تنسلخ الأمة من دينها .. وتفقد مناعتها وقوتها ومقومات وجودها .. ويكون مثلها مثل بيت مليء بالذهب والجواهر الثمينة .. أبوابه مشرعة ومن دون أقفال .. في وسط من اللصوص والمجرمين وقطاع الطرق!

وجاهل الجزيرة العربية " عبد الله بن عبد العزيز " أراد للأمة . من وراء دعواته المشبوهة إلى حوار الأديان . أن تكون ذلك البيت المليء بالجواهر الثمينة .. لكن من دون حصانة ولا مناعة .. ولا حراسة .. وأبوابه مشرعة من غير أقفال للطامعين .. واللصوص .. من الغزاة المستعمرين! حوار يحقق هذه النتيجة .. لا شك أن جميع أمم الكفر التي تتريص بأمة الإسلام الكيد والشر .. سترحب به .. وتروج له .. وتسعى إليه .. كما حصل في المؤتمر الدولي الأخير الذي دعا إليه جاهل الجزيرة .. الذي إذا تكلم عشر كلمات .. أخطأ في تسعٍ منها!

العدو يرحب بهكذا حوار .. عندما يُشرعن باطلهم وعدوانهم وسطوهم على الحقوق والحرمات .. ويجعل باطلهم وعدوانهم حقاً مشروعاً .. من جملة المسلمات التي لا تقبل النقاش أو الاعتراض!

جواز الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

سابعاً: نقول لجاهل الجزيرة ولن يطبل لمبادراته التحاورية .. ها أنتم ألغيتم وغيبتم القتال في سبيل الله وباسم الله .. فهل الأطراف الأخرى غيبت وألغت أو أوقفت القتال في سبيل الطاغوت .. وباسم الطاغوت!

الناس تموت بالآلاف . في ساحات القتال . في سبيل الطاغوت .. ولأرب وأطماع الطاغوت .. فما أذاكم ذلك .. بل ترحبون به وتحسنونه .. وتكافئون عليه .. بينما القتال في سبيل الله .. هو الذي يريكم .. ويشينكم .. ويؤذيكم .. وتجرّمون أصحابه .. لذا تريدون أن تتخلصوا منه!

الطاغوت يستحق أن يُقتل ويُقاتل في سبيله .. بينما الله تعالى لا تجوز طاعته .. ولا القتال في سبيله .. فهو لا يستحق ذلك كما يستحقه الطاغوت .. كما يزعمون!

صدق الله العظيم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ النساء:76. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي إذا ذكر القتال في سبيل الله وحده ﴿أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ ونفروا واستنكروا واستهجنوا ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ : أي ذكر الطاغوت، والقتال في سبيل الطاغوت ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر:45. ويفرحون!

أراد جاهل الجزيرة العربية . من وراء دعواته إلى حوار الأديان . إلغاء وتعطيل الجهاد في سبيل الله .. لتبقى الأمة في ثباتها وتخديرها وغفلتها عن القيام بواجباتها .. ولتبقى كتلك القصة التي تتكالب عليها الأكلة من كل حذب وصوب .. بينما أمم الكفرمجتمعة هي في قتال مستمر لأمة الإسلام .. ألهم العسكرية لم تتوقف ساعة عن سفك الدم الحرام .. وعن العدوان .. والإجرام!

هلاً طالهم جاهل الجزيرة .. بأن يوقفوا عدوانهم وإجرامهم .. وقتلهم لأبناء المسلمين المستمر .. قبل أن يطالب الأمة بأن تلغي .. وتُغيب .. وتعطل العمل بعقيدة الجهاد في سبيل الله .. الذي به يتحقق للأمة النصر والعزة .. والتمكين .. والمكانة العالية بين الأمم!

ثامناً: من النواميس الثابتة التي فطر الله الأرض ومن عليها .. ناموس وقانون وجود الخير والشر .. وجود الحق والباطل .. ولكل منهما فريقه وأهله وأتباعه ودعاته .. الذي لا يرضى عن أتباع الفريق

جواز الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

الأخر .. كما قال تعالى عن الشيطان وجنده وأتباعه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف:16. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ الحجر:39-40. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ محمد:3. وهما . أي فريقا الحق والباطل . من أجل سلامة الأرض ومن عليها في تدافع وصراع أزلي ودائم .. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. لا يستطيع الملك الجاهل .. ولا غيره من الطغاة أن يعطلوه أو يلغوه . إلا إذا استطاعوا أن يلغوا أحد الفريقين من الوجود وأنى! . وإلا لفسدت الأرض .. وغرقت السفينة .. وهلك الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَيَّجَتْ صَوَامِعُ وَبِعْعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج:40. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة:251. وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء:18. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء:81. وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ الرعد:17. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة:120. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة:217. وغيرها كثير من الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا . أي اقترعوا . على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" البخاري.

حوار الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

لذا نقول: فإن الحوار يُشرع لثني الشر عن شره وعدوانه .. ولإنصاف الحق من الباطل .. والمظلوم من الظالم .. فإن تعثر ذلك عن طريق الحوار والكلمة .. فإن الخيارات الأخرى بما فيها خيار استخدام القوة الرادعة .. موجودة .. وهي مشروعة بالنقل والعقل .. لا يُبطلها إلا جاهل متخاذل .. أو حاقد متحامل على الحق وأهله.

قال الملك الجاهل في مقابلة صحفية سابقة. تناولتها بعض وسائل الإعلام. وتحت عنوان: "ولي العهد السعودي: نعمل لإرساء الديمقراطية الحقيقية، ونأمل في تحقيقها خلال أقل من 20 عاماً؛ ينبغي علينا محاربة الإرهاب بالإرهاب .." هـ. وهذا يعني أن الرجل يؤمن بالإرهاب .. ويمارس جانباً من جوانب ومعاني الإرهاب .. ويحارب الإرهاب بالإرهاب!

وفي كلمته الأخيرة القصيرة. التي لا تتعدى بضعة أسطر. والتي ألقاها في جمعية الأمم المتحدة أمام العالم أجمع، حول حوار الأديان، قال: "إن الإرهاب والإجرام عدوا الله وكل دين وحضارة .." هـ.

وهذا معناه أن الرجل قد شتم وجرّم نفسه؛ لأنه من قوله أعلاه فالرجل يؤمن بالإرهاب .. ويمارس جانباً ونوعاً من الإرهاب .. وقد شتم وجرّم دينه كذلك .. وتحديداً قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال:60. وهو يدري أو لا يدري ..!

كان ينبغي على الملك الجاهل أن يعرض كلمته. التي لا تتعدى بضعة أسطر. على لجنة هيئة كبار العلماء .. ليدققوها وينقحوها له قبل أن يلقيها على مسامع الناس .. لكن عما يبدو بدلاً من أن يفعل ذلك .. فقد أرسل كلمته إلى تركي الحمد .. وغيره من مستشاريه العلمانيين الليبراليين .. ليدققوها وينقحوها له!!

جواز الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

وفي الختام نود أن نقول لهذا الملك الجاهل .. ولغيره من الطغاة الأثمين: مهما إنتمتم .. وتأمتم .. وتجاوزتم .. ومكرتم .. فدين الله تعالى محفوظ .. قد تكفل الله بحفظه .. لا يُضيره كيدكم .. ولا مؤتمراتكم .. ولا حواراتكم .. في شيء!

كم هم الذين من قبلكم الذين تأمروا .. ومكروا .. وتجاوزوا فيما بينهم .. للنيل من عظمة وصفاء الإسلام .. فخاب فآلهم وظنهم .. وانقلبوا خاسئين خاسرين .. فهم إلى حطب نار جهنم وبئس المصير .. يلعنهم التاريخ إذا ما مر على ذكرهم .. بينما الإسلام بقي شامخاً عالياً .. ثابتاً عظيماً .. لا يحس بأثر مؤتمرات المتآمريين .. والمتجاوزين .. فضلاً عن أن يتأثر بها!

وفروا عليكم نفقات تلك المؤتمرات .. فقراء شعوبكم أولى بها .. كم هم الذين أنفقوا قبلكم من الأموال والثروات الطائلة التي لا يمكن إحصاؤها ولا عدها للنيل من صفاء وعظمة الإسلام .. وليصدوا الناس عن سبيل الله .. صراط الله المستقيم .. ثم انقلب ما أنفقوه حسرة عليهم وندامة، ولات حين مندم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الأنفال:36.

والسر في هذا كله معلوم للقاصي والداني .. وهو أن الإسلام هو دين الله .. ودين الله لا يُحارب .. ومن أراد أن يُحارب دين الله .. يعني أنه قد أعلن الحرب على الله .. والله تعالى لا يُحارب .. فهو القاهر فوق عباده .. والغالب على أمره .. يفعل ما يشاء .. لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .. أفلا تعقلون؟!

اعلموا أن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه .. ومن تكفل الله بحفظه فلا ضيعة ولا خوف عليه .. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:9.

أندرون ما معنى ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ ..؟! إنه الله .. إنه الله تعالى .. فمع من تُحاولون أيها الطغاة!!
اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .. عدد خلقك .. ورضى نفسك .. وزينة عرشك .. ومِدَادَ كَلِمَاتِكَ .. كما أنزلت علينا في كتابك، قولك الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

جواز الأديان كيف نقرأه وكيف نفسره

الحجر:9. والتي لولاها لضعنا .. وضاع ديننا منذ زمن بعيد .. فلك الحمد يا ربنا حتى ترضى .. وبعد أن ترضى .. وإلى أن نلقاك وأنت راضٍ عنا برحمتك وعفوك .. وأنت أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1429/11/21هـ

أبو بصير الطرطوسي

2008/11/19م

التفريق بين التناضح والتراجع

التفريق بين التناضح والتراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

كلما هممنا . وغيرنا من الدعاة العاملين الذين لهم سابقة علم وبلاء وجهاد في سبيل الله كأخينا الشيخ أبي محمد المقدسي حفظه الله . بتوجيه نصيحة .. أو ترشيد عملٍ .. أو تصحيح خطأ .. أو تقويم تجربة .. أو توجيه ضالٍ إلى جادة الحق والصواب .. ارتفعت عقيرة العلمانيين الحاقدين .. ووسائل إعلامهم المأجورة الرخيصة .. بالعويل .. والصراخ .. والنباح: انظروا .. افرحوا .. ها هم شيوخ الجهاد قد تراجعوا .. قد انقلبوا على أنفسهم وأديباتهم .. وغيروا .. وبدلوا .. الآن قد عرفوا الحق .. الآن قد عرفوا نصوص الكتاب والسنة .. أين كانوا من هذه النصوص من قبل .. يشككون بولايتهم لدينهم وأمتهم .. وإخوانهم وأبنائهم المجاهدين .. وما يحملهم على هذا الكيد .. والمكر .. والكذب .. والعويل إلا أمرين: **أحدهما:** أن يُحدثوا شُرخاً كبيراً بين المجاهدين .. وبين الشيوخ والعلماء العاملين الناصحين .. أن يُحدثوا إسفيناً عميقاً في الثقة الواجبة والقائمة بين المجاهدين وبين شيوخهم وعلمائهم .. فيحرمون بذلك المجاهدين من الاستفادة والإصغاء إلى نصائح وتوجيهات علمائهم وشيوخهم .. مع مسيس حاجتهم إليها .. وليبقى المجاهدون في الساحة بمفردهم . من دون هدفٍ محدد ولا خطة راشدة . يتخبطون ببعض أخطائهم .. فيكونون بذلك لقمة سائغة للعدو .. وعرضة للهلكة .. والفضل .. والتهكم والسخرية .. من قبل هؤلاء المنافقين المأجورين .. ومن وراءهم من المجرمين الحاقدين!

ثانياً: لكي يمنعوا الشيوخ والعلماء العاملين من أن يقوموا بواجبهم نحو أمتهم وإخوانهم وأبنائهم المجاهدين .. فيُمسكون عن نصحتهم .. وتوجيههم .. وترشيدهم إلى الأصوب .. والأحسن عملاً .. بحيث كلما همّ عالم من العلماء أن يقوم بواجب النصح والتوجيه .. وما يُملي عليه دينه من واجب في بيان الحق .. أمسك .. وتوقف .. وتراجع .. وتردد .. وأثر الصمت .. حتى يسلم عرضه ودينه من التشهير والأذى

التفريق بين التناضح والتراجع

.. وحتى لا تُثار ضده وسائلُ إعلامِ المنافقين المأجورين .. ويرمونه بالتراجع .. والانقلاب .. والتغيير ..
والتبديل!

وهم بذلك أيضاً يحققون ما تمت الإشارة إليه في النقطة الأولى أعلاه .. ليكون الخاسر الأكبر من وراء هذه الهجمة والمكرهم المجاهدون؛ ليحرمونهم من أدنى توجيه أو نصح أو ترشيد .. مع حاجتهم الماسة إلى ذلك!

وقد وُجد . وللأسف . من المسلمين من يُصغي إليهم وإلى إعلامهم الكاذب .. فصدقهم فيما قالوا وأذاعوا .. ففتن البعض .. وتشكك البعض بالمنهج وصحة الطريق .. وهذه نتيجة هي من جملة أهداف ومرامي صخب وكذب هؤلاء المنافقين .. ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوَّزَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء:83.

لذا فقد تعين البيان .. والتنبيه .. والتحذير:

فنقول لهؤلاء العلمانيين .. المنافقين .. المأجورين .. ومَن وراءهم من العدو ممن يتربصون بالأمة الشرِّ والدمار: أنتم واهمون .. هونوا عليكم .. وفروا عليكم الصراخ والنُّباح .. والعيول .. موتوا بغيظكم .. أما هذا التراجع الذي تفترونه من عند أنفسكم .. وتحدثون عنه لغرضٍ خبيث في أنفسكم .. فإننا . والله الحمد . لا نعرفه .. وليس هو من قاموسنا .. ولا أدبياتنا .. ولا تفكيرنا .. ولم نسمع عنه إلا منكم .. ومن إعلامكم الفاجر!

نحن . بفضل الله تعالى . على هذا المنهج والطريق منذ أكثر من ثلاثين عاماً .. لم نجد عنه قيد أنملة .. وفي كل عامٍ .. بل وكل شهرٍ .. وأسبوعٍ .. ويومٍ .. نزداد يقيناً على يقين بأننا على الحق الذي ليس بعده إلا الضلال .. وأتى لمن ذاقَ طعم الحق .. حتى سرى بين شغاف قلبه . ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً . أن يتراجع عنه .. نسأل الله تعالى الثبات وحسن الختام.

اعلموا أن المجاهدين هم إخواننا .. وأبناءؤنا .. وقررة أعيننا .. هم منا ونحن منهم .. يسرنا ما يسرهم .. ويُسيئنا ما يُسيئهم .. نفرح ونُسِرَّ لحسنتهم .. ونُساء ونحزَن لخطئهم .. حزن الوالد الشفيق الرفيق الرحيم بأبنائه .. وإن بدا . أحياناً . لبعض العيان المصابة بالعمى والعمى .. أن فيه نوع قسوة وشدة!

التفريق بين التناضح والتراجع

أما التناصح والتوجيه والترشيد .. فهو بالنسبة لنا دين .. وخلق .. وعقيدة .. ومنهج .. ودعوة
وحياة .. وهو مهمة الأنبياء والعلماء المصلحين عبر التاريخ كله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وما
كان كذلك لا يُمكن أن نتخلى عنه في أي مرحلة من مراحل صراع الحق مع الباطل .. مهما أثرت حولنا
الأراجيف والأباطيل .. سنستمر في القيام بواجب النصيحة للمسلمين بعامته .. والمجاهدين . طليعة
وصفوة الأمة . منهم بخاصة .. وإن سميت ذلك . كذباً وكيداً من عند أنفسكم . تراجعاً .. وتغييراً ..
وانقلاباً .. وتبديلاً في المواقف .. وغير ذلك من مفردات التراجع التي تستخدمونها .. فهذا كله لا يُثنينا .
ياذن الله . عن الماضي فيما نحن عليه .. والقيام بواجب النصيحة والتناصح .. لكل من يتعين علينا
نصحه وتوجيهه .. وترشيده .. فالدين كله النصيحة .. والناس كلهم في خسر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر:3.

وفي الختام نقول لجميع المسلمين، وبخاصة منهم المجاهدين: لا تلتفتوا .. ولا تسمعوا .. لأراجيف
وكذب إعلام هؤلاء المنافقين المأجورين .. ولا تصدقوا لهم كلمة فيمن تثقون فيهم من شيوخكم
وعلمائكم ما لم تسمعوا منهم ومن مصادرهم الموثوقة مباشرة .. سيروا على بركة الله .. رصوا الصفوف
.. لا تدعوا بينكم فرجة للمنافقين المرجفين .. ولا لأقوابيلهم وأراجيفهم .. لا تلتفتوا إلى نباح الكلاب
المسعورة الجرباء .. ولا تُعيروها اهتماماً .. فقافلة الحق تسير .. وكلاب الباطل . على جنباتها . تنبح ..
وتلهث .. واعلموا أن النصر مع الصبر .. وأن مع العسر يسراً .. وأن ما مضى أكثر مما بقي .. فالثبات
الثبات .. والصبر الصبر .. عباد الله .. يرحمكم الله.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء:18.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1429/12/15هـ

2008/12/13م

دروس وعبر ودلالات مُستخلصة من حرب غزّة

دروس وعبر ودلالات مُستخلصة من حرب غزّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد شهدت الأمة . في الأيام القليلة الماضية . حدثاً جليلاً هاماً .. قد ضجّ له الشارع العربي والإسلامي والعالمي سواء .. هذا الحدث الجلل يتمثل في الحرب الشرسة التي شنتها دولة الصهاينة اليهود على أهلنا في قطاع غزّة: غزّة الصبر، والعزّة، والإباء، والجهاد .. والتي استمرت لأكثر من ثلاثة أسابيع متتالية .. مارس فيها الصهاينة اليهود جميع ما يخطر على بال بشرٍ من محظورات وموبقات .. وترجموا فيها عملياً جميع مفردات ومعاني الإرهاب والإجرام .. والتوحّش .. وحدثّ هام جلل كهذا الحدث لا ينبغي أن يمضي هكذا من دون تأمل أو وقفة؛ لنستخلص منه الدروس والعبر التي نستفيد منها لحاضرنا ومستقبلنا .. لذا نجتهد في هذا المقال . بإذن الله . أن نستقري هذا الحدث الجلل الكبير .. والأليم .. وأن نستخلص منه أهم ما يمكن استخلاصه من دروس وعبر ودلالات .. نجملها في

النقاط التالية:

1- أثبت الصهاينة اليهود . وبجدارة عالية . أنهم أمة بلا قيم ولا أخلاق راقية .. وأن أخلاقهم وقيمهم اليهودية تبرر لهم قصد قتل الأطفال والنساء .. وأحبارهم ورهبانهم من الحاخامات اليهودية .. لم تنس حظها من المشاركة في هذا الإجرام من خلال تصدير الفتاوى والتعليمات إلى جنودهم الصهاينة والتي تجيز لهم استهداف أطفال المسلمين .. وتحضهم وتجريهم على قتل الأطفال وهدم البيوت عليهم وعلى أمهاتهم .. لذا كنا نجدهم يطلقون الرصاص على صدور الأطفال ومن مسافات قريبة جداً!

الصهاينة اليهود . بحسب ثقافتهم وقيمهم الدينية . عندما كانوا يقصدون قتل الأطفال .. فإنهم كانوا يعتبرون الأطفال هدفاً مشروعاً وهاماً؛ لاعتقادهم أن هذا الطفل . يقيناً . سيقاتلهم في المستقبل عندما يشب ويقوى على حمل السلاح .. لذا قبل أن يصل إلى هذه المرحلة .. وقبل أن يتمكن من قتالهم .. ويقدر على حمل السلاح .. فهم يبادرون إلى قتله .. وهم يفرحون لقتله كما يفرحون لقتل مجاهد كبير من مجاهدي كتائب القسام!!

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة

2- أثبت الصهاينة اليهود .وبجدارة عالية .أنهم جبناء .. وأن الجبن يسري في عروقهم ودمائهم .. وأنهم أحرص الناس على حياة بما قدّمت أيديهم من سوء؛ أي حياة .. وأياً كان مقدار هذه الحياة .. يحبون الحياة حباً جماً .. وأنهم إذا قاتلوا لا يُقاتلون وجهاً لوجه .. وإنما يقاتلون من وراء جُدُرٍ أو في قرى محصّنة .. ومن هذه الجدر المستحدثة التي يتحصنون وراءها: الدبابات .. والطائرات .. وغيرها من الآليات العسكرية الضخمة المتحركة .. كما قال تعالى عنهم: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر:14. وقال تعالى عنهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة:96. صدق الله العظيم.

3- من الناحية العسكرية .ولله الحمد .فقد خاب فال بني صهيون .. فخسائرهم العسكرية .بحسب الإحصائيات الرسمية .تزيد على خسائر المجاهدين .. وقوة المجاهدين كما هي .. وقدراتهم العسكرية كما هي لم تتأثر في شيء .. ومن قُتل من المجاهدين مخلصاً مقبلاً غير مُدير فهو بإذن الله تعالى شهيد .. والشهيد في الجنة .. وقتلاهم في النار وبئس القرار .. لذا كان الصهاينة اليهود .لعجزهم وجبنهم .يلجأون إلى الانتقام من الأهداف المدنية السهلة .. والمتمثلة في قصف الأطفال والنساء والشيوخ .. وهدم المنازل عليهم .. والتي يُفترض .وفق أخلاقيات الحروب والقتال المتفق عليها بين جميع الشعوب . أن تكون هذه الفئة خارج دائرة الصراع والاستهداف .. لكن جبن .. وإجرام .. وإرهاب بني صهيون .. وخسة أخلاقهم .. تأبى عليهم إلا أن يستهدفوا هذه الفئة الضعيفة .. والتي لا تعني شيئاً في تقدير وتحديد موازين القوى .. وتحديد المنتصر من المنهزم .. فمتى كان قتل الأطفال الرضع مقياساً لتحديد المنتصر من المنهزم؟!

4- دلت هذه الحرب على غياب الصهاينة اليهود غياباً مركباً .. وأنهم يخربون بيوتهم بأيديهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحشر:2. فالصهاينة اليهود لم يخسروا على المستوى العسكري الميداني وحسب .. بل هم .عندما قصفوا الأطفال والنساء بأنهم العسكرية الضخمة .. وقتلوا من أطفال غزة أكثر من 400 طفلاً .. وجرحوا منهم أكثر من 1800 طفلاً

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غزّة

أكثرهم جروحهم بالغة وخطيرة . قد خسروا على المستوى الأخلاقي والإنساني الشيء الكثير .. وهم يحتاجون إلى عشرات السنين لكي يُزيلوا ما لحق بهم من عار ولعنات .. ونظرات ازدراء واحتقار .. تلاحقهم من الشعوب في كل مكان!

المحارب المتحضر العاقل هو المحارب الذي يكسب المعركة على المستوى الأخلاقي الإنساني القيمي .. قبل أن يكسبها في الميدان وعلى المستوى العسكري .. والصهاينة اليهود يقيناً .. وباتفاق جميع المراقبين المنصفين .. قد خسروا المعركة في جانبها الأخلاقي الإنساني .. كما خسروها في جانبها العسكري .. وهناك هيئات ومنظمات إنسانية عدة تلاحق قادتهم كمجرمي حرب.

5- دلت الأحداث أن المجاهدين . وعلى رأسهم كتائب القسام حفظهم الله . قد أخذوا بمبدأ الإعداد قدر استطاعتهم، كما أمر ربهم عزوجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ . ولما فعلوا ذلك . رغم الفارق الكبير والضخم بين أسلحتهم المتواضعة وأسلحة العدو الصهيوني الضخمة .. ورغم الحصار الخانق الذي عاشوه لسنوات عدة والذي قطع عنهم جميع مقومات الحياة . فقد ثبتوا .. ونصرهم الله .. وأظهرهم . بالقليل الذي معهم . على عدوهم .. وفي ذلك عظة وعبرة للأنظمة العربية المهزومة التي تعيش عقدة أن جيش العدو الصهيوني لا يُقهر .. ولا يُهزم .. فنقول لهم: لو توفرت لديكم الإرادة الصادقة .. وصدقتم في الإعداد ببعديه المعنوي الإيماني والمادي العسكري .. قدر استطاعتكم .. لما كان هناك شيء اسمه دولة إسرائيل .. ولما تجرّعت الأمة . بسببكم . الذل والهوان .. والهزائم!

تصوروا لو أن السلطة الفلسطينية العميلة الخائنة .. هي التي تحكم اليوم غزة .. أترون أنها كانت ستصمد يوماً واحداً أمام هذا العدوان الإجرامي .. الذي مارس فيه الصهاينة اليهود أقصى قدراتهم العسكرية .. وبطريقة إجرامية غير أخلاقية!؟

ونحن عندما قلنا . في مقال سابق لنا . أن استيلاء حماس على غزة .. كان خطوة في الاتجاه الصحيح .. كنا نعني ما نقول .. رغم أن البعض قد فهمنا خطأ .. ومنهم من أنكر علينا!

6- من حسنات جهاد المجاهدين في غزة أنهم بجهادهم .. ودمائهم .. وشهيدائهم .. وصبرهم .. قد أحيوا روح الجهاد والشهادة في الأمة .. وفعلوا في أيام معدودات ما لم يفعله مئات الدعاة ..

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة

على مدار عشرات السنين .. وما لم تفعله مئات المؤلفات الإسلامية .. فدماء الشهداء الزكية لا يمكن أن تذهب سُدىً .. فمنها ترتوي الأمة لعزتها ومجدها .. وقوتها .. وبها تحيي .. وتنهض .. فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وهذا يُضاف إلى جملة غباء الصهاينة اليهود .. فهم في حريمهم على غزة .. وأهل غزة .. قد أحيوا في الأمة ما حرصوا على إقامته خلال عقود .. وأنفقوا في سبيل إقامته الغالي والنفيس .. ومشكلتهم اليوم لم تعد محصورة مع مقاومة المجاهدين في فلسطين .. بل تعدتهم لتصبح مشكلتهم مع مقاومة المجاهدين .. والشعوب المسلمة كلها .. في العالم كله .. فشكراً لغيابهم .. ومزيداً من هذا النوع من الغباء!

7- أظهرت الأحداث أهمية الإعداد الإيماني المعنوي .. وأنه لا يقل أهمية . في حسم نتائج المعركة . عن الإعداد المادي العسكري؛ فالمجاهد الموحد الصابر المحتسب .. الذي خلفه شعب مؤمن صابر محتسب .. يكون أكثر ثباتاً في الميدان .. وأكثر صبراً على ألم الجراح .. وعلى المضي نحو الهدف .. وإلى نهايته .. مهما طال أمد المعركة .. أما إن كان العكس .. وقل صبر من خلفه من الناس .. وكثر التفات المجاهد لتأوهات واعتراضات وجزع من خلفه من الشعوب المصابة .. فحينئذٍ يضعف موقفه .. ويؤثر على جودة عمله وعطائه .. ويفت من عضده .. وهذا كان من جملة أهداف العدو عندما كان يستهدف المستضعفين من الأطفال والنساء والشيوخ!

لذا على قادة العمل الجهادي والدعوي في غزة الصبر والعزة والجهاد أن لا يغفلوا عن هذا الجانب الهام .. وأن يُعطوه الأولوية .. ومزيداً من الاهتمام في عملهم الدعوي التربوي .. لاعتقادي أن هذه الجولة بين الحق والباطل ستكرر .. فما هي إلا جولة من جملة جولات قادمة بين الحق والباطل .. ينبغي الإعداد لها جيداً.

الأنظمة العربية التي تغفل عن هذا الجانب الهام .. وتربي شعوبها على اللهو .. والترف .. والرقص والغناء .. وعلى برامج " الترتباً " .. وتتجاهل التربية الإيمانية للشعوب .. فهي أنظمة مهزومة وخاسرة سلفاً .. عند أدنى مواجهة بينهم وبين أي عدوان يتهدهم .. وهي تعمل . عن سابق علم وإصرار. على تسليم الأوطان للعدو .. وعند أول مواجهة!

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة

هذه الأنظمة المهترئة الفاسدة .. لكي تجنب شعوبها الشعور بمآسي وآلام إخوانهم في فلسطين .. وما يحصل لأطفالهم من مجازر .. وتنسبهم واقع أمتهم .. وما يُحَاك ضدها من مجازر ومؤامرات .. وحتى لا يجنح شبابهم إلى العنف وحب الجهاد كما يزعمون .. عيشوا شعوبهم . من خلال قنواتهم الفضائية الفاسدة . مع الرقص والغناء .. والمجون .. واللهو .. والفسوق .. وكأنهم لا ينتمون إلى هذه الأمة .. وليس للمسلمين في فلسطين حقاً عليهم .. وأن ما يجري في فلسطين لا يعنهم في شيء .. فهؤلاء أولاً هم متواطئون مع العدو .. وثانياً فهم يجنون على أنفسهم وأوطانهم وشعوبهم بالشر والدمار .. وهم يعلمون أو لا يعلمون!

الذي أرجوه من شعوبنا .. بعد أن دُبَّ في عروقها حبلٌ من حياة .. أن لا يعودوا مرة ثانية للنسيان .. والخمول .. وما كانوا عليه من اللهو .. واللعب .. قبل حرب غزة .. وكأنه لم يكن شيئاً .. وليعلموا أن من شياطين الأنس من يترىص بكم بكمٍ هائل من البرامج الساقطة الهابطة . باسم الفن والفنانين والفنانات . لكي يقتلوا فيكم هذه الحياة .. وهذه النهضة التي أصابت عزيمةكم .. ودبَّت في عروقكم .. يريدون أن تشيع الفاحشة فيكم .. فالحذر الحذر .. عباد الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
النور:19.

8- إن حقق الصهاينة اليهود في حربهم على غزة نوع إنجازٍ .. وأصاب طرف المجاهدين نوع خسارة وألم .. فسببه الرئيسي الخيانة التي يمارسها بعض من يتكلمون بلغتنا .. من أبناء جلدتنا .. ومن يتأمل تاريخ صراع الصهاينة اليهود مع الأمة .. يجد أن الخيانة . في كثير من المواقع . قد أنقذتهم من هزائم محققة .. كما أنها كانت السبب الرئيسي فيما اكتسبوه من ظفر واستيلاء!

ولكي نكون أكثر تحديداً ووضوحاً في تحديد الخونة العرب .. الذين لهم سهم فيما أصاب أهل غزة من مجازر وآلام .. نحدد بعض الجهات والأسماء .. لتكون الشعوب على بينة منهم ومن شرهم، أبرز هؤلاء الخونة: السلطة الفلسطينية بزعامة الخائن محمود عباس .. والنظام المصري برعاية وزعامة الخائن الطاغية حسني مبارك .. والنظام السعودي برعاية وزعامة الخائن الملك السعودي الجاهل عبد الله بن عبد العزيز .. وليعلم الجميع أن النظام المصري ما كان ليقدّر على أن يقف

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة

هذا الموقف الخائن المتواطئ من القضية الفلسطينية بعامة .. والحرب في غزة بخاصة .. لولا وجود غطاء سعودي .. واتفاق سعودي مسبق على جميع خطوات التواطئ والتآمر!

في الوقت الذي تحرص فيه السعودية أن تفتح على أراضيها المكاتب التمثيلية للعميل الخائن محمود عباس .. وسلطته .. فهي تحرم المجاهدين المقاومين من أدنى تمثيل أو وجود لهم على أراضيها .. وذلك لأن السلطة العميلة قد استجابت للنظام السعودي . من دون أدنى تحفظ . في مبادرته السلمية والاستسلامية مع الصهاينة اليهود .. والتي أطلقوا عليها .. مبادرة السلام العربية .. بخلاف فصائل المقاومة المجاهدة فلم يجدوا منهم هذا التسليم والطاعة .. والانقياد .. لذا فهو يحرص على إضعافها .. وحرمانها من كل شيء بما في ذلك فيز الحج والعمرة .. فقد أبى النظام السعودي أن يعطي شيئاً منها إلى حماس .. ومن ينتمي إلى حماس .. وأعطائها كلها للخائن عباس .. ليبعد الفلسطينيين عن حكومة حماس في غزة .. ويقول لهم: نحن نتعامل مع ممثلكم الوحيد .. وهو الخائن عباس وسلطته!!

يُضاف إلى من تقدم ذكرهم من الخونة والعملاء دول الطوق العربي المحيطة بدولة الصهاينة .. سوريا .. والأردن .. ولبنان .. والتي تقوم بدور الحارس الوفي والشرس .. لحدود دولة الصهاينة اليهود .. ومنذ أكثر من أربعين عاماً .. فهؤلاء لا شك أنهم شركاء في وزر الجرائم والمجازر التي حصلت لأهلنا في غزة.

9- من يتأمل موقف أمريكا .. ومعها دول الغرب النصراني .. من الحرب في غزة .. ومن أطراف النزاع .. يجد أنه لا يخرج عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ المائدة:51. فهذه حقيقة معلومة .. ومسلم بها .. الواقع يصدقها ويظهرها عند كل خلاف أو صراع بين الأمة وغيرها من أمم وملل الكفر .. ومع ذلك يوجد من بني جلدتنا من يشكك في هذه الحقيقة .. ويجادل فيها .. وبما دل عليه النص القرآني .. من أن ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ على الإسلام والمسلمين!

قولوا لي .. واصدقوا أنفسكم في الجواب: أكان الغرب النصراني الصليبي سيقف نفس هذا الموقف المتواطئ الممالي للجزار الصهيوني . الذي ساوى فيه بين الضحية والجزار .. بل جعل الجزار

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة

المجرم المدجج بالأسلحة الفتاكة ضحية من ضحايا الضحية الأعزل . لو كانت هذه القنابل والصواريخ تُرمى على شعب نصراني أعزل؟!

كيف تريدوننا أن نفسر اجتماع جميع الدول الغربية ومعها أمريكا على إمداد العدو الصهيوني المحتل بأحدث الأسلحة الفتاكة والمتطورة .. وفي المقابل يمنعون عن الشعب الفلسطيني المعتدى عليه وعلى أرضه أن يدخل إليه طلقة بندقية واحدة .. ويُحاصرونه براً وبحراً وجواً .. حتى لا تتسرب إليه بندقية واحدة؟!

يجرّمون أن تدخل بندقية واحدة للشعب الفلسطيني المعتدى عليه وعلى أرضه .. بينما في المقابل يمدون المحتل الصهيوني المعتدي والمغتصب للأراضي الفلسطينية .. بأحدث وأطور الأسلحة الفتاكة .. ويعدون ذلك حقاً مشروعاً له!!؟

هل تجدون جواباً عن هذا السؤال .. وهذه الظاهرة الظالمة .. سوى قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .. وفي الحق والباطل سواء .. والعدل والظلم سواء!

يريدون من الشعب الفلسطيني المعتدى عليه وعلى أرضه .. أن يكون بلا مقاومة .. ولا جهادٍ .. ولا سلاح .. ليتمكن العدو الصهيوني . وقتما يشاء . أن يقتل منهم .. ومن أطفالهم ونسائهم وشيوخهم .. ما يشاء .. ويذلهم ويذل قياداتهم بالاعتقال والضرب والشتم .. ومن دون أن يجد منهم أدنى مقاومة!

هذه هي عدالة الأمم المتحدة .. وهذه هي عدالة العدو المحتل .. وهذه هي شريعته .. عندما يكون قوياً!!

10- جنّت هذه الحرب على كثير من المفاهيم السائدة بين الناس .. وأثارت حولها . وحول نوايا أصحابها . مزيداً من الشكوك والشبهات .. أي أن هناك فوضى حول هذه المفاهيم والمصطلحات .. إذ ظهر للناس أن لهذه المفاهيم أكثر من تطبيق وتفسير .. وهي تُطبق على شعب دون شعب .. وفي موضع دون آخر .. ويُكّال بها بمكيالين وأكثر .. وهي في كثير من الأحيان تفقد مصداقيتها .. ومصداقية من يتشدد بها .. وتكون مطية لأغراض وأهداف باطلة، من تلك المفاهيم والمصطلحات: الإرهاب .. والسلام .. والإنسانية .. والعدالة .. والديمقراطية .. والحرية .. والأمن .. وحقوق الإنسان .. وسلطة

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة

القانون الدولي؛ من فوقه ومن يكون تحته .. الأمم المتحدة والغرض من وجودها .. ومدى استقلاليتها وقدرتها على القيام بمهامها بعيداً عن هيمنة قوى الاستكبار العالمية .. وغيرها من المفاهيم التي تُثار لأجلها الحروب .. وتُنتهك الحرمات!

لذا فالشعوب أصبحت في ارتياب شديد نحو هذا المصطلحات والمفاهيم .. ونحو من يستخدمها .. ويستغلها لمآربه وأهدافه الخاصة .. فإذا سمعوا طرفاً يتكلم .مثلاً. عن محاربة الإرهاب .. أسأؤوا به الظن مباشرة، وتساءلوا: أي إرهاب هذا يريد .. هل يريد محاربة الإرهاب بالإرهاب .. هل يريد أن يمارس أشنع معاني الإرهاب باسم محاربة الإرهاب .. هل يريد قتل النساء والأطفال براجمات الصواريخ والدبابات والطائرات .. ويهدم المنازل على رؤوس الأمنيين من ساكنيها باسم وزعم محاربة الإرهاب .. أم ماذا يريد .. وهل هي كلمة حق يُراد بها باطل .. وتميرير باطل .. أم لا .. وغيرها من التساؤلات التي أصبحت تُثار في ذهن الإنسان العادي .. عند استخدام أي مصطلح من المصطلحات الأنفة الذكر أعلاه!

11- دأب الشيعة الروافض أن يستغلوا كل حدث فلسطيني هام .. لعلمهم بمكانة القضية الفلسطينية في نفوس الناس .. ليصدروا إلى المسلمين وبلدانهم التشيع والرفض .. والولاء لآيات وأحبار وساسة قم وطهران .. ومن دون أن يقدموا شيئاً عملياً يُذكر للفلسطينيين والقضية الفلسطينية .. وموقفهم الأخير من حرب غزة لا يخرج عن هذا الإطار؛ فقد أشبعونا شعارات .. وشتماً للدول العربية .. واستعلاءً على حكامها وشعوبها .. ومن دون أن يقدموا شيئاً عملياً يُذكر في مواجهة العدوان الصهيوني .. علماً أنهم يملكون الشيء الكثير؛ فهم يملكون الأسلحة المتطورة والمتقدمة .. التي تصل من طهران إلى تل أبيب .. كما يملكون جبهتين منتشرتين على الحدود مع دولة الصهاينة اليهود .. الجبهة السورية، والجبهة اللبنانية التي يحرسها الحزب الرفض الصفي المسمى .زوراً. حزب الله .. ومع ذلك لم يفعلوا شيئاً .. ولم يحركوا شيئاً .. سوى الدعاية المكثفة للتشيع والرفض .. ولآيات وسياسات التشيع والرفض .. ورفع صور " حسن نصرالله " في المظاهرات والمسيرات .. وعلى المسلمين وبخاصة منهم فصائل الجهاد الفلسطينية .. أن يتنبهوا إلى ذلك .. وأن لا تغرهم الشعارات .. والدعايات .. والحماسيات الزائفة التي يراد منها باطلاً .. وليحذروا أن يتسرب

دروس وعبر ودلالات مُستخلصة من حرب غزّة

الرفض والتشيع إلى فلسطين .. وشعب فلسطين المسلم .. من خلالهم .. وعن طريقهم .. وهم لا يدرون!

12- القضية الفلسطينية قضية عربية إسلامية .. كما هي قضية فلسطينية .. يظهر ذلك في هذا التضامن الإسلامي العالمي العارم مع الحدث في غزة .. هذا التضامن مبعثه النص الشرعي .. الذي يوجب للمسلم حقاً على أخيه المسلم .. وأن المسلمين مهما باعدت بينهم الأقطار والحواجز فهم جسد واحد .. ويد واحدة على من سواهم .. يتداعى الجسد كله بالسهر والقلق والحمى .. إن أُصيب عضو منه بسوء .. ويجعل لكل مسلم حقاً معلوماً في فلسطين .. لا يجوز التفريط به .. وهذا ما ينبغي أن يتنبه له قادة المقاومة والعمل الجهادي في فلسطين .. فيجتهدوا الابتعاد في خطاباتهم وأدبياتهم عن الخطاب الذي يفلسطن القضية .. ويحصر القضية الفلسطينية بالفلسطينيين وحسب .. فيخسروا بذلك بعداً كبيراً وقوياً لا غنى لهم عنه .. طالما العدو حاول أن يُبعدهم عنه .. كما ينبغي الانتباه لهذا المعنى والحق .. عندما يجري قادة الفصائل المجاهدة .. المفاوضات والمعاهدات .. مع طرف العدو .. أو غيره من الأطراف الدولية .. ويعلموا أن لأكثر من مليار مسلم في العالم الحق في كل شبر من أرض فلسطين التي يحصل التفاوض عليها .. وعلى شرعية ملكيتها! إن لم يتحقق التحرير الكامل على أيدينا .. ليس مشكلاً .. لكن المشكلة الكبرى أن نحرم الأجيال القادمة من حقها في الجهاد والتحرر .. ونقيدها بمعاهدات واتفاقيات استسلامية ظالمة ما أنزل الله بها من سلطان .. فالحذر الحذر عباد الله.

13- ما قلناه قبل عشرات السنين .. ولا نزال نقوله .. من ضرورة إزالة وإسقاط هذه الأنظمة الخائنة العميلة الكافرة .. الحاكمة في بلاد المسلمين .. قد تنادت به الشعوب الإسلامية كلها .. وجهرت به بأعلى أصواتها في المظاهرات والمسيرات التضامنية مع غزة وأهل غزة .. بعد أن استفاقت . بفضل حرب غزة . إلى خيانتها وعمالتها .. وكفرها .. وقد وقّع عشرات الدعاة والعلماء على بيان يتضمن كفر وردة هذه الأنظمة الخائنة العميلة.

ونعيد فنقول هنا . ما قلناه من قبل . فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية: لا بد للشعوب المسلمة من أن تقتحم بالقوة حدود دول الطوق التي تمارس دور الكلب الحارس الوفي لدولة بني

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حَرْبِ غَزَّة

صهيون .. هذا إن أرادوا أن ينتصفوا بحق لفلسطين .. ولإخوانهم في فلسطين من ظالمهم الصهاينة اليهود .. أما أن نقتصر. عند كل مجزرة تحصل . على التنديد .. ومناشدة الحكام بأن يفتحوا لنا الحدود .. مع علمنا المسبق بعمالهم وخيانتهم وتواطئهم مع العدو .. وأنهم مع العدو على شعوبهم .. وأنهم لا ولن يفتحوا لنا الحدود .. فهذا أولاً من خوارم العقل .. وهو ثانياً جبنٌ وهروب من المسؤولية والواجب .. لا يليق بالشعوب التي تنشد الحرية .. والعزة .. والكرامة .. وحياء أفضل!

قلنا من قبل . ولا نزال : إن عدم خروج المسلمين على الأنظمة الخائنة الكافرة الحاكمة لهم .. مؤداه إلى أن تدفع الشعوب ضريبة باهظة ومغلظة .. من دينهم .. وعزتهم وكرامتهم .. وعرضهم .. وأرضهم .. وحریتهم .. ومالهم .. هي أكثر بكثير من ضريبة الخروج عليهم .. التي يخوفنا الشيطان منها .. مع أن النقل والعقل يأمراننا بها .. وما نعايشه .. ونراه .. ونسمعه .. يصدق كل ذلك!

الذي أرجوه من الناس .. ومَن وَاكْبَهُم من الدعاة والعلماء .. أن لا يتراجعوا . بعد هدوء طبول الحرب .. وتوقف قذائف المدافع والدبابات . عن قولهم بكفر وخيانة وعمالة هذه الأنظمة الحاكمة .. وأن لا يعودوا ثانية لرمينا بفرية " الخوارج " لقولنا القديم في هذه الأنظمة . والمؤصل بأدلتته الشرعية والعقلية . بما قالوه وهم في غمرة الحماسة والتظاهر والغضب!

14- يعلم الجميع .. كيف كنا جميعاً في الضراء .. وشدة البلاء والمحن .. قريين من الله تعالى .. نتضرع إليه ﷻ بالدعاء .. ونسأله النصر لأهلنا في غزة .. وأن يكشف عنهم الضر والبلاء .. فلا ينبغي إذا جاءت مرحلة السراء .. وانكشف البلاء .. وجاءت مرحلة تقسيم الغنائم .. أن نسهو عن الله تعالى .. وعن هذا القرب .. ونقع في الجفاء والنسيان وكأن شيئاً لم يكن .. فينالنا شيء من قوله تعالى .. ونحن لا ندري: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ الروم:33. لا بد من أن نذكر الله تعالى في السراء ليزكرونا ﷻ في الضراء !!

لا حرج أن يكون هذا النصر الذي تحقق للمجاهدين في غزة منطلقاً لتصالح الناس والفرقاء .. بضوابطه الشرعية .. لكن أيضاً يجب أن يكون أولاً منطلقاً للتصالح مع الله تعالى .. ومراجعة

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّةٍ

ومحاسبة النفس .. والنظر في جوانب التقصير والخلل .. والمناهج المتبعة .. أين هي من الله تعالى .. ومن شرعه.

لا بد لقادة حماس .. وحكومتها .. بعد أن نجاهم الله تعالى من كيد ومكر الكافرين والمنافقين .. أن يكونوا أكثر جرأة في الإعلان عن قربهم من الله .. وعن أوبتهم إلى الله .. وعن توبتهم لله .. وعن تحاكمهم إلى شرع الله تعالى في جميع شؤون الحكم والحياة .. ورد كل ما يخالفه من شرائع الهوى والجاهلية.

لا بد . وهم يعلمون أن النصر من عند الله تعالى وحده .. وأن لا أحد يكشف الضر عنهم إن نزل بهم إلا الله تعالى وحده . من أن يكونوا أكثر اعتداداً واعتزازاً بالله ﷻ؛ فيوالون فيه .. ويُعادون فيه .. ويربوا أنفسهم وشبابهم على الولاء والبراء في الله .. والحب والكره في الله .. لا يخشون في الله لومة لائم .. فإن خافوا عيلة .. فالله الغني .. بيده الملك .. يغنيهم من فضله إن شاء.

إن مثل هذه المراجعة والمحاسبة ضرورية .. وهامة جداً .. وهي سبب من جملة الأسباب التي يتنزل بها النصر والتمكين على المسلمين .. فإن لم نفعَل .. ثم دعونا الله تعالى في الضراء .. ولم يستجب لنا .. فلا نلومنَّ حينئذٍ إلا أنفسنا.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ كل هذا الخير والعطاء مقابل تحقيق ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ النور:55. وبالتالي فعلى جميع المسلمين .. جماعات وأفراد .. وأحزاب .. أن يسألوا أنفسهم أولاً هذا السؤال .. قبل أن يتساءلوا عن النصر والتمكين .. أو أن يستبطنوا النصر والتمكين .. هل حققنا في أنفسنا .. وحياتنا .. ومناهجنا .. بصدق وإخلاص .. قوله تعالى ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾!؟

15- لا خلاف ولا جدال على أهمية القضية الفلسطينية بالنسبة للمسلمين .. كل المسلمين أينما وجدوا .. لكن يحزنني جداً أن لا نغضب لحرمت ودماء المسلمين في أفغانستان أو الصومال أو العراق .. أو الشيشان .. وغيرها من البلدان التي يُسام فيها المسلمون سوء النذل والعذاب .. كما نغضب لحرمت ودماء المسلمين في فلسطين .. علماً أن المسلمين جميعهم . على اختلاف لغاتهم

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حَرْبِ غَزَّة

وألوانهم وأجناسهم وأقطارهم . متكافئون في الحرمة .. والحقوق والواجبات .. فلا فرق ولا فضل لعربي على أعجمي .. ولا لأعجمي على عربي .. ولا لأبيض على أسود .. ولا لأسود على أبيض .. إلا بالتقوى والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:10. كل المؤمنين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم وأقطارهم .. فهم أخوة.

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ فلام التعريف تفيد الاستغراق والشمول؛ أي كل المؤمنين والمؤمنات على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم وأقطارهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة:71. ولا يجوز أن يكونوا غير ذلك.

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدُّ على من سواهم، يردُّ مُشدُّهم . أي قويمهم . على مُضعفهم، ومُتسرِّعهم . أي مجاهدهم . على قاعدهم" [صحيح سنن أبي داود:2391].

وقال ﷺ: "المؤمن " أياً كان هذا المؤمن، وكانت لغته، وجنسيته، أو كان لونه وموطنه " من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لما يُصيب أهل الإيمان، كما يألم الرأس لما يُصيبُ الجسد" [صحيح الجامع:6659].

وقال ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً " أياً كان هذا العضو .. وأياً كانت لغته وجنسيته .. أو لونه وموطنه " تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى " متفق عليه.

وقال ﷺ: "المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله" مسلم. وغيرها كثير من الأحاديث التي تدل على أن المسلمين على اختلاف ألوانهم وأوطانهم وجنسياتهم ولغاتهم .. أمة واحدة .. وجسد واحد .. ويد واحدة على من سواهم .. لهم نفس الحرمة .. والحقوق والواجبات .. فلا فرق ولا فضل لأحدٍ منهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح .. ولا شك أن الأمة برمتها لما تفيق جيداً لهذا المعنى .. وتوفيه حقه .. فإن النصر حينئذٍ سيكون حليفها .. وأقرب إليها من أي وقت آخر.

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حَرْبِ غَزَّة

وفي الختام أقول لقتلانا وجرحانا ومجاهدينا في غزاة العزة، والصبر، والجهاد: تقبل الله طاعتكم وجهادكم .. وغفر الله لنا ولكم .. وجعل ما نزل بكم من مصاب وبلاء .. كفارة وطهوراً لذنوبكم .. ورفع لكم في الجنان .. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء:88-89.

لا تحزنوا يا أخوتي .. فإن كنتم تألمون فإنهم يألمون كما تألمون .. لكن نحن نرجو من الله تعالى ما لا يرجون .. فالله ولىنا ولا مولى لهم .. وقتلانا . بإذن الله . في الجنة .. وقتلهم في النار .. وبئس المصير .. فاحتسبوا واصبروا .. واحذروا أن تُروا العدو منكم جزءاً .. فتُفْرِحوه!
على ما نزل بأطفالكم ونسائكم وشيوخكم من مصاب جلل .. ألمنا كما ألمكم .. وساءنا كما ساءكم .. إلا أنكم انتصرتم بفضل الله تعالى على العدو مرات ومرات: انتصرتم عليه لما نلتم من جنده وعسكره أكثر مما ناله من مجاهدينا وأبطالنا.

وانتصرتم لما أفضلتم وأبطلتم جميع مخططات وأهداف العدو .. وهو لم يحقق شيئاً منها سوى الاعتداء على الأطفال والنساء .. وهدم البيوت عليهم .. بئس هذا الإنجاز لو كانوا يستحون!
انتصرتم لما عرَّيتم بجهادكم وصبركم الخونة المنافقين من أبناء جلدتنا ممن يتكلمون بلغتنا .. وعرَّفتهم الأمة عليهم وعلى شرهم وخيانتهم وعمالتهم.

انتصرتم لما عرَّفتهم الجيوش العربية التي تستقوي على شعوبها . والمعدة لقمع ومحاربة الشعوب .. بينما في الحروب مع العدو .. فهي نعامة تفر من صفير الصافر . أنه بشيء من الإرادة الصادقة لو توفرت .. يمكن أن يُهزَم العدو .. وأن يحققوا لأمتهم الشيء الكثير .. لو كانوا صادقين!
انتصرتم لما أحييتم بجهادكم وصبركم وتضحياتكم .. الجهاد في الأمة .. وبعثتم في عروقهها الحياة .. والعزة .. والأمل.

انتصرتم بجهادكم وصبركم .. لما وضع الله لكم القبول والثناء الحسن .. على السنة أكثر من مليار مسلم في الأرض .. كلهم يدعون لكم .. ويذكرونكم .. بالخير .. والصمود .. والثبات .. وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "أيما مسلم شهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة ."

دروس وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّةٍ

فقلنا: وثلاثة؟ قال ﷺ: "وثلاثة". فقلنا: واثنان؟ قال ﷺ: "واثنان"، ثم لم نسأله عن الواحد.

البخاري. فكيف بمليار مسلم .. كلهم يلهجون بالدعاء لكم .. والثناء عليكم خيراً؟!!

انتصرتُم بجهادكم وصبركم .. لما اصطفى الله منكم شهداء .. وهي منزلة لا ينالها إلا من أحبه

الله تعالى .. فالمسلم المجاهد بين نصرين وفوزين .. وخيرين عظيمين .. لا ثالث لهما: نصراً على العدو .. أو نصراً وفوزاً بالشهادة .. وكلاهما خير عظيم.

فهنئناً لكم انتصاراتكم .. وهنيئناً لكم جهادكم وصبركم .. وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال

.. وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1430/01/23هـ

أبو بصير الطرطوسي

2009/01/20م

ضوابط وصفات البحث الناجح

ضوابط وصفات البحث الناجح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: ما هي ضوابط وصفات البحث الناجح ..؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. البحث الناجح لا بد أن يخضع للضوابط والصفات التالية:

أولاً- الإمام بمفتاح وسر البحث:

لكل بحث مفتاح أو سر .. وهو يُدرك من خلال الاستقراء لجميع النصوص والأدلة ذات العلاقة بموضوع البحث .. هذا الاستقراء يتم بعد تحليل دقيق ومفصل للأدلة النقلية والواقعية ذات العلاقة بموضوع البحث .. هذا المفتاح أو السريكون بمثابة النقطة المركزية والأساس لموضوع ونقاط البحث.

ثانياً- إنصاف البحث أو المسألة:

لإنصاف أي بحث أو مسألة يُراد بحثها يجب الإمام بأمرين:

1- الإمام بأدلة البحث النقلية .. ونعني بالأدلة النقلية: الأدلة من الكتاب والسنة .. وأقوال الصحابة .. والتابعين لهم من العلماء العاملين.

2- النظر الدقيق في واقع المسألة أو البحث .. ومن ثم النظر الدقيق في مدا تطابق الأدلة النقلية على هذا الواقع .. والتقصير في أحدهما أو كلاهما مؤداه إلى الوقوع في الخطأ .. وانحراف الباحث عن موضوع بحثه.

ثالثاً- صفات البحث الناجح:

1- أن يواجه البحث مشكلة عامة ملحّة؛ ونعني بالعامة أنها تعني شريحة كبيرة من الناس ويلامس حياتهم وواقعهم .. وكلما كان البحث يعني شريحة أكبر من الناس كلما يكون ذلك دليلاً أكبر على جودته ونجاحه وأهميته. ونعني من كلمتنا ملحاً؛ أي أن هذه المشكلة التي يناقشها البحث مستعجلة لا بد من علاجها بأقرب وقت ممكن، لا تقبل ولا تحتل التأخير.

ضوابط وصفات البحث الناجح

2- أن يتضمن البحث تشخيص الداء والدواء في آنٍ معاً؛ حيث كلما كان التشخيص . للداء والدواء . قوياً ودقيقاً كلما كان علامة على جودة البحث ونجاحه .. أما الاقتصار على تشخيص الداء من دون تشخيص الدواء والعلاج .. فيقلل من قيمة وجودة البحث جداً .. ويكون مثله كمثّل من يقول للمريض أنت مريض .. ويكرر عليه كلمة مريض .. مريض .. من دون أن يدلّه أو يُعرّفه على الدواء وطرق العلاج .. أو كمن يشير ألف مرة للظلام بأنه ظلام من دون أن يُضيء شمعة واحدةً يبدد بها ذلك الظلام!

ومن تشخيص الدواء تسجيل التوصيات والاقتراحات التي تساعد على معالجة الداء والمشكلة. (كأن تقول: أوصي بكذا، أقترح كذا). ويكون ذلك في نهاية البحث وبعد تشخيص وتوصيف الداء.

3- أن يتضمن البحث جديداً . من حيث المضمون أو الشكل أو بهما معاً . لم يُسبق إليه الباحث من قبل؛ أي لا يكون تكراراً للمكرر .. فالبحث كلما كان يتضمن جديداً .. وكانت نسبة الجديد فيه كبيرة .. كلما كان أقرب للنجاح والقبول.

4- مدى التفاعل الشخصي للباحث مع موضوع البحث؛ حيث كلما كان الباحث متفاعلاً مع موضوع بحثه ويحبه كلما كان التوفيق أحظى لموضوع بحثه، وكان البحث ناجحاً، فإن لم يكن متفاعلاً مع موضوع بحثه . حتى لو كان موضوع البحث هاماً . فالعطاء حينئذٍ يكون ضعيفاً .. وتأتي النتائج بخلاف المتوقع وبطريقة غير مرضية.

خاتمة: في الختام يستحسن للباحث الجاد والملتزم أن يوجه لنفسه . عند انتهائه من كل بحث أو موضوع . الأسئلة التقييمية التالية:

ما هي الفوائد المرجوة من هذا البحث .. ومدى أثره ونفعه على الناس .. وهل استطعت في بحثي هذا أن أحقق تلك الفوائد المرجوة منه أم لا .. وهل وصلت الرسالة من البحث للمعنيين منه بصورة واضحة سهلة مبسّطة من غير اختصار مُخل ولا تطويل ممل أم لا .. وهل يتسم البحث بالغموض أم بالصراحة والوضوح .. وهل أجبت فيه عن جميع أسئلة واعتراضات وشبهات القارئ

ضوابط وصفات البحث الناجح

التي يمكن أن تتشكل من جراء قراءته للبحث أم لا .. وعلى ضوء ذلك يستطيع الباحث أن يحكم على مدى نجاح بحثه قبل أن يحكم عليه الآخرون.

على الباحث الناجح أن يعلم أنه ليس مهماً أن يقول أو يكتب .. أو أن يُسوّد عشرات الصفحات وحسب .. وإنما المهم أن يقتنع أنه أقنع المعنيين من بحثه فيما كتب أو قال .. وأقام عليهم الحجة في موضوع بحثه .. التي لا مناص لهم من قبولها.

. هذا ما أفادني به الشيخ الوالد مشافهةً كجواب عن السؤال المدون أعلاه، وكان ذلك بتاريخ

2008/12/25 الساعة 2:20 بعد منتصف الليل .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى

الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سؤال آخر: كيف نقرأ قراءة بحثية ... وكيف نكتب بحثاً؟

هذا السؤال الهام تتم الإجابة عنه . إن شاء الله . لاحقاً .. ونرجو أن يكون قريباً!

ولاء عبد المنعم مصطفى حليلة

. ملاحظة: سيُضاف . إن شاء الله . هذا الجواب كملحق في نهاية كتاب " مذكرة في

طلب العلم " .

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرفض

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرفض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

أدرك الشيعة الروافض .. تخلف خطابهم الديني .. وأنه بحكم مخالفته للنقل والعقل .. قد فقد تأثيره على الناس .. بل هو خطاب منقّر .. ترفضه ذوي الفطر والعقول السليمة .. لا يمكن الإصغاء إليه لو ابتدأوا به الناس .. وبالتالي لا بد لهم من منهج جديد يمكن الإصغاء إليه .. ويكون سبباً في رفع أسهمهم وإقبال الناس عليهم .. ومن ثم يكون سبباً في ترويج التشيع والرفض بين الناس، وبخاصة في المناطق والبلاد التي تُعرفُ بجهل أهلها بعقيدة التشيع والرفض .. وجهلهم بما يضمه الشيعة الروافض من كيد وشَرِّ على الأمة، والإسلام والمسلمين، وبخاصة منهم الرعيل الأول من الصَّحْبِ الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

فما هو هذا المنهج الجديد المتَّبَع لديهم في تصدير التشيع والرفض، وبسط نفوذهم في بلاد

المسلمين ..!؟

يتلخص هذا المنهج في النقطتين التاليتين:

أولهما: اعتماد الخطاب السياسي الحماسي .. القائم على الندية لأمريكا ودول الغرب .. ومن ذلك تصريحات قادة قم وطهران التصعيدية الاستعلانية .. ذات العلاقة بالقضية الفلسطينية .. والتي تستميل الشعوب العربية والإسلامية، وتدغدغ مشاعرهم وعواطفهم!

لقد أدرك قادة التشيع والرفض في قم وطهران فاعلية هذا الخطاب والأسلوب .. وأنه كفيل بأن يصرف وجوه وقلوب الناس إليهم .. وإلى سياساتهم .. ومن ثم إلى التشيع والرفض .. ليكتمل لهم ولاء الناس .. والتي تُعد المرحلة الأخيرة ما قبل التدخل السياسي والعسكري والطائفي المباشر .. بشؤون المسلمين .. ودينهم .. وبلادهم .. وقد نجحوا .. وتحقق لهم الكثير من ذلك في عدد من البلاد العربية والإسلامية!

أدرك قادة التشيع والرفض .. أن تصريحاً سياسياً حماسياً واحداً في مؤتمرٍ أو تجمعٍ دولي .. يدغدغ مشاعر الشعوب المقهورة والمعتدى عليها من قبل أمريكا وحلفائها .. ولو كان كذباً ونفاقاً ..

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرفض

أفضل لهم .. وهو أبلغ أثراً . من جهة تصدير التشيع والرفض . من نشاط ودعوة مئات الآيات من رجال دينهم . على مدار عشرات السنين . وهم يدعون إلى التشيع والرفض بطريقتهم التقليدية^[47] .

لذا نلاحظ بين الفينة والأخرى .. بعض قادة آيات قم وطهران .. ومعهم عميلهم وصنيعتهم المدلل حزب الله اللبناني .. يصرحون . مجرد تصريح . بأنهم سيزيلون إسرائيل من الوجود .. وأنهم مع الفلسطينيين في جهادهم ضد الصهاينة اليهود .. وأنهم يشككون بحصول الهيلوكوس لليهود .. وأحياناً يُصعدون اللهجة ضد أمريكا ودول الغرب .. والإمبريالية .. وقوى الاستكبار .. ليشغلوا الإعلام بالدعاية لهم ولطائفهم .. ثم كلما خبا تصريحٌ وذهب صدهاء .. وقلّت فاعليته .. أتبعوه بتصريح .. بل وتصريحات جديدة .. حماسية .. عن الصهاينة .. والإمبريالية .. وقوى الاستكبار .. ليبقى الناس في ذكركم .. ومدحهم .. ومحل إعجاب بهم .. لعلمهم أن إعجاب الناس بهم وبسياساتهم .. هي الخطوة الأولى والأساس نحو تشيع هؤلاء الناس وإضلالهم عن دينهم!

كم من مثقف مشهور . من بني جلدتنا . بهرته السياسة الإيرانية الرفضية .. الأنفة الذكر .. لا يقبل أي كلمة نقد تُقال عن الشيعة .. والتشيع والرفض .. لزعمه أن هذا النقد سيصب في خانة العدو الإمبريالي والصهيوني .. الذي تتصدى إيران لمواجهته .. وهذا مطلب هام من مطالب آيات وأخبار قم وطهران .. طالما سعوا لتحقيقه!

وهم . كطائفة قائمة على التّقية والتلون والكذب . لا يفوتهم في المقابل .. أن يصرح فريق آخر منهم .. بتصريحات مضادة ومخالفة لتصريحات الفريق الأول الذي يتبنى سياسة التصعيد والمواجهة مع الإمبريالية .. فيصرحون بأنهم لا يريدون إزالة دولة إسرائيل .. وأنه لا توجد مشكلة لهم مع الإسرائيليين .. ويعترفون بضحايا اليهود في الهيلوكوس .. وضرورة الانفتاح والتفاهم مع

⁴⁷ من يلاحظ الحوارات والمناظرات التي تُعقد عبر بعض وسائل الإعلام عن الشيعة والتشيع .. يجد أن دور الطرف الشيعي الرفضية المحاور محصور ومقصور على المقاطعة والتشويش على الطرف الآخر المحاور لهم .. حتى لا يتمكن الطرف الآخر المخالف لهم من تمرير رسالته بصورة صحيحة هادئة وواضحة .. فيمتدي الناس إلى الحقيقة .. فهم يدخلون في الحوارات والمناظرات مع الآخرين من أجل ذلك وحسب .. وليس من أجل إبراز ما عندهم من حق مقنع موافق للنقل والعقل .. لأنه لا يوجد عندهم شيء من ذلك!

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرّفص

أمريكا والغرب .. يُعرّفون على أنفسهم بأنهم ليبراليون وانفتاحيون .. بخلاف المحافظين من الفريق الأول .. ولكلٍ منهما دوره المرسوم .. الذي لا يمكن أن يخرج عن توصيات وتعليمات مرشدهم خامنئي نائب الإمام الغائب .. كما يزعمون .. ليهدئوا من روع أمريكا ودول الغرب .. وليقولوا لهم: تصريحات الفريق الأول التصعيدية .. إنما هي تكتيكية واستهلاكية .. للضحك والاحتفال على الشعوب الضالة الجاهلة .. ومن أجل مآرب مذهبية وثقافية خاصة كما يُسمونها .. أما في الحقيقة .. فنحن وإياكم أصدقاء .. وحبائب .. ويد واحدة على من سوانا .. وهناك عوامل استراتيجية هامة تجمعنا .. منها: التحالف الاستراتيجي ضد أي عمل إسلامي جهادي راشد .. يستهدف استئناق حياة إسلامية راشدة .. يهدد مصالحنا ومصالحكم في بلاد المسلمين .. بزعم التعاون على مواجهة الإرهاب والإرهابيين! وإلا فقولوا لي: كيف نوفق بين خطابهم العدائي لأمريكا المزعوم .. وهم في نفس الوقت يتحالفون مع أمريكا .. ومع حلفاء ورجال أمريكا . ككرزاي أفغانستان وزردار باكستان . ضد المسلمين المجاهدين .. الذين يُجاهدون ويُقاتلون الأمريكان في أفغانستان والعراق .. والباكستان .. وغيرها من المناطق!

قولوا لي: كيف نوفق حصر مشكلة أمريكا ودول الغرب مع إيران .. حول مشروعها النووي وحسب .. وما سوى ذلك من الملفات الساخنة في المنطقة فهم في قمة التفاهم والتآلف، والتعاون .. وأمريكا من أجل هذا التفاهم والتعاون حول تلك الملفات الساخنة والهامة بالنسبة لأمريكا ودول الغرب .. نجدها . أي أمريكا ومعها دول الغرب . لا تقوى .. ولا تريد أن تمارس مزيداً من الضغط والعقوبات ضد إيران .. وإيران تُدرك ذلك .. لذا فهي ماضية في مشروعها النووي إلى نهايته .. إلى أن تُصنّع القنبلة الذرية . هذا إن لم تكن قد صنعتها وانتهت . من دون أن تبالي أو تكثرث للمجتمع الدولي .. ونداءاته!

إيران تحرص على استمرار الحرب في أفغانستان إلى أكبر زمن ممكن .. وعلى إشغال أمريكا ومعها المجتمع الدولي في المستنقع الأفغاني .. كما شغلهم من قبل . ولا تزال . في المستنقع العراقي .. وذلك لأسباب عدة:

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرفض

منها: حماية طائفة الهزارة الرفضية الموجودة في أفغانستان .. وتضخيمها وتكبيرها .. وتقويتها .. وتعميق دورها كأقلية في قيادة أفغانستان والحياة الأفغانية .. وهذا يحتاج إلى زمن .. وإلى وجود

القوات الدولية التي تحمي هذه الطائفة بطموحاتها ومخططاتها ومآربها!

ومن هنا: أن تقوية طائفة الهزارة .. وتكبيرها .. وتمكينها من البلاد والعباد .. يُعطي لإيران فرصة حقيقية وعملية للتدخل بصورة مباشرة أكثر في الشأن الأفغاني .. كما يُعطيها فرصة قوية على تصدير مذهب التشيع والرفض إلى الساحة الأفغانية .. مستغلة ضعف .. وحاجة .. وفقر الناس .. وهذا لا يمكن أن يتحقق لها إلا مع استمرار الحرب في أفغانستان .. ومع استحمار المجتمع الدولي في المستنقع الأفغاني .. للمآرب الإيرانية!

ومن هنا: إشغال المجتمع الدولي .. وإلى درجة الإنهاك .. في المستنقع الأفغاني .. كما أنهكته من قبل في المستنقع العراقي .. عن مشروعها النووي العسكري الاستراتيجي .. ولكي يتحقق لإيران ذلك فهي تقدم للمجتمع الدولي كامل التعاون والتسهيلات المعلوماتية وغيرها .. لتعمق غرق المجتمع الدولي في المستنقع الأفغاني .. ولكي تضطر المجتمع الدولي . في النهاية . إلى أن يستغيث بها .. وبمساعدهاتها الضرورية .. وهو يُمارس عملية الإغراق .. والإنهماك .. والضياع .. لكن هذا لن يكون من دون ثمن .. منه تمرير المشروع النووي العسكري!

ومن هنا: قتل المسلمين السنة .. وتفجيرهم .. وتجهيلهم .. ووأد أي أمل أو عمل إسلامي راشد يستهدف قيام دولة راشدة لهم .. قد تكون عقبة أمام التوسع والطموحات الإيرانية الشيعية في المنطقة والعالم .. وهذا جميل بالنسبة لإيران أن يتم على يد غيرها .. على يد المجتمع الدولي .. وبخاصة منه راعية الكفر والإرهاب أمريكا .. ومن دون أن تتكلف هي بخسارة أي شيء!

وبتعبير آخر .. فإن إيران الصفوية قد نجحت في استحمار المجتمع الدولي .. وفي استخدامه كطنبر لمآربها السياسية والطائفية والعسكرية .. في كلِّ من العراق وأفغانستان .. كما نجحت من قبل ولا تزال .. في استحمار واستخدام بعض شيوخ السنة المغفلين المهورين بالسياسة الصمودية لإيران وعميلها المدلل في لبنان .. كطنابر في تصدير التشيع والرفض إلى بلاد المسلمين!

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرفض

هذا الدور الخبيث .. القائم على التلون والتذبذب .. والكذب والنفاق .. والتقية .. أدركه قادة وآيات شيعة العراق .. وبتنسيق مع آيات الرفض والتشيع في قم وطهران .. حيث أن فريقاً منهم يسير ظاهراً وباطناً في العمالة مع الغزاة الأمريكيان .. وفريق آخر يحسب حساب العواقب والمآلات .. يسير ظاهراً . لا باطناً . ضد الغزو الأمريكي .. ويزعم تأييده للمقاومة .. ويُخرج المظاهرات السلمية في الشوارع .. التي يهتفون فيها .. لا .. لا .. لأمریکا!

حقاً يصدق فيهم المثل القائل: يقتلون القتيل .. ثم يخرجون في جنازته .. كما فعلوا من قبل: فقتلوا الحسين عليه السلام .. ثم بكوا عليه .. يخونون .. ويتعاملون مع العدو .. ضد الأمة وأبنائها .. ثم في المقابل يصبحون . في الظاهر للاستهلاك المحلي . لا .. لا .. للعدو .. نعم .. نعم .. للمقاومة!!
دينهم القائم على التَّقية .. والتلون .. والكذب والتكذيب .. يسمح لهم أن يمسكوا العصا من وسطها .. وأن يقفوا في المنطقة الرمادية .. وفي أي منطقة شاؤوا .. مذبيين بين ذلك؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. وهم دائماً أقرب للفريق الذي يحقق مصالحهم ومآربهم الطائفية الرفضية بصورة أكبر .. لذا كانوا عبر تاريخهم كله الحافل بالخيانة والغدر والتآمر .. مع العدو .. ومع الغزاة المعتدين .. على الأمة .. ودينها .. وأبنائها!

ثانياً: أدرك قادة وآيات التشيع والرفض أن أي دعوة يُراد تصديرها للآخرين .. ويُراد لها أن تسود في البلاد وبين العباد .. لا بد من أن تُحاط بسياج من القوة الحقيقية .. التي تزيل العقبات أمامها .. وتردع من يفكر في أن يقف عقبة أمامها .. وتُجبر الآخرين على احترامها^[48].

⁴⁸ قد تحقق لإيران كثير من ذلك فما هي تُقيم في كثير المجتمعات الإسلامية السنية الحسينيات القائمة على اللطم .. والظعن .. والهدم .. من دون أن ينكر عليها أحد .. لعلم المُنكر أن وراء هذه الحسينيات قوة قد تطاله أو تؤذيه .. حتى بتنا نجد لهم تجمعاتهم .. التي يمارسون فيها طقوسهم الشركية في ساحة حرم المسجد النبوي .. والنظام السعودي لا يجرؤ أن يُنكر عليهم .. لعلمه أن وراءهم دولة نووية أو تكاد أن تكون نووية .. ترعاهم وتُقاتل دونهم .. ولما حصلت نوع مصادمة بينهم وبين بعض الشبان المسلمين في ساحة الحرم النبوي .. لم يجرؤ النظام السعودي على توقيفهم ومحاسبتهم .. ومن أوقفه منهم .. سرعان ما أطلقوا سراحه .. بينما هناك دعاة وعلماء أفاضل من علماء الإسلام .. مغيبون في غياهب سجون النظام السعودي منذ سنوات عدة .. يُسامون فيها النذل والعذاب .. ولا أحد يجرؤ أن يُطالب بالإفراج عنهم!

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرفض

كما أدركوا أن الشعوب المقهورة .. المستضعفة المغلوب على أمرها .. كما هو حال غالب الشعوب الإسلامية . لا يمكن أن تلتف إلا حول قوي تعتقد فيه أنه يمكن أن يسترد لها بعض حقها .. وكرامتها .. فالباطل القوي يحقق من السيادة والتمكين .. والهيمنة في الأرض .. مالا يحققه الحق الضعيف .. المستضعف .. وهي بعد أن يتحقق لها هذا الالتفاف وهذا التمكين .. يسهل عليها جداً تصدير التشيع .. وتشجيع الناس .. ومن لا يأتي معهم . حينئذٍ . بالترغيب والإغواء .. يأتون به بالترهيب والإكراه!

أدرك قادة وأيات وأحبار الرفض والتشيع هذه الحقيقة .. لذا هم منذ أن قامت ثورتهم في إيران .. وهم في انهماك وعمل دؤوبين لا يتوقفان .. من أجل تطوير برامجهم التسليحية والعسكرية .. إلى درجة أنهم وصلوا إلى مرحلة تصنيع القنبلة النووية .. إن لم يكن قد صنعوها وانتهوا منها .. لكن لم يحن وقت الإعلان عنها^[49].

عُرِضَتْ على إيران من قِبل المجتمع الدولي جميع العروض والإغراءات .. والامتيازات . التي لا تحلم بها دولة من دول المنطقة . مقابل أن تُوقف نشاطها النووي العسكري .. فأبَتْ ورفضت .. كما أنها استهانت واستخفت بجميع التهديدات الموجهة لها .. رغم انعكاساتها السلبية على المستوى المعيشي لأفراد شعبيها .. وذلك لشعورها بأهمية المشروع النووي لها كدولة شيعية تسعى لبسط نفوذها ومذهبيها في المنطقة . وتطمح في أن تُعيد أمجاد الدولة الصفوية من جديد . والتي من دونها لا يُمكن أن تُحقق من ذلك شيئاً!

إيقاف المشروع النووي العسكري الإيراني .. يعني إيقاف التوسع والتمدد الشيعي الرافضي .. ويعني إيقاف تصدير الثورة الإيرانية ومذهبيها الرافضي الشيعي إلى دول المنطقة .. وهذا من المستحيل على دولة عقائدية طائفية لها طموحاتها المتعددة في المنطقة .. كإيران .. أن ترضى به ..

⁴⁹ من أجل ذلك نجد أن إيران حريصة جداً على تسليح ربيبتها المسمى بحزب الله اللبناني .. التسليح الذي يُضاهي ويزيد على سلاح وقوة الدولة التي ينتمي إليها .. بل ويزيد على قوة وسلاح كثير من دول المنطقة .. حتى أصبح الحزب رقماً يصعب تجاوزه .. تستخدمه إيران لمآربها .. ومصالحها في المنطقة .. عند الحاجة .. ووقت تشاء .. ويكون في نفس الوقت على مستوى المهام التي توكل إليه من قبل أحبار وأيات قُوم وطهران!

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرّفص

ولو كان في ذلك هلاك غالبية الشعب الإيراني .. لذا كان من جملة تصريحات آيات وأخبار قم وطهران أن الحوار الحقيقي حول المشروع النووي الإيراني مع أمريكا والمجتمع الدولي .. يكون بعد أن تنتهي إيران من تصنيع القنبلة النووية .. حيث بعد ذلك تَضَع المجتمع الدولي تحت الأمر الواقع .. وتجلس مع الأطراف الدولية الأخرى كند يُحَسَب له حسابه .. وليس كطرف تُملَى عليه الشروط .. أو يُتكلّم معه بطريقة غير لائقة!

هذا الذي أشرت إليه أعلاه حصل منه الشيء الكثير .. وهو في كل يوم يظهر وتتبلور معالمه أكثر فأكثر .. والمسألة بالنسبة لإيران . كما ذكرت في مقال سابق . مسألة وقت لا أكثر .. وستذكرون ما أقوله لكم!

إيران .. تسعى وتخطط . لأن تُصبح إمبراطورية فارسية .. وقوة عظمى .. يصعب تجاوزها .. أو تجاهلها في أي قرار دولي كبير .. تعيد أمجاد الدولة الفارسية المجوسية السابقة . ما قبل الإسلام . لما كان نصف العالم خاضع لسيطرتها ودولتها .. حيث أن جميع الظروف والمعطيات والأحداث المحلية والعالمية الحالية .. في صالحها .. وهي تُساعدها على تحقيق ذلك .. ما لم تحصل صحوة إسلامية وعالمية جادة .. تُوقف خطر الزحف والتوسع الصفوي الشيعي الإيراني .

المجتمع الدولي في غفلة وانهماك في مشاكله الاقتصادية .. ومشاكله في العراق وأفغانستان .. ومع كوريا الشمالية .. وغيرها من المناطق .. وهذا مما يُتيح للطرف الصفوي الإيراني أن يتمدد .. ويتسلل .. ويتضخم .. ويُكْمِل مشروعه ومخططاته النووية العسكرية .. بعيداً عن الرقابة .. وعن أي ضغط فاعل ومؤثر!

أما فيما يتعلق بالمجتمعات العربية والإسلامية .. فهي في سكرة وعمى عما يجري حولها وفي داخل بلدانها .. تحكمها أنظمة ضعيفة مهزوزة .. طاغية .. فاقدة الثقة بنفسها وبشعوبها .. تعتمد على الأجنبي في حمايتها .. همها الحفاظ على الملك والعرش .. والرياسة .. ومن ثم الحفاظ على الخصائص التي يمنحها لهم هذا التسلط على الحكم والملك .. وليكن بعد ذلك ما يكون .. تشييع الناس .. ضلوا .. كفروا .. فسقوا .. توجهوا في قبلتهم إلى قم وطهران .. وأضمروا في باطنهم الولاء لآيات وأخبار قم وطهران .. فهذا لا يهمهم في شيء .. وإنما المهم الملك والحكم .. والخصائص .. وهذا

نهج جديد في الدعوة إلى التشيع والرّفص

مما لا شك أنه يُسهّل المهمة على دولة عقائدية طائفية كإيران .. في أن تتمدد .. وتتسلل إلى دول المنطقة .. بكل سهولة ويسر .. ومن دون أن تجد أدنى مناعة أو مقاومة!

وإلا فقولوا لي: كم هم عدد الشيعة الفرس .. المستوطنين والمقيمين في دول الخليج .. ولو تكلمنا عن البحرين كمثال .. فإن عدد المستوطنين والمتجنسين من الشيعة الفرس .. تزيد عن 70% من مجموع عدد سكان البحرين .. ولما قالت إيران بأن البحرين محافظة من محافظاتها .. فهي تعني ما تقول .. وهي بمقدورها أن تضم إليها البحرين سواء عن طريق الديمقراطية والانتخابات وصناديق الاقتراع .. كما يحلو للنظم الغربية .. أو عن طريق العمل العسكري .. كما تفهم النظم الشرقية! الإمارات العربية .. رغم أنها واجهت عدواناً عسكرياً من قبل إيران على بعض جزرها .. ومع ذلك يتواجد على أراضيها أكثر من " 500000 " خمسمائة ألف شيوعي فارسي إيراني .. شوكة في خاصرتها .. هذا غير الشيعة الروافض من أبناء الإمارات ذاتها .. الذين يُضمرون الولاء والطاعة العمياء لأيات وقادة قم وطهران!!

متى كان يوجد في سورية .. وفي فلسطين .. وفي مصر .. وفي الجزائر .. والسودان .. شيعة روافض .. يُناصبون الصحابة .. وأمّهات المؤمنين .. والإسلام والمسلمين العدا .. كيف تسرّب التشيع والرفض إلى تلك الشعوب والبلاد .. ومن المسؤول عن مثل هذا الثلم الذي تسرب منه التشيع والرفض .. وكيف تم؟!

لا بد من المحاسبة ومراجعة النفس .. وتشديد الحراسة .. وزيادة الوعي بالخطر الشيعي الرافضي الصفوي .. قبل أن ينقسم الشعب إلى شعبين .. والمجتمع إلى مجتمعين .. والبيت الواحد إلى بيتين .. وقبل أن ينقسم الفلسطينيين في فلسطين إلى شيعة وسنة .. يقتلون بعضهم بعضاً .. وهذا أمر لا بد منه في أي مكان تكون فيه للشيعة الروافض نوع شوكة وقوة كما هو حاصل ومشاهد في كثير من الأمصار والبلدان . على مرأى ومسمع .. وشماتة من الصهائنة اليهود .. ومن ورائهم المجتمع الدولي!

إيران بيدها باكستان .. والعراق .. وسورية .. ولبنان .. ولها تواجد كبير وفعال .. في أفغانستان .. واليمن .. والسعودية .. وغيرها من البلاد العربية والأعجمية .. وهي تسعى إلى تنمية وتضخيم هذا

نَهْجٌ جَدِيدٌ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى التَّشْيِيعِ وَالرَّفْضِ

التواجد حتى يُصبح ظاهرة .. وإلى أن تتحول هذه الظاهرة إلى واقع له حقوقه .. يفرض نفسه على المجتمعات .. ومن ثم يفرض مشاكله الطائفية والعقائدية على البلاد والعباد!

هذا حاصل .. وسيحصل أضعافه في المستقبل القريب .. إن لم تصح الشعوب المسلمة لدورها الحقيقي في مواجهة الخطر الشيعي الرافضي، الصفوي.

الأمة التي تريد أن تنهض .. وتَسَلِّمَ .. وتعيش .. لا بد لها من أن تقدم العقيدة على السياسة .. وأن تفهم السياسة على ضوء العقيدة .. فإن لم تفعل .. ثم وردت موارد الهلكة والضياع .. فلا تلوَمَنَّ إلا نفسَهَا!

اللهم إني قد بلَّغت، اللهم فاشهد
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1430/06/05 هـ

2009/05/29 م

الحركات الإسلامية المُصابة بِلوثة الزندقة!

الحركات الإسلامية المُصابة بِلوثة الزندقة!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَرَفَتَ المرءَ عندما يقع في الزندقة أو عندما يُصاب بِلوثة الزندقة .. فكيف لك أن تتعرّف على الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. عندما تقع في الزندقة أو تُصاب بِلوثة الزندقة .. وما هي علاماتها؟!

أقول لك: عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. تتبنى الإسلام رسماً واسماً وعنواناً .. وشعاراً .. وتتنكبه .. وترفضه مضموناً وشرعةً ومنهاجاً .. فاعلم أنها جماعة تمارس الزندقة .. ومُصابة بِلوثة الزندقة!

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. في مرحلة الاستضعاف والتسلُّق .. تتبنى وترفع شعار الإسلام هو الحل .. فإن حصل لها نوعٌ تمكين .. تنكّبت عن شعارها القديم .. ورفعت شعاراً جديداً يتناسب مع وضعها الجديد .. يقول: الديمقراطية هي الحل .. فاعلم أنها جماعة تمارس الزندقة .. ومُصابة بِلوثة الزندقة!

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. في مرحلة الاستضعاف والتسلُّق .. ترفع شعار القرآن دستورنا.. فإن حصل لها نوع تمكين .. رفعت شعار دستور الطاغوت دستورنا .. وقانون الطاغوت قانوننا .. فاعلم حينئذٍ أنها جماعة تمارس الزندقة .. وأنها مُصابة بِلوثة الزندقة!

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. في مرحلة الاستضعاف والتسلُّق تنادي بتطبيق الشريعة .. فإن حصل لها نوع تمكين تنكّبت عن تطبيق الشريعة .. وعن عودها .. وتستهجن من يُطالبها بتطبيق الشريعة .. وتعتبر من يُطالبها بتطبيق الشريعة مصاب بِلوثة عقلية وفكرية .. فلا هي طبّقت الشريعة، ولا هي تركت غيرها يُطبّق أو يسعى إلى تطبيق الشريعة .. فاعلم حينئذٍ أنها جماعة تمارس الزندقة .. وأنها مُصابة بِلوثة الزندقة!

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. إذا خلت بالمسلمين .. قالوا لهم: نحن مسلمون .. ونحن حركة إسلامية .. نعمل من أجل الإسلام .. وأسلمت المجتمع .. ونريد

الحركات الإسلامية المُصابة بلوثة الزُّندقة!

أن نطبق شرع الله في الأرض .. وإن خلوا إلى شياطين الإنس وطواغيهم .. قالوا لهم: خذوها منا واضحة صريحة .. نحن حركة وطنية ديمقراطية .. نسعى من أجل الديمقراطية وتحقيق الحريات بجميع صورها وأشكالها .. لا، ولن نطبق شرع الله .. لا، ولن نسعى إلى أسلمة المجتمع ومؤسساته .. ولا، ولن نُلزم أحداً بتعاليم الإسلام .. فمن شاء من المسلمين الالتزام فله ذلك .. ومن شاء منهم أن لا يلتزم فله ذلك .. ونحن في كلا الخيارين نحترم اختياره وإرادته .. فاعلم حينئذٍ أنها جماعة تمارس الزندقة .. وأنها مُصابة بلوثة الزندقة .. وعليها وعلى أمثالها يُحمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَجُونَ﴾ البقرة:14.

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. إن حصل لها نوع تمكين في الأرض .. ومضى على تمكينها عدة سنوات .. ثم هي مع ذلك تراها تحكم بقوانين الكفر والطغيان .. وتتحاكم إليها .. وتحمها وتُقاتل دونها .. وهي في المقابل لا تخطو خطوة .. بل ولا تُحرِّك ساكناً نحو أسلمة القوانين أو تطبيق الشريعة .. متذرعة ومتسترة بفقهِ التدرِّج في تطبيق الأحكام .. فاعلم حينئذٍ أنها جماعة تمارس الزندقة .. وأنها مُصابة بلوثة الكذب والزندقة!

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. إذا ما احتاجت . في مرحلة من المراحل . إلى الإسلام والمسلمين .. تكلمت بكلام أهل الإيمان والإسلام .. وأكثرت من استخدام المصطلحات الإسلامية .. حتى يُخيل إليك أنها جماعة إسلامية لا ترتضي عن شرعة الإسلام بديلاً .. وإذا ما استغنت عن الإسلام والمسلمين .. واحتاجت . في مرحلة من المراحل . إلى غيرهم من العلمانيين .. تكلمت بكلمات العلمانيين والليبراليين ومصطلحاتهم .. حتى تكاد لا تستطيع أن تُفرق بينهم وبين دعاة العلمانية الكافرة الأصليين .. فإن وجدت هذه الجماعة .. فاعلم أنها جماعة تمارس الزندقة .. وأنها مُصابة بلوثة الزُّندقة!

عندما تجد الجماعة أو الحركة التي تنسب نفسها إلى الإسلام .. إن صرفت بوجهها نحو المشركين والكافرين والمنافقين .. والطغاة الظالمين .. تواضعت لهم .. وأكرمتهم .. وانبسطت إليهم بعبارات الود والحب والترحيب .. وانفتحت عليهم بجميع أساليبها وضحكاتها .. وإن صرفت بوجهها نحو المجاهدين الموحدين .. تقطبت حواجبهم وعبست .. ونفرت .. وتكبرت وترفعت عليهم .. وأهانتهم

الحركات الإسلامية المُصابة بلوثة الزندقة!

.. وجرّمتمهم .. وتبرأت منهم .. وتأمّرت عليهم .. وغلّقت دونهم جميع أبواب الود والحوار والتفاهم .. والاحترام .. فاعلم حينئذٍ أنها جماعة تمارس الزندقة .. وأنها مُصابة بلوثة الزندقة .. إلى قراميش أُذُنّها .. وأنَّ فيها خصلة هي من أبرز خصال الخوارج الغلاة؛ كما جاء وصفهم في الحديث: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان". بل هؤلاء قد زادوا على الخوارج الأوائل وسبقوهم سبقاً بعيداً؛ فإنهم يقتلون أهل الإسلام .. ويوادون أهل الأوثان!

فإن وجدت هذه الجماعة أو الحركة بصفاتها الانفة الذكر أعلاه .. فاهرب منها هروبك من الكلب الأجرّب .. ولا تلتفت إليها .. مهما رأيتهما تتمسّح بالإسلام أو تتظاهر به .. أو تتباكى عليه .. فإنما هي دموع الثعالب والتماسيح!

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1430/08/28هـ

2009/08/19م

همسة في أذن المعارضة السورية

همسة في أذن المعارضة السورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

هذه كلمات أهمس بها . ناصحاً ومحذراً . في أذن المعارضة السورية بكل أطيافها، الداخلية والخارجية منها سواء، العلمانية منها والإسلامية التي تُغازل التوجه العلماني إلى درجة المصاهرة والانصهار .. إلى هؤلاء جميعاً أقول: أربعوا على أنفسكم .. كفاكم مهاترات وشعارات .. وتحالفات شيطانية ما أنزل الله بها من سلطان .. تقتاتون باسم معاناة الشعب السوري المسلم .. وأنتم جزء من معاناته وآلامه ومشاكله .. تُطيلون من أمد معاناته وأنتم تدرّون أولاً تدرّون .. له حساباته العسيرة معكم .. كما له حساباته مع النظام الطاغوي الطائفي الحاكم من قبلكم.

كثرت تجمعاتكم وأحزابكم وجمعياتكم وبقالاتكم . التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع . والتي ضررها يغلب نفعها .. حتى أصبح من العسير على الشعب السوري أن يحفظ أسماءكم .. وأسماء دكاكينكم .. وما يريد كل حزب من أحزابكم لا تريده بقية الأحزاب المعارضة الأخرى!

الشعب السوري المسلم .. أسى غايته وتطلعاته أن يعيش حراً كريماً في ظل راية الإسلام .. وحكم الإسلام .. ودولة الإسلام .. بعيداً عن التبعية والعبودية لشرق أو غرب .. وأنتم عارضتم ذلك بشدة .. كما عارضه من قبلكم النظام الحاكم .. فأبيتم إلا أن تعصوا الله في الشعب السوري المسلم .. وترضوا أمريكا ودول الغرب .. وأنى لمعارضة تقدم طاعة شياطين أمريكا على طاعة الله تعالى .. وعلى مصالح الشعب الذي تُعارض باسمه .. أن يُكتَب لها الفلاح!

التمستم . في الشعب السوري المسلم . كل الشعارات والتحالفات والرايات الباطلة التي تُرضي أمريكا ودول الغرب .. ودول الأقليم وتوجهاتها .. وأعرضتم وعارضتم الإسلام .. دين وعقيدة وروح الشعب المسلم الذي تقتاتون باسمه .. وتستشرفون الظهور في المحافل باسمه .. وأعلنتم عليه الحرب المبطنة كما أعلنها النظام الحاكم من قبلكم .. ولا يزال يُوقد نارها .. فأنتم معارضة مأجورة نائحة

همسة في أذن المعارضة السوريّة

كاذبة .. تتباكون .. وتتكفون النياحة نفاقاً .. وشتان شتان بين النائحة المأجورة وبين الثكلة المكلومة .. ثم بعد ذلك تزعمون زوراً أنكم معارضة .. وأنكم تسهرون على راحة وحقوق الشعب السوري .. وأنكم تُمثلون الشعب السوري المغلوب على أمره .. وهو زعم . لعمر الحق . أثقل في ميزان الحق على الحق من باطل النظام ذاته!

إن جاز أن نسميكم معارضة .. فأنتم معارضة ضد الشعب السوري المسلم .. وضد دينه وعقيدته، وتطلعاته وآماله وأهدافه .. أكثر بكثير من كونكم معارضة للنظام الطائفي الحاكم! اعلموا أن النظام السوري الحاكم . على ضعفه . لا يهابكم .. ولا يكثرث لكم .. ولا يحسب لكم أدنى حساب .. إلا بالقدر الذي تقدرين فيه على تهويش وتحريض ساداتكم في أمريكا ودول الغرب ضده وضد سياساته وتوجهاته .. والسبب واضح؛ هو أنكم تسيرين في الاتجاه المعاكس والمخالف لتطلعات وتوجهات وآمال الشعب السوري المسلم .. فلا تهتمكم مصالح الشعب السوري وتطلعاته بالقدر الذي يهكم ماذا يقول عنكم العالم الحر .. وماذا تقول عنكم دول الجوار .. وكيف تقفون وتعتاشون وتستغنون باسم وزعم المعارضة .. فأنتم وشعاراتكم العلمانية والوطنية والديمقراطية والليبرالية والقومية في واد ومسار .. والشعب السوري المسلم وطموحاته وتطلعاته ومعاناته في وادٍ ومسار آخر .. مما أفقدكم رصيدكم من الشعب السوري .. كما أفقدكم مبررات وجودكم كأحزاب معارضة .. وأنى لمعارضة أن يهايمها عدوها .. ليس لها رصيدها الكافي من الشعوب .. كما ليس لها قاعدتها الشعبية العريضة التي ترجع إليها في مواجهة ظلم وطفغان النظام الذي تُعارضه!

فأنتم . أيها المعارضة! . من سيء إلى أسوأ .. ومن ضعف إلى ضعف أشد .. ومن تفرق إلى تفرق أوسع .. الجماعة منكم تنقسم إلى جماعات .. ولا تزال تتوسع في الانقسام .. والحزب من أحزابكم ينقسم إلى أحزاب .. وهو لا يزال يتوسع في التعدد والانقسامات .. حتى أصبح كل رجل منكم مع مجموعة من أفراد أسرته يشكلون حزباً معارضاً .. والسبب في ذلك واضح؛ هو أنكم نسيتم حظاً . بل حظوظاً . من الدين والتوحيد .. فعارضتم الخالق قبل أن تعارضوا المخلوق .. فأغرى الله تعالى بينكم العدواة

همسة في أذن المعارضة السورية

والبغضاء والتدابير والتفرق .. كما قال تعالى عن النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة:14. وهذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه، ماضية في النصارى وغيرهم، فليس لهم كل مرة ولنا كل حلوة؛ وبالتالي من ينسى منا حظاً من حظوظ الدين والعقيدة والتوحيد .. فالنتيجة المتوقعة أن يغري الله بيننا العداوة والتفرق والبغضاء إلى أن نعود. تائبين صادقين في التوبة. إلى الحق، واستدراك ما كنا قد نسيناه وأهملناه!

تأملوا قول وتوجيه النبي ﷺ: "سوا صفوفكم. أي في الصلاة. أو ليُخالفنَّ الله بين وجوهكم". وقال ﷺ: "أقيموا صفوفكم ثلاثاً، والله لتقيمن صفوفكم أو ليُخالفنَّ بين قلوبكم". فإذا كان مجرد نسيان أو أهمال تسوية الصفوف في الصلاة .. مؤداه إلى إغارة الصدور .. واختلاف الأوجه والقلوب على بعضها البعض .. فكيف بمن ينسى حظوظاً من الدين والعقيدة والتوحيد .. كما هو حال وشأن أحزاب المعارضة السورية المشار إليها أعلاه .. لا شك أن النتيجة الحتمية المتوقعة حينئذ هي مزيد من الاختلاف والتفرق والتناحر والعداوة والبغضاء في صفوف المعارضة ذاتها .. وهو ما نلمسه ونراه .. وهم في غمهم وضلالهم سامدون .. لا يتعظون!

ثم أنتم مع ذلك حرمتهم على أنفسكم وعلى الشعب الذي تُعارضون باسمه الجهاد في سبيل الله الذي به خلاصكم وخلاص الشعب السوري المسلم من ظلم وطغيان النظام الحاكم .. واكتفيتم . عن بعد . بإصدار بياناتكم الديمقراطية .. والتي تحض على الديمقراطية .. والتي لا تلقى من النظام الديكتاتوري الحاكم إلا كل سخرية واستخفاف!

لما انطلقت الحركة الجهادية المباركة في أواخر السبعينات .. وأعلنت الجهاد في سبيل الله .. ورفعت راية الإسلام .. صافية نقية خالصة .. الشعب السوري كله ضحى .. وقدم في سبيل الله أعز وأغلى ما يملك .. وبنفس سخية طيبة .. وحقاً له أن يُضحى .. ولما استُبدل الجهاد في سبيل الله .. بالجهاد من أجل الديمقراطية والليبرالية والعلمانية والوطنية . التي كفر بها الشعب المسلم السوري، ومعه

همسةٌ في أذن المعارضة السورِيّة

شعوب المنطقة منذ زمنٍ طويل . ومن أجل تحقيق بعض المصالح والمكاسب الحزبية الضيقة لبعض الأحزاب والزعامات المعارضة .. أمسك الشعب السوري المسلم عن التضحية وإحداث أدنى حراك على الساحة الداخلية .. وحقُّ له أن يُمسك .. واستكثّر عليكم وعلى أحزابكم وشعاراتكم الوضعية الباطلة أن يُضحى في سبيلها ببصلة أصابها العفن .. وكثير عليكم وعلى أحزابكم وشعاراتكم الكفرية البصلة المعقّنة!

اعلموا أن الشعب السوري المسلم .. لا يرتضي عن الإسلام بديلاً .. ولا نظاماً .. ولا حكماً .. ولا يمكن أن يُضحى طواعية إلا في سبيل الإسلام، وإعلاء كلمة الإسلام .. وأيما معارضة لا تسعى . صادقة . في تحقيق مطلبه الأساس هذا .. ولا تسير في هذا المسار .. فهي معارضة تلعب بمفردها .. لا تستحق أن تنسب نفسها إلى المعارضة الشريفة .. وهي من جهة ثانية معارضة للشعب السوري ولطموحاته ودينه .. قبل أن تكون معارضة للنظام الحاكم .. ومعركتكم حينئذٍ ستكون مع الشعب السوري المسلم قبل أن تكون مع النظام الحاكم .. والأيام فيما بيننا!

أبيتم . استرضاء لقوى الكفر والاستكبار . إلا أن تحملوا الشعب السوري المسلم على الكفر .. وشعارات ومبادئ الكفر .. ولتستبدلوا كفوياً بكفر .. ويأبى الله تعالى إلا أن يجعل الشعب السوري المسلم يحملكم على الإسلام .. ومبادئ وقيم الإسلام .. ويأطركم إليه أطرأً .. فالله تعالى قد تكفل لنبيه ولأمته بالشام .. ومن تكفل الله به فلا ضيعة ولا خوف عليه!

الشام هي الأرض التي يُجدد الله فيها غرسه من أبناء وجند الطائفة المنصورة .. يستخدمهم في طاعته .. ونصرة دينه .. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده .. فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله .. إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عمّد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام .. إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم:

همسة في أذن المعارضة السورية

لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة .. لا يزال أهل الغرب ظاهرين
على الحق حتى تقوم الساعة ". وأهل الغرب هم أهل الشام!
سلامٌ عليكِ . يا قرّة العين . يا شام .. حفظك الله يا شام ... حفظ الله رجالك .. ونساءك .. وأبنائك
.. وبناتك .. وأرضك .. وسماؤك .. من شياطين الجن والإنس .. ومن كل شرٍّ ما ظهر منه وما بطن ..
اللهم آمين .. آمين .. وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

المُطارِد ابن الشام

عبد المنعم مصطفى حليلة

1430/11/05 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2009/10/24 م

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

(The Issue of Resorting For Judgment to The Tyrant (Taghut

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت مسألة عقدية هامة يترتب عليها كفر وإيمان .. لا ينبغي ولا يجوز التهاون بها .. والناس مع هذه المسألة . كغيرها من المسائل . بين إفراط قد أدخل فيها ما لا يجوز إدراجه في خانة التحاكم إلى الطاغوت، وهؤلاء جنحوا إلى الغلو، وتخلقوا بأخلاق الخوارج الغلاة وهم يدرون أو لا يدرون .. وفريق آخر في المقابل قد أخرج منها ما يُعدّ من التحاكم إلى الطاغوت، وهؤلاء جنحوا إلى الجفاء والإرجاء، وتخلقوا بأخلاق المرجئة، وهم يدرون أو لا يدرون .. وفريق ثالث وسط: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ هداهم الله تعالى إلى الحق في المسألة، فالتزموا غرز الكتاب والسنة من غير إفراط ولا تفريط، جعلنا الله وإياكم منهم.

والناس في بحثهم وسؤالهم عن هذه المسألة كذلك ثلاثة فرقاء: فريق يبحث ويسأل لينتصر لمذهبه؛ إذ عساه يجد في ثنايا الإجابات ما ينتصر به لمذهبه وما يميل إليه من إفراط أو تفريط .. فيطير به في الأمصار .. ليقول: هاؤم ..! [50].

وفريق آخر يبحث ويسأل لينتصر لظلمه وعدوانه على المظلوم .. على اعتبار أن أي انتصاف أو انتصار لحقوق المظلوم عن طريق غير المسلمين .. هو من التحاكم إلى الطاغوت .. وهو كفر وشرك .. فيخير المظلوم بين أمرين لا ثالث لهما: إما أنه يرضى بالظلم .. ويسكت على الظلم والعدوان .. وأن يرضى من الظالم أن يستمر بظلمه وعدوانه عليه .. مهما كان نوع ظلمه وكان حجمه .. وإما أنه سيقع

⁵⁰ أفاًجاً أحياناً أن كثيراً من الأسئلة التي تُطرح على منبر " التوحيد والجهاد " حول هذا الموضوع قد سبق أن طُرحت علي بنفس الكلمات ونفس الصيغة .. وربما تكون قد طُرحت على غيري، وغير المنبر .. مما يجعلني . آسفاً . أن أضع إشارة استفهام حول دوافع السائلين .. وما يسعون إليه؟!

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

في الكفر والشرك، ويخرج من الملة على قول الغلاة المتشددين .. إن انتصف لشيء من حقوقه عن طريق غير المسلمين، على اعتبار أن ذلك يُعد من التحاكم إلى الطاغوت، وهذا الفريق أخبث ممن قبله .. وينبغي على من يُفتي هؤلاء وأولئك أن يتفطن لمرادهم قبل أن يُفتيهم^[51].

وفريق ثالث يسأل استرشاداً لمعرفة الحق، أو لدفع شبهة جاءت من هذا الفريق أو ذاك .. وهذا الفريق هو المعني من كلماتي هذه، ولولاه لما كتبته .. علماً أن المسألة قد تناولتها مراراً في ثنايا عددٍ من كتبي وأبحاثي .. إلا أن الوقوف عليها في ثنيا تلك الكتب والأبحاث . عما يبدو . صعب على شريحة من الناس .. فارتأيت أن أخصص للمسألة مقالاً مستقلاً يُعرف بها .. ويسهل الرجوع إليه لمن شاء، والله تعالى المستعان، وعليه التكلان.

فأقول: لكي نعلم ما يدخل . من الانتصار والانتصاف للحقوق . في معنى ومسمى التحاكم إلى الطاغوت مما لا يدخل، لا بد أولاً من أن نبين صفة التحاكم إلى الطاغوت المكفرة التي تُخرج صاحبها من الملة .. والمبيّنة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النساء:60-61.

سبب النزول: قال ابن جرير الطبري في التفسير: هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلاً من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهان، ليحكم بينهم ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ا- هـ.

⁵¹ اتصلت بي إحدى النساء لتخبرني أن زوجها . وهو ممن يتبنون المذهب المتشدد في المسألة، ويروجون له، ويجنحون إلى الغلو في التكفير. يعتدي على طفلها من رجل آخر بفعل اللواط .. وهو مستمر في عدوانه .. والطفل يكاد يُقتل بين يديه .. ثم هو يهددها أنها لو أخبرته عنه للشرطة المحلية .. أنها تكفر بذلك، لأنها تكون قد احتكمت إلى الطاغوت، وبالتالي سيطلقها لأنها لم تعد تحل له .. فالمرأة تسأل ماذا تفعل .. وما مدى صحة كلام زوجها الخبيث .. علماً أنه لا توجد جهة تقدر على رده وإيقافه عن جريمته النكراء إلا شرطة البلد التي تنتمي إليها المرأة ... نعم هذا حدث .. ويحدث مثله وغيره .. ومما هو أسوأ منه .. الكثير الكثير .. فتأملوا!!

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

وقيل أن الكاهن هو أبو بردة الكاهن الأسلمي، وقيل أن المراد بالطاغوت في هذا الموضع هو اليهودي كعب بن الأشرف. وقد أسند ابن جرير الآثار التي تدل على ذلك فانظرها في تفسيره.

وقال رحمه الله في تفسير الآية: يعني بذلك جل ثناؤه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بقلبك فتعلم إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، يعني إلى من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله، ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه، فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني بذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ هلموا إلى حكم الله الذي أنزله في كتابه، وإلى الرسول ليحكم بيننا ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ﴾ يعني بذلك: يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم ا- هـ.

وقال ابن كثير في التفسير: هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيبي وبينك محمد، وذاك يقول بيبي وبينك كعب بن الأشرف. وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا. وقوله: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ أي يعرضون عنك إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك ا- هـ.

وقال عبد الرحمن السعدي رحمه الله: فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك ا- هـ.

مما تقدم يتبين لنا أن التحاكم إلى الطاغوت يتحقق، وتتحقق تبعاته وأحكامه من خلال الصفات التالية:

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

أولاً: وجود السلطة أو السلطان المسلم القادر على الحكم بما أنزل الله، وإلزام المتحاكمين بنتائج الحكم .. وكان ذلك متمثلاً بشخص النبي صلوات الله وسلامه عليه.

ثانياً: العدول والإعراض عن الحكم بما أنزل الله رغم وجود السلطان المسلم الذي يحكم به .. إلى حكم الطاغوت المخالف لشرع الله تعالى.

ثالثاً: إرادة التحاكم إلى الطاغوت حراً واختياراً ورضاً به .. وتقديمه على الحكم بما أنزل الله تعالى المتاح والمتوفر له .. والمتيسر التحاكم إليه.

رابعاً: الصدد عن التحاكم إلى ما أنزل الله تعالى .. فإذا توجهوا أو وجهوا إلى التحاكم بما أنزل الله .. صدوا وامتنعوا وصدوا غيرهم وخصوصهم .. وأرادوا التحاكم إلى الطاغوت!

من تحققت فيه هذه الصفات التي دلت عليها الآية الكريمة أعلاه .. ودل عليها أقوال المفسرين الوارد كلامهم أعلاه .. هو الذي يُحكم عليه بأنه يريد أن يتحاكم إلى الطاغوت .. وهو الذي يطاله حكم التحاكم إلى الطاغوت .. ويُدمغ بالكفر والخروج من الملة، ولا كرامة^[52].

⁵² وعليه ينبغي أن يُحمل ويُفسر كلام أهل العلم، علماء نجد وغيرهم، الذين تكلموا في كفر من يتحاكم إلى الطاغوت .. منهم كلام الشيخ سليمان بن سمحان في الدرر السنية الذي يتناقله بعض الإخوان، وهو قوله: "فلو ذهبت دنياك كلها لما جازلك المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها، ولو اضطررت مضطراً وخيرت بين أن تحاكم إلى الطاغوت أو تبذل دنياك لوجب عليك البذل ولم يجزلك المحاكمة إلى الطاغوت " ا- هـ. ينبغي أن يُحمل على التحاكم بمعناه الذي بيناه؛ بقيوده وشروطه الأنفة الذكر أعلاه .. مع تسجيل تحفظي على مدى صحة ودقة إطلاق الشيخ ابن سمحان .. الذي يفيد ظاهره عدم مراعاة ولا استثناء ظروف الإكراه، والتقية، والضرورات .. وحدود الاستطاعة التي عليها مناط التكاليف الشرعية .. وغير ذلك من قواعد الإسلام .. وهذا ما لا نوافق عليه .. كما سيظهر ذلك للقارئ بوضوح من خلال بحثنا هذا، إن شاء الله.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

أما في حال غياب المحاكم الشرعية .. وغياب السلطان المسلم الذي يفصل بين العباد بالحكم بما أنزل الله .. والقادر على إنفاذ حكم الله تعالى في المتخاصمين المتنازعين .. وغياب الرضى بحكم وشرائع الطاغوت .. وإضمار الكراهية والبغض لها .. والكفر بها .. وإضمار المحبة لحكم الله تعالى وشرعه .. ثم بعد ذلك لو حصل نوع تحاكم إلى تلك المحاكم الوضعية القائمة والمُشرعة في بلاد المسلمين وغيرها .. أو حصل نوع تحصيل للحقوق أو نوع دفع للمظالم عن طريق غير المسلمين .. تحت ظروف الإكراه .. والتقية .. والضرورة .. ومن قبيل دفع الضرر الأكبر .. ودفع الظلم والأذى عن النفس والعرض، والمال .. وتحصيل ما يمكن تحصيله من الحقوق المغتصبة التي لا يمكن تحصيلها إلا من خلال هذا الطريق .. وعلى قاعدة ما لا يدرك جله لا يُترك كله .. وقاعدة " ما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"، وقاعدة ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ﴾ ، وقاعدة ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ، وقاعدة ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ، وقاعدة " الضرورات تبيح المحظورات"، وقاعدة " لا ضرر ولا ضرار .. والضرر يُزال"، وقاعدة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ ، فمن كان كذلك .. لا يمكن شرعاً، ولا عقلاً، ولا لغة .. أن يُوصَفَ بأنه ممن يعرضون عن الحكم بما أنزل الله ويريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت .. ومن ثم يُحمَلُ عليه حكم الذي يتحاكم إلى الطاغوت .. ومن يأبى إلا أن يفعل ويُغامر. لزمه ولا بد . تكفير جميع المسلمين في الأرض الذين يعيشون واقع غياب الحكم بما أنزل الله، وغياب المحاكم الشرعية الظاهرة المتمكنة القادرة على أن تفصل فيما بين العباد بالحكم بما أنزل الله .. ولا يفعلن ذلك إلا من هان عليه دينه .. وكان خارجياً جلدًا!

ثم أن الإسلام جاء بدفع الظلم، وإنصاف المظلوم .. وأطر الظالم إلى الحق .. وتحصيل الحقوق لأصحابها .. فإن تعسر ذلك على يد المسلم .. وتحقق على يد غيره .. لا حرج منه، فكما أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها كان أحق بها .. كذلك الحق، والعدل، وإنصاف المظلوم من الظالم .. فحيثما وُجد ذلك . وأياً كان صاحبه . باركه المسلم وأيده ورضيه .. وإن جاء ذلك من جهة غير المسلمين .. وأينما وجد الباطل، والظلم، والعدوان، وبغي الظالم .. عارضه المسلم، وأبغضه، وردّه، ولو جاء ذلك من جهة

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

المسلم، كما في الحديث: "واشهدوا على المحسن . أياً كان هذا المحسن . بأنه محسن، وعلى المسيء . أياً كان هذا المسيء . بأنه مسيء" [53].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:90.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الأنعام:152.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" فقال رجل: يا رسول الله، أرايت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: " تحجزه، أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" البخاري. وفي رواية: "تأخذ فوق يديه".

وقال رجل: يا رسول الله ما العصبية؟ قال: "أن تُعين قومك على الظلم" [54]. ومن إعانة الظالم على الظلم أن تسكت على ظلمه وأنت قادر على منعه وإيقافه، ولو كان ذلك بالاستعانة بغيرك، وكان هذا الغير من غير المسلمين.

وقال ﷺ: "من نصرَ قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدِّيَ فهو يُزَعُ بذنبه" [55].

أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "شهدت مع عمومي جلف المطيبين، فما أحب أن أنكثه وأن لي حمر النعم" [56].

⁵³ رواه الطبراني، والبيهقي، السلسلة الصحيحة: 457.

⁵⁴ أخرجه أبو داود، وسكت عنه، وحسنه ابن حجر في تخريج المشكاة، وكذلك ابن مفلح في الآداب الشرعية 60/1.

⁵⁵ صحيح سنن أبي داود: 4270.

⁵⁶ صحيح الأدب المفرد: 441.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

قال ابن الأثير في النهاية: اجتمع بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طبيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسُموا المطيبين ا- هـ.

قلت: رغم أن هذا الحلف تتوفر فيه عناصر الحكم والتحاكم من فضِّ للنزاعات بين الظالم والمظلوم، وأن القائمين على هذه المهمة كانوا من كبار المشركين، فإن النبي ﷺ قد أثنى عليه خيراً، وما أحب أن ينقضه ولو بحمر النعم؛ لقيامه على معنى صحيح لا يتعارض مع شرع الله، وهو إنصاف المظلوم من الظالم.

ونحو ذلك موقف الصحابة مع النجاشي يوم أن كان حاكماً كافراً. قبل أن يُسلم. وهو يُحاكم الصحابة ويُسائلهم، وهم يُدافعون عن أنفسهم ودينهم بالحجة والبيان حتى لا يُسلمهم ثانية إلى كفار قريش .. ومن خلال مراجعة القصة بكل طرقها وتفصيلها .. وأسانيد الصالحة .. نجد أن الموقف تتوفر فيه جميع عناصر المحكمة والمحاكمة .. محكمة .. وحاكم كافر متمثل في النجاشي، وذلك قبل أن يُسلم .. ومحاججة ومرافعة أكثر من مرة أمام الملك من قبل مندوبي وممثلي كفار قريش والممثلين بعمر بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة .. وطرف الصحابة يمثلهم في الحديث أمام الملك جعفر بن أبي طالب ﷺ .. ومن ثم إصدار قرار من قبل الحاكم يقضي بعدم تسليم الصحابة إلى كفار قريش .. ومع ذلك لم يقل أحد .. ولا يجرؤ أحد أن يقول: أن الصحابة بفعلهم هذا قد تحاكموا إلى الطاغوت .. حاشاهم!

ونحو ذلك موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما قصد حراً مختاراً الوقوف أمام ملك التتار قازان، وبعض أمراء جنده قطلوشاه، وبُولاي .. وهو يُحاججهم ويراجعهم ويُطالبهم بإطلاق سراح من عندهم من الأسرى؛ سواء منهم المسلمين، أو الذميين من أهل الكتاب .. وقد نال فعله هذا الاستحسان والرضى من قبل جميع علماء عصره، وإلى زماننا هذا .. ولم يقل أحد بأنه . بفعله هذا . قد تحاكم إلى الطاغوت .. حاشاه!

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

وكذلك مراسلته لملك قبرص النصراني " سرجواس"، وهو يتلطف معه في الخطاب، يرغبه بالإحسان إلى من عنده من أسرى المسلمين .. فما عد أحد ذلك من ضروب التحاكم إلى الطاغوت .. ولو أردنا أن نحصي المواقف لعلمائنا المشابهة لموقف شيخ الإسلام مع قازان، وسرجواس .. لظال بنا المقام، وفيما تقدم عظة، وعبرة لمن أراد الاعتبار!

فليس كل من قصد مجالس ومحاكم الطغاة يكون قد تحاكم إلى الطاغوت .. فهناك من يقصدهم ليقول حقاً، وليسترد حقاً، ويُبطل باطلاً، ويخزي ظالماً .. وينصف مظلوماً .. وقد يكلفه ذلك حياته .. فهذا وأمثاله لا يجوز أن يُقال عنه: أنه قد تحاكم إلى الطاغوت أو أنه ممن يريدون التحاكم إلى الطاغوت .. بل لو قُتِل بسبب موقفه هذا فهو شهيد، كما في الحديث: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" [57]. وقال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" [58]. وكلمة الحق هذه قد تكون تحصيل حق، أو دفع ظلم .. أو إنصاف مظلوم .. فليس كل وقوف أمام سلطان جائر يعني بالضرورة الرضى به وبجوره .. وحكمه الظالم .. ويعني التحاكم إلى الطاغوت .. كما يصور البعض!

فإقرار الظلم .. والرضى بالظلم .. والذل والذنية .. والسكوت على الظلم والظالمين .. والتغاضي عنهم وعن عدوانهم وسطوهم على الحقوق والحرمان .. بحجة أنه لا يوجد الحاكم المسلم القادر الذي يقدر على إنصاف المظلوم من الظالم .. وبالتالي لا يجوز الانتصاف للحقوق والمظالم عن طريق غير المسلم إن وجد .. ولينتظر المسلمون . الذين يتجاوز تعدادهم المليار ونصف المليار نسمة . مائة عام أخرى حتى يأتي أو يظهر الحاكم المسلم الذي من خلاله ننتصف للحقوق .. وندفع الظلم .. وإلى أن يظهر هذا الحاكم .. على الأمة بمئات ملايينها أن تلتزم الصمت والصبر على مظالمها وحقوقها التي

⁵⁷ رواه الحاكم، السلسلة الصحيحة: 491.

⁵⁸ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 491.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

تغْتَصِبُ وَيُعتَدَى عليها .. من قبل الكفار والفساق سواء .. ولا يجوز لهم غير ذلك .. وإلا يكونون قد تحاكموا إلى الطاغوت .. وطالهم حكم المتحاكم إلى الطاغوت!

أقول: هذا القول . الذي يقول به البعض! . ليس من حكم الله تعالى ولا شرعه في شيء .. وهو واقع لا يرضاه الله تعالى لعباده .. ولا يرضاه النبي محمد ﷺ لأُمَّته. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى:39. ينتصرون لدفع البغي عنهم بما يستطيعون، سواء عن طريق أنفسهم أو عن طريق غيرهم.

وقال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ النساء:148. فالله تعالى لا يحب الجهر بالسوء من القول .. والجهر بالسوء من القول ليس من دين الله تعالى .. ولا من حكم الله تعالى .. لكن استثناه الخالق ﷻ فأجازه في حالة واحدة فقط؛ في حالة دفع الظلم ورد الظالمين عن بغيهم وظلمهم .. لأن الظلم لا يجوز السكوت عليه!

قال ﷺ: "كلا والله لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً" [59]. هذا هو الأصل، وهذا هو حكم الله تعالى؛ أن لا يدع الناس الظالم مهناً بظلمه . تحت أي ذريعة كانت . بل يأترونه صاغراً على الحق أطراً.

وقال ﷺ: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" [60]. وقوله ﷺ "إن الناس"؛ عام وشامل لكل الناس؛ كافرهم ومؤمنهم، فسنة الله تعالى في عباده أن يأخذهم بعقاب من عنده إن لم يأخذوا على يد الظالم بالزجر والنهي، فينتصفوا منه لضحاياه من المظلومين .. فالظلم والسكوت على الظلم يدع الديار بلاقع!

وقال ﷺ في الحديث القدسي، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي إنِّي حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" مسلم.

⁵⁹ رواه أبو داود: 3047، وسكت عنه.

⁶⁰ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، صحيح الجامع: 1973.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

وقال ﷺ: "اتقوا الظلم ما استطعتم" [61].

وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ

شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [62]. وفي رواية: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [63].

وقوله ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ..."; أي من قُتِلَ دفاعاً عن ماله ومظلمته ودينه ... ولا يستلزم من ذلك

أن يُباشِر القتال، أو أن يُقتَلَ بعد قتال، فقد يُقاتل وقد لا يُقاتل، وقد لا تسمح له ظروفه وقدراته

سوى أن ينتصر لحقه ومظالمه إلا بالكلام، والمحاجة والمرافعات .. فيضيق الظالم به ذرعاً فيقتله ..

فهذا في دين الله وحكم الله تعالى شهيد، فضلاً عن أن نعتبره من المتحاكمين إلى الطاغوت!

وكلنا يعلم قصة جد النبي ﷺ عبد المطلب لما وقف أمام الطاغية أبرهة لما هم الآخر يهدم البيت

الحرام .. فاقصر عبد المطلب على المطالبة بماله وإبله .. ولما عاب عليه الطاغية ذلك؛ إذ كيف يسأله

بأن يرد له ماله وإبله، ولم يسأله أن يُمسك عن هدم بيت الله الحرام، فقال عبد المطلب مقولته

المشهورة: "إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه".

والشاهد لم يُعرف عن النبي ﷺ. فيما بعد. ولا عن أحد من الصحابة .. ولا أحد بعدهم من أهل

العلم .. قد عاب على عبد المطلب فعلته أو عدّ فعله من التحاكم إلى الطاغوت لمجرد أن سأله أن يرد

له ماله وإبله ..!

ويقال كذلك: قد جاءت الشريعة بإزالة الضرر، والمنكر .. وأن الضرر يُزال لذاته لأنه ضرر، فإن

تعثرت إزالته عن طريق المسلم .. ولم يُوجد سبيل لإزالته واستئصاله إلا عن طريق الكافر أزيل .. ولا

يُقال لا نُزيله لأن المزيل له كافر .. كالمريض الذي يُعالج على يد طبيب كافر عند تعثر وجود الطبيب

⁶¹ رواه أبو يعلى، وأحمد، والطبراني، صحيح الترغيب والترهيب: 2221.

⁶² صحيح سنن الترمذي: 1421.

⁶³ رواه النسائي، صحيح الترغيب: 1413.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

المسلم .. فلا يُقال له: لا يجوز أن تزيل مرضك؛ لأن المزيل له كافر .. وبالتالي يجب أن تبقى مريضاً .. وكذلك المنكر يُنكر .. يجب أن يُنكر، فإن تعثر إنكاره عن طريق المسلم .. وقدر غيره على إنكاره، أنكر، ولاقى إنكاره الاستحسان .. ولا يُقال حينئذٍ لا يجوز إنكار المنكر، ولا التعاون على إنكار المنكر، والمنكر يجب أن يبقى؛ لأن المزيل له من غير المسلمين .. فهذا لا يقول به عالم ولا عاقل.

ولتقريب الصورة نضرب المثال التالي: بيت للدعارة في بلد من البلدان .. لا يقدر المسلمون على منعه وإغلاقه بأنفسهم .. ثم أنه لا ينفع مع صاحب دار الدعارة كلمة ولا موعظة .. ولا نصيحة .. وكان من قوانين تلك البلدة منع دور الدعارة .. والناس بمجرد إبلاغهم وشكواهم للشرطة المحلية عن دار الدعارة هذا .. يتم إغلاقه مباشرة .. وصرف شره وأذاه عن الناس.

مثال آخر: تاجر للحشيش والمخدرات .. يدمر عقول ودين شباب الأمة ورجالها بمخدراته .. لا يقدر المسلمون على منعه .. فنصحوه فلم ينتصح .. وحاولوا معه السبل كلها فأبى إلا أن يستمر في غيه وأذاه وضرره .. ثم كان بمجرد رفع شكوى من قبل الناس للشرطة المحلية ضد هذا التاجر المجرم .. يُمنع شره وأذاه مباشرة .. وتُصادر المواد السامة التي يقتل بها عقول ودين العباد ..!

والسؤال الذي يطرح نفسه: أين يكمن حكم الله تعالى في هذه المسألة. ومثيلاها من المسائل. هل تترك دور الدعارة تفعل فعلها الخبيث بالناس .. ويُترك تاجر المخدرات يفعل فعله الخبيث بالناس .. ويعم الفساد والفحشاء والمنكر .. بحجة أن ذلك يُدرج في معنى التحاكم إلى الطاغوت. كما يقول البعض! . أم أنه يُنكر هذا الفساد والشر .. ويُمنع وإن أدى إلى نوع شكاية للشرطة المحلية .. وسماه البعض بالتحاكم؟!!

فالذي يقول بالقول الأول: أنه لا يجوز؛ لأنه من التحاكم إلى الطاغوت .. فهو كمن يقول على الله . وهو لا يعلم . أن الله تعالى يأمر بالفحشاء والمنكر والفساد في الأرض والعياذ بالله .. ويُرد عليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:28. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

النحل:90. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ البقرة:205. وإنما الذي يأمر بالفحشاء والمنكر هو الشيطان الرجيم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور:21. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:168-169.

فإن علم ذلك، علم بالضرورة أن الحق المطابق لحكم الله تعالى هو الخيار الآخر، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة:2. وقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾: يتضمن تعاون المسلمين فيما بينهم بعضهم مع بعض، وتعاونهم مع غيرهم إن كان ذلك ممكناً .. المهم في هذا التعاون أن يكون شرطه التعاون على البر والتقوى والصلاح .. ولا شيء غير ذلك .. ثم أن مثل هذا التعاون لو تحقق بشرطه .. لا يجوز شرعاً ولا عقلاً ولا لغة . وتحت أي مسمى أو زعم . أن يُدرج في خانة التحاكم إلى الطاغوت!

شبهة ورد: قد يقول قائل . وقد قيل : هل يمكن للكافر المشرك المتلبس بالشرك؛ الظلم الأكبر .. أن يُوصف بالعدل .. أو يُلتَمَسَ عنده العدل أو شيء من العدل .. أو يُنتصف عن طريقه لبعض الحقوق والمظالم .. وهو متلبس بالظلم الأكبر .. وهل يمكن للكافر أن يفعل الحسنات المستوفاة الشروط الشرعية؛ الموافقة والإخلاص .. وهو من جهة فاقده لحسنة التوحيد؛ الحسنة الأعظم والأكبر .. هذا سؤال يرد .. وقد وردنا من جهات عدة .. فلزم الإجابة عنه، والله المُستعان.

فأقول: نعم؛ قد دل العقل والنقل على أن الكافر المشرك يمكن أن يتواجد عنده عدل، ويُمكن أن يُوصف بالعدل .. وممكن أن يأمر بنوع من العدل، كما يمكن أن يأتي ببعض الحسنات المستوفاة الشروط.

أما دلالة العقل: فإن الأمم والشعوب لا قيام ولا وجود لها من دون حدٍ أدنى من العدل يقتاتون ويعتاشون به، ويتراحمون ويتعاطفون ويتعاملون به، أما إذا انتفى عنهم مطلق العدل؛ هذا يعني بالضرورة انتفاء وجودهم، وانهيار دولهم وحضاراتهم .. ولكن لما وجدوا .. وقامت لهم دول وحضارات ..

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

ولا تزال قائمة .. وحصل لهم نوع تمكين وظهور في الأرض .. علمنا بالضرورة أنه يوجد عندهم نوع عدل أو قدر من العدل .. قد يزيد عند بعض الشعوب والدول .. ويقل وينقص عند البعض الأخرى، وعلى قدر ما تزيد من نسبة العدل في دولة من الدول، على قدر ما يُكتب لها البقاء، والظهور، والازدهار .. فهذه قاعدة لا تتخلف، وسنة ماضية لا تُحاي أحدًا.

أما دلالة النقل والنص، فقد قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة:7. دلت الآية أن الكفار يمكن أن يستقيموا في عودهم فلا يغدرون .. والاستقامة في العهد من العدل.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. أي ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسنات .. وما سيعمولنه من الحسنات بعد أن وقعوا في الشرك، من غير جهة الشرك .. فإن الله تعالى سيبطله ويحبطه؛ لأنه لا يُقبل عمل صالح ولا طاعة مع التلبس بالشرك الأكبر، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ﴾ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ الفرقان:23. فلا ينتفعون منه يوم القيامة في شيء؛ لتلبسهم بالشرك الأكبر .. والشاهد أن الكافر يمكن أن يعمل عملاً صالحاً، وأن يقوم ببعض العدل الذي يكافأ عليه في الدنيا دون الآخرة.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها" مسلم. فدل الحديث أن الكافر يمكن أن يقوم ببعض الحسنات . من غير جهة الشرك . يبتغي بها وجه الله .. لكن يُجزى عليها خيراً في دنياه دون الآخرة.

وعن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله ﷺ: أي رسول الله، رأيت أموراً كنت أتحنن بها . أي كنت أتعبد وأتقرب بها إلى الله . في الجاهلية؛ من صدقة أو عتاقة، أو صلة رحم، أفها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: "أسلمت على ما أسلفت من خير" مسلم. فدل أن الكافر المشرك يمكن أن يقوم ببعض الأعمال والطاعات .. والتي منها ما يدخل في معنى ومسمى العدل.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

وقال النبي ﷺ في وصف الملك النجاشي . وذلك قبل أن يُسلم : "إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلادهِ حتى يجعلَ اللهُ لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه" [64].

وقال جعفر بن أبي طالب ؓ وهو يخاطب الملك النجاشي . وذلك قبل أن يُسلم : "واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلّم عندك ..".

ومن رواية أم سلمة رضي الله عنها للحديث، تقول: "لما نزلنا بأرض الحبشة؛ جاورنا بها خير جارٍ؛ النجاشي، أمناً على ديننا، وعبداً لله تعالى لا نُؤذَى ...".

فدل أن الحاكم الكافر يمكن أن يُوصَفَ بالعدل .. ويمكن أن يلتزم بالعدل .. ويحكم بالعدل .. ويفعل العدل .. ويُطلب منه العدل .. وإن كان عدله ناقصاً بسبب كفره وشركه.

وقال ﷺ: "لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتن . يعني أسرى بدر من المشركين . لأطلقتهم له" البخاري. علماً أن المطعم بن عدي كان مشركاً، ومات على الشرك .. لكنه قد آوى وأجار النبي ﷺ أياماً من أذى كفار قريش .. فلم ينسبها له النبي ﷺ وأراد أن يكافئه على حسنته بخير منها لو كان حياً .. فدل أن الكافر يُمكن أن يُجير المسلم ممن ظلمه، واشتد عليه ظلمه .. ويمنع عنه ظلمهم .. وهذا من العدل، ومن أسمى معاني العدل .. لا يمكن ولا يجوز أن يُدرج في خانة التحاكم إلى الطاغوت كما يفعل الغلاة الظالمون!

قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "تقومُ الساعةُ والرومُ أكثرُ الناسِ". فقال له عمرو: أبصِرْ ما تقول؟ قال: أقول ما سمعت من رسولِ الله ﷺ، قال عمرو بن العاص: "لئن قلت ذلك إنَّّ فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلمُ الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوكة" مسلم. وهذه الخصال التي ذكرها فيهم عمرو بن العاص على وجه الإعجاب والاستحسان؛ هي خصال إيجابية حضارية لها دور كبير في قيام ونهضة وتحضر الأمم والشعوب . وبخاصة منها الخصلة

⁶⁴ أخرجه البيهقي في السنن، السلسلة الصحيحة: 3190.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

الرابعة والخامسة . بها قد ساد القوم في هذا الزمان .. وحكموا البلاد والعباد .. وبها يتباهون على من سواهم من الشعوب، بخاصة شعوب الشرق الأوسط العربي!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى 146/28: أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يُقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويُقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي ﷺ: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم"; فالباغي يُصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة - هـ.

وعليه فإني أقول: اعلم أن الظلم أنواع وأقسام .. أشده وأعظمه وأغلظه الشرك بالله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ القمان:13. وهذا النوع من الظلم خاص بالمشركين مقصور عليهم دون غيرهم .. لا يغفره الله تعالى، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء:48.

وقسم آخر من الظلم: ظلم المرء لنفسه فيما بينه وبين ربه .. وظلمه لغيره .. وهذان النوعان من الظلم الناس فيهما شركاء، الكفار والمسلمون .. فمنهم الكثير ومنهم المقل، لذا قد جاء في الحديث: "الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغفر، وظلم لا يُغفر، فأما الظلم الذي لا يُغفر: فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يُغفر: فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يُترك: فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض" [65].

وكذلك يُقال في العدل، فإنه أنواع وأقسام: أعلاه، وأجله، وأعظمه التوحيد، فمن حقق في نفسه التوحيد كان من الناجين يوم القيامة، وهذا النوع أو القدر من العدل خاص بالمؤمنين المسلمين مقصور

⁶⁵ أخرجه أبو داود وغيره، السلسلة الصحيحة: 1927.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

عليهم دون غيرهم .. وقسم آخر من العدل؛ هو عدل المرء مع نفسه .. وعدله مع غيره؛ فيعاملهم بالعدل من دون ظلم ولا بغي ولا عدوان .. وهذان النوعان من العدل الناس كلهم شركاء فيهما الكافر والمؤمن .. فمنهم المكثرون والمقل والمقصر .. ويزيد الله تعالى من فضله من يشاء.

فإذا اتضح لك . أيها القارئ . هذا التقسيم الأنف الذكر أعلاه اتضحت لك المسألة، وسهل عليك فهمها .. وذهب عنك الإشكال حولها، بإذن الله.

خلاصة القول:

اعلم أن الإنسان . أي إنسان . بطبعه مخلوق اجتماعي، يتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه، بيعاً وشراءً، ومعاملةً، وتزواجاً .. لا يمكن أن نلزمه العيش في عزلة تمنعه من الاحتكاك بالناس .. أو الضرب في الأرض من أجل الكسب والعيش .. ولو استطعنا أن نلزم نفرأ أو أنفارأ .. فإننا لا نستطيع أن نلزم أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين بهذا الخيار القاهر والمستحيل .. وما أعسره من خيار .. وبالتالي لا بد من أن تحصل فيما بين الناس بعض المشاكل .. والمظالم .. والانتهاكات للحقوق والحرمان .. ويحصل بعض الظلم والعدوان من فريق على آخر .. وهذا يحتم عليهم . ولا بد . البحث عن قضاء قوي مُهاب يرجعون إليه، قادر على الفصل بينهم فيما يتنازعون ويختلفون فيه .. ومن جهة أخرى فإننا نعيش . وللأسف . في جل الأمصار والدول . إن لم يكن كلها . غياب الحكم بما أنزل الله .. وغياب السلطان المسلم ذا الشوكة والمنعة الذي يحكم بما أنزل الله، والقادر على إحقاق الحق، وإنصاف المظلوم من الظالم وفق شرع الله .. وبالتالي فإن أحكام وشرائع الطاغوت هي التي تجري على الناس بالقوة، والناس محكومون بها شاءوا أم أبوا، اعترفوا بها أم لم يعترفوا .. أحبوا أم أبغضوها وكفروا بها .. احتكموا إليها أم لم يحتكموا .. فهي محيطة بهم على مدار الوقت إحاطة السور بالمعصم .. وهذا من جملة ضرائب غياب دولة الإسلام التي تحكم بالإسلام .. وضرائب خذلان الناس للجهاد والمجاهدين والعاملين المخلصين من أجل قيام دولة الإسلام .. هذا واقع نعيشه ونكابده .. لا يمكن أن نتجاهله أو نغض الطرف عنه عندما نستشرف الحديث عن مسألة كبيرة بحجم مسألتنا هذه!

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف نتعامل مع هذا الواقع الأليم .. كيف يسترد الناس حقوقهم .. وينتصفون لمظالمهم .. هل يكفي أن نقول لهم: اسكتوا على حقوقكم ومظالمكم مائة سنة أخرى .. حتى ينزل أو يأتي الحاكم المسلم .. أو حتى تقوم الدولة الإسلامية .. ولا يجوز لكم . قبل ذلك . أن تنتصفوا لحقوقكم ومظالمكم مهما كان نوعها وحجمها عن طريق غير المسلمين .. كما يقول البعض! .. فنسلط بذلك عليهم الكفار والفساق، وقطّاع الطرق؛ لعلمهم أن المسلمين لا بواكي لهم؛ فلا هم قادرون على إنصاف أنفسهم بأنفسهم .. ولا هم يقصدون غيرهم لإنصافهم .. أم أن هناك توجهاً آخر يمكن اللجوء إليه؟

أقول: من خلال مجموع ما تقدم يتبين لنا أن المسألة لها توجيه آخر .. أوجزه في

النقاط التالية:

1- من أعرض عن حكم الله تعالى، وعدّل عنه . رغم قيام المحاكم الشرعية التي تمثله، ورغم وجود السلطان المسلم الذي يحكم به، والقادر على إلزام الخصوم بحكمه . إلى حكم غيره؛ إلى حكم الطاغوت .. فهذا يكون ممن تحاكموا إلى الطاغوت .. وأرادوا أن يتحاكموا إلى الطاغوت .. ويُحمل عليه حكم التحاكم إلى الطاغوت، ألا وهو الكفر.

2- من أقبل على حكم وشرائع الطاغوت المضاهية لشرع الله تعالى، مستحسناً لها، أو راضياً بها .. أو مقبلاً لحكم الله تعالى وشرعه، صادراً عن التحاكم إليه .. فهذا أيضاً يكون قد تحاكم إلى الطاغوت .. وممن أرادوا التحاكم إلى الطاغوت .. ويُحمل عليه حكم التحاكم إلى الطاغوت، ألا وهو الكفر.

3- من كان قادراً على الانتصاف لحقوقه ومظالمه بالطرق الشرعية .. وفق أحكام شرع الله تعالى .. وكان ذلك متيسراً له .. من دون اللجوء إلى المحاكم الطاغوتية .. ثم يأبى إلا اللجوء إلى المحاكم الطاغوتية، وإلى حكمهم وشرائعهم المضاهية لشرع الله تعالى .. فهذا أيضاً يكون قد تحاكم إلى الطاغوت .. وممن أرادوا التحاكم إلى الطاغوت .. ويُحمل عليه حكم التحاكم إلى الطاغوت، ألا وهو الكفر، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم"

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

مسلم. وهذا قادر مستطيع لكنه بإرادته لم يفعل ولم ينصع لحكم الله تعالى وشرعه .. وأبى إلا أن يحتكم إلى الطاغوت، وبالتالي فإن الوعيد يطاله.

4- إذا تنازع شخصان على أمرٍ ما فكان أحدهما مبغضاً لحكم الطاغوت، راعياً في أن يحتكم فيما تم فيه النزاع إلى شرع الله تعالى .. لكن الآخر أبى عليه إلا أن يأخذه إلى المحاكم الوضعية، ليحاكمه بغير حكم الله تعالى .. فالوزر على الآخر، والأول لا يطاله شيء بإذن الله تعالى.

5- ليس كل انتصاف لحق، أو انتصار لمظلوم من ظالمه عن طريق غير المسلمين. وإن أخذ صورة المحاكمة. يُسمى تحاكماً إلى الطاغوت .. أو يجوز أن يُحمل عليه حكم التحاكم إلى الطاغوت!

فإن قيل: ماذا نسميه ..؟

أقول: سموه ما شئتم؛ سموه الانتصار للحق .. أو الانتصار للمظلوم من الظالم .. أو إنصاف المظلوم من الظالم.

6- في حال حصول نوع مراجعة أو محاكمة في المحاكم الوضعية .. لا يجوز لصاحب الحق أن يُطالب بأكثر من حقه، كأن يُطالب بإنزال عقوبات غير شرعية لا يستحقها ظالمه .. فحينئذٍ يكون كمن واجه ظلماً بظلم!

فإن قيل: ولكن المحكمة الوضعية ذاتها قد تنزل به عقوبات من طرفها؛ وهو ما يسمونه بالحق العام؟

أقول: هذا شأنهم .. هم يتحملون وزر قوانينهم .. المهم أن لا يكون للمسلم صاحب الحق دوراً في إنزال مثل هذه العقوبات غير الشرعية بحق مخالفه وظالمه، كما لا ينبغي أن يكون له دور في عدم معاقبته مطلقاً. فهذا أيضاً قد لا يكون موافقاً لحكم الله تعالى. وإنما يدعه والقوم تبكيتاً له، وحتى لا تُطاوعه نفسه على الظلم والعدوان ثانية، والله تعالى أعلم.

7- ليس الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي يتم عن طريق غير المسلمين، أو بمساعدة غير المسلمين يجوز أن يُسمى تحاكماً إلى الطاغوت، أو يُحمل عليه حكم التحاكم إلى الطاغوت!

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

8- العدل الذي يباركه الله تعالى، وباركه رسوله ﷺ .. لو جاء أو صدر عن طريق غير المسلمين . ولو بصورة حاكم ومحكمة . لا يجوز أن يُسمى أو يُدرج في خانة التحاكم إلى الطاغوت، أو يُحمل عليه حكم التحاكم إلى الطاغوت، وذلك أن العدل محمود ومطلوب لذاته أيّاً كان صاحبه أو كان مصدره.

9- التحاكم إلى المحاكم الشرعية في الدول والأنظمة الطاغوتية، في مسائل الأحوال الشخصية، والإرث، التي تلتزم بأحكام الشريعة .. على ما يبدر منها من أخطاء وبعض المظالم .. لا يجوز أن يُحمل عليها، وعلى من يحتكم إليها صفة وحكم التحاكم إلى الطاغوت!

10- الرجوع إلى المحاكم الوضعية وسجلاتها في المسائل الإدارية التنظيمية التي لا تُضاهي ولا تُخالف شرع الله تعالى، كتسجيل العقارات في سجلاتهم لتثبيت ملكيتها، أو تسجيل النفوس أو الزواج أو الطلاق في الدوائر الحكومية المختصة، للحصول على بقية الحقوق المدنية الضرورية للإنسان في هذا العصر .. كالبطاقة الشخصية، أو جواز السفر ونحو ذلك .. فهذه الأمور ومثيلاتها من الأمور التنظيمية الإدارية .. لا حرج فيها إن شاء الله، الأصل فيها الإباحة ما لم تتعارض مع تعاليم ومبادئ الشريعة.

يقول الشنقيطي في أضواء البيان (84/4): اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض ، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك.

وإيضاح ذلك أن النظام قسمان: إداري، وشرعي. أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة، فمن بعدهم. وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي ﷺ، ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط، ومعرفة من غاب ومن حضر، وكاشترائه . أعني عمر رضي الله عنه . دار صفوان بن أمية وجعله إيّاهما سجناً في مكة المكرمة، مع أنه ﷺ لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر. فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به، كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة ا- هـ.

مسألة التحاكم إلى الطاغوت

11- إن كان الضرر محتملاً نرى من العزيمة والتقوى . إن أمكن . اجتناب واعتزال المحاكم الوضعية، والامتنال أمام الحاكم الكافر في محاكمهم .. وهذا أمر نستحسنه . وبخاصة بحق الخواص والأعلام من أبناء الأمة . ولا نلزم به مجموع الأمة، للضرر العام الكبير المترتب على ذلك، والمسألة مرتبطة بنوع وحجم الحق المغتصب، والذي يُراد تحصيله .. فلا يُعقل أن يقال لمن خُطِف له ولده لا يجوز لك أن تشتكي إلى الشرطي الكافر . أو الحاكم الكافر فلا فرق . لتسترد إليك ولدك من خاطفيه لأن هذا نوع من التحاكم إلى الطاغوت .. ونعتبر حال هذا . في اللجوء إلى محاكم القوم . كحال من يُسرق له مثلاً بعض الدراهم التي لا تُشكل له ذلك الضرر الكبير!

12- ما تقدم لا يبرر القعود عن العمل والجهاد من أجل قيام دولة الإسلام التي تحكم العباد بشرع رب العباد .. بل يحتم على الأمة مزيداً من العمل والجهاد، والبذل والعطاء من أجل قيام دولة الإسلام .. والتي يرتبط بقيامها القيام بكثير من الواجبات الشرعية، والتي منها وجود السلطان المسلم المهاب الذي يحكم بين العباد بما أنزل الله .. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . هكذا أرى توجيه المسألة .. وهكذا أرى الجواب عنها .. فإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وإن أصبت فمن الله تعالى وحده، وله الحمد والمنة والفضل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1430/11/13هـ

2009/11/01م

تلاميذ القرضاوي وغلالم الملك

تلاميذ القرضاوي وغلالم الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

حدثنا النبي ﷺ عن ملك طاغية فيمن كان قبلنا .. يزعم الألوهية والربوبية لنفسه من دون الله .. حاله حال طاوغيت الحكم في زماننا الذين يزعمون الألوهية على شعوبهم .. ويفرضون قانونهم الباطل . بالحديد والنار. على البلاد والعباد من دون قانون الله .. ولسان حالهم يقول ما قاله فرعون من قبل: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ القصص:38. ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ غافر:19. ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ النازعات:24.

هذا الملك الطاغية **[كان له ساحر]**، يُجادل عنه، وعن ملكه، وقانونه، ويُزور الحقائق في أعين الناس، فيريهم الحق باطلاً، والباطل حقاً .. يعمل على تعبيد الناس للملك الطاغية ولقانونه الكافر .. وأيما مخالف أو معارضٍ للملك وقانونه، كان يُرهبه بسحره .. فالطغاة . عبر جميع عصورهم الفاتية منها والقادمة . يحتاجون إلى سحرة يُنافحون عنهم، وعن أنظمتهم .. ويقومون بمهمة إضلال وإغواء الناس .. وإلا لما استتب لهم حكم ولا ملك .. ولا استتبت لهم عبودية الناس.

كذلك " القرضاوي " في زماننا .. فهو يقوم بمهمة ودور الساحر مع الطغاة .. فهو يزور الحقائق في أعين الناس؛ فيريهم الحق باطلاً، والباطل حقاً .. ويُجادل عن الطغاة الظالمين وحكمهم وقانونهم .. ويُجرم كل من يفكر من الشعوب والجماعات بجهاد هؤلاء الطغاة الأثمين .. والتحرر منهم ومن ظلمهم .. يزعم الوسطية التي ينتهجها ويدعو إليها .. إلا أنه يوجد فارق بينه وبين ساحر الملك الطاغية من جهة أن الساحر كان تزويره للحقائق ظاهراً ومكشوفاً يراه عامة الناس قبل خواصهم .. يعتمد في سحره أسلوب وطرائق المشعوذين الدجالين .. بينما تزوير الساحر " القرضاوي " للحقائق في كثير من الأحيان يكون . على طريقة الزنادقة . مبطناً ومغلفاً ببعض المصطلحات والإطلاقات الشرعية ليتمرر باطله

تلاميذ القرضاوي وغلالم الملك

وسحره على الناس من دون أن يُكشَف .. وحتى يجد لنفسه نَفَقاً يهرب منه إذا ما رُوجع في كلامه ومواقفه!

ومن جهة ثانية فإن ساحر الملك الطاغية .. كان يعمل لخدمة الملك الطاغية وحسب .. لا يُشرك معه طاغية آخر .. بينما ساحرنا المعاصر .. فخدماته السحرية .. وتخريفاته الهلوانية مبذولة لجميع الطغاة الحاكمين في زماننا .. ولجميع فئات وفرق وطوائف الكفر والضلال التي نعايشها ونكابدها واقعها .. لذلك فهو مرحب به عند الجميع .. والجميع قد صنعوا منه . كذباً وتليبساً . تمثالاً ، وإمام العصر الذي لا يُعقَّب عليه .. لأن الجميع يقتاتون به وباسمه .. وسحره .. وكثير منهم تجمعهم به صور تذكارية شخصية ودية أُخذت له معهم في مناسبات شتى^[66].

[[فلما كَبُرَ أَي السَّاحِرِ. قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ]]؛ وقد اقترب أجلي .. والذي أخشاه أن تذهب طريقتي المثلى في السحر والدجل من دون أن يرثني . ويرث طريقتي في السحر. أحد .. وهذا معناه . أيها الملك . أن تفقد خدماتي السحرية وإلى الأبد .. وبفقدانك لها .. ينكشف عجزك وجهلك وضعفك للناس .. فيُدركون حقيقتك؛ ويعرفون أنك لست إلهاً ولا رباً .. بل ولا حاكماً تستحق أن تكون والياً عليهم .. فتتكشف سوءاتك للناس .. فيتجرؤون عليك وعلى عرشك وملكك.

⁶⁶ من آخر تخريفات وهرطقة وسحر القرضاوي كما في مقابلته الأخيرة مع " بي بي سي" ، في برنامج " في الصميم" ، والذي نُشر على الملأ للملايين ، وكان ذلك بتاريخ 2010/2/8 ، قوله: "أنا لست سياسياً . يا أخي! . أنا رجل شرعي .. أنا لست ضد اليهود ولا اليهودية .. نحن ضد الصهاينة، اليهود الذين يقفون ضد إسرائيل أرحب بهم .. أنا مع كل الحريات، أنا أقدس الحرية، الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة .. من حق الإنسان . المسلم . إذا كان هو حراً حقيقياً أن يغير دينه .. لا مانع ولا مشكلة من ترشّح قبطني نصراني لرئاسة مصر، والناس ستختار من هو أحق أو لا .. لا أمانع من محاكمة أي حزب أو جماعة وفق القوانين المصرية الجارية "أ- هـ . أي وفق قانون وشريعة الطاغوت الجارية .. وغير ذلك من الهرطقة والشعوذة والكذب على دين الله .. وقد ذكرنا وناقشنا شيئاً من هرطقاته ودجله . التي يصعب تتبعها وإحصاؤها . في غير هذا الموضوع.

تلاميذ القرضاوي و غلام الملك

وهكذا حال ساحرنا المعاصر .. بعد أن بلغ من العمر عتياً .. ووصل إلى مرحلة لم يعد يعي فيها ما يقول .. وخشي على نفسه أن يُدرکه الأجل .. خشي . ومن وراءه من الطغاة . أن تذهب طريقته الوسطية المثلى . التي تعني الوقوف وسطاً بين الحق والباطل ، فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . بذهابه ووفاته .. وينكشف بذهابه وطريقته الغطاء عن المخبوء من كفر وظلم كثير من طغاة الحكم .. فتُسحَب عنهم الشرعية والقانونية التي كان يضيفها الساحر عليهم وعلى أنظمتهم .. ويبطل مفعول تخديره وتجريمه للشعوب التي تفكر بالخروج على أولئك الطغاة، انتصافاً لحقوقها وحرمانها منهم.

فهو من جهة يزين حالهم .. فلا ينطق فيهم كلمة تعري كفرهم وباطلهم .. ومن جهة فهو يُجرّم من يأخذ بخيار جهادهم، وأطرهم إلى الحق .. فأَي ساحر يستطيع أن يفعل فعله هذا؟!

إذاً الخطب جللٌ .. والخطر داهمٌ .. فما هو الحل .. وما هو الاقتراح .. وما هو المطلوب؟

قال السّاحر: **[[فابعث إلي غلاماً]]**؛ على وجه السرعة قبل أن تُدركني المنية .. لكي **[[أعلمه السّحر]]**؛ فيرثني في السحر، وخدمة الطاغية الملك، ولتستمر فاعلية السحر وأثره على الناس؛ لأن السحر . لكي تُؤتَى ثماره . لا بد من أن يُدعمَ بشحنات سحرية متواصلة من دون أدنى انقطاع؛ فلو حصل أي انقطاع أو توقف في عملية السحر، سرعان ما ينكشف السحر ويبطل .. وينقلب على صاحبه .. وينكشف الغطاء .. وتُعرف الحقائق .. مثله مثل المخدّر إن لم تُتبعه بجرعات تخديرية متواصلة فإن المُخدّر يستيقظ على من حوله، ويحصل حينئذٍ ما لا يُحمد عقباه.

وهكذا ساحرنا المعاصر . لما دنا منه الأجل . تنادى أن ابعثوا إليّ غلمانكم وبناتكم لكي أعلمهم السحر .. لكي أورثهم منهجي .. وطريقي الوسطية المثلى في التضليل والتلبيس والسحر .. ليستمر مفعول سحري على الناس .. ويستمر مفعول تخديري لهم .. ولكي يأمن الطغاة . من بعدي . على أنفسهم وعروشهم من غضب وثورات شعوبهم.

تلاميذ القرضاوي و غلام الملك

[[فَبَعَثَ]] الْمَلِكُ الطَّاغِيَةَ [[إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ]]؛ السحر، والدخول في طاعة وخدمة وعبادة الملك .. والسر في اختيار التلميذ أن يكون غلاماً؛ لأنه أطوع على التعليم وقبول السحر .. ومن ثم لضمان خدمة أطول للطاغية الملك.

وهكذا ساحرنا المعاصر .. أرسلوا إليه مجموعة من الشبان والشابات في مقتبل أعمارهم . ومن أقطار وقارات شتى . ليلقنهم طريقته السحرية المثلى .. ليستلموا من بعده الراية في التضليل والتحريف .. ولينتشر سحره وضلاله في أكبر بقعة ممكنة من الأرض .. وليكونوا تلك الأداة التي يتكئ عليها الطغاة في ظلمهم .. وتثبيت ملكهم وعروشهم .. فالطغاة حريصون على أن يصنعوا من القرضاوي . دون غيره . نُسَخاً متكررة وفي أكثر من مكان، لما رأوا في منهجه الوسطي التضليلي التحريفي من خدمات جليلة لعروشهم وأنظمتهم الفاسدة الكافرة.

وللطغاة، ومن معهم من السحرة، نقول: قد تسلط على هذا الدين قبلكم كثير من الطغاة والسحرة .. فذهبوا وكيدهم حطباً لنار جهنم .. وبقي الإسلام نقياً شامخاً عزيزاً كاملاً، كما أنزله الله تعالى.

قد كاد الإسلام قبلكم طغاة وسحرة هم أشد منكم طغياناً وسحراً .. فانقلب كيدهم على أنفسهم .. وانقلب السحر على الساحر .. وبقي الإسلام كما أنزله الله تعالى محفوظاً لم يتغير منه شيء .. دين قد تكفل الله تعالى بحفظه فلا ضيعة ولا خوف عليه .. مهما كاده الكائدون .. وتكالب عليه السحرة الماكرون .. وكان سحرهم كبيراً، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل عمران:54. وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل:50. دين يمكر الله تعالى له، فلا خوف عليه من مكر الماكرين.

اللهم يا حيُّ يا قيوم .. يا أرحم الراحمين .. كما حفظت غلامَ ساحرِ الملك .. من سحر وشرِّ الساحر .. احفظ غلماننا وأبناءنا من سحر وشرِّ ساحر طغاة العصر .. وكما كشفت وعزيت سحر ساحر الملك على يد غلام ساحر الملك .. فاكشف وعز سحر ساحر طغاة العصر على يد الغلمان الذين انتقاهم

تلاميذ القرضاوي وغلالم الملك

لتعليم سحره ومنهجه وباطله .. وكما جعلت نهاية الطاغية الملك وسحر ساحره، على يد غلام ساحر الملك .. فاجعل نهاية طغاة العصر، وسحر ساحرهم على يد الغلمان والشبان الذين انتقاهم الساحر المعاصر لنفسه، ومنهجه، وسحره، وطريقته الوسطية الباطلة ... اللهم آمين .. آمين.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1431/04/18هـ

أبو بصير الطرطوسي

2010/04/03م

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

مهما تكلمت عن ديكتاتورية، وإجرام، وفساد، وطائفية النظام السوري .. فلن أضيف جديداً .. ولا أظني أجد مخالفاً في ذلك .. ونظام هكذا هي صفاته . بالنقل والعقل . لا تُجدي معه الكلمة .. ولا الحلول السلمية .. ولا صناديق الاقتراع التي يحلم بها الديمقراطيون!

المعارضة السورية . وأعني بها المعارضة الإسلامية، والتي تدعي الانتماء إلى الإسلام، وإلى حضارة الإسلام، بكل أطيافها وتوجهاتها، المتواجدة حالياً . قد ارتكبت خطأ فادحاً .. كان السبب الرئيسي والأساس في إطالة أمد النظام النصيري الحاكم في سورية إلى هذه الأيام .. وإطالة أمد معاناة الشعب السوري المسلم إلى هذه الساعة .. هذا الخطأ يتلخص في نقطتين:

أولهما: أنهم جرّموا المجاهدين، وطلّيعتهم المقاتلة . التي قادها البطل المجاهد مروان حديد رحمه الله . وتبرؤوا منهم ومن أفعالهم .. وشهدائهم .. وجرّموا العمل العسكري المسلح ضد النظام الحاكم .. وحرّموا الشعب السوري من حقه في الجهاد ومقاومة الظلم والطغيان والدفاع عن النفس .. وقالوا لهم . بلسان الحال والمقال . اصبروا على سكاكين وسياط جلادي البعث النصيري .. فمهما قتلوا منكم .. وسجنوا .. واعتدوا على دينكم وحرمانكم .. فليس لكم الحق في أن تقاتلوا هذا النظام المخابراتي دفاعاً عن النفس، والدين، والعرض، والأرض .. أنتم أيها الشعب السوري معارضة سلمية .. ولا يجوز أن تكونوا إلا كذلك .. حتى ولو لم يسمح لكم النظام بالمعارضة السلمية .. فكانوا سبباً فيما أصاب هذا الشعب الأسير من ذلّ وهوان!

ثانياً: أن المعارضة ذاتها قد استثنت من خياراتها .. خيار اللجوء إلى القوة، والعمل العسكري .. فهي جرّمت هذا الخيار على نفسها وعلى غيرها .. واكتفت بالمعارضة السلمية السلبية .. والتي لا تتعدى أسلوب إصدار بعض البيانات الضعيفة . بيانات شجب واستنكار، وعلى استحياء من استخدام ما

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

يستحقه النظام من إطلاقات وأوصاف وأحكام . التي لا تصل إلى مسامح النظام .. فضلاً عن أن تصل إلى مسامح الشعب السوري .. وغيره من الشعوب .. وإحداث بعض التحالفات الهزيلة . فيما بين الفرقاء المتناقضة فيما بينها في كل شيء . والتي سرعان ما تنفض وتنتهي إلى فرقة أشد وأسوأ مما كانت عليه قبل التحالف .. وذلك أنهم لم يراعوا فيما حدّ الله تعالى، وحكمه .. ولم يتقوا الله.

فقد مضى عليهم وعلى أسلوبهم هذا الأنف الذكر .. أكثر من ثلاثين عاماً .. فماذا حصل .. وماذا كانت النتيجة؟

النظام النصيري البعثي الحاكم قد تضخّم وتوسع في جميع الاتجاهات .. في اتجاه تثبيت حكمه ونظامه وملك طائفته .. وفي اتجاه الفساد في الأرض .. وفي اتجاه ظلم واستعباد الشعب السوري المغلوب على أمره .. والمتواطأ على إرادته وخياراته المشروعة .. وفي اتجاه تسليم سورية أرضاً وشعباً وثقافة لقمة سائغة للصفويين الإيرانيين .. والشيعية الروافض .. حتى أصبح النقد الخفي للإيرانيين الصفويين .. والشيعية الروافض .. جريمة يُؤخذ عليها بالنواصي والأقدام!

بينما المعارضة السورية .. فهذه السنين العجاف . لمنهجها الأنف الذكر . قد زادت بها ضعفاً .. وتفرقاً .. وهواناً .. وتبهاً في الأرض .. أشد من تيهان بني إسرائيل من قبل، لما عصوا أمر ربهم في قتال عدوهم، فقال الله تعالى لهم: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة:26.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التوبة:39.

وفي الحديث، فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا تبايعتم بالعينة . نوع من المعاملات الربوية . وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

دينكم" [67]. أي حتى ترجعوا إلى جهادكم. وقال ﷺ: "ما ترك قومٌ الجهادَ إلا عمَّهم الله بالعذاب" [68].
وأي ذل .. وأي عذاب أعم مما أصاب المعارضة السورية؟!

فإن قيل: ما هو الحل .. وكيف ترون توجيه القضية .. والخروج من هذا الحال الذي نحن فيه؟

أقول: المعارضة السورية بين خيارين لا ثالث لهما:

أولهما: أن تُقنع أمريكا، ومن ورائها المجتمع الدولي .. أنها خير لهم ولمصالحهم ولسياساتهم في المنطقة من النظام الحاكم .. عسى بعد ذلك أن تحظى . من المجتمع الدولي . بنوع دعم يُساعد على إسقاط النظام .. لكن هذا الخيار مُكلف جداً على المعارضة وعلى الشعب السوري سواء .. من جهة البعد الديني .. والثقافي .. والأخلاقي .. ومن جهة مصلحة سورية، وشعب سورية .. ومن جهة حرية واستقلال مستقبل سورية .. لذا فإن هذا الخيار لا ننصح به مطلقاً .. ولا نرى مشكلة سورية تُحل من خلال هذا الطريق .. بل هو سيُفاقم الأمور تازماً وسوءاً .. رغم أن البعض يسير فيه .. وهؤلاء لن يجنوا إلا الشوك والعلقم .. ولا يلومنّ إلا أنفسهم!

ويُقال كذلك: أن المعارضة مهما أبدت من مرونة وتنازلات لكسب ود ومرضاة أمريكا والمجتمع الدولي .. فالنظام الحاكم على استعداد أن يُبدي عن تنازلات أكثر لأمريكا وللمجتمع الدولي .. وبالتالي فإن المعارضة . مهما جدّت في الخطا والتنازلات . لن تستطيع أن تسبق النظام الحاكم إلى أحضان ومرضاة أمريكا ودول الغرب .. وحينئذٍ سيحصل الابتزاز إلى ذروته من قبل أمريكا وحلفائها للنظام وللمعارضة سواء .. لترى أيهما يُقدم ويتنازل لها أكثر!

ثانياً: أن تتوكل على الله تعالى .. بعد أن تأخذ بجميع الأسباب الممكنة والمشروعة التي تُعين على تحقيق التغيير المنشود .. والتي منها ومن أهمها وأعظمها اعتماد خيار القوة والجهاد في سبيل الله، وإطلاق يد الشعب السوري المسلم . المكبله بأغلال الحلول السلمية الاستسلامية . لكي يدافع عن نفسه

⁶⁷ أخرجه أبو داود، وغيره، السلسلة الصحيحة: 11.

⁶⁸ أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 2663.

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

ودينه وحرماته .. ضد هذا النظام الغاشم الذي اجتمعت فيه جميع خصال الكفر والزندقة والفساد والإجرام .. وتعزيز هذا التوجه لديه^[69].

وهذا من لوازمه أن يُعاد للصراع . بصدق وإخلاص . بعده العقائدي .. وأن تُعاد تعبئة الشعب السوري من جديد تعبئة دينية إيمانية، فالشعب السوري المسلم .. لا يمكن أن ينهض للتضحية والفداء .. والقتال .. والتحرر من الأغلال . وحق له أن لا ينهض . إلا عندما يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى .. ويكون الجهاد جهاداً خالصاً في سبيل الله، ومن أجل إعلاء كلمة الله.

في مطلع السبعينيات .. وحتى الثمانينات .. لما كان العمل . في سورية . خالصاً لله .. وقد أخذ بعده الديني والعقائدي .. انتفض الشعب السوري المسلم برمته .. وقاتل .. وضحي بنفس سخية أبية .. ولما خانته قيادات المعارضة .. ولما تعدت توابك طموحاته وتطلعاته .. وتنكبت عن مطالبه، وعن خيار الجهاد في سبيل الله .. ونشدت حلولاً لا تزيد الطغاة إلا قوة وتمكيناً .. هداً الشعب السوري .. وسكن . وكثير منه أصيب بإحباط وخيبة أمل . فأمسك عن التضحية .. والعطاء .. وحق له أن يُمسك .. ولم يعد يلتفت لنداء .. فهو أعز من أن يُقاتل أو يُقتل في غير سبيل الله .. أو أن يكون مطية وأضحية لباطل .. ومن أجل استبدال باطل بباطل .. وطاغية بطاغية .. أو استبدال طاغية بمن كان نائباً للطاغية!

هكذا أرى الحل .. وهكذا أرى توجيه القضية .. وهكذا أرى السبيل للخروج مما نحن فيه .. ولا مناص لكم . إن أردتم النجاة والتغيير . من أن تسلكوا هذا الطريق .. وإن بدت وعورته وشدته في بعض منعطفاته.

فستقولون: لكن هذا الخيار خيار صعب .. ومُكَلِّف .. وقد يُوصمنا في المجتمعات

الدولية والعربية بالإرهابيين، والمتطرفين .. ونحن لا نحب ولا نريد أن نوصف بذلك!

⁶⁹ خيانة لله ولرسوله، وللمؤمنين .. عندما نحض الشعب السوري المسلم على الجهاد والانتفاضة ضد النظام الطاغوي الحاكم .. ثم إن فعل .. نقوم بتجريم مجاهديه وشهادته وأبطاله .. لكونهم استخدموا القوة والعنف .. وبتنصل منهم ومن جهادهم .. وشهادتهم .. كما فعل ذلك البعض!

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

أقول: يُجاب عن هذا التساؤل والاعتراض من أوجه:

منها: أن الأصعب من هذا الخيار، والأكثر منه كلفة .. أن تنكبوا هذا الطريق .. وتنشدوا طرقاً استسلامية ما أنزل الله بها من سلطان .. ثم هي لا تقدم ولا تؤخر .. ولا تزيد الطاغية إلا طغياناً وظلماً وكفراً!

ها أنتم تنكبتم هذا الطريق .. وجرّتموه .. وجرّتم أهله وأصحابه .. فماذا كانت النتيجة .. فأين كنا وأين أصبحنا .. وماذا بقي من شيء عزيز لم تخسروه .. وتقدموه . بنفس طيبة ذليلة . قرباناً للطاغوت .. والطاغوت قد توسّعت شهيته .. فلم تعد تقف مطالبه وابتزازاته عند حد . ما هو الذي ستخسرونه في حال سرتم في طريق الجهاد في سبيل الله .. لم تخسروه . وأضعافه .
الآن؟!

ومنها: أن خيار السير في طريق الجهاد في سبيل الله .. كيفما جاءت نتائجه .. فهو خير وبركة ونصر .. فإن تحقق التغيير والفتح .. فهو نصر .. ونحمد الله تعالى على ذلك .. وإن كانت الأخرى؛ أي الشهادة .. فهو أيضاً نصر .. وفوز .. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:169.

فضريبة الجهاد والعزة والكرامة .. مهما تعاضمت فهي أقل بكثير من ضريبة الذل والاستكانة، والركون إلى الظالمين .. والواقع المشاهد والمعاش ينطق بكل ذلك.

ومنها: أن هذا الخيار؛ هو الخيار الذي ارتضاه الله تعالى لنا، وارتضاه لنا رسوله ﷺ .. كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ النساء:75. أم أنكم تشكون أن سورية اليوم لها حكم ﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾؟!!

وقال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج:39.

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ قُتِلَ دُونَ . أَي دِفَاعاً عَنِ . مَا لَهُ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [70]. وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [71]. هذا هو توجيه الله تعالى .. وتوجيه رسوله ﷺ لكم .. فماذا أنتم فاعلون؟!

ومنها: هو خيار يوجبه الواقع المعاش .. فالنظام النصيري البعثي الحاكم .. يمارس قمة الإرهاب .. وقمة البطش والتنكيل .. ضد الشعب السوري .. فهو قد افترش أمام كل بيت من بيوت السوريين دبابه ومدفعاً .. وشلة من المخابرات والجواسيس الساقطين .. ليحصوا على الناس كلماتهم وأنفاسهم .. نظام هذه بعض أوصافه .. أترون تنفع معه صناديق الاقتراع .. والحلول السلمية الوردية؟! الطاغوت يسخر منكم .. ويضحك حتى القهوة .. عندما تحصرون معارضتكم له بالوسائل السلمية، ومجرد التنادي إلى صناديق الاقتراعات!

هذا نظام . بالنقل والعقل، والواقع المعاش . لا ينفع معه إلا الحديد .. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد:25. فالانتصار للحق .. وللمظلوم من الظالم .. وللشعوب المهضومة حقوقها .. من طغاة الحكم والكفر .. لا يتم ولا يكتمل إلا بالكتاب، والحديد معاً .. والذي يقول غير ذلك .. وينتهج غير هذا النهج الرباني .. فقد تنكب طريق الهداية .. وطريق الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى عليهم .. ثم بعد ذلك لو جاءت النتائج على رأسه فلا يلومن إلا نفسه.

ومنها: أن حق الشعوب في الدفاع عن نفسها إذا ما تعرضت لاعتداء . سواء كان مصدر هذا الاعتداء خارجي أم داخلي . قد نصت عليه جميع قوانين الأرض .. بما في ذلك قوانين المجتمع الدولي ..

70 أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 6445.

71 أخرجه النسائي وغيره، صحيح الجامع: 6447.

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

وأمامه المتحدة .. وبالتالي لا داعي للتذرع بالخوف من المجتمع الدولي بأن يرميكم بالعنف والإرهاب ..
فالشعوب التي تتعرض لاعتداء واستئصال في جميع مقومات حياتها ووجودها من حقها أن تدافع عن
نفسها وحقوقها وحرمتها .. ووجودها .. ولا مأخذ عليها من أحدٍ في ذلك.

وإنه لمن علامات هزيمة الشعوب .. وانتصار الطغاة الظالمين على شعوبهم عندما يقدر الطغاة
على إقناع الرأي العام بأن بطشهم وقتلهم .. وإرهابهم .. وعنقهم .. وجرائمهم .. ضد الشعوب .. حق
مشروع .. بينما دفاع الشعوب عن نفسها، ومصالحها، وحقوقها .. إرهاب مستهجن ومرفوض!
أترون لو أن دولة من الدول الأوروبية المعاصرة قد ابتليت بحاكم كطاغية سورية .. وبنظام
كنظامه .. أن شعوب هذه الدولة ستكتفي بمعارضته معارضة سلمية .. وعن طريق صناديق الاقتراع
.. أم أنها سيكون لها شأن آخر معه؟!

فإن قلت: هذا الكلام حق .. لكن نحن دونه .. هممنا . بعد أن استمالت للرخاء والاسترخاء دهرًا
لم تعد تنهض إلى مستوى هذا المطلب، والخيار!

أقول: إذاً أفسحوا الطريق لغيركم .. لا تقفوا عقبة كأداء أمام هذا الخيار .. إذا ما أراد الشعب
السوري أن يشق طريقه نحوه .. لا تُجرّموا هذا الخيار .. ومن يرتضي لنفسه هذا الخيار .. لا تقدسوا
الخيارات المضادة لهذا الخيار .. فتجعلوا منها ذاك العجل المقدس الذي عكف على عبادته بنو إسرائيل
دهراً من أعمارهم .. فإذا كنتم لا تستطيعون أن تنطقوا بالحق .. فلا تنطقوا بالباطل .. اصمتوا .. ألا
تستطيعون أن تصمتوا .. دعوا الشعب السوري يتحرر من قيود وأغلال حلولكم الديمقراطية السلمية
الوردية الوهمية .. دعوا الشعب السوري يفرز قياداته الميدانية المجاهدة من الداخل .. قولوا للناس
صراحة: هذا هو الطريق .. لا منجاة لكم إلا من خلاله .. ونحن أضعف من أن نسلكه .. ونتحمل تبعاته
.. قولوا ذلك مجرد قول .. لعلكم تُعذرون عند الله تعالى .. وعند الشعب السوري الذي انتظركم دهرًا
.. ولم يجد منكم خيراً.

الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية

اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم

عبد المنعم مصطفى حليلة

1431/04/22هـ

أبو بصير الطرطوسي

2010/04/07م

. **تنبيه:** هذا المقال وإن كان المعني منه بالدرجة الأولى المعارضة السورية .. إلا أنني أعني منه كذلك المعارضات العربية الأخرى التي تعيش واقعاً، وظروفاً مشابهة للمعارضة السورية .. وتعيش في ظل نظام ديكتاتوري طاغٍ مشابه للنظام السوري الحاكم.

الصُوفِيَّةُ الدِّينُ الرِّسْمِيُّ لِبَطْغَاةِ الحُكْمِ

الصُوفِيَّةُ الدِّينُ الرِّسْمِيُّ لِبَطْغَاةِ الحُكْمِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله وحده، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَبَعْدُ.

لو تأملنا واقع طغاة الحكم المعاصرين .. العربية منها والعجمية .. لوجدنا أن الدين المرتضى لديهم، والمخدوم من قبلهم .. الذي يُرَوِّجُ له عبر مؤسساتهم ووسائل إعلامهم .. هي الصوفية .. والتصوف .. فمن لم يأت معهم . من الشعوب . عن طريق الفسوق والمجون والتحلل، والفساد .. واستعصى عليهم تخديره من خلال هذا الطريق .. أتوا به عن طريق التصوف .. والصوفية .. فمن يختار . من الناس . الفسوق والفساد .. فالأبواب متاحة له .. وحرياته حينئذٍ محفوظة، ومُصَانة، ومُقدَّسة .. ومن أراد منهم التدين .. وأن يسير في طريق التدين .. فدين الصوفية .. جاهز .. وبابه مُشْرَعٌ لمن شاء الولوج منه .. والعكوف عليه .. فله الحرية التامة في أن يتعبد ويتدين عن طريق التصوف والصوفية لا غير؛ ذلك الدين المرتضى والمصطفى لدى طغاة الحكم، وذلك لأسباب عدة:

منها: أن الصوفية . بلسان الحال والمقال، وكما هو واقعها المعاش والمشاهد . تفصل الدين عن الدولة والسياسة، وواقع الحياة .. فالسياسة .. وواقع الناس ومعاناتهم ومشاكلهم الخاصة والعامة في واد .. والصوفية في وادٍ آخر .. ولمن شاء أن يدخل في الصوفية .. ويسير في طريق التصوف عليه أن يتنبه لهذا الأمر .. وأن يتفرغ لحلقات الرقص، والغناء، والطرب .. والدوران والدوخان .. التي يسمونها زوراً بحلقات الذكر والتربية .. وأن ينأى بنفسه واهتماماته عن هموم ومشاكل، وقضايا الأمة .. وهذا مما يُثْلج قلوب طغاة الحكم .. ويجعلهم في مأمن من نقمة الناس.

فالصوفية من هذا الوجه تقوم بدور المخدِّرِ الفَعَّالِ للناس الذي يمنعهم من رؤية ومعاشة واقعهم على حقيقته .. فالأمة تُدَبِّجُ من الوريد إلى الوريد .. وتُنتهك حرمتها على يد أعدائها .. بينما هم يلهون ويعبثون في حلقات الرقص والغناء، والطرب .. والأهأهات .. ثم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

فأي نتيجة أرضى لبطغاة الحكم من هذه النتيجة!؟

الصُوفِيَّةُ الدِّينُ الرِّسْمِي لُطْفَاةِ الحُكْمِ

ومنها: أن الصُّوفِيَّةَ من خلال منهجها الذي يقوم على الخرق، والكشف .. والذوق .. ونبذ الورق .. والعلم المسطور في الكتاب والسنة .. فإنها تعمل على تجهيل الناس بحقيقة الإسلام .. وبأهداف .. ومبادئ الإسلام .. والتي منها الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .. ومجاهدة الطغاة الأثمين .. وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. وهذا لا شك أنه يُفرح طغاة الحكم، ويُتلج قلوبهم .. ويجعلهم في مَأْمِنٍ ومَنَأَى من نقمة الشعوب .. التي لوفقت الإسلام حقاً وصدقاً، وكما أنزله الله تعالى على سيد الخلق محمد ﷺ .. لكان لهم مع هؤلاء الطغاة شأن آخر.

الإسلام الذي يحض على مجاهدة الطغاة الظالمين .. والإنكار عليهم .. والأخذ على أيديهم .. والأطر بهم إلى الحق . كما دلت على ذلك عشرات النصوص من الكتاب والسنة . لا يُرضي طغاة الحكم .. وهو دين يُخيفهم ويُقلقهم .. ويحذرون منه ومن انتهاجه .. وهم بحاجة ماسّة إلى صرف الناس عن فهم الإسلام على حقيقته هذه، وبهذا المعنى المشار إليه أعلاه .. والصوفية هي الطائفة التي تضمن وتحقق لهم هذه الخدمة العظيمة.

فالطغاة . لكي تسلم لهم عروشهم وأنظمتهم الفاسدة . يريدون إسلاماً مفرّغاً من عقيدة الجهاد .. والصدع بالحق .. وعقيدة الولاء والبراء .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وفقه الواقع .. والصوفية هي التي تحقق لهم هذا المطلب الخبيث.

ومنها: أن الصوفية تقوم على تربية الناس على تقديس شيوخهم .. وعلى عقد الولاء والبراء في شيوخهم .. فالمرید لا يمكن أن يصل إلى الله إلا عن طريق شيخه .. وطاعة شيخه .. وبالتالي فعليه أن يكون بين يدي شيخه كما يكون المولود لحظة ولادته بين يدي مولدته .. وعلى مبدأ لا تعترض فتتطرد .. فشيخ الصوفية بالنسبة لمريديهم وأتباعهم أحبار اتخذوا أرباباً من دون الله، كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة:31. وذلك بطاعتهم في الحق والباطل سواء، وكل ما يصدر عنهم.

الصُوفِيَّةُ الدِّينُ الرِّسْمِي لُطْفَاةِ الحُكْمِ

وهذه نتيجة مرضية جداً لطغاة الحكم؛ وذلك أنهم عندما يضمنون أن يكون الشيخ الصوفي بصفتهم وإلى جانبهم .. هذا معناه أن جميع أتباع ومريدي هذا الشيخ هم في صف طغاة الحكم وإلى جانبهم .. وبالتالي كلما توسعت قاعدة وشعبية الشيخ كلما كانوا في مأمنٍ من نقمة الناس عليهم؛ لعلمهم أنهم لا يمكن أن يعصوا الشيخ فيما يأمرهم به.

وإني لأعرف بعض الأنظمة الطاغية الحاكمة .. إذا أرادوا أن يعتقلوا جمعاً من شباب الإسلام .. ميزوا بين من ينتمي إلى شيخ صوفي، وبين غيره .. فمن يثبت لديهم أنه ينتمي إلى شيخ من شيوخ الصوفية .. والشيخ يوثق لهم ذلك، كانوا سرعان ما يُطلقون سراحه.

ومنها: أن دين الصوفية يقوم على الخرق، والدوق، والكشف، والبدع، والإحداث في الدين ما لم يأذن به الله .. ودين هكذا وصفه يسر الطغاة .. إذ من السهولة أن يستخرجوا منه التزكيات .. والأعدار والمبررات.

فالشيخ يكفي لإقناع مريديه أن يقول لهم: قد هاتفي النبي ﷺ .. أو حدثني قلبي عن ربي .. أن أطلع ومن معك من التلاميذ والمريدين .. هذا الطاغية أو ذاك .. فهذا كافٍ كدليل على الإقناع .. والتلاميذ لا يمكن أن يجروا أن يسألوا شيخهم عن دليل أكثر من ذلك.

ومنها: قد علم الطغاة حاجة الناس إلى الدين .. وأنه لا بد لهم من دين يتدينون ويتعبدون به .. وهم إذا لم يتدينوا بدين الباطل فسوف يتدينون بدين الحق، وبالتالي يحصل لهم ما هم يخشونه ويفرون منه .. لذا فإن المرء الذي يعيش درويشاً صوفياً في زاوية من زوايا الصوفية .. منقطعاً عن قضايا الأمة وواقعها .. أقل عليهم ضرراً من أن يعيش مجاهداً، وموحداً .. وحرّاً كريماً .. فهم ينظرون إلى الصوفية على أنها الخيار الضروري الذي لا بد منه للناس .. والأقل عليهم ضرراً من التوجهات والمناهج الأخرى .. وبخاصة منها المناهج التي تكون أقرب إلى منهج اتباع الكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح.

الصُوفِيَّةُ الدِّينُ الرِّسْمِي لُطْفَاةِ الحُكْمِ

ومنها: أن الصوفية بالنسبة لطغاة الحكم تُعتبر الجبهة الداخلية التي يُشغلون بها أهل السنة والتوحيد، والجهاد عن مقارعتهم والانشغال بهم .. وبأنظمتهم الفاسدة .. فمن أهداف الطغاة أن يزرعوا في جسد الصف الإسلامي بعض التورمات والأمراض .. التي يُشغلون بها الجسد العام الكلي عن أداء وظائفه ومهامه الأساسية التي ينبغي أن يتفرغ لها .. فالصوفية . من هذا الوجه . تحقق للطغاة مطلباً هاماً لا يُستهان به.

فإن قيل: ولكن هي طريقة إلى الزهد، والذكر، وتهذيب النفس .. والمسلم بحاجة إلى ذلك؟

أجيب عن هذا التساؤل والاعتراض من وجهين:

أحدهما: أن الزهد، والذكر، وتهذيب النفس، والتربية الروحية .. كل ذلك يُؤخذ على طريقة ومنهج المتابعة للسنة، وما كان عليه النبي ﷺ وصحبه .. وليس عن طريق الابتداع والإحداث في الدين .. والرقص والغناء .. والقفز .. والأهامات التي ما أنزل الله بها من سلطان .. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران:31. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب:21. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء:115. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر:7. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63.

قال الإمام أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له إن قوماً يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسنادَ وصحَّته يدعون ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

الصُوفِيَّةُ الدِّينُ الرِّسْمِي لِيُظْفَاةِ الخُكْمِ

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴿ وتدرى ما الفتنة؟ الكفر! قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾
. فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي؟! ا-ه[72].

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "خذوا مناسككم عني". وقال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي".

وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو ردٌ". وقال ﷺ: "من صنع أمراً على غير أمرنا فهو رد". وقال ﷺ: "كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار". وقال ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني".
وغيرها كثير من النصوص التي تحض على الاتباع، وتحذر من مغبة ومخاطر الابتداع.

ثانياً: لا يمكن تحت ذريعة الذكر، وتهذيب النفس .. أن نقبل بالصوفية على ما تندرج عليه من مخالفات ومزالق شرعية خطيرة، قد تقدم ذكر بعضها .. ومنها ممارسة الشرك، كالاستغاثة بالقبور والأموات .. وتقديس وعبادة شيوخهم الأحياء منهم والأموات .. والغلاة منهم يرون عقيدة الحلول ووحدة الوجود .. وأن الله تعالى والشيخ شيء واحد .. وفي جبة واحدة، كما يقول بعضهم: "ما في الجبة إلا الله " .. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .. وقاتلهم الله أن يُؤفكون.

عندما تكون الصوفية غطاء لكل هذا الشر .. فلم يعد من الممكن أن تُستساغ أو تقبل . حتى ككلمة ومصطلح . بحجة الذكر، والتربية الروحية .. فكم من كلمة حق أريد بها باطل .. وكانت غطاء لباطل.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1431/05/02 هـ

2010/04/16 م

⁷² عن الصارم المسلول، لابن تيمية: 56.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

كثيرهم الذين يشكون ظاهرة التفرق، والتنازع، والتباغض، والتدابير الحاصلة فيما بين المسلمين .. وفيما بين الجماعات المعاصرة العاملة من أجل الإسلام .. حتى لا تكاد تجد جماعة ولا مجموعة إلا وتكره أختها .. وأخياتها من الجماعات والمجموعات الأخرى .. وتنبرها بالألقاب .. ثم أن الجماعة ما إن تقوم وتقف على ساقها، إلا وتنتهي إلى جماعات .. والجماعات إلى مجموعات متفرقة .. فما هو سبب هذا الداء المستحكم في جسد الأمة .. وما هو السبيل للخلاص والخروج منه؟

أما السبب .. أستخلصه في النقاط التالية:

1- ركوب المعاصي: والتنكر للمنهج الحق .. والإعراض عنه ولو بصورة جزئية .. والسير في ركاب ونصرة الباطل .. ولو بصورة جزئية، ومتفاوتة بين الجماعات .. وهذا كله قد سمّاه القرآن الكريم " نسيان حظ من الدين"، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ : على الدخول في التوحيد الخالص، والطاعة لله تعالى، ولرسله ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ : أي نسوا حظاً من الدين والتوحيد الذي أمروا به .. فأعرضوا عنه ولم يلتزموا به .. فماذا كانت النتيجة، والعاقبة ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة:14. وهذا مثال ضرب في أمة النصارى لتتعظ أمة الإسلام، وتعتبر، وتتنبه؛ فلا تسير في طريق العصيان والنسيان .. كما سارت الأمم من قبلهم .. وحتى لا يؤول أمرها إلى ما آلت إليه أمة النصارى من الفرقة والعداوة والبغضاء فيما بينها .. فإن أينا إلا أن نسير طريقهم .. ونركب ما ركبوا من النسيان والغفلة والإعراض عما أمرنا أن نلتزم به .. فالنتيجة المحتمة والمنتظرة أن ينزل بنا ما نزل بهم من العداوة والبغضاء .. والتفرق .. والتدابير .. وعلى قدر حجم ونوع النسيان والعصيان .. فليست لهم كل مرة، ولنا كل حلوة.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فعصوا أمرهم ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف:165. ومن العذاب البئيس .. أن يُلقى الله تعالى فيما بين العصاة الذين نسوا أمر الله تعالى أو بعض ما أمرهم به .. العداوة والبغضاء .. والفرقة .. والتناحر .. حتى لا تكاد تجد اثنان يحبان بعضهما بعضاً .. أو يثنيان على بعضهما بعضاً بالخير! وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ بعصيانه، ومخالفة أمره، وتعاليمه .. ولما أبوا إلا أن يسيروا في طريق النسيان والعصيان .. كانت العقاب ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ ؛ أي فأنساهم ما تصلح به أنفسهم وأحوالهم في الدنيا والآخرة .. فضلوا عما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة .. ومن ذلك أن يُلقى فيما بينهم العداوة والبغضاء .. والفرقة والتنازع .. فلا يجتمعون على شيء ينفعهم في دينهم ودنياهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الحشر:19.

وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ ؛ بعصيانه، والإعراض عن أمره، ومنهجه، وصراطه المستقيم ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ التوبة:67. في الدنيا فلا يباليهم الله تعالى بالآفة .. فتركهم لأنفسهم وحولهم .. يتخبطون في أهوائهم .. فلا يوفقهم لخير .. وفي الآخرة يتركهم للعذاب .. فلا يشملهم بعفو ولا رحمة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ ؛ والذِّكر هنا يشمل الدين كله .. فمن يعرض عن الدين أو بعض منه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ ؛ على قدر ونوع الإعراض .. ومن العيش الضنك الذي ينزل بساحة المعرضين عن الذِّكر .. هذا التفرق .. والتباغض والتناحر .. والتلاعن الحاصل فيما بينهم.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "خمس خصالٍ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تُدركوهنَّ . منها : "وما لم تحكّم أئمتهم بكتابِ الله، ويتخيروا فيما أنزلَ الله، إلا جعلَ الله بأسهم بينهم" [73]. كما هو مشاهد ومُعاش؛ فلما تخلَّ حكام المسلمين عن الحكم بكتاب الله تعالى .. واستبدلوه بأحكام وضعية جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان .. حصل بينهم وبين شعوبهم من المسلمين هذا التنافر، والتباغض، والتلاعن، والتقاتل .. وحصل خلاف فيما بين المسلمين حول الموقف الأمثل من

⁷³ رواه ابن ماجه وغيره، صحيح الترغيب والترهيب: 1761.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

هؤلاء الحكام .. فتوسع الخرق والخلاف والتفرق .. واشتدت حالة البأس فيما بينهم .. وهذا مرده كله بسبب معصية واحدة؛ وهي عدم الحكم بما في كتاب الله تعالى من أحكام وشرائع.

وقال ﷺ: "أقيموا صفوفكم . ثلاثاً .. والله لتُقيمَنَّ صفوفكم أو ليُخالفَنَّ اللهُ بين قلوبكم" [74]. فتأملوا مجرد المخالفة في تسوية الصفوف وإقامتها .. مؤداها إلى اختلاف القلوب بعضها على بعض .. فكيف بسواها من المخالفات والمعاصي!؟

وقال ﷺ: "إذا أبغضَ اللهَ عبداً، نادى جبريلَ إنِّي أبغضتُ فلاناً. فينادي . أي جبريل . في السماء، ثم تنزلُ له البغضاء في الأرض" [75]. والله تعالى إذ يبغض عبداً؛ يبغضه لمعاصيه وذنوبه .. التي من آثارها أن يوضع له البغض والنفرة في قلوب العباد.

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: "أما بعد، فإنَّ العبدَ إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاماً".

وفي رواية عنها: "من طلبَ محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده له ذاماً".

وفي رواية: "من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس له ذاماً".

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "ليحذر امرؤ أن تلعه قلوبُ المؤمنين من حيث لا يشعر؛ إنَّ العبدَ يخلو بمعاصي الله، فيُلقي اللهُ بُغضَه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر".

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم "الداء والدواء": "للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، منها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بُعدَ منهم ومن مجالستهم، وحُرِمَ بركة الانتفاع بهم، وقربَ من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن، وتقوى

⁷⁴ صحيح سنن أبي داود: 616.

⁷⁵ رواه الترمذي، صحيح الجامع: 284.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

هذه الوحشة حتى تستحكم، فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشاً من نفسه، وقال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي ا- هـ.

2- التعصب: وأعني به تعصب الأفراد لمسميات جماعاتها وقياداتها على حساب الحق، وموالاته الحق، وعلى حساب مسمى " الإسلام " الذي يضم ويجمع الجميع .. فكل حزب تراه يربي أفرادَه على التعصب للحزب وقرارات ورجالات الحزب .. بغض النظر عن موافقة الحق أو مخالفته .. حتى أصبح كل حزب بما لديهم فرحون .. فلا تعنيهم إلا مصلحة الحزب، وليكن بعد ذلك ما يكون .. فضغفت فيهم عقيدة الولاء والبراء في الله، وعقيدة الحب والبغض في الله .. وعقيدة الانتماء لجسد الأمة الكبير .. ليستبدلوا ذلك الاعتقاد بعقيدة الولاء والبراء في الحزب .. وقيادات .. وشعارات .. وسياسات الحزب .. وعقيدة الانتماء للحزب .. ولمساحات جغرافية ضيقة مجتزأة من الجسد الأم الكبير .. فانعكس ذلك سلباً على وحدة الصف والكلمة، وكان سبباً في هذه الفرقة المقيتة التي تشهدنا الأمة في هذا الزمان .. وسبباً في حصول هذا التناحر والتدابير، والتنازب الذي تشهدنا الساحة.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران:103. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: 46. والأمر بالصبر هنا يمتد ليشمل معانٍ عدة، منها: الصبر على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ. ومنها: الصبر على المنهج الحق. ومنها: الصبر على التوحد وما يستدعي من تنازلات وتضحيات شخصية وحزبية، ومصالح فرعية من أجل تحقيق وتثبيت دعائم الوحدة والتوحد .. فالتنازل عن الحق الخاص من أجل الحق العام يستلزم تضحية وصبراً. ومنها: الصبر على نوازع الهوى والتفرق في النفس .. التي تسوغ للإنسان التفرق والتنازع .. وشق الصف لأسباب واهية لا تستدعي ذلك، لا تعدو عن كونها مصالح شخصية بحتة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات:40-41.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

ومن حرص الإسلام على وحدة الكلمة، وتوحيد الصفوف، ونبذ الفرقة والتفرق فيما بين المسلمين أنه أوصى بقتل من ينازع الخليفة الأول على الخلافة .. إن لم يردع . ولا يمكن منعه وإيقافه . إلا بذلك .. دفعاً لتفريق الكلمة، وشق الصفوف، وإضعاف الشوكة، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمره قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر" مسلم.

وقال ﷺ: "إذا بوع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما" مسلم. وهذا في حال إن أبي الآخر أن يتنازل للأول . الذي اجتمعت عليه الكلمة . وأصرَّ على المنازلة والقتال.

3- الجهل: الجهل عدو صاحبه؛ إذ يحمله أحياناً على المخالفة، والوقوع في الخطأ ثم يحسب نفسه أنه ممن يُحسنون صنعاً .. والجهل أنواع .. والذي أعني منه هنا: الجهل في إنزال الأمور منازلها الصحيحة .. والجهل في وضع الشيء في موضعه الصحيح .. والجهل في ترتيب الأولويات .. وتحديد الأهم فالأهم .. والجهل في الترجيح بين المصالح والمفاسد .. وبين المصالح ذاتها .. وبين المفاسد ذاتها؛ وأي المفاسد أشد مفسدة من الأخرى .. والجهل في تحديد المواقف من الآخرين والأشياء .. والجهل في توصيف الأشياء، ومن ثم الحكم عليها .. والجهل في كيفية التعامل مع المخالف والمخالفات .. إذ أحياناً تُضخَّم الصغائر .. وتُصغَّر الكبائر .. فيقع الإفراط والتفريط .. ويقع التفرق .. والتنازع .. والتباغض .. والتدابير .. وربما التقاتل .. وسفك الدم الحرام .. بغير وجه حق .. ويكون ذلك كله مرده إلى الجهل.

هذا هو الداء .. وهذه هي أسبابه .. فما هو الدواء؟

أقول: إذا عُرِف الداء .. سهلت معرفة الدواء .. ويتلخص بالإقلاع عن أسباب الداء، والإتيان بضدها، وهي: اجتناب المعاصي؛ الخاصة منها والعامّة، والدخول في الطاعة؛ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ .. والتي من لوازمها ومتطلباتها عقد الموالاتة والمعاداة، والحب والكره في الله تعالى .. وعدم النسيان لأي حظٍّ من الدين .. وذلك لا يكون على الوجه الذي يُرضي الله تعالى إلا بعد طلب العلم الشرعي وتحقيقه.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

فالذي يؤلف بين القلوب، والقادر على التأليف فيما بينها هو الله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران:103.

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال:63.

ومن لوازم تحقيق التأليف بين القلوب، طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، فما عند الله تعالى لا يتنزل ولا يطلب بمعصيته، ولا بنسيان حظ من الدين، وإنما يطلب بطاعته وتوحيده، وأخذ الدين كاملاً وبقوة من غير نسيان لشيء منه.

فعلى قدر الطاعة، والالتزام، وانتفاء النسيان لشيء من حظوظ الدين على قدر ما تتحقق الوحدة والإلفة والمحبة بين المؤمنين، وعلى قدر الشرود عن الطاعة، وحصول النسيان لحظ من الدين على قدر ما تتحقق الفرقة، والنفرة بين القلوب .. وتنتفي الألفة فيما بينها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مريم:96. أي سيلقي في قلوبهم الود والرحمة والإلفة والمحبة لبعضهم البعض .. كما أنه تعالى سيجعل لهم يوم القيامة وداً منه ورحمة .. لكن لكي يتحقق ذلك كله، لا بد من أن يكونوا من: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . وهو وصف يشمل الالتزام بأحكام الدين كله، نهياً وأمراً.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببتُ فلاناً فأحبه، فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾" [76]. والعبد لا يحظى بمحبة ربه عز وجل إلا بطاعته وتوحيده .. فليس بين العبد وربه نسب ولا رحم .. إنما هي الأعمال والطاعات .. فالطاعة سبب في محبة الخالق ﷻ لعبده .. ومحبة الله تعالى لعبده سبب في وضع القبول والمحبة للعبد في السماء والأرض .. وما كان سبباً للمحبة .. فهو سبب للقبول والمحبة في السماء والأرض.

⁷⁶ رواه الترمذي، صحيح الجامع: 284.

تأليف قلوب المؤمنين بطاعة رب العالمين

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ الطلاق:2. والتقوى تعني الإتيان بكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الطاعات الظاهرة منها والباطنة، والانتها عن كل ما يُسخط الرب ﷻ من الأعمال والأقوال الظاهرة منها والباطنة.

وقوله تعالى: ﴿مَخْرَجاً﴾ ؛ لفظ جاء بصيغة النكرة ليعم مطلق وعموم المخارج من كل كرب وهم، وضيق، وبلاء، وداء .. أياً كان نوعه، وكان حجمه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ الأنفال:29. أي فرقاناً ومخرجاً وفرجاً من كل ما أهمكم من شؤون دينكم ودنياكم.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة:282.

هذا هو الداء .. وهذا هو الدواء .. لكل من نشد الشفاء .. مما ألمَّ به وبأتمته من أدواء .. نسأل الله تعالى أن يعيننا على التقوى .. وأن يجعلنا من أهل التقوى .. إنه تعالى سميع قريب مجيب، وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1431/05/15 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2010/04/29 م

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:102.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء:1.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الأحزاب:70-71.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعد، عندما يفتقد الإنسان الميزان الحق الذي به يزن الأشياء؛ به يزن الكلمات، والمواقف، والأشخاص .. حينئذ لا يعرف أين هو من الحق، وهل هو مع الحق أم مع الباطل .. وسواد من يُكثِر.. وتحت أي مظلة يستظل؛ لأنه حينئذ لا يُحسن التمييز بين الحق والباطل .. ولا بين النافع من الضار.. ولا بين الفاضل من المفضول .. فالباطل قد يراه حقاً، والحق قد يراه باطلاً، والظالم قد يراه عادلاً، والعاقل قد يراه ظالماً، فيُخسر في الميزان طوعاً أو كرهاً، كمن يسير في ظلامٍ داكنٍ يتخبط في الطرق وأوديتها وحفرها، من غير مصباح يُضيء له.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

من هنا تكمن أهمية هذا البحث الذي أسميته " **المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع** " الذي يعتبر بمثابة الميزان؛ الذي به تُوزن الأشياء، في حال ما تُعرض عليه، وهو كذلك بمثابة المصباح الذي يُضيء لصاحبه الطريق، فيبصره بمواضع الحفر من غيرها.

ما أحوج الناس لهذا المصباح، وهذا الميزان في هذا الزمان الذي تنوعت فيه وسائل الطلب والتلقي، وتنوعت وتضخمت فيه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وفشا فيه القلم، بصورة يعجز فيها الإنسان عن متابعة مجرد العناوين مما يُطبع ويُنشر!

كثرت المعارض، وكثرت المعروضات .. وتفننوا في عرضها وتزيينها في أعين الناس .. حتى بات المرء لم يعد يُحسن التمييز بين الأصلي منها من المغشوش .. ولا بين الصادق منهم من الكاذب!

ما هو الحق منها وما هو الباطل .. ما يُؤخذ منها وما يُرد .. ثم أين تُوضع الخطأ عند المسير .. وفي أي اتجاه تسير .. هذا ما سيعرفه القارئ ويقدر عليه إن تمكن من استملاك الميزان، الذي سنبينه . بإذن الله تعالى . في هذا المبحث الهام والوجيز.

فאלله المُستعان، وعليه التكلان، وهو حسبي ونعم الوكيل

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

.تشخيص الداء:

الإنسان ابن بيئته الثقافية والفكرية .. فكما أن جسد الإنسان يتأثر ضعفاً وقوة .. سلامة وسقماً .. بحسب ما يدخل . أو يدخل . إليه من أنواع الأطعمة والأغذية .. وبحسب جودة وصلاحية هذه الأطعمة .. كذلك يتأثر عقله، وفكره، وذوقه ضعفاً وقوة .. استقامة وانحرافاً .. حقاً وباطلاً .. بحسب ما يُلقى . أو يُلقى . في وعاء رأسه وقلبه من قيم ومبادئ .. ومعانٍ وثقافات .. وبالتالي فإن سلوكيات .. وأخلاقيات .. واعتقادات .. ومواقف الإنسان . سواء الموافق منها للحق أم الموافق للباطل . ما هي إلا عبارة عن نتاج القيم والمبادئ والأفكار التي كان قد تلقاها من بيئته الثقافية . أو البيئة الثقافية التي تُحيط به . إن كانت خيراً فخير، وإن كانت شراً فشر .. فالوعاء ينضح ما فيه، وما يُلقى فيه.

وشياطين الإنس . ومن ورائهم إخوانهم من شياطين الجن تأزهم أزاً . قد تفتنوا لهذا المعنى .. فأحاطوا الإنسان . على مدار الوقت . بسياج من وسائل التلقي المختلفة: المرئي منها، والسمعي، والمقروء .. فالقنوات التلفزيونية . التي تبث الشرور والسموم . بالمئات إن لم تكن بالآلاف .. يُضاف إليها وحش الإنترنت وما يُبث فيه . ومن خلاله . من شرور تكاد تقتل جميع أوقات الإنسان في الحرام، وفيما يغلب ضرره نفعه .. يُضاف إليها المناهج التعليمية الدراسية القائمة على تكريس مفاهيم الإلحاد والإباحية، التي تُفرض على الأبناء والأجيال منذ المرحلة الابتدائية، وإلى ما بعد المرحلة الجامعية .. يُضاف إليها هذا الكم الهائل من الدعايات والإعلانات التي تزين الشروتروج له .. والتي تلاحق الإنسان في كل مكان وفي كل زقٍ يسير فيه .. طوق بعد طوق .. وخناق بعد خناق .. ظلمات بعضها فوق بعض .. حتى لا يكاد المرء أن يرى من النور شيئاً .. هذا المكر والكيد .. يصوره لنا القرآن الكريم .. يوم ينكشف الغطاء .. وتتجلى الحقائق للعيان .. من خلال حوار الأتباع المستضعفين، من الشعوب الضالة التائهة .. مع أسيادهم الطغاة المستكبرين من شياطين الإنس والجن .. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ سبأ:33. فهو ليس مكر الليل وحسب، ولا مكر النهار وحسب، بل هو مكر متواصل من غير

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

توقف ولا انقطاع؛ تواصل الليل بالنهار، وتواصل النهار بالليل .. حتى لا يُعطوا للمرء فرصة للراحة، والتفكير، والخلوة مع النفس؛ فيتكشّف له حينئذٍ شرُّ مكر الليل والنهار .. وهذا ما لا يريدونه أن يقع .. ما الهدف وما الغرض، من وراء هذا المكر المتواصل ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾؛ إخراج العباد من عبادة الله تعالى وحده إلى عبادة الطغاة الأنداد .. عبادة شياطين الإنس والجن ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾؛ كلاهما المستضعفون، والمستكبرون سواء .. العابدون والمعبدون من دون الله، كلاهما شركاء في العذاب .. لأنهما كلاهما كانا شركاء في هذا المكر، وهذا الوزر العظيم.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ فصلت:26.

أي إذا قرئ القرآن، أو سمعتم آياته تتلى فارفعوا أصواتكم، وصيحوا، واصخبوا .. حتى لا تفهم كلمات القرآن .. وحتى إذا وصلت إلى مسامع الناس .. تصلهم كأنها تتلى عليهم من بعيد .. مشوشة .. مهمة .. لا تتضح لهم معانيها ومقاصدها .. والقوم . في زماننا . قد تطورت وسائلهم في اللغو والتشويش على الحق .. فهي لم تعد مقصورة على الصخب ورفع الأصوات .. والضرب بالدفوف والطبول .. بل تعدت ذلك بكثير .. فلغوهم في القرآن الكريم يشمل جميع فنون وأنواع المکر ووسائله؛ المشار إليها آنفاً.

هذا جانب، ومن جانب آخر فقد أشار النبي ﷺ إلى زمانٍ تفسو فيه الفتن والأهواء والكذب .. والخيانة .. وتنفي فيه الأمانة فيما بين الناس بعد القرون الخيرية الثلاثة الأولى، حتى يُقال في بني فلان رجل أمين، ولا أرى زماننا بمنأى عن هذا الزمان، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "يُصبح الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يؤدي الأمانة، فيُقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يُقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة" [77].

⁷⁷ أخرجه الطبراني وغيره، السلسلة الصحيحة: 1739.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال ﷺ: "أول ما يُرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورُبَّ مصلي لا خلاق له عند الله تعالى" [78]. والأمانة تشمل كل ما يجب حفظه ورعايته من شؤون الدين والدنيا سواء، وأشد ما يدخل في معنى الأمانة؛ أمانة بيان العلم والصدق بالحق كاملاً غير منقوص، ولا تحريف، وبخاصة في زمن الحاجة إليه .. وما أقل الذين يُؤدون هذا النوع من الأمانة!

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة:159. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة:174.

وقال ﷺ: "تكونُ بين يدي الساعة فتنةٌ كقطع الليل المظلم، يُصبحُ الرجل فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيع أقوامٌ دينهم بعرضٍ من الدنيا" [79]. لضعف . أو ضياع الأمانة . يبيع أحدهم دينه بثمان بخس؛ فلا يتورع أن يجادل عن الطغاة .. أو أن يكتم علماً يجب بيانه .. أو أن يعمل عندهم جلاداً، يهوي بسوطه على ظهور الأطهار من دعاة التوحيد .. متى جاءه الأمر بذلك .. مقابل دراهم معدودات تُرمى إليه، يقتات بها بالحرام، وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ أكل بمسلمٍ أكلةً فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسي برجلٍ مسلمٍ فإن الله يَكسوه من جهنم" [80].

وقال ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسحو الكذب، حتى يشهد الرجلُ ولا يُستشهد، ويحلف الرجلُ ولا يُستحلف" [81]. ونحن في زمان . يُؤسفني أن أقول . قد فشا فيه

⁷⁸ صحيح الجامع: 1575.

⁷⁹ صحيح سنن الترمذي: 1788.

⁸⁰ صحيح الأدب المفرد: 179.

⁸¹ صحيح سنن الترمذي: 1874.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

الكذب، واشتد فيه الكذب على دين الله تعالى . من أبنائه قبل أعدائه . فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأخرجوا منه ما هو منه، وما هو من أصوله وثوابته .. طاعة للطغاة الأثمين تارة .. وطاعة لأهوائهم وتحزباتهم الباطلة تارة أخرى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام:21.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "من كذَّب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" البخاري.

كل ذلك مما زاد من ضراوة البلاء والفتن على الناس .. وزاد من ظلمة الظلام، ومن أمدته .. ظلمات بعضها فوق بعض .. وغيشاوة فوق غشاوة، تحجب النور عن الأبصار والبصائر سواء .. وتزيدها عمى على عمى .. وضلالاً على ضلال .. وتحيل بينها وبين الاهتداء إلى مواطن الحق والنور .. فزُرِعت في دروب الناس جبال من الأشواك والشكوك، والشبهات، والأراجيف، والسدود، والحواجز التي تصدهم عن متابعة الحق .. وعن معرفته على حقيقته كما أنزل على محمد ﷺ .. ومن نجح في اختراق الأطواق والحواجز .. تلقفته سياط وسجون الطغاة الأثمين لتفتنه عن دينه .. وتكمل المهمة؛ مهمة الصديق عن دين الله .. فعاد الدين الحق غريباً، محارباً، مستهجنأ، متهمأ، كما بدأ غريباً، حتى أصبح المتمسك بدينه . لشدة ما يلقي من الكبد والمعاناة . كالقابض على جمر من نار، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: "يأتي على الناس زمانٌ، الصابر فيهم على دينه، كالقابض على الجمر"^[82]. فكم يصبر القابض على الجمر على آلام الجمر، وكم يُعاني من الآلام وهو قابض على الجمر .. هكذا القابض على دينه في زمن الغربة .. ولا أرى هذا الزمان ببعيدٍ عن زماننا الذي نعيش فيه.

وقال ﷺ: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" متفق عليه.

⁸² صحيح سنن الترمذي: 1844.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وفي رواية: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: الذين يُصلِحون إذا فسدَ الناس" [83].

وفي رواية، قال: "أناس صالحون في أناسٍ سوء كثير من يعصمهم أكثر ممن يطيعهم" أحمد.
وفي رواية، قال: "النزاع من القبائل" [84]. أي الغرباء من كل قبيلة أو قومٍ أو عشيرة، يُنتزَعون من قبائلهم، فيجتمعون فيما بينهم على ما بينهم من اختلاف في الانتماء القبلي، والقومي، والعرقي، والقطري، واللغوي .. لا يجمعهم سوى الحب لله ولرسوله ﷺ، والنصرة لدين الله الحق .. فهؤلاء طوبى لهم، ثم طوبى لهم.

تشخيص الدواء:

بعد أن شخصنا الداء وعرفناه، فما هو الدواء .. وما هو العاصم .. وأين الملاذ .. وكيف النجاة .. وما هو السبيل للخلاص من هذا المكر المتواصل الذي يُحيط بنا إحاطة السَّورِ بالمعصم .. وما هو المنهج الحق الذي يجب انتهاجه، واتباعه؟
هذا سؤال كبير أجيب عنه في النقاط التالية:

أولاً: اكمال الدين: اعلم أن الدين الحق قد كمل، وبكماله كمل كل ما يُقرِّبنا إلى الله تعالى، وإلى الجنة، وكل ما يُبعدنا عن الزلل وعن النار .. وقد أبان الله تعالى سبيل المؤمنين، وحض على انتهاجه .. كما أبان وجلَّى سبيل المجرمين، وحذر من انتهاجها .. فلم يحوجنا الله تعالى في شيء . مهما دَقَّ . مما ينفعنا في أمور ديننا ودنيانا إلى سواه .. ولا إلى سوى منهجه وصراطه المستقيم، لتلتمس منه الحلول والدواء لما يواجهنا من مشاكل، وأدواء.

⁸³ أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن، السلسلة الصحيحة: 1273.

⁸⁴ صحيح سنن ابن ماجه: 3223.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

المائدة:3. فالدين ليس ناقصاً ليكمل نقصانه من مصادر ومشارب أخرى، وإنما هو كامل تام غير ناقص،

بشهادة الرب ﷻ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ

وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام:153. وهذا من معانيه ولوازمه بيان الصراط المستقيم، وكذلك بيان

سبل أهل الباطل والأهواء بياناً شافياً كافياً وافياً لا لبس فيه ولا غموض.

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد:10. أي هدينا الإنسان، وبيننا له، ودللناه على طريق

الخير الحاوي والجامع لكل خير، وعلى طريق الشر الحاوي والجامع لكل شر.. فهو لا يحتاج لكي يعرف

الخير من الشر، النافع من الضار، الحق من الباطل.. إلى غير دين الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل:89.

وقوله تعالى: ﴿تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ : عام لكل شيء؛ أي فيه تبيان لكل ما يضر، وكل ما ينفع من أمور

الدين والدنيا؛ ما يضر لكي نجتنبه ونحذره، وما ينفع لكي نأتيه ونلتزمه.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم

به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه" [85].

وفي رواية: "ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله تعالى إلا وأمرتكم به".

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا عندنا

منه علم" [86]. وهذا من قبيل التمثيل والتقريب؛ فإذا كان ما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد بين لنا

النبي ﷺ منه علماً، فكيف بما هو أجل وأعلى من ذلك من أمور الدين والدنيا؛ فهو ﷺ أشد لها تبيانياً

وإيضاحاً.

85 السلسلة الصحيحة: 2866.

86 صحيح موارد الظمان: 62.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

ثانياً: اتباع أسلوب الوقاية ما أمكن: قبل الانكباب على الدواء، لا بد من نوع وقاية تحجب

الإنسان عن الضرر، وأسبابه، فالدواء ينفع مع توقف أسباب الداء، وروافد ومغذيات الداء .. فالمضادات الحيوية لا تعمل عملها ما دام الجسد يتلقى يومياً جرعات من الجراثيم، تفوق قوة المضاد الحيوي .. كذلك العقل لا يستفيد كثيراً عندما يتلقى قيم الحق، وهو في المقابل يتلقى كمّاً كبيراً من المفاهيم، والقيم، والأفكار الخاطئة الباطلة .. فما بالك إذا كان لا يتلقى إلا المفاهيم والقيم، والأخلاقيات الخاطئة الباطلة .. ولا يعرف من دنيا القيم والمبادئ والثقافات سوى ما يُلقى إليه من شر .. فحينئذٍ حدث عن حجم التشوهات والتورمات الخبيثة التي يستعصي علاجها، ولا حرج .. وحدث عن فقدان المناعة الفكرية والثقافية، والقيمة عند الناس، ولا حرج!

الناس يقلقون للإيدز العضوي . وحق لهم أن يقلقوا . بينما كثير منهم لا يُبالي أن يُصاب بالإيدز الفكري؛ الذي يفقده المناعة من مقاومة أي فكرة خاطئة، فتارة تراه يترنح يمناً مع أهل اليمين، وتارة أخرى يترنح يسرة مع أهل اليسار، ولا يمانع أن يتقدم أو يتأخر، فهو حينما قيّد انقاده، وحينما وُجّه توجّه، من دون أدنى مقاومة ولا ممانعة .. أيما فكرة تصدمه يصفق لها، وقد تشطحه أرضاً .. لا يُحسن التمييز بين الصالح منها من الطالح .. ولا بين الخير من الشر، ولا بين العدو من الصديق؛ لأنه فاقد لأصل المناعة التي تمكنه من حسن الاختيار والتمييز، ولعمر الحق هذا النوع من الإيدز لهو أشد خطراً وضرراً على الإنسان أضعاف مضاعفة من الإيدز العضوي!

من هنا جاء الإسلام بقاعدة ذهبية عظيمة: ألا وهي قاعدة "سد الذرائع"، والتي تعني أن كل ما يؤدي إلى شرٍّ، فله حكم الشر من حيث الحظر والمنع .. وتعني وأد الشر قبل ظهوره وانتشاره .. وتعني حسم مادة الفساد بقطع واستئصال وسائله .. فهي تنظر إلى الوسائل على اعتبار مآلاتها، وليس على اعتبار إباحتها وحسب، بغض النظر عن المآلات التي ستؤول إليها؛ سواء كانت حقاً أم باطلاً!

فالإسلام لا يقول لاتباعه جربوا الشرّ، أفسحوا الطريق للشر، امنحوا الشرّ الحرية المطلقة .. قننوا له القوانين .. واصنعوا له الدعايات التي تزخره وتزينه في أعين الناس .. ثم بعد ذلك من وقع

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

منكم في الشر سوف يُعاقب، ويُؤخذ بذنبه .. حاشاه؛ الإسلام لا يفعل ذلك .. ولا يرضى بذلك، وإنما يمنع الشرّ وأسبابه، ويسهل الخير، وأسبابه .. ثم هو بعد ذلك يُعاقب على من تكلف البحث والتنقيب عن الشر.

لماذا عندما تهب عاصفة رملية، تحمل معها أوساخ الشوارع، الكل يفرع إلى نوافذ بيته ليحكم إغلاقها جيداً، حتى لا يتسرب إلى البيوت شيئاً من تلك الرمال والأوساخ، بينما عندما يرسل شياطين الإنس والجن سمومهم، وكفرهم، وإلحادهم، وفسوقهم، وإباحيتهم .. إلى بيوت الناس .. عبر مئات القنوات التلفزيونية .. الكل يفتح لها الأبواب والنوافذ .. علماً أنها أشد فتكاً وضرراً على الناس وبيوتهم من الرمال والأوساخ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْتِي إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء:32. لم يقل الرب ﷻ ولا تزنوا، وإنما قال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْتِي﴾ ؛ أي لا تأتوا الأسباب، ولا تفتعلوا الوسائل التي تُقربكم من الزَّيْتِي، فتلك الأسباب والوسائل محرمة وممنوعة . كحرمة الزنى . لأنها تُفضي إلى الزَّيْتِي.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء:36. فالسمع، والبصر، والفؤاد هي وسائل التلقي والفهم، التي تتلقى المعاني، والأفكار، والقيم، والمبادئ من مصادر بيّتها .. فالإنسان مسؤول ومحاسب عنها؛ هل ترك لها العنان لتتلقى المعاني، والقيم، والمبادئ الشريرة الباطلة .. أم أنه صانها من كل ذلك .. وأطلق لها العنان في اتجاه واحد؛ اتجاه تلقي معاني وقيم، ومبادئ الحق والخير.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته" متفق عليه. فمن لم يكن له رعية من خارج نفسه يربعاها، فهو راعٍ على نفسه، وجسده، وجوارحه، هل صانها، وأطاع الله فيها، ووجهها فيما يرضي الله ﷻ، أم أنه عصاه فيها، وأطلق لها العنان في معصية الله. لتقع في الموبقات،

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

والمهلكات، كما في الحديث: "لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ: . منها . وعن جسمه فيما أبلاه" [87].

وعن جابر، أن عمر بن الخطاب، أتى رسولَ الله ﷺ بنسخةٍ من التوراة، فقال: يا رسولَ الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه النبي ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ [88]؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعودُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً. فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني" [89].

جُوبه فعل عمر بهذه الشدة، وبهذا الغضب؛ لأن المسألة تتعلق بالمصدر الذي تُتلقى منه العقائد، والقيم، والمفاهيم، والشرائع .. فالقضية من هذا الجانب لها مساس بالعقيدة والتوحيد؛ لذا قد اشتد غضب النبي ﷺ مما حمل عمر على أن يجدد العقد والعهد: "أعودُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً".

قلت: هذا فيمن يُقبل على موسى الطيّب ويترك محمداً ﷺ، أو يُقبل على شيء مما أنزل على موسى الطيّب، ويترك ما أنزل على محمد ﷺ .. فكيف بمن ينصرف عن محمد ﷺ، وما أنزل عليه، إلى السَّقَط من القيم والمبادئ الضالة؛ كالبعثية، والاشتراكية، والشيعوية، والديمقراطية، والليبرالية، والعلمانية، وغيرها من الشعارات والمسميات التي تنطوي على معاني وعقائد باطلة كافرة .. لا شك حينئذٍ أن من

⁸⁷ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

⁸⁸ أي من الغضب؛ وذلك لأن الأمر له علاقة بالعقيدة والتوحيد، وبالتلقي والاتباع، وممن يؤخذ الدين .. وممن تؤخذ الأحكام والقيم والمبادئ، من الله تعالى ورسوله فيتحقق حينئذٍ التوحيد، أم من مصادر أخرى، فيكون حينئذٍ الشرك والتنديد.

⁸⁹ رواه الدارمي، مشكاة المصابيح: 194، وانظر صحيح الجامع الصغير: 5308.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

يفعل ذلك، ليس له حظ في الإسلام، وإن تسمى بأسماء المسلمين، أو زعم بلسانه ألف مرة أنه من المسلمين!

وعن جابر، عن النبي ﷺ حين أتاه عمر، فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: "أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي" [90].

لذا لأجل قطع دابر الشر قبل حصوله واستفحاله، قد ورد النبي عن مجالسة أهل البدع والأهواء، وعن الإصغاء إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: 68. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ النساء: 140. المنافقون هم الذين يرضون لأنفسهم الجلوس مع المستهزئين بآيات الله تعالى من غير إكراه، ولا إنكار ولا قيام، والكافرون هم المستهزئون الذين يباشرون الاستهزاء بآيات الله تعالى.

وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: "من قرَّصاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام" [91].

وقال ﷺ: "مثلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ: كحامِلِ المسكِ ونافخِ الكيرِ؛ فحامِلِ المسكِ إمَّا أن يُحذِيكَ، وإمَّا أن تُبتاعَ منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحاً طيبةً، ونافخُ الكيرِ: إمَّا أن يُحرقَ ثيابك، وإمَّا أن تجدَ ريحاً خبيثةً" متفق عليه.

وفي الأثر عن ابن مسعود: من أحب أن يُكرمَ دينه فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرب.

⁹⁰ رواه أحمد وغيره، مشكاة المصابيح: 177. قال عنه الشيخ ناصر: حديث حسن. وقوله " أمتهوكون أنتم!": أي

أمحتررون ومترددون أنتم في دينكم، فلا تعرفون الحق من الباطل، كما كان اليهود والنصارى محتررين في دينهم!؟

⁹¹ مشكاة المصابيح: 187. قال الشيخ ناصر في التخرُّج: قد يرتقي الحديث بمجموع طرقه إلى درجة الحسن.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وعن الحسن البصري قال: "لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك".

وعن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه آيأه.

وعن الأوزاعي قال: لا تمكّنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنته وارتياباً.

وعن الضحاك قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يسجن القصاص ومن يجلس إليهم.

وعن مجاهد قال: دخل قاصٌّ فجلس قريباً من ابن عمر فقال له قم فأبى أن يقوم فأرسل إليه شرطياً فأقامه [92].

وغيرها كثير من النصوص، والآثار التي تنهى عن مجالسة أهل الأهواء، والضلالة والبدع، وعن الإصغاء إليهم، ومع ذلك كثير من الناس يحملهم الفضول، وحب الاطلاع. كما يزعمون. على مجالسة أهل الأهواء والبدع، وعلى الإصغاء إليهم .. فيتلوثون، بل ويحترقون .. وبخاصة عندما يجدون صعوبة في الرجوع إلى الوراء، أو الخلاص مما قد علق بهم من شهوات وأهواء.

ومن هؤلاء بعض من اشتغل بعلم الكلام، فسلك أوديته وسراديبه، فضاع، وأضاع، أو كاد، يقول: محمد بن عمر الرازي في كتابه أقسام اللذات:

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا وحاصلُ دُنيانا أذى ووبال

ولم نَسْتَفِدْ من بحثنا طولَ عُمْرنا سوى أن جمعنا فيه: قيلَ وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن.

⁹² انظر كتاب البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال: لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم فلم أر إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على دَقْنٍ أو قارعاً سنَّ نادِم.

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضتُ البحرَ الخضمَّ، وخلَّيتُ أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدةٍ أُمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور!

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي، لبعض الفضلاء: ما تعتقد؟ قال: ما يعتقدُه المسلمون، فقال: وأنت منشح الصدر لذلك مستيقنٌ به؟ فقال: نعم، فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقدُ، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضلت لحيته!

وقال آخر. محمد بن سالم بن واصل الحموي: أضطجِعُ على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلعَ الفجرُ، ولم يترجَّح عندي منها شيء!!

وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح البخاري على صدره^[93].

ومنه يُعلم خطأ وخطورة دعاوي التي تُثار بين الفينة والأخرى، والتي تُطالب بضرورة الانفتاح على ثقافات الآخرين، وعلى دين وقيم ونظام الآخرين.. بزعم التبادل الثقافي.. والتي ظاهرها يعني توسيع المعارف والمدارك كما يزعمون.. وباطنها يعني بث السموم، وإلقاء مزيد من الشبهات والأهواء، والانحرافات، وزبالات الأفكار في عقول ورؤوس المسلمين، وفي مجتمعاتهم.. ليصدوهم بها عن دينهم الحق!

⁹³ تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، ص128.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

لكل جانب من جوانب الحياة فيه خير وشر، بما في ذلك الثقافات؛ فخير الثقافات الإسلام هو السبّاق إليه، وإلى بيانه، والدعوة إليه، فقد كفانا مؤنة استجدائه، أو البحث عنه عند الآخرين، أما شرّها فينبغي أن يُعرّف من خلال منظور الإسلام ذاته لا غير، فالإسلام دلّ على شُرور الثقافات الأخرى بأقصر وأنفع الطرق، كي لا يقع الإنسان في شباكها وضررها، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: 55. فنتفقه في سبيل المجرمين من خلال نظرة القرآن، وعرض القرآن وتفصيله لسبيل المجرمين، لا غير.

أما معرفة سبيل المجرمين من خلال المجرمين ذاتهم، ومن خلال ثقافات ومراجع المجرمين ذاتهم بعيداً عن هدي القرآن، وتوجيهات السنة النبوية .. فهذا مسلك صعب وطويل، وشائك .. محفوف بالمخاطر، والانعطافات القاتلة .. قلّ من يسلم وينجو منه من غير تشوهات وتورمات يصعب علاجها!

ثالثاً: توحيد مصادر التلقي: على قدر ما تنجح الأمة في توحيد مصادرها التي تتلقى منها العقائد، والقيم والمبادئ على قدر ما تتوحد كلمتها، ويتراص صفها، ويصعب على شياطين الإنس والجن أن يجدوا لأنفسهم ثغرة أو فرجة يتسللون منها، ويفرقون الصف من خلالها.

العدو بكل أطيافه وراياته يحرضون أشد الحرص على أن يربوا الشعوب على مصادرههم ومناهجهم؛ لذا تراهم ينفقون مئات المليارات من أجل التحكم بوسائل الإعلام والنشر، المسموعة والمرئية، والمقروءة .. واحتكارها لأنفسهم دون الآخرين .. وما ذلك إلا لرغبتهم الشديدة في حمل الشعوب على أن يسيروا في السكة التي يريدونها، ويرونها، كما فعل الطاغية فرعون من قبل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: 29. فلا يريدون لشعوبهم أن يروا شيئاً إلا ما يرونه هم دون غيرهم.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وهم لو فشلوا في سعيهم هذا عن طريق المال ووسائل الإعلام لا يترددون ساعة في إعلان الحروب على الأتطهار والموحدين، وعلى بلدانهم، بزعم أن المسلمين يريدون أن يبدلوا طريقتكم في العيش والحياة القائمة على الإلحاد والكفر، والتحلل من قيم الدين والأخلاق، كما قال سلفهم الطاغية فرعون من قبل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ غافر: 26

. وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ طه: 63. فمن أجل الخوف على طريقتهم المثلى من حجة وبراهين الحق .. فهم لا يترددون لحظة من توجيه التهم الباطلة للحق .. كما لا يترددون عن إعلان الحروب لو دعت الحاجة إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: 217.

وإذا كان الجاهليون . بكل أطيافهم وتجمعاتهم . يُجاهرون بمراجعهم ومصادرهم، ويُفخرون بها .. ويُقاتلون دونها .. على ما فيها من باطل وزور .. ويحملون الشعوب عليها حملاً وقهراً من خلال مكر الليل والنهار .. فمن باب أولى أن يُجاهر أهل الحق بمراجعهم ومصادرهم، ويُباهوا بها، ويُقاتلوا دونها .. فأى الفريقين أولى بالحق والمباهات والافتخار والمجاهرة، من تنتهي مراجعه إلى الله ورسوله ﷺ .. أم من تنتهي مراجعه إلى الطاغوت والشيطان .. لا يستويان مثلاً، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: 81.

رابعاً: تحديد المنهج: بعد هذا التمهيد الوارد أعلاه نُشرع . بإذن الله . في بيان المنهج العاصم الحق الذي يجب اتباعه، والرجوع إليه، والاقتصار عليه دون غيره، والذي فيه تتحقق السلامة والنجاة

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

للعباد في الدنيا والآخرة، هذا المنهج هو المنهج الذي يقتصر على الرجوع والعكوف على الكتاب، والسنة، على ضوء فهم السلف الصالح، من القرون الثلاثة الأولى المشهود لها نصاً بالخيرية والفضل. هذا تقرير موجز عام وهام، يحتاج إلى تفصيل وتدليل.

أما الدليل على وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم: فهي أكثر من أن تُحصَر في هذا الموضوع، منها، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:2. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْوَاهُ وَعَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت:44. وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه:123. قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضلَّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية [94].

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "القرآن حجة لك أو عليك" [95]. وقال ﷺ: "كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به" مسلم. وقال ﷺ: "كتابُ الله عز وجل، هو حبلُ الله، من اتَّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة" مسلم.

وفي رواية: "كتابُ الله فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ" مسلم.

وقال ﷺ: "كتاب الله؛ هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض" [96]. وعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: 103، قال القرآن.

⁹⁴ تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، ص15.

⁹⁵ صحيح الترغيب والترهيب:189.

⁹⁶ صحيح الجامع: 4473.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وعنه قال: إن هذا الصراط مُحْتَضَرٌ؛ تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله هذا هو الطريق، هلمَّ إلى الطريق، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله هو القرآن.

أما الأدلة على وجوب اتباع السنة، والرجوع إليها^[97]: فهي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات:1-2. فإذا كان مجرد رفع الصوت يُخشى على صاحبه أن يحبط عمله، ولا يحبط العمل إلا الشرك، فكيف بمن يرفع حكمه وقوله على حكم وقول النبي ﷺ.. لا شك أنه أولى بالانتكاس وحبوط العمل، والعياذ بالله.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب:36. فمن الله تعالى التنزيل، وعلى رسوله ﷺ البيان، وعلينا الاستسلام والالتزام، من غير تقديم، أو تعقيب، أو اختيار.. وهذا من لوازم صحة الإيمان.

أما على طريقة الديمقراطية والديمقراطيين الذين يُخضعون كل شيء للاختيار والتصويت، وإرادة ورغبة الأكثرية، بما في ذلك قضاء الله ورسوله ﷺ.. فهؤلاء على شَرِّ عظيم، وهم أقرب للكفر منهم للإسلام.

⁹⁷ السُّنَّةُ كل ما صحَّ عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، يترتب عليه حكم شرعي؛ كالوجوب، والمندوب، والإباحة، والحرمة، والكراهة.. وأقوال، وأفعال، وتقريرات النبي ﷺ كلها يترتب عليها أحكام شرعية، إلا ما خرج منها على وجه العادة، كركوبه على الدابة، واستظلاله في ظل شجرة، أو أن يفتح عن صدره الشريف ليدفع عن نفسه شدة الحر، أو كتبوله في وعاء خاص، ونحو ذلك من الأعمال التي لها صفة العادة، التي لا يُستنبط منها أحكام شرعية.. صلوات ربي وسلامه عليه.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ آل عمران:31. فعلى قدر المتابعة للسنة تكون محبة العبد لربه، وعلى قدر المحبة تكون المتابعة للسنة، فكل منهما لازم وملزوم للآخر.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59[98].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ [99] أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

النور:63.

⁹⁸ أفادت الآية أموراً، منها: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ، وأن طاعة النبي ﷺ من طاعة الله ﷻ، ومنها: أن الرد إلى الله ورسوله يكون بالرد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ، ومنها: أن السنة محفوظة، وهي من الذكر المحفوظ والمعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:9. إذ يستحيل أن يأمر الله تعالى بالرد إلى شيء ثم يكون هذا الشيء غير محفوظ ولا ثابت ولا يبين، ومنها: أن الكتاب والسنة فيهما حل لكل نزاع. علم ذلك من علم وجهل ذلك من جهل — فحاشى الخالق ﷻ أن يأمر برد النزاع إلى شيء ثم لا يكون في هذا الشيء حل لذلك النزاع، ومنها: أن من لوازم وشروط صحة الإيمان رد النزاعات إلى الكتاب والسنة، فمن انتفى عنه رد التنازع إلى الكتاب والسنة، وعدل عنهما إلى ما سواهما، انتفى عنه مطلق الإيمان.

⁹⁹ أي شرك، قال الإمام أحمد: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾. وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ وتدرى ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة:217. فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي " ا- هـ.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^[100] النساء: 65.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي خالفوا الله ورسوله ﷺ، ووقفوا في الشق المغاير والمخالف للشق الذي يرضي الله ورسوله ﷺ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال: 13.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله" متفق عليه.

وقال ﷺ: "كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي"، قيل: ومن أبي يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي" البخاري.

وقال ﷺ: "يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يُحدِّثُ بحديثٍ من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرماناه، ألا وإن ما حرَّم رسولُ الله ﷺ مثل ما حرَّم اللهُ"^[101].

¹⁰⁰ قال ابن القيم في تفسير الآية: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً النفي قبله، عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج؛ وهو ضيق الصدر، وتنشج صدورهم لحكمه كل الإنشراح وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول. ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض" -أ- هـ. عن كتاب التبيان في أقسام القرآن: 270.

¹⁰¹ صحيح سنن ابن ماجه: 12. قلت: وفي الحديث رد على طائفة القرآنيين الذين يجحدون السنة، ويرفضون أن ينقضوا لشيء من تعاليم الدين إلا ما هو ثابت في القرآن الكريم وحسب، وهؤلاء عندي زنادقة مرتدون؛ لأنهم في حقيقة أمرهم. مكذبون وجاحدون للقرآن والسنة معاً، فمن جحد السنة لزمه ولا بد أن يجحد القرآن الكريم، وأن يرد عشرات الآيات القرآنية التي تُوجب الرجوع إلى سنة النبي المصطفى ﷺ، والاحتكام إليها.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة، قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتكَ عن رسول الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال" [102]. أي لا تستدل على قوله ﷺ بقول الحكماء، والفلاسفة، والفقهاء، وكأنه بحاجة إلى أن يُعضد قوله بأقوال وموافقة الآخرين .. فالنبي ﷺ لا يحتاج إلى شيء من ذلك، بل الآخرون هم الذين يحتاجون إلى التماس مدى موافقة كلام النبي ﷺ لكلامهم؛ لأن كلامه، والثابت من سنته هو الحكم، وهو الميزان الذي به يُعرف الحق من الباطل، والصواب من الخطأ من كلام ومواقف الآخرين. ومما تقدم يُعلم كذلك بطلان وخطورة التعصب المذهبي؛ التعصب للمذاهب الأربعة وغيرها، والذي من لوازمه متابعة قول المذهب في الخطأ والصواب، وفي الحق والباطل سواء، وكذلك تقديم قول المذهب على قول النبي ﷺ، والثابت من سنته ﷺ!

الأدلة على فضل الصحابة والتابعين لهم بإحسان في القرون الثلاثة الأولى، وأهمية

تقديم قولهم وفهمهم على قول وفهم من جاء بعدهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء: 115. والمراد بـ ﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ الصحابة والتابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة الأولى بخاصة، والتابعون لهم بإحسان، السائرون على منهجهم وخطاهم من القرون التالية بعامة، وإلى يوم القيامة .. فمن تنكب طريق سبيل المؤمنين هؤلاء، وشاقهم، فوقف في الشق المقابل لهم معانداً لهم ومنهجهم، فهذا جزاؤه ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ . وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: 108. والذين اتبعوا محمداً ﷺ هم أصحابه والتابعون لهم بإحسان، وإلى يوم الدين، فهؤلاء وصفهم الله تعالى أنهم يدعون إلى الله تعالى على بصيرة وعلم وفقه .. ومفهوم المخالفة يقتضي أن ما سواهم فإن دعوتهم تنسم بالعمى والجهل، والضلالة.

¹⁰² صحيح سنن ابن ماجه: 20.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾؛ أي بمثل ما آمن به النبي ﷺ وأصحابه ﴿فَقَدِمُوا﴾ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، عن الإيمان بمثل ما آمن به النبي ﷺ وأصحابه ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة:137.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة:100. والله تعالى إذ رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فهو سبحانه وتعالى رضي عنهم لسلامة دينهم واعتقادهم، وفهمهم، والتزامهم .. فليس بين الله تعالى وبين أحد من خلقه نسب، ولا اعتبار عند الله تعالى إلا للتقوى والاستقامة والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات:13. وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى بي، وليس كذلك؛ إن أوليائي منكم المتقون، من كانوا وحيث كانوا" [103].

ونحوه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:18.

عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، قال لنا النبي ﷺ: "أنتم خير أهل الأرض" متفق عليه.

وقال ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدي؛ أبي بكر، وعمر" [104]. وفي رواية: "إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي"؛ وأشار إلى أبي بكر وعمر [105].

¹⁰³ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، رقم:212. وقال الشيخ ناصر في التخریج: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

¹⁰⁴ رواه ابن ماجه والترمذي، صحيح سنن الترمذي: 2895.

¹⁰⁵ صحيح سنن الترمذي: 2896.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال ﷺ: "فإنه من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" [106].

وقال ﷺ: "أكرموا أصحابي فإنهم خياركم" [107]. فإنهم خياركم لسلامة دينهم واعتقادهم، ولشرف صحبتهم للنبي ﷺ، وسبق جهادهم ونصرتهم لدين الله.

وقال ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحاباً؛ فجعل لي منهم وزراء، وأنصاراً، وأصحاباً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف، ولا عدل" الحاكم، ووافقه الذهبي. الصرف النافلة، والعدل الفرض؛ أي لا يقبل منه عملاً.

وعن ابن عباس، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة. يعني مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة". وفي رواية: "خير من عبادة أحدكم عمره".

وعن ابن مسعود ؓ قال: "إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء".

ثم تأتي أهمية الالتزام بهذا القيد؛ قيد تقييد الأفهام بفهم الصحابة فيما اختلف فيه من شؤون الدين، إضافة إلى دلالة النص عليه. كما أفادت النصوص أعلاه. فإن هذا القيد عاصم ومانع يمنع من التفرق في الدين مذاهب شتى لا يحصى عددها، ما أنزل الله بها من سلطان، إذ في حال غياب الالتزام بهذا القيد، يحق حينئذٍ لكل مسلم أن يفهم الدين على طريقته، وأن يشكل مذهباً خاصاً به وبفهمه، وكل امرئٍ له أن يقول للآخر كما أن فهمي لا يلزمك، كذلك فهمك لا يلزمي، وبالتالي يستقل

¹⁰⁶ صحيح سنن أبي داود: 3851.

¹⁰⁷ رواه النسائي، وأحمد، والحاكم، وصححه الشيخ ناصر في تخرج المشكاة: 6003.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

كل امرئٍ بفهمه ومذهبه، وهكذا يُفتح باباً للتفرق في الدين لا يمكن غلقه، ولا احتواء آثاره وأضراره، فنقع فيما وقعت به الأمم من قبل فنضل ونهلك، كما ضلوا وهلكوا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام:159.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم:31-32.

. مراعاة التفاضل فيما بين الصحابة بحسب السبق والأقدمية في نصرة الدين،

وكذلك بحسب ترتيب القرون، الأول فالأول.

في حال غياب الدليل من الكتاب والسنة، وحصول الخلاف فيما بين الصحابة على مسألة من المسائل، فمن عوامل الترجيح بين الأقوال والأفهام تقديم قول وفهم السابق في الإسلام والنصرة على اللاحق، هذا الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد:10. فلا يستويان في المنزلة والفضل والأجر، كما لا يستويان في الدين، والفهم والإيمان.

وفي الحديث، عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل جبل أحدٍ ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه.

وفي رواية عن أنس، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيامٍ سبقتمونا بها؟! فبلغنا أن ذلك ذكّر للنبي ﷺ، فقال: "دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحدٍ أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم" [108].

¹⁰⁸ أخرجه أحمد، السلسلة الصحيحة: 1923. قلت: يقول النبي ﷺ في خالد ﷺ: "خالدٌ سيف من سيوف الله ﷻ، نعم فتى العشيرة" السلسلة الصحيحة: 1826. ومع ذلك لما حصل خلاف بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ﷺ ينكر

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وعن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: "أما صاحبكم فقد غامر". فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر". ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أتم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: "إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت. وفي رواية: إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي، مرتين" فما أوزي بعدها. البخاري.

فتأمل كيف أن النبي ﷺ فرّق بين أبي بكر وعمر، وعمر هو هو، لكن لما كان أبو بكر هو الأسبق في الإيمان، والاستجابة، والنصرة، غضب النبي ﷺ له هذا الغضب، وقال لعمر، ولغيره من الصحابة: "فهل أنتم تاركوا لي صاحبي".

وكذلك قوله ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن" متفق عليه. والقرن الأول هو قرن الصحابة، ثم القرن الثاني؛ وهو قرن التابعين، ثم القرن الثالث؛ وهو قرن تابعي التابعين. وعن عائشة قالت: سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: "القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث" مسلم.

النبي ﷺ على خالد، ويقول له ولغيره ممن تأخر إسلامهم وتأخرت نصرتهم للإسلام عن عبد الرحمن بن عوف: "دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحدٍ أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم!" أقول: هذا التفضيل ينبغي أن يُراعى عند عملية التلقي والاستدلال: فيقدم قول وفهم واجتهاد السابق من الصحابة على اللاحق المتأخر منهم .. فمراعاة فهم واجتهاد السابق على اللاحق من الصحابة عامل من عوامل الترجيح عند حصول الاختلاف .. للأدلة الواردة أعلاه وغيرها .. وما أقل من يتنبه لهذا المنهج!

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال ﷺ: "احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يَفْشُوا الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يُسْتَشْهَد، ويحلف الرجل ولا يُسْتَحْلَف" [109].

وقال ﷺ: "تسمعون، ويُسمَعُ منكم، ويُسمَعُ ممن سمع منكم" [110]. وفي هذا الحديث تزكية لسمع وفهم وبلاغ الصحابة الذين يسمعون من النبي ﷺ، وتزكية لسمع وفهم وبلاغ التابعين الذين يسمعون من الصحابة، وتزكية لسمع وفهم وبلاغ من يسمع ممن سمع من الصحابة؛ وهم تابعي التابعين.

. عوامل الترجيح:

يتم الترجيح بين الأقوال بحسب تسلسل المعايير التالية:

أولاً: تقديم القول الموافق للدليل من الكتاب والسنة، فإذا صح الدليل من الكتاب أو السنة على قول من الأقوال، لا يلتفت إلى غيره مهما علا كعب صاحبه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب:36. ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الحجرات:1.

ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:63.

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران:31.

¹⁰⁹ صحيح الجامع: 206.

¹¹⁰ صحيح سنن أبي داود: 3107.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة، قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتكَ عن رسول الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال [111].

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد". فقال ابن له: إنا لنمنعن فقال: فغضب غضباً شديداً، وقال: أحدث عن رسول الله ﷺ وتقول إنا لنمنعن [112]؟! وكان ابن عباس يحدث عن النبي ﷺ فيقول: قال رسول الله ﷺ، فيقال له: ولكن قال أبو بكر، وعمر، فيقول لهم: تكاد السماء أن تمطر عليكم حجارة؛ أقول لكم قال رسول الله، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟! وعمر؟!

وعن عبادة بن الصامت أنه غزا مع معاوية أرض الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير، وكسر الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تبتاعوا الذهب بالذهب، إلا مثلاً بمثل، لا زيادة بينهما ولا نظرة". فقال معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نظرة. فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك، لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك عليّ فيها إمرة" [113]. أشار الإمام مالك إلى قبر الحبيب المصطفى ﷺ، وقال: كلُّ يُؤخذ منه ويُرد عليه ما عدا صاحب هذا القبر.

ثانياً: إن خفي الدليل المحكم والصریح، وتباينت الأقوال فيما بين العلماء، يُقدّم أقرب الأقوال والأفهام منها إلى مراد النص. من الكتاب والسنة. ودلالته، لأن الحجة الشرعية في قال الله، قال الرسول ﷺ.

¹¹¹ صحيح سنن ابن ماجه: 20.

¹¹² صحيح سنن ابن ماجه: 16.

¹¹³ صحيح سنن ابن ماجه: 18.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

ثالثاً: فإن خفي النص، وخفي القول الأقرب إلى مراد ودلالة النص، ثم بعد ذلك تباينت أقوال الصحابة فيما بينهم يُقدّم قول وفهم من كان له السبق في الإسلام، والنصرة، كما تقدم الدليل على ذلك أعلاه.

رابعاً: فإن خفي ما تقدم بيانه في النقاط الثلاثة أعلاه، قُدِّم قول واجتهاد علماء القرن الأول، على قول واجتهاد علماء القرن الثاني، وقول واجتهاد علماء القرن الثاني على قول واجتهاد علماء القرن الثالث، وقول واجتهاد علماء القرن الثالث على من يأتي بعدهم.

خامساً: ثم بعد ذلك يُلتَمَس الحق فيما يستجد من نوازل ومسائل عند العلماء الذين يلتزمون بالكتاب والسنة على فهم الصحابة، والسلف الصالح بحسب التسلسل الوارد أعلاه.

هذه هي السلفية الحقة، وهذا هو المنهج السلفي الحق، وما سواه من المناهج فهي خلفية تلفية مقبلة مهما زعم أصحابها بلسانهم أنهم سلفيون، وأنهم على منهج وفهم السلف الصالح .. فواقع الحال يكذب لسان المقال.

والعالم على قدر ما يلتزم بهذا المنهج السلفي السني . في الفهم والاتباع والطلب والفتوى . الوارد أعلاه .. على قدر ما يعلو قدره في الأرض، وفي السماء .. وهو الذي ننصح طلاب العلم بمراجعته وسؤاله . بينما العالم الذي يبتعد عن هذا المنهج السلفي السني الوارد أعلاه .. فإن قدره ونفعه يقل ويضعف .. على قدر بعده عن هذا المنهج الحق .

إضافة إلى ما تقدم . من التزام بالمنهج . فإنه يُقصد العالم في الفتوى والسؤال الأكثر تقاً، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة:282. والأكثر خشية، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ الفطرة:28. فعلى قدر العلم تكون الخشية، وعلى قدر الخشية يكون العلم، فكل منهما لازم وملزوم للآخر.

والأكثر ابتعاداً عن موارد الشبهات، ومن ذلك بعده عن سلاطين الجور والفجور، وعن مجالسهم وموائدهم والحاجة إليهم، وعن الجدال عنهم ودونهم .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من أتى أبواب

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

السُّلْطَانِ افْتَتِنَ. وما ازداد أحدٌ من السُّلْطَانِ قَرِيباً، إلا ازداد من الله بُعْداً" [114]. وقال ﷺ: "يليكُم عمالٌ من بعدي يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم، ووازرهم، وشدَّ على أعضادهم فأولئك قد هلكوا وأهلكوا" [115]. وقال ﷺ: "اسمعوا، هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراً فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولستُ منه، وليس بوارِدٍ عليَّ الحوضُ" [116]. ومن لم يكن من النبي ﷺ، والنبي ﷺ ليس منه لا يستحق أن يُستفتى ويُراجَع في مسائل الدين والدنيا. وعليه فنقول: العالم الذي يلتزم بهذا المنهج الوارد أعلاه، ثم هو يتصف بالصفات الواردة أعلاه، هو الذي ينبغي أن يُقصد بالفتوى والسؤال، وهو المعني من قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل:43.

فإن ظفرت بهذا العالم، لا تتخرج من أن تسأله الدليل من الكتاب أو السنة فيم يُفتيك به، أو تقول له: هل هذا الذي أفتاك به هو الذي قضت به السنة. فإن قال لك نعم، فتأخذ به، وإن قال لك: لا، أو لا أعلم .. فتدعه وتتوجه بالسؤال إلى غيره من أهل العلم .. لأن طلب العلم يكون بمعرفة الحق بدليله من الكتاب أو السنة .. فإن فعلت ذلك تكون حينئذٍ أقرب لمعنى الاتباع لسنة النبي ﷺ .. منك لتقليد هذا العالم أو ذاك، ثم بعد ذلك لا تعرف أين أنت من الحق، ولا أين أنت من السنة، ومن حكم وقضاء الله تعالى ورسوله ﷺ.

. تنبيه:

العالم الذي يدعو إلى شيء من الشرك، أو يناصر الشرك، أو يوالي الشرك والمشركين على الإسلام والمسلمين .. فهذا ليس بعالم، ولا يُستفتى، ولا يُستأمن على دينٍ ولا دنيا، بدليل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران:18. فالآية

¹¹⁴ رواه أحمد، السلسلة الصحيحة: 1272.

¹¹⁵ رواه الطبراني، السلسلة الصحيحة: 457.

¹¹⁶ صحيح سنن الترمذي: 1843.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

الكريمة جمعت وحصرت جميع أهل العلم من لدن آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة بأنهم جميعاً يشهدون اعتقاداً وقولاً وعملاً ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، وبالتالي فإن من يشهد أو يدعو إلى ما يُضاد ويُنافي شهادة التوحيد " لا إله إلا الله" ، فهو بنص الآية الكريمة يخرج من زمرة العلماء، ومن صفتهم، ويكون حينئذٍ أقرب إلى صفة بلعام الذي ناصر المشركين على المسلمين بدعائه، بعد أن علّمه الله تعالى وآتاه بعضاً من آياته، فأنزل الله فيه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف:175-176. فبلعام هذا مثل سوء لكل عالم سوء يرضى لنفسه أن يُجادل عن الشرك والمشركين، وعن الطغاة المجرمين.

. مسائل متفرقة:

المسألة الأولى: من هم أهل السنة والجماعة، وما هي صفتهم؟

كثير الذين ينسبون أنفسهم لأهل السنة والجماعة، حتى بتنا نرى كثيراً من أهل البدع والأهواء، ممن ينتهجون المناهج المغايرة لمنهج أهل السنة والجماعة ينسبون أنفسهم وزورهم إلى أهل السنة والجماعة .. لذا لا بد من الإجابة عن هذا السؤال: من هم أهل السنة والجماعة، وأي الفرقاء أوفر حظاً بأهل السنة والجماعة؟

أقول: أهل السنة والجماعة، هم الذين يلتزمون غرز السنة، وغرز الجماعة التي تلتزم غرز السنة، وغرز ما كانت عليه الجماعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثلثان وسبعون في النار"، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: "الجماعة" [117].

¹¹⁷ صحيح سنن ابن ماجه: 3226.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وفي رواية عند الترمذي، من حديث عبد الله بن عمرو قال: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه، وأصحابي" [118].

فالحديثان حددا صفة الفرقة الناجية، وصفة أهل السنة والجماعة؛ فهي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه من منهج ودين وسنة، والتزام .. وبالتالي فإن الطوائف الأحزاب والتجمعات المعاصرة تُعرض على هذا الوصف وهذا الميزان، فهي على قدر قربها واتصافها بهذه الأوصاف على قدر ما تكون من أهل السنة والجماعة وعلى قدر ما تكون قريبة منهم، وعلى قدر بعدها عن هذه الصفات على قدر ما تكون بعيدة عن أهل السنة والجماعة، وعن صفاتها .. فالطائفة الواحدة قد يكون فيها بعض ما يوافق عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، وبعض ما يخالف عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، وهذه لا يُقال عنها: أنها من أهل السنة والجماعة على الإطلاق، كما لا يُنفى عنها صفة ومسمى أهل السنة والجماعة على الإطلاق، وإنما يُقال: فيها ما يوافق أهل السنة والجماعة، وفيها ما يخالف على قدر الموافقة والمخالفة.

المسألة الثانية: بم تُعرف الجماعة .. هل تُعرف بالكم .. أم بموافقة الحق قل

عددها أم أكثر؟

أقول: تُعرف الجماعة بموافقة الحق، سواء قل عددها أم أكثر، فالجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك .. ويُقال: تُعرف الجماعة بموافقة ما كانت عليه الجماعة في عهد النبي ﷺ وصحبه، ولو كنت وحدك.

قال رسول الله ﷺ: "وفي رواية: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: "أناس صالحون في أناسٍ سوء كثير من يعصمهم أكثر ممن يطيعهم" أحمد.

118 صحيح سنن الترمذي: 2129.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال ﷺ: "إن من الأنبياء من لم يُصدق من أمته إلا رجل واحد" مسلم.

قال عبد الله بن مسعود ؓ لعمر بن ميمون: "جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك".

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ".

وقال ابن القيم في أعلام الموقعين: "اعلم أن الإجماع والحجة، والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض" -هـ.

وفي زمن فتنة خلق القرآن، كانت الجماعة الحق يومئذٍ التي يجب تكثير سوادها متمثلة في موقف الإمام أحمد رحمه الله تعالى، الذي أبى رغم الشياطين والسجن، والتهديد بالقتل. وانتكاس الكثير. أن يقول: أن القرآن مخلوق، وأبى إلا الثبات على الحق، وعلى القول: بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى .. فكان هو الجماعة يومئذٍ.

فالأكثرية لا تعني دائماً أنها على حق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنعام:116.

قال حسن البصري: فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الاطراف في ترفهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك -هـ.

المسألة الثالثة: هل يوجد فرق بين الطائفة أو الفرقة الناجية، وبين الطائفة

المنصورة الظاهرة؟

أقول: نعم يوجد فارق؛ الفرقة الناجية هي الجماعة الأم للمسلمين التي تتوفر فيها صفتي المتابعة للسنة، وسلامة الاعتقاد، وهي شاملة لعامة المسلمين وخاصتهم العلماء منهم وغيرهم، الأقوياء منهم والضعفاء، المجاهدون منهم والقاعدون، والرجال والنساء سواء، والشيوخ والعجائز والشباب

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وغيرهم ممن يتصف بصفتي المتابعة للسنة، وسلامة الاعتقاد، كما أفاد حديث الافتراق إلى فرق، فقال النبي ﷺ عن الفرقة الناجية هي التي تكون: "على ما أنا عليه وأصحابي".

بينما الطائفة المنصورة هي الصفوة والطليعة والنخبة من الفرقة الناجية، وهي تتمثل بالعلماء العاملين الصادعين بالحق، الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وبالمجاهدين المقاتلين في سبيل الله الذين لا يضرهم من خذلهم.

وعليه فإن كل واحد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية، ولا يلزم بالضرورة أن يكون كل واحد من الفرقة الناجية، هو من الطائفة المنصورة، لأنه لا ينبغي ولا يجوز أن نفترض في كل واحد من الفرقة الناجية أن يكون من العلماء، ومن المجاهدين في سبيل الله، وإليك الدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:104. فهذا خطاب موجه لمجموع الأمة المتمثلة بـ "الفرقة الناجية" بأن ينفر منهم طائفة معينة ومتخصصة. وهو المراد هنا بالأمة. تتفرغ وتتخصص للنهوض بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالنص فرق بين "الفرقة الناجية" وهي مجموع الأمة المعنية بالخطاب، وبين الطائفة المنصورة .. وهم المجموعة من الأمة العامة ينهضون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن كثير في التفسير 398/1: يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة؛ يعني المجاهدين والعلماء، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ا- هـ.

فهم خاصة الخاصة .. وهذا يستحيل أن يكون أو يتحقق في كل واحد من الفرقة الناجية الشاملة لمجموع أمة التوحيد .. بما فهم العجزة .. وغيرهم من الفساق والعصاة!

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال تعالى: ﴿وَكَايِنٌ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران:146.

فالرَبِيُونَ هنا هم صفوة الطائفة المنصورة الذين يُجاهدون في سبيل الله، ولا يخشون في الله لومة لائم .. إذ لا يجوز أن نفترض في العامة كلهم ممن ينتسبون للفرقة الناجية أن يكونوا من الربانيين! وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء:95.

ففرق الله تعالى بين القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر الذين يدخلون في الفرقة الناجية، وبين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الذين يدخلون في الطائفة المنصورة الظاهرة؛ فهما لا يستويان صفة ومهمة كما أنهما لا يستويان من حيث الأجر والدرجات يوم القيامة، وإن كانا يشتركان بصفة النجاة من العذاب بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ولكن ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ وهم من الطائفة المنصورة على ﴿الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهم من الفرقة الناجية.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك".

وقال ﷺ: "لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون".

وقال ﷺ: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة".

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة".

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر

الله وهم ظاهرون على الناس " [119].

¹¹⁹ جميع ما تقدم من أحاديث قد خرجها مسلم في صحيحه، وأحاديث الطائفة المنصورة مخرجة في الصحيحين، والسنن وغيرها من كتب الأحاديث.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال" [120].

وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر الله لا يضرها من خالفها" [121].

وقوله ﷺ: "طائفة من أمتي .. عصابة من المسلمين .. يُقاتلون .. ظاهرين على الحق .. قوامه على أمر الله"، يفيد التبعية فالتائفة هنا جزء من كل، هي الطائفة المنصورة من كل المتمثل في أمة الإسلام؛ الفرقة الناجية.

قال النووي رحمه الله: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض [122].

فإن قيل: هل يوجد من أمة الإسلام قسم ثالث غير الفرقة الناجية، والطائفة

المنصورة؟

أقول: نعم يوجد؛ فالمسلمون موزعون في ثلاثة فرق وطوائف: الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وقد تقدم الدليل على وجودهما وصفتهما، أما الطائفة الثالثة، فهم أهل القبلة، وهي تضم كل من يستحق الوعيد والعقاب من الفساق والعصاة من أهل الكبائر، وغيرهم من أهل البدع والأهواء ممن لم تبلغ بهم البدع والأهواء والمعاصي درجة الكفر البواح .. فهؤلاء من أهل القبلة والوعيد ولا يدخلون في الفرقة الناجية إلا على اعتبار المآل .. وعليه يمكن القول: أن كل واحد من الفرقة الناجية هو من أهل القبلة، ولكن لا يلزم أن يكون كل واحد من أهل القبلة من الفرقة الناجية من غير وعيد ولا عقاب، كما في الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من

¹²⁰ صحيح سنن أبي داود: 2170.

¹²¹ صحيح سنن ابن ماجه: 7.

¹²² شرح صحيح مسلم: 67/13.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

شاء الله من أهل القبلة يقول الكفار: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع ما قالوا فأمر بمن كان من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك أهل النار قالوا: ياليتنا كنا مسلمين، فنخرج كما خرجوا قال: وقرأ رسول الله ﷺ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ الحجر: 1-2. [123].

وقال ﷺ: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته" البخاري.

وقد سأل رجل جابر بن عبد الله: هل كنتم تسمون أحداً من أهل القبلة كافراً؟ فقال: معاذ الله! قال: فهل تسمونه مشركاً؟ قال: لا.

وعليه فإن أهل القبلة هم مسلمون قد قارفوا من المعاصي والذنوب ما أخرجهم عن صفة الفرقة الناجية، لكنها لم تخرجهم عن صفة وحكم أهل القبلة، الذين ينتهون إلى النجاة بعد وعيد وعقاب.

المسألة الرابعة: من هم السلفيون، وهل يجوز التسمي بالسلفيين؟

كلمة السلفية والسلفيين عندما تعني معنى الرجوع إلى الكتاب والسنة، على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان في القرون الخيرية الأولى .. وتعني صفة من كان على هذا المنهج .. فهي عندما تعني ذلك .. فهي حينئذٍ كلمة محمودة، نتفهمها ونستسيغها .. ولا نرى حرجاً من استخدامها .. أما إن كانت تعني التحزب والتفوق، والتعصب لبعض الأشخاص المعاصرين، وتفريق الأمة في أحزاب وتجمعات وتكتلات ما أنزل الله بها من سلطان .. وتحمل . في بعض الأحيان . على من يركن إلى الطغاة الظالمين .. يمد لهم حبال الود والموالة .. فحينئذٍ نرفضها، ونتحفظ من استخدامها .. نقول ذلك: لأن هذه الكلمة . وللأسف . من جملة الكلمات والمفاهيم التي أسيء إليها، وأسيء استخدامها .. وأصبحت حمالة أوجه ومعانٍ .. منها الصالح ومنها الطالح .. وبالتالي لكي تستجلي مراد

¹²³ كتاب السنة، لابن أبي عاصم: 843، قال الشيخ ناصر في التخريج: حديث صحيح.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

مستخدمها لا بد من أن تسأله عن مراده وقصده .. وماذا يعني ويقصد من استخدامه لهذا الاصطلاح .. وعليه فإن من يستخدمها لا بد له من أن يأتي بالقرائن اللفظية التي تدل على أنه يريد الجانب الصالح منها، حتى لا يفهم خطأ.

أما عن التسمي به بدلاً عن اسم المسلم، والمسلمين .. أو اسم ثانٍ مع اسم المسلم والمسلمين، فلا أرى جواز ذلك، لانتفاء الدليل عليه، ولأن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في القرون الثلاثة الأولى لم يرتضوه اسماً لأنفسهم .. ثم لورود الدليل الذي يمنع من ذلك، كما قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ الحج:78. أي وفي هذا القرآن .. فارتضوه لكم .. وبالتالي لا يجوز العدول عن اسم سمانا الله به على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام، وارتضاه لنا.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ الزخرف:69.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران:67.

وقال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف:101.

وقال تعالى عن السحرة لما آمنوا: ﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ الأعراف:126. وغيرها كثير من الآيات الدالة على أن اسم الإسلام والمسلم والمسلمين قد ارتضاه الله تعالى لعباده، وارتضاه جميع الأنبياء والمرسلين لأممهم وأتباعهم^[124].

¹²⁴ كل ملل الكفر والباطل تراها . لتسد النقص والخلل في دينها . تنسب نفسها ودينها إلى الرجال . ويحبون أن يتسموا بالأسماء التي تفيد نسبتهم إلى الأنبياء وغيرهم من الرجال، فالنصارى يطيب لهم أن يتسموا بالمسيحيين نسبة للمسيح عليه السلام، واليهود إلى يهوذا، وإلى نبي الله إسرائيل، فيسمون أنفسهم بالإسرائيليين، والبوذيون نسبة إلى بوذي، وكذلك الشيعة الروافض الإثني عشرية، وغيرهم من الفرق والملل تراهم ليغطوا بعض ما هم عليه من باطل وضلال وانحراف ينسبون أنفسهم وطوائفهم للأنبياء والصالحين، وغيرهم من الرجال ... إلا المسلم، فإن اسمه ودينه يُنسب إلى دين وليس إلى اسم شخص معين ألا وهو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران:19.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

ولما سئل الإمام مالك عن السنة، قال: "هي ما لا اسم لها غير السنة".

ولما سئل عن أهل السنة، قال: "أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به لا جهمي ولا قدري،

ولا رافضي".

المسألة الخامسة: هناك مقولة شائعة تقول: "السلف أسلم، والخلف أحكم"..

فما مدى صحة هذه المقولة؟

أقول: هذه المقولة الشائعة على بعض الألسنة باطلة خاطئة، بل نقول: السلف هم الأسلم والأحكم، والقول بأن فهم الخلف أحكم من فهم السلف، هو باطل من أوجه: منها: تتضمن تكذيب ورد النصوص الشرعية التي تُثبت أن السلف أفضل، وأسلم، وأحكم .. وقد تقدم ذكر بعضها .. ومنها: فيه انتقاص من قدر الصحابة والتابعين لهم بإحسان .. وقد تقدم النهي عن ذلك، ومنها: أن الصحابة قد رضي الله عنهم بنص الكتاب والسنة .. وأكثرهم قد بُشر بالجنة .. فأين الخلف من ذلك؟! ومنها: أن الشارع قد أمر بالافتداء بالسلف الصالح، بخلاف الخلف. ومنها: أن الصحابة عاصروا نزول الوحي، وقد تلقوا العلم صافياً نقيماً من النبي ﷺ مباشرة .. ومن دون أن يلتفتوا عنه إلى مشارب شتى لا تخلو من الدرر والانحراف .. فهم صلة الوصل بين النبي ﷺ وبين من جاء بعدهم .. وهذه خاصية ليست لأحد بعدهم. ومنها: أن الصحابة حيمهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، كما ورد ذلك في جملة من الأحاديث النبوية الشريفة .. وأين الخلف من كل ذلك؟!

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران: 85. ولشعورهم أن دينهم حق كامل لا يعتريه أدنى نقص أو ضعف .. وبالتالي هم ليسوا بحاجة إلى أن يستتروا خلف أسماء الصالحين، أو أن يسموا أنفسهم ودينهم بمحمديين أو المحمديين، أو غير ذلك من الأسماء، مع التأكيد أن المسلمين هم الأولى بجميع الأنبياء والمرسلين لا نفرق بين أحد منهم، وهم الأكثر حباً وانقياداً ومتابعة لهم صلوات الله وسلامه على رسولنا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

لأجل ذلك قلنا ونقول: أن السلف هم الأسلم وهم الأحكم من الخلف .. والقول بخلاف ذلك خطأ وجور.

المسألة السادسة: ما هي الوسائل التي تعيننا على تحقيق هذا المنهج، في الطلب

والتلقي والاتباع؟

أقول: هناك وسائل عدة:

منها: حسن الاستعانة بالعلماء العاملين، وبطلبة العلم الذين يلتزمون غرز هذا المنهج السلفي السني .. كما تقدم.

ومنها: حسن انتقاء الكتاب النافع الذي يلتزم بهذا المنهج في التلقي .. ويُعين على فهم هذا المنهج .. ونحوه وسائل التلقي الأخرى المكتوبة والمسموعة، والمرئية .. ولا بأس بأن تستعين في تحديد ذلك بمن تطمئن إلى دينه وسلامة عقيدته ومنهجه.

فالمكتبة الإسلامية تعج بعشرات الآلاف من العناوين والمواضيع .. فمنها الغث ومنها الثمين .. وقد هلك وأهلك من لا يُحسن التمييز بين الغث من الثمين منها .. فأقبل عليها كحاطب وقمّاش ليل.

ومنها: ملازمة الأقران الصالحين الذين يذكرونك إذا نسيت، ويُساعدونك على مدارس مسائل الدين والإيمان .. فالمرء قد يستفيد من قرينه الصالح أكثر مما يستفيد من أستاذه.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة" مسلم.

وقال ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل" [125].

وقال ﷺ: "المؤمن مرآة المؤمن" [126]. إذا رأى منه عيباً أو نقصاً أصلحه.

¹²⁵ رواه الترمذي وغيره، صحيح الجامع: 3545.

¹²⁶ صحيح سنن أبي داود: 4110.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

ومنها: اعتزال مجالس أهل الأهواء والبدع، والفسوق، واعتزال الاستماع إليهم .. وبخاصة في المراحل الأولى من الطلب .. فهؤلاء مثلهم مثل نافخ الكير. كما تقدم في الحديث اعلاه. إما تشتم منهم رائحة خبيثة كريهة، فتسمع منهم كلمة تؤذيك في دينك، وإما أن يحرقوا ثيابك فيخرجونك من السنة والاستقامة إلى البدعة والضلالة.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام:68.

وقال ﷺ: "مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ" [127]. لأن في توقيره له يزيه وبدعته للناس، فيكون لهم بذلك سبب ضلالة وانحراف عن الحق. وعن ابن مسعود قال: من أحب أن يُكرّم دينه فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرب.

عن الحسن البصري قال: لا تُجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك". وغيرها كثير من الآثار السلفية السنية التي تحذر من البدع وأهلها، وهي أكثر من أن تحصر في هذا الموضوع [128].

ومنها: اللجوء إلى الدعاء، والتزام حدود التقوى، والحرص على طيب وحل المأكل والمشرب والملبس .. فهذا كله مما يُساعد ويُعين على طلب العلم وفهمه، وتحصيله، بإذن الله.

. تنبيه هام:

عودة على ذي بدئٍ فننبيه إلى ما كنا قد نهينا إليه من قبل وهو أن جميع هذه الوسائل الأنفة الذكر يضعف أثرها، ويقل نفعها، إذا لم ننتبه إلى العمل بقاعدة سد الذرائع التي سبقت الإشارة إليها، ونُحكّم إغلاق الأبواب والنوافذ جيداً أمام تسرب السموم والشُرور التي تبث ليل نهار عبر القنوات التلفزيونية، وغيرها من وسائل البث والإعلام التي تنشر ثقافة الشر والشرك .. وذلك بحسب الاستطاعة

¹²⁷ رواه البيهقي في شعب الإيمان، قال الشيخ ناصر في تخرّيج أحاديث المشكاة 66/1: وقد روي موصولاً ومرفوعاً من طرق كثيرة يطول الكلام بإيرادها، وقد يرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن ا- هـ.

¹²⁸ انظر إن شئت كتاب البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي.

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

والقدرة، فإن كنت لا تستطيع أن تحجب كل الشر، قد تستطيع أن تقلل منه، واعلم أن ما تيسر لا يسقط بما تعسر، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286.

واعلم أن من يرضى لنفسه أن يقف تحت مزارب من الأوساخ أكثر أوقاته، لا ينفعه حينئذ الاستحمام والاعتسال، ولو استحتم واغتسل في اليوم مائة مرة!

تساؤل واعتراض:

قد يعترض معترض فيقول: لماذا تريد أن تحرمنا حقنا في أن نستعبد الإنسان لثقافتنا وعاداتنا وقيمنا .. ثم تريد أن تجعل ذلك مقصوراً على مبادئ وقيم الإسلام؟

أقول: لأن الإنسان عبد لله تعالى وحده، وليس عبداً للعبد، فليس من حق العبيد أن يعبدوا العبيد للعبيد، ولقيم ومبادئ وثقافات العبيد!

وإنما هذا الحق مقصور لله تعالى وحده، وخاص به دون أحد من خلقه .. لماذا؟ لأن الله تعالى هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه من المخلوقات، وهو المتصرف بها كيفما يشاء، وهو المتفضل عليها بأسباب الوجود والحياة، وهو الرازق لها، والمحي والمميت .. وهو الرب والإله المألوه والمعبود بحق .. وبالتالي له كامل الحق وحده في أن يربي عباده على ما يريد من دين وقيم، ومبادئ .. فالله تعالى وحده الذي له الحق في أن يقول لعبده أفعَل أو لا تفعل .. هذا حلال فأته وهذا حرام فاجتنبه .. هذا طيب وهذا خبيث .. وهذا جميل وهذا قبيح .. وهذا زين وهذا شين .. والعبد ليس له إلا أن يطيع خالقه وربه ومعبوده ومالكه فيما يأمر به، وينهى عنه.

ومنه يُعلم قبح وخطورة أن يستشرف العبدُ المخلوق الضعيف القاصر. الذي لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة إلا ما شاء الله . هذا الحق، وهذه الخاصية لنفسه، فيشبع ويتظاهر بما ليس له، ولا فيه .. فيجعل من نفسه نداً لله تعالى في تعبيد العباد لنفسه وقانونه وشرعه، وقيمه وأهوائه من دون الله!

المنهج في الطلب، والتلقي، والاتباع

أشد أنواع الظلم، والذل والاستعباد، أن يدخل العبيد في عبودية العبيد، وأن يعترف العبيد للعبيد بحقوق الربوبية والألوهية من دون . أو مع . الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13.

لذا كانت مهمة جميع الأنبياء والرسل، وأتباعهم من المؤمنين في هذه الحياة، مقصورة على تحقيق التوحيد في الأرض، كل الأرض، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء:25.

أسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .. وأن يجعل من هذا الكتاب مفتاح خير مغلق شر، وأن يتقبله مني، إنه تعالى سميع قريب مجيب، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1431/09/21 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2010/08/31 م

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

في يوم الجمعة، الثامن من ربيع الأول، لسنة 1432 هـ، الموافق 2011/2/11 م . بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ونصره لأهلنا في مصر . يتحطم الوثن، ويتهاوى ويسقط طاغية وفرعون مصر " حسني اللامبارك"، ونظام حكمه الفاسد الظالم المستبد الذي هيمن على البلاد والعباد لأكثر من ثلاثين سنة .. يسوم الناس فيها الكفر، والفقر، والخوف، والذل، والهوان .. حتى كادت مصر. أم الدنيا . أن تفقد هويتها وهيبتها، ومكانتها بين الأمم والشعوب!

وحدث هام جلل كهذا الحدث عايشناه بقلوبنا وهمومنا، وفكرنا على مدار الوقت كله ساعة بساعة، ودقيقة بدقيقة، لا ينبغي أن ينقضي من دون أن نستلهم منه بعض الدروس والعبر، نستفيد منها لحاضرنا ومستقبلنا .. ولجولات تالية . بإذن الله . مع طغاة آخرين، في ميادين وساحات أخرى.

1- بكامل العرفان والخضوع نسجل أعظم معاني الشكر لله ﷻ أن منّ على أهلنا في مصر بالنصر، والظفر، على طاغية وفرعون مصر .. كما نصر من قبل موسى ﷺ ومن آمن معه على فرعون مصر وجنده .. فذبّ فيهم الحياة، وروح العزة والكرامة، والثأر للحقوق والحرمان .. بعد موت وثبات زاد أمده على ثلاثين عاماً .. حتى ظن الناس الظنون .. فظنوا أن المصريين جثة هامدة لا حراك لها، ولا تقوى على الحراك .. هم أموات الأحياء .. لكن الله يفعل ما يشاء .. يحي من يشاء .. ويُميت من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء .. بيده الخير والأمر .. لا راد لحكمه وأمره، وفضله، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص:5.

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران:26. فسبحان من أعز شعب مصر بعد ذل، وأذلّ الطاغية " اللا مبارك " ومن معه من جنده بعد كبر وفساد واستعلاء في الأرض.

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

فالفَضْلُ فَضْلُهُ ﷺ .. والنصر نصره .. والرمي رميه .. والمشينة مشينته ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران:126. ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الأنفال:17. ﴿وظننوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ الحشر:2. ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس:107. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكوير:29.[129].

2- ثم بعد ذلك نسجل شكرنا وتقديرنا للشعب المصري الأبى بعامة، ولشبابهم الأبطال بخاصة، على ما قدموه من جهد، وتضحية، وشهداء .. في ثورتهم المباركة على باطل وظلم وفساد واستبداد الطاغية الهالك ونظامه .. فلهم منا كل حب .. واحترام .. وشكر وتقدير على كل ما قدموه .. وما سيقدمونه .. فتسجيل الشكر لهم واجب، كما في الحديث، قال ﷺ: "من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله". وقال ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس". فجزاهم الله عنّا، وعن أمة الإسلام خير الجزاء.

¹²⁹ ومنه تعلم خطأ وبطلان هذا الشعار الذي يردده بعض الجهلة من الناس، وعملت بعض القنوات الفضائية الواسعة الصيت والانتشار على نشره وتعميمه، وهو قولهم: "إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر"، وهذا خطأ وباطل من جميع الوجوه .. فالقدر هو حكم الله تعالى في خلقه .. وهو التعبير عن مشيئة الله تعالى الكونية والشرعية النافذة في خلقه .. فجميع المشيئات والإرادات تابعة وخاضعة لإرادة ومشية الله تعالى .. وبالتالي لا يجوز أن يُقال لله عز وجل .. لا بد لك من أن تفعل .. ولا بد لك من أن تشاء وتريد إذا شاء المخلوق. أياً كان هذا المخلوق. شيئاً وأراده .. فتريد ما يريده الشعب، ولا بد لك من ذلك .. فهذا باطل وكفر .. وفيه سوء أدب مع الله عز وجل .. لا ينبغي ولا يجوز لمؤمن أن يتلفظ بمثل هكذا كلمات تحت الحماسة أو أي ظرف من الظروف .. قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ الأنبياء:23. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمَنْ مَعَّابٍ لِحُكْمِهِ﴾ الرعد:41. وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ نوح:14. فالحذر الحذر .. والأدب الأدب عباد الله.

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

3- أبا أن يتهاوى فرعون مصر " اللامبارك " إلا بعد أن أظهر كامل الأخلاق الفرعونية الطاغوتية التي تنطوي عليها نفسه وطبائعه .. فقال نفس الكلمات التي قالها فرعون مصر الأول في زمن موسى **﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** الزخرف:51. فأنا مصر ومصر أنا .. لا وجود لمصر من دوني .. ما علمت لكم من إله ومشروع وحاكم ترجعون إليه . يا شعب مصر. في جميع شؤون حياتكم غيري .. فأنا ربكم الأعلى .. لا أرىكم إلا ما أرى .. ولا يجوز لكم أن تروا إلا ما أسمح لكم أن تروه .. ولا أن تسمعوا لأحد غيري، وغير سحرتي وإعلامي .. تطابقت صفات الكفر والطغيان .. فتطابقت الكلمات والمواقف بين فرعون الأول .. وفرعون مصر الحالي .. **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** العنكبوت:43. إنه النموذج من الفراعنة والطغاة .. يظهر ويتكرر في كل زمان ومكان تسمح فيه الشعوب . على حين غفلة منها . للطاغية أن يستخف بها وبمشاعرها وعقولها، وأن يستعبدتهم، ويستملكهم لنفسه وعائلته، كما يستملك أي متاع، كما قال تعالى: **﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** الزخرف:54.

4- من الطبائع الطاغوتية أن الطاغوت . مهما رأى من دلالات الإنهيار والسقوط . يأبى أن يعترف أو أن يتخلى عن ملكه ونظامه وحكمه .. إلا بعد أن يسقط ويحرق معه نظامه كله وجميع أفراد حاشيته المقربين .. وفرعون موسى رغم أنه رأى الآيات الباهرات التي آتاه بها موسى **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾** الأعراف:133. وكان آخرها انفلاق البحر إلى فرقين .. **﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾** الشعراء:63. وهذه آية لا يعنى عنها إلا من كان أعمى البصر والبصيرة سواء .. ومع ذلك طغيانه منعه من رؤية ذلك فأبى عليه إلا أن يستمر في الطغيان والحرب لله ولرسوله وللمؤمنين .. فاقتحم وجنده وعسكره ووزراؤه البحر .. فأطبق عليه البحر ليكون هو ومن معه من المغرقين .. وهكذا شأن فرعون مصر " اللامبارك " .. ظل يستعلي ويتكبر .. ويأبى أن يسمع لأحدٍ أو أن يرى أمامه .. وما عليه واقع

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

الشعوب الثائرة .. ويستخف بدلالات الإهيار والسقوط التي ظهرت له .. حتى غرق هو ومن معه من حاشيته المقربين .. وهذا من سفاهته .. ومن حسنات طغيانه؛ حيث أنه أبى أن يرحل .. إلا بعد أن يأخذ معه نظامه كله .. وجميع حاشيته المقربين .. فتستريح البلاد والعباد منهم . فكفى الله المؤمنين قتالهم وجهادهم . والطاغية من هذا الوجه يستحق منا أن نسجل له الشكر .. فنقول له: شكراً لك يا فرعون مصر " يا حسني اللا مبارك " أن رحلت عن مصرنا الحبيبة فأبيت إلا أن تأخذ معك أبناءك، وعائلتك، وجميع عناصر نظامك المقربين!

5- نشوة الطغيان ومتاعه ساعة .. يعقها ذل، ولعن، وخزي، وعذابٌ إلى قيام الساعة .. ولو سُئل الطاغية " اللا مبارك " بعد أن رأى بعينه هذا الكم الكبير من الإذلال والإهانة الموجه إليه من قبل شعبه .. هل رأيت عزاً من قبل .. هل عشت متاعاً من قبل .. هل تذكر خاء وإسراف القصور .. لأجابك لم أرَ عزاً ولا خيراً قط .. هذا غير الوعيد الشديد الذي ينتظره في القبر. ثم يوم القيامة .. يرى ما قدمت يدها، وما جنى عليه طغيانه، فيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ النبأ:40. فيقع الندم الشديد، ولات حين مندم!

ومع ذلك كثير من الطغاة المعاصرين ممن يرون ما آلت إليه أحوال الطغاة من قبلهم .. وما وضع لهم على ألسنة العباد من لعنٍ وبغض .. تراهم لا يتعظون ولا يعتبرون .. فشهوة حب الرياسة والزعامة، والتسلط، والاستعلاء في الأرض ساعة .. تعمي أبصارهم، وبصائرهم ولو أعقها خزي وعذاب إلى قيام الساعة .. ليكرروا نفس سنن وسيرة الطغاة الهالكين من قبلهم!

6- الطغاة إخوان في الظلم والطغيان .. على ما بينهم من تنافر وتدابير إلا أنهم على الشعوب المستضعفة تراهم يداً واحدة، وقلباً واحدة؛ بعضهم أولياء بعض .. يأمرون بالظلم والاستبداد .. تفرقهم المغانم .. ويجمعهم ظلم الشعوب .. لمسنا ذلك بوضوح من خلال مواقف بعض طغاة العرب . بما فيهم طغاة النظام السعودي . حيث كانوا يمارسون صلاحياتهم في الضغط على أمريكا، ودول الغرب .. للسماح

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

للطاغية " اللامبارك " بالبقاء على سدة الحكم أكبر قدر ممكن .. وأن لا يقولوا كلاماً تتقوى به الشعوب المستضعفة على الطاغية ونظامه^[130].

وفي اعتقادي أن كل نظام عربي وقف مع الطاغية " اللامبارك "، في مواجهته لثورة شعبه عليه .. يتحمل قسطاً من المسؤولية عن الدماء البريئة والزكية التي سالت على ثرى وأرض مصر .. ويتحمل قسطاً من المسؤولية عن تأخر سقوط الطاغية ونظامه .. وتأخير معاناة الشعب المصري .. وبالتالي لا بد للشعوب من مساءلتهم ومحاسبتهم على موقفهم هذا!

7- ذكرنا في مقالة لنا سابقة أن معركة الشعوب مع الطغاة وأنظمتهم الفاسدة تنقسم إلى جولتين: جولة ما قبل سقوط الطاغية ونظامه، وجولة ما بعد سقوط الطاغية ونظامه، ونجاح الجولة

¹³⁰ ذكرت قناة الجزيرة في موقعها على الإنترنت . نقلاً عن بعض وسائل الإعلام . تقريراً مفاده: "أن كلاً من إسرائيل، والمملكة العربية السعودية، والأردن، والإمارات العربية المتحدة ظلت تحض الولايات المتحدة مراراً على عدم التهور في الضغط على الرئيس المصري حسني مبارك، والامتناع عن إلقاء ثقلها خلف الحركة المطالبة بالديمقراطية في مصر بالشكل الذي يزعزع استقرار المنطقة أكثر.. وأشارت الصحيفة نيويورك تايمز أن سفيراً شرقاً أوسطياً قال: إنه قضى 12 ساعة في يوم واحد على الهاتف يتحدث إلى مسؤولين أمريكيين .. وهناك أدلة على أن تلك الضغوط أنت ثمارها .. وفي اتصال هاتفي غاضب يوم 29 يناير كانون الثاني أبلغ الملك عبد الله بن عبد العزيز الرئيس باراك أوباما بالأيةمين مبارك، وحذر من أنه سيتدخل لتأمين تمويل مصر إذا سحبتم الولايات المتحدة برنامج معونتها البالغ 1.5 مليار دولار سنوياً .. وقال مصدر كبير في العاصمة السعودية الرياض: إن مبارك والملك عبد الله ليسا مجرد حليفين بل إنهما صديقان حميمان، والملك لا يرغب في رؤية صديقه مهملأ مهاناً "أ- ه.

قلت: أن يهان شعب مصر بكامله . ومن ورائه شعوب الأمة وبخاصة شعب فلسطين . على يد الطاغية اللامبارك ونظامه .. وعلى مدار أكثر من ثلاثين عاماً .. هذا لا يقلق الملك السعودي ونظامه .. ولا يستدعي منه ذلك القلق والتدخل .. والمسألة فيما نظر .. بينما أن يهان شخص الطاغية فهذا يقلقه .. ويحمله على التدخل، وضخ الأموال السعودية لنظام اللامبارك لو استدعى الأمر .. ثم بعد ذلك لا يستحي هذا الملك الجاهل ونظامه . الذين آووا إليهم من قبل الطاغية التونسي شين العابدين . من أن يصفوا أنفسهم بأنهم: دولة التوحيد والإسلام .. ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف:5.

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

الثانية مرتبطة بمدى نجاح وإتمام الجولة الأولى .. والجولة الأولى لا يمكن أن نعتبرها قد انتهت وتمت بنجاح إلا بعد زوال الطاغية، ونظامه، وجميع آثاره ومخلفاته، وأدواته، وزوال العقلية الفاسدة، والظالمة والمتخلفة التي كانت تحكم البلاد والعباد .. وعلى الشعوب الثائرة لحقوقها ومظالمها .. أن تتنبه لذلك .. وأن تتحقق من ذلك قبل أن تقطف ثمار جهادهم وثورتهم لصالح طغاة آخرين وهم لا يدرون .. وأحذرهم من الفتور، والدخول إلى الجحور من أول فُتاتٍ يُرمى إليهم من قبل بقايا النظام البائد .. فهذا لا يليق بذوي الثورات الحيّة التي تنشُد الحياة العزيزة الكريمة .. ولو حصل شيء من ذلك علينا أن نتوقع حينئذٍ عودة الطغيان والاستكبار، وظلم الشعوب من جديد!

8- أيما ثورة تحصل في المنطقة من علامات نجاحها إضافة إلى زوال الطاغية ونظامه: انتزاع الخوف من صدور الناس في المطالبة بحقوقهم، ومحاسبة اللصوص المفسدين أيًا كانت مكانتهم، أو كان نوع فسادهم، أو كانت أسماؤهم، وأن يجد المحكوم القدرة على مساءلة ومحاسبة الحاكم إن بدر منه أي تقصير، وأن يجد القدرة على أن يقوله له: من أين لك هذا؟. ومنها أن يتساوى الحاكم والمحكوم في ساحات القضاء، وأن تتاح كامل الفرصة، وبسهولة ويسر أن يقتص المظلوم الضعيف، من الظالم القوي، مع وجود الضمانات الكافية على حماية الضعيف من انتقام القوي. ومنها أن يتساوى أكبر ضابط أمن ومباحث ومخابرات مع أصغر مواطن وأقلهم شأنًا ومكانة أمام القضاء وفي الانتصاف للحقوق، وبحيث لا يجد ضابط الأمن أي سلطة أو سبيل على هذا المواطن خارج ما يسمح به قانون العدل. ومنها أن تتاح فرصة الاستفادة من خيرات البلاد لجميع الناس وبالتساوي، وكل بحسب قدراته، ومؤهلاته، ومن دون تفريق بين أحد من الناس. ومنها وجود المقدرة على محاسبة الطغاة المفسدين من رجال النظام البائد، ومساءلتهم عما فرطوه بحق البلاد والعباد .. هذه أبرز علامات نجاح ثورة الشعوب .. فإن لم يتحقق شيء منها .. فهذا يعني أنه لم يحصل ثورة ولا تغيير يُذكر .. وإنما الشعوب تنتقل من ظلم إلى ظلم، ومن مسرحية على مسرحية، وهي تفر من طاغية على آخر!

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

9- يجب على الشعوب التي تحترم نفسها، وتنشد الحرية من العبودية للعبيد، وتنشد العزة والكرامة، والحياة السعيدة .. أن تنأى بنفسها عن مرحلة تمجيد وتقديس الأشخاص والأفراد .. إلى مرحلة تقديس الأعمال والمواقف وحسب .. وليكن شعارهم: لا تقل لي من أنت .. وابن من تكون .. وإنما قل لي ما هو عملك .. وما هي مواقفك .. وما هو عطاؤك للبلاد والعباد .. فأنت تساوي عملك وعطاءك لا غير، تفعيلاً وترجمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات:13. وعملاً وتفعيلاً لقوله ﷺ: "إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا". وقال ﷺ: "أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعهم"; أي أنفعهم للناس. وقال ﷺ: "خيركم من يُرجى خيره، ويؤمن شرّه، وشركم من لا يُرجى خيره، ولا يؤمن شرّه". أي خيركم من يُرجى خيره للناس، ويؤمن شرّه عنهم، وشركم من لا يُرجى خيره للناس، ولا يؤمن شره عنهم .. هذا هو المقياس في معرفة الأختيار من الأشرار.

إن إنكفاء الشعوب على مرحلة المديح وتمجيد وتقديس الأشخاص لذواتهم .. لأنهم هم هم .. تورث الشعوب الذل، والجبن، والجهل .. وانعدام الثقة بالنفس .. كما تورث أولئك الأشخاص . إن كانوا صالحين . الطغيان، والتكبر، والفساد في الأرض .. من هنا جاء نهي النبي ﷺ الشديد عن أن يمدح الناس بعضهم بعضاً .. وأمر بأن نحث في وجوه المداحين المتملقين التراب!

يا أهل مصر.. ذهب فرعون مصر.. فاحذروا أن تصنعوا فرعوناً عليكم من عند أنفسكم بإضفاء القدسية والألقاب والمدائح عليه .. فيعتاد عليها .. وعلى سماعها .. فتحملونه على الطغيان، وعلى الاعتقاد بأنه الرجل الأوحد الذي يصلح لقيادة البلاد والعباد دون غيره، والذي لم تخلق الأمهات مثله .. ومن ثم تحملونه على أن يعاقب كل من لا يطريه ويتملق له بتلك الألقاب، أو يأتي بشيء ضدها .. وحينئذ الملام أنتم أكثر من أن يكون هو .. واعملوا بالقاعدة الشرعية الذهبية التي نطق بها السلف من قبلنا: "كلُّ يخطئ ويصيب، يؤخذ منه ويُرد عليه. يُقال له: أصبت وأخطأت .. عدا النبي المصطفى صلوات الله عليه".

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

10- ليعلم الجميع أن مطلب الشعوب من أي عملية تغيير هو شيء واحد؛ ألا وهو " العدل "؛ العدل في الحكم وميادين القضاء، العدل في المعاملات، العدل في توزيع الثروات، العدل في إتاحة وتوفير فرص العمل .. العدل في جميع ميادين الحياة .. وأيما شعار يُرفع لا يُحقق للناس العدل فهو لا يعني الناس شيئاً .. فوفروا على الناس كثرة الشعارات .. وطرح الإيدولوجيات الغربية والغريبة على البلاد والعباد .. كالعلمانية، والليبرالية، والديمقراطية، والاشتراكية .. وغيرها من الشعارات والإيدولوجيات الوافدة والغريبة والتي ضررها أكثر من نفعها!

ونحن لا تنقصنا القيم والمفاهيم التي تدلنا على العدل .. لكي نقوم باستيرادها من الخارج .. تحت مسميات وعناوين ورايات ظاهرها وباطنها شر، فالله تعالى هو العدل، ويأمر بالعدل، ويحب العدل، ودينه الإسلام كله قائم على العدل الكامل المطلق؛ لأنه مستمد من كمال الله تعالى الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ النساء:58. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ النحل:90. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات:9. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا عَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8.

وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا". وقال ﷺ: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر".

فحظ الناس من أي حكم ومن أي حزب أو جماعة تحكم البلاد والعباد هو العدل .. فإن لم تحقق العدل للناس .. فهي مرفوضة وممقوتة من قبلهم .. حتى لو كان أصحاب هذه الحكومة من الإسلاميين .. بل لو لم يحكم المسلمون بالعدل فهم يُسيئون من جهتين: من جهة كونهم لم يحكموا بما أنزل الله .. ولم يرقوا بأنفسهم إلى مستوى الإسلام الذي يأمرهم بالعدل .. فهم من هذا الوجه يُسيئون للإسلام الذي يتكلمون باسمه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف:3.

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

ومن جهة ثانية يُسيئون لأنفسهم وللناس، ولو لفظهم الناس حينئذٍ فلا يلومن إلا أنفسهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويُقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال ﷺ: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم": فالباغي يُصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة ا- هـ.

11- إذ نؤكد على أهمية تحقيق العدالة الاجتماعية في جميع صورها وأبعادها .. وحرية الكلمة الطيبة النافعة، والتي منها الصدع بالحق في وجوه الحكام والمسؤولين .. ومحاسبتهم ومساءلتهم عن أي فساد أو تقصير يبدر عنهم .. وبناء دولة المؤسسات التي تجعل من كل إنسان راعٍ ومسؤول عن رعيته، كما في الحديث: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته". ورفض الأنظمة الديكتاتورية التي تقوم على تكريس حكم وعقلية الفرد .. كما نؤكد على أهمية تفعيل مبدأ الشورى وتعميمه على جميع مؤسسات الدولة والحكم والمجتمع .. والتداول السلمي للسلطة في حدود الالتزام بتعاليم ومبادئ وقيم الإسلام .. فإننا في المقابل نسجل تحفظنا على هذا الشعار الغريب الوافد على الأمة وثقافتها وعقيدتها، الذي تلوكه بعض الألسن عن جهل منهم بمضمونه وما ينطوي عليه من مخاطر وأضرار .. والبعض الآخر ينادي به عن خبث وعلم بما يتدرج عليه من مخاطر وأضرار .. هذا الشعار هو "الديمقراطية" .. حيث تسمع من أحدهم يقول: نريد تحقيق الحرية .. والعدالة الاجتماعية .. وتفعيل دولة المؤسسات .. ومحاربة الفساد والمفسدين ... والتداول السلمي للسلطة .. ومحاربة الديكتاتورية والاستبداد .. و .. و .. والديمقراطية!!

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

وسؤالنا لهم: ماذا تريدون وتعونون " بالديمقراطية"، بعد كل هذه السلسلة من المطالب المشروعة .. ماذا بقي من مطالب الشعوب المشروعة لم تطالبوا به .. لتطالبوا في نهاية الأمر بالديمقراطية .. والليبرالية؟!!

أجابك الصادق منهم: نريد من الديمقراطية أن تكون مصر. وغيرها من أمصار المسلمين . كالبيت من غير أبواب .. أو كالبيت المشرعة أبوابه لكل من هب ودب .. ولكل من يريد أن يتغوط فيه .. أو عنده بعض الأوساخ والأحمال القذرة الضارة .. فيدخل للبيت بكامل الحرية ليلقي بأوساخه وقاذوراته فيه .. ومن دون أن يسأله أحد عما يفعل!

يقولون: نريد الديمقراطية التي تسمح لأمريكا أن تشكل أحزاباً في مصر. وغيرها من أمصار المسلمين . عن طريق شراء بعض الدماء والنفوس الضعيفة .. والتي تسمح كذلك لدولة الصهاينة اليهود أن يشكلوا أحزاباً موالية لهم في أمصار المسلمين .. والشيعية الروافض في إيران وغيرها أن يشكلوا أحزاباً موالية لهم .. وكذلك القرامطة والشيوعيون والبعثيون ... وغيرهم .. وغيرهم من الأشرار .. يريدون أن يتقاسموا فيم بينهم هذه الكعكة المصرية .. ليسهل التهامها!

يريدون تفعيل شعارهم الاستعماري القديم الجديد " فرق تسد"، وهذا لا ولن يتحقق لهم كما يتحقق عن طريق العمل بالديمقراطية .. الديمقراطية كما تريدها أمريكا في بلاد المسلمين .. لذا الكل يستشرف التدخل في شؤون مصر . وغيرها من بلاد المسلمين . ويمني نفسه الأمانى .. عن طريق الديمقراطية!

ثم نسألهم: كيف تقولون لا لأمريكا .. وترفعون شعارات التنديد بأمريكا وبتدخلاتها المشبوهة في بلاد المسلمين وشؤونهم .. ثم في المقابل تحتكمون إلى دين وثقافة وقيم أمريكا المتجسدة في الديمقراطية .. والتي تسمح لها بالتدخل في جميع مفاصل الدولة، وجميع شؤون حياتكم؟!!

كيف تنددون بشيء ثم في المقابل تتبنونه وتحتكمون إليه في جميع شؤون حياتكم ... أفلا تعقلون؟!!

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

يقولون: ماذا بعد الديمقراطية إلا الديكتاتورية .. تريدنا أن نحكم بالديكتاتورية والاستبداد؟! نقول لهم: كذبتهم .. فنحن إذ نقول: لا للديمقراطية، نقول كذلك لا للديكتاتورية والاستبداد .. والبديل عن هذا وذاك .. الإسلام .. دين الله الكامل والعدل في حكمه وشرائعه .. والشامل لجميع جوانب الحياة .. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران:19. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران:85. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة:3. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50. ﴿وَاللَّهُ يُفْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20.[131]

يقولون: ماذا عن الأقلية النصرانية القبطية في مصر...؟

نقول لهم: سلوهم .. وسلوا جميع النصارى . ومعهم اليهود . الذين خالطوا وعايشوا المسلمين في بلادهم .. هل وجدوا حقوقهم في ظل جميع الأنظمة الأرضية والوضعية كما وجدوها في ظل دولة الإسلام .. فسيأتيك الجواب الصادق منهم: أن لا ... ولا ينكر ذلك منهم إلا كل حاقد موتور .. وهذا ليس مقياساً .. ولا يلتفت إليه .. كما لا يجوز أن يكون الفزاعة .. التي تمنع الشعوب المسلمة من اختيار دينها وشرع ربها[132].

يجوز للشيعوي الملحد اللاديني . وفق ديمقراطيتهم . الذي يقول: لا إله والحياة مادة .. والإنسان أصله من سلالة القرود .. أن يحكم أمصار المسلمين بعقيدته، وقيمه وأفكاره الإلحادية الإباحية ..

¹³¹ انظر إن شئت مقالتنا " ركائز الحكم في الدولة الإسلامية"، وهي منشورة في موقعنا.

¹³² بينما الكل يعرف شنودة زعيم أقباط مصر كيف كانت مواقفه وكلماته وكنيسته . طيلت أكثر من ثلاثين سنة . تصب لصالح حليفه، وصديقه فرعون مصر " اللامبارك " والذي كان يتقوى به، وينظامه الفاسد على ظلم وخطف النساء المسلمات وأسرهن في دهاليز وسرايب وزنازين الكنيسة لحمهن بالقوة على الارتداد عن دينهن .. كما فعلوا مؤخراً مع كاميليا شحاتة، وقبلها وفاء قسطنطين، حيث إلى الساعة لا يعلم أحد عنهن شيئاً.

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

بينما لا يجوز للمسلمين أن يحكموا أنفسهم بدين ربهم .. رب العالمين ... إن هذا لشيء عجاب ..
﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم:35-36. وهؤلاء لم يُسوا فقط بين
المسلمين والمجرمين، بل فضلوا المجرمين على المسلمين .. وقالوا يحق للمجرمين ما لا يحق للمسلمين
.. وهؤلاء أولى بهذا السؤال التقريعي الاستنكاري: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾!؟

ونقول لهم كذلك: ها هي دول الغرب .. الأكثر تمسكاً بالحرّيات والديمقراطية .. تمنع الأقليات
المسلمة في بلدانهم من أن يحتكموا إلى أحكام دينهم في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق .. على
اعتبار أن دولهم نصرانية .. وبالتالي كل من يتواجد على أراضيهم يجب أن يخضع لأحكام وقوانين دولهم
في جميع شؤون حياته الدينية والمعاشية والشخصية .. حتى بلغت الوقاحة بفرنسا . رمز حرّياتهم . أن
تتدخل في حجاب ولباس المرأة المسلمة .. فمنعوها من ارتداء الحجاب .. بحجة أن حجابها يتناقض مع
قوانين وعلمانية فرنسا .. والناس تفهموا لفرنسا هذه النزعة العنصرية الحاقدة .. وتفهموا لها هذا
التدخل السافر في تحجيم الحقوق والحرّيات الشخصية للفرد .. والسؤال الذي يفرض نفسه: علام
يجوز لهم كل ذلك في بلادهم .. وتصرفهم يُفسر على أنه قمة التحضر والرقي .. بينما لا يجوز لنا في
بلادنا أن نحكم أنفسنا بالإسلام دين رب العالمين!؟

12- ينبغي على الجماعات الجادة العاملة من أجل الإسلام .. أن تعطي أسلوب الاعتصامات،
والمظاهرات السلمية، والعصيان المدني فرصته الكافية للتغيير .. إن ظهر أن ذلك ممكنا .. وأن الطرف
المقابل المتمثل في الطاغية ونظامه يمكن التعامل معه بهذا الأسلوب .. ويمكن تغييره ونظامه بهذا
الأسلوب .. وبخاصة أنه قد أضيفت عناصر أخرى مساعدة تساعد على نجاح هذا الأسلوب، منها
الإعلام الفاعل والقوي القادر على مواكبة الأحداث ساعة بساعة، ومن ثم تعميمها على أكبر قدر ممكن
من الناس .. وعلى المستوى المحلي والدولي سواء.

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

على الدعاة المخلصين، والجماعات الجادة .. أن تفقه جيداً هذه الوسائل المستجدة في عملية التدافع والصراع، وأن يحسنوا تفعيلها والتعامل معها باتقان .. وهذا كله يدخل في الإعداد الذي عنته الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال:60.

والذي حملني على هذا القول، والتأكيد عليه[133]أمور عدة منها: أن المهم في العملية هو حصول التغيير؛ تغيير منكر الطاغية ونظامه .. وليست الوسيلة التي يتم بها التغيير، فما أمكن تغييره باللسان لا حاجة حينئذٍ لأن يُنكر ويُغير باليد .. وما أمكن إزالته وتغييره بضرٍ أصغر لا ينبغي ولا يجوز حينئذٍ تغييره بضرٍ أكبر .. لأن العبرة هي إزالة المنكر، وليس الكيفية التي يُزال بها المنكر ما دامت هذه الكيفية مشروعة.

ومنها: أن هذا الإسلوب أيسر على الشعوب، وأقل عليهم ضرراً وحرماً .. من اللجوء غلى خيار استخدام القوة والسلاح كخيار أول ووحيد .. ومن أول الطريق .. ونحن مطالبون . شرعاً وعقلاً. في حال خيرنا بين ضررين لا بد لنا من أحدهما .. أن ندفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر .. وأن نقدم المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى.

ومنها: أن هذا الإسلوب يسمح لجميع طبقات وشرائح المجتمع في المشاركة بعملية الانقلاب والتغيير .. وهو ما يسبب الحرج البالغ للطغاة وأنظمتهم الفاسدة الذين يتسترون زوراً بالشرعية الشعبية .. ثم هو ترجمان عملي لقول وتوجيه النبي ﷺ لأمته: "إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان "؛ فالخطاب موجه لمجموع الأمة، ومجموع طبقات المجتمع بمختلف تخصصاتها .. وليس لمجموعة من الناس دون غيرهم .. ولما كانت هذه المهمة يمهض لها بضع مئات من الشباب .. من دون بقية شرائح المجتمع .. كان يسهل على الطاغية استئصالهم .. وأن يصور للناس أن معركته مع عصابة من الإرهابيين الذين هم ضد الشعب .. وضد الشرعية!

¹³³ هذا القول ليس جديداً لي، ولم أقله بعد ثورتي تونس ومصر. كما يُخيل للبعض . وإنما قلته قبل أكثر من تسع سنوات كما في مقالي " دعوة إلى العصيان المدني"، وهو منشور في موقعي، فليراجعه من شاء.

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

قولي هذا: لا يعني أنني أُلغي كلياً حق الشعوب المستضعفة في اللجوء إلى خيار القوة والسلاح .. إذا وجدت أن جميع الطرق السلمية في التغيير مغلقة دونها، وغير ممكنة .. وأن الطاغية يُقابل كلمة الشعوب .. وتظاهراتهم السلمية .. بالمدافع والدبابات .. والقتل العمد .. وممارسة ضروب الإرهاب المذمومة كلها .. فحينئذٍ يتحتم على الشعوب أن تعمل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ البقرة:194. وبقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج:39.

وفي الحديث، عن مخارق قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجل يأتيني فريد مالي؟ أي عنوة بغير حق. قال: "ذَكَرَهُ بِاللَّهِ"، فقال: فإن لم يذكر؟ قال: "فاستعن عليه من حولك من المسلمين"، قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: "فاستعن عليه بالسلطان"، قال فإن نأى السلطان عني؟ قال: "قاتل دون مالك؛ حتى تكوم من شهداء الآخرة أو تمنع مالك" [صحيح سنن النسائي:3803].

قلت: تأمل كيف أن النبي ﷺ وجه الرجل ابتداءً إلى الحلول السلمية أولاً، فقال له "ذَكَرَهُ بِاللَّهِ"، فإن لم يردعه التذكير ولم ينفع معه، وجهه لأن يستعين عليه بمن حوله من المسلمين، فإن لم يجد .. يستعين عليه بالسلطان .. فإن لم يجد وكان السلطان بعيداً عنه .. حينئذٍ . وبعد نفاذ هذه الحلول السلمية . وجهه للقتال دفاعاً عن ماله فإن قُتِلَ فهو شهيد .. وهذا فقه نسترشد به فيما ذهبنا إليه في مسألتنا أعلاه، والحمد لله رب العالمين.

13- كشفت الثورة المصرية المباركة عن مدى القصور الكبير للشيخ والدعاة عن مستوى هموم وآلام، وتطلعات الشعب المصري المسلم .. فالشيخ . إلا من رحم الله . كانوا في وادٍ، وفي عالمهم النظري والروماني، والشعب المصري وآلامه، وآماله .. كانوا في وادٍ آخر .. فلم يُحسنوا النزول لقيادة الشارع المصري، كما لم يُحسنوا تلمس هموم ومشاكل الناس .. فحصلت فجوة كبيرة بين القيادة والعامية .. والطامة الكبرى أن منهم من وقف في صف الطاغية ونظامه ضد ثورة الشعب المصري المسلم .. وعدّ ثورتهم وتظاهراتهم .. فتنة ينبغي اعتزالها .. والحذر منها .. وأنه نوع من الخروج على ولاة الأمر الشرعيين

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

.. فالناس كانت تُقتل على أيدي بلطجية ومخابرات النظام .. بينما هم كانوا في شغل شاغل؛ في مسألة هل يجوز التظاهر أم لا يجوز .. وهل المظاهرات بدعة حسنة أم سيئة .. وكأن عهد الطاغية الهالك الذي امتد لأكثر من ثلاثين سنة كان خالياً من الفتنة .. وخالياً من البدع .. وأن الفتنة لم تظهر وتطل برأسها إلا عندما بدأ الشعب المصري المسلم بثورته على الطاغية ونظامه .. وبدأت الحياة تدب فيه من جديد!

قال رسول الله ﷺ: "ما من امرئٍ يخذلُ امرءاً مسلماً في موطنٍ يُنتَقَصُ فيه عِرْضُهُ، ويُنتَهَكُ فيه حرمةُ إلا خذله اللهُ تعالى في موطنٍ يُحِبُّ فيه نصرته ..."; هذا فيمن يخذل امرءاً مسلماً واحداً فكيف بمن يخذل شعباً بكامله، بل وشعوباً بكاملها انتهكت حرمتها وحقوقها الدينية والدينيوية سواء على أيدي الطغاة الظالمين.

غاضب شيوخ البلاط الذين ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا في صف الطغاة الظالمين وأنظمتهم على الشعوب المستضعفة والمقهورة .. أن كلاً من ثورتي تونس ومصر قد نجحتا في إسقاط الطاغية ونظامه .. غاظهم ذلك لأنه أبطل ما كانوا يبثونه من أن الخروج على أئمة الكفر والطغيان ضرر أكبر .. وفتنة كبرى .. وأن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .. ألا في الفتنة سقطوا!

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الفرقان:31. وهؤلاء لا يريدون أن يكون لهم عدوٌّ من المجرمين .. يجاهدونه في الله .. ثم هم مع ذلك يزعمون هذا الزعم الثقيل الكاذب الذي هو أثقل من الذنب ذاته .. وهو أنهم من أتباع سنة النبي المصطفى ﷺ .. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الكهف:5.

وهنا أجدني ملزماً بأن أسجل عظيم تحياتنا وشكرنا وحبنا للشيخ الكبير المجاهد الهمام حافظ سلامة، حيث لم يمنعه كبر سنه .وقد تجاوز الخامس والثمانين عاماً .من أن يقود بنفسه .وبهمة عالية . شباب الثورة في سيناء وغيرها .. وكذلك الشيخ العالم الصادع بالحق محمد عبد المقصود .. له منا كل حب واحترام وتقدير .. حيث لم يمنعه مرضه .. وشدة حالته الصحية من أن ينزل بنفسه إلى ميدان

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

التحرير ليوجه الشباب، ويثبتهم، ويدعو لهم .. حفظ الله مشايخنا الصداعين بالحق الذين لا يخشون في الله لومة لائم، وجزاهم الله عن الأمة والإسلام والمسلمين خير الجزاء.

14- من يريد أن يرفع من ثقف مطالبه .. عليه أن ينزل للميدان .. وأن يقود الشباب .. وأن يبذل من نفسه وماله ووقته في سبيل الله ذوداً عن حرمت وحقوق الناس .. عليه أن يكون في المقدمة والصفوف الأمامية في مواجهة الطغاة الظالمين وجندهم .. عليه أن يكسب ثقة الناس به أولاً قبل أن يُعلي من ثقف مطالبه .. وقبل أن يأمر الناس وينهاهم .. وقد صدق من قال: إن كنت إمامي، فكن أمامي.

في مرحلة خروج الشعوب من حقبة حكم الطغاة المستبدين .. ينبغي أن نتوقع حصول بعض الجهالات والمخالفات الشرعية من قبل كثير من الناس .. لأنهم كانوا من قبل لا يرون إلا صورة وصنم الطاغية .. ولم يسمعوها إلا لكلمة وتوجيهات الطاغية .. ولم يتعلموا شيئاً إلا بالقدر الذي يأذن به الطاغية .. فكل شيء محظور عليهم .. إلا ما يرتضيه الطاغية لهم .. على مبدأ فرعون الأول: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ غافر:29. وبالتالي ينبغي أن نتوقع منهم بعض المخالفات والجهالات .. والفقهاء حينئذٍ يقتضي من الدعاة والعاملين في حقل الدعوة ممن من الله عليهم بنوع علم وفقه .. أن يعلموا الناس .. وأن يفقهوهم في دينهم .. وأن يعايشوا همومهم ومشاكلهم .. فهذه المرحلة هي مرحلة ترشيد ونصح، وتعليم، وتوجيه، وإصلاح .. وليست مرحلة القضاة الذين لا يعرفون سوى إصدار الأحكام على العباد .. ومن بروجهم العالية .. فيصنفون الناس إلى فرق وأقسام: هذا فاسق .. وهذا ضال .. وهذا كافر .. ويوزعون شهادات حسن سلوك على الناس!

في هذه المرحلة التي تتمايز فيها الصفوف .. وتختلط فيها الأوراق .. ولم تتحدد فيها المواقف والمعالم بصورة واضحة .. ويموج الناس فيها موجاً .. ينبغي أن نكتفي بالنصح والتوجيه، والبيان والإرشاد .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ونجتنب ما استطعنا. إصدار الأحكام على أعيان الناس إلا ما دعت إليه الضرورة الشرعية .. وكان لا بد من ذلك.

دروس وعبر مستخلصة من سقوط فرعون مصر

15- أثبتت الثورة المصرية وقبلها الثورة التونسية أن إرادة الشعوب . بإذن الله، إذا ما اتحدت وتجمعت، ونزعت من قلوبها الخوف والخشية . تعلقو إرادة الطغاة الظالمين وجلادهم، وتقوى على سياطهم وسجونهم، وتنكيلهم مهما كانت درجة طغيان واستعلاء الطغاة .. التاريخ كله ينطق بهذه الحقيقة .. وبالتالي ليس على شعوبنا المسلمة في المنطقة . لكي تتحرر من ريقة العبودية لغير الله، ومن هذا الذل والهوان، والفقر، والجهل، والفساد الذي تعيشه . سوى أمرين: أن تتحد كلمتهم على خلع الطغاة وأنظمتهم الفاسدة الكافرة، وأن لا يدعوا بينهم فرجة لمشايخ الإرجاء والبلاط، المرجفين والمثبطين لهمم والعزائم .. سوا الصفوف وسدوا الفرج .. ولا تدعوا بينكم فرجة للشيطان .. واعلموا أن يد الله مع الجماعة.

ثانياً: أن يخلعوا من صدورهم السلاسل والأغلال الممثلة في الخوف والجبن .. لأن خلع سلاسل وأغلال الطغاة الظالمين ما كان ليتم إلا بعد أن تتحرر الشعوب من القيود والسلاسل والأغلال الكامنة في النفوس .. والتي قد تقتل صاحبها وهو قاعد في بيته.

واعلموا أيها الناس أن الإقدام ما كان يوماً ليقدم أجلاً ولا ليؤخر رزقاً .. وأن الإحجام والجبن ما كان يوماً ليؤخر أجلاً ولا ليُعجل رزقاً .. فالأعمار كذا الأرزاق مقسومة وهي بأجل، ولا تموتن نفس إلا بعد أن تستوفي كامل أجلها وكامل رزقها والمكتوب لها .. فعلام الخوف والوجل، والله تعالى يقول: ﴿أَتَخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَهَقُّ أَنْ تَخَشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ التوبة:13.

16- وفي الختام نقول لأهلنا في مصر: وأنتم تعيشون نشوة النصر .. وحماسة الثورة .. وتقاسم غنائمها .. لا تنسوا أختكم وابنتكم " كاميليا شحاتة"، وقبلها " وفاء قسطنطين"، وغيرهما من الأخوات التي قامت الكنيسة القبطية . بزعامة شنودة الشرير . بخطفهن، وسجنهن، وفتنتهن عن دينهن .. تحسسوا أخبارهن .. وابعثوا عنهن .. واعلموا أن لأختنا " كاميليا شحاتة " دوراً كبيراً في نجاح ثورتكم .. حيث كانت محنتها سبباً كبيراً في تعبئة النفوس ضد فساد وظلم الطاغية ونظامه، وتواطئه مع شنودة وكنيسته .. فلا تنسوا فضلها عليكم!

دروس وعِبَر مستخلصة من سقوطِ فرعون مصر

فإذا كنتم قبل الثورة قد اشتد طلبكم وسؤالكم عن أختكم " كاميليا"، فمن باب أولى بعد الثورة، والتمكين أن يشتد الطلب والسؤال عنها وعن أخواتها أكثر.. واعلموا أن الحقوق لا تسقط بالتقادم .. وأن المجرمين لا تسقط جرائمهم ولا العقوبة عليها بالتقادم .. فكما تحاسبون الطاغية " اللامبارك " وحاشيته على فسادهم وظلمهم .. الذي ارتكبهه خلال ثلاثين عاماً .. كذلك يجب أن تحاسبوا حليفه وصديقه شنودة وحاشيته وعصابته على ظلمهم وفسادهم، وخطفهم وسجنهم لنساء المسلمين .. في دهاليز وزنازين كنائسهم .. وكأنهم دولة ضمن دولة .. وحكومة ضمن حكومة .. وأنهم فوق المساءلة والمحاسبة!

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج:41. ومن أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحرير الأسيرات المسلمات من أسروسلاسل وزنازين الكنيسة القبطية .. وما يتعرضن له من تعذيب جسدي ونفسي .. وفتنة في دينهن.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1432/03/13 هـ

2011/02/16 م

عُلُقَاءِ عِلْقَانِيُونَ

عُلَمَاءُ عِلْمَانِيُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد.

العلمانيَّةُ تعني فصل الدين عن الدولة، والسياسة، وميادين القيادة والحياة .. وحصر مهام وغايات ووظائف الدين في زوايا المعابد، والكنائس، والمساجد، لتقتصر على الحياة الدينية الخاصة للفرد، بعيداً عن ميادين وأنشطة الحياة الأخرى .. أي أن الدين مقصورة مهامه ووظائفه على علاقة الفرد بربه وحسب، وحصر حق الله على العباد في ممارسة الفرد المناسك والشعائر التعبدية بعيداً عن ميادين الدولة، والسياسة، وشؤون الحياة الأخرى .. فقالوا: لله زوايا المعابد والمساجد، وعبادة الأفراد لربهم في تلك الزوايا وحسب .. وما سوى ذلك من شؤون الحكم والدولة والسياسة ومظاهر الحياة فهي كلها لقيصر .. ومن خصوصيات قيصر وحده .. وما كان لقيصر لا يصل إلى الله، وليس لله الحق في أن يتدخل فيه .. وما كان لله يصل لقيصر، ولقيصر كامل الحق في التدخل فيه، منعاً وحظراً، وإباحة لو شاء^[134].

صدق الله العظيم: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام:136.

¹³⁴ لذا في كثير من الأحيان نجد " قيصر وجنده"، يتدخلون في أنشطة المساجد، وفي كلمات الوعاظ فيها .. وفي أوقات فتحها وإغلاقها .. وفيمن يدخل إليها ويخرج منها .. فنصبوا فيها الكاميرات والجواسيس ليتجسسوا على ركوع وسجود العباد .. فحتى المساجد في شريعة قياصرة العصر العلمانيين لم تعد خالصة لله تعالى. وقيصر ليست صورته مقصورة على قياصرة الأمباطوريات القديمة وحسب . كما يُخيل للبعض . وإنما هي تشمل كذلك جميع معاني وصور حاكمية البشر. بعيداً عن الحكم بما أنزل الله . في جميع صورها الديكتاتورية والديمقراطية سواء .. فقد يكون قيصر فرداً واحداً كما في الصورة الديكتاتورية، وقد يكون مجموعة أفراد كما في الصورة الديمقراطية.

عُلُقَاءِ عِلْقَانِيُونَ

والعلمانية من حيث التطرف والاعتدال درجات؛ فكلما جنحت العلمانية إلى منع مظاهر التدين في الحياة العامة للفرد، كلما كانت أقرب للتطرف والتشدد، وكلما جنحت للتسامح مع الأفراد في أن تظهر عليهم وعلى سلوكياتهم العامة معالم التدين كلما كانت أقرب للاعتدال .. لكنها في النهاية تبقى علمانية .. لأن العلمانية مهما بلغت بها درجة التسامح فهي تشترك مع العلمانية المتطرفة في كونها لا تسمح للتدين أن تكون له كلمة في شؤون الدولة، والحكم، والتشريع، والسياسة وشؤون الحياة .. كما لا تسمح أن تكون العلاقة فيم بين الشعوب قائمة على أساس انتماءاتهم العقدية والدينية، والأخلاقية .. فالعلمانية كما أنها تغيب الدين عن ميادين الدولة والحكم والسياسة .. فهي كذلك تغيب الدين عن ساحة الشعور والاعتقاد والواقع . كوشيجة يُعقد فيها الولاء والبراء، والحقوق والواجبات .. لتجعل ذلك مقصوراً على الانتماء إلى القبيلة، أو الوطن، أو القومية، أو الإنسانية والأممية .. بعيداً عن القيم الدينية والأخلاقية .. فالعلمانية . من هذا الوجه . تمنع من عقد الولاء والبراء على أساس الانتماء للعقائد، والمبادئ، والقيم الأخلاقية .. لتجعل ذلك مقصوراً محصوراً على الانتماء للجماعات، والحدود الجغرافية التي تجمع شعباً من الشعوب ضمن سياج واحد وحدود واحدة .. قد تتسع هذه الحدود لقبيلة، أو لأهل قطر، أو لمجموعة أقطار .. وبتعبير أصرح وأوضح، تقول لك العلمانية وبكل وقاحة: لا يجوز لك أن تحب وتكره في الله، ولا أن تعقد الولاء والبراء في الله .. ولا أن تعطي وتمنع في الله .. فهذا ليس لله .. ولا يجوز أن يُصرف شيء من ذلك لله .. وإنما هذا كله يُصرف لغير الله؛ أيّ كان هذا الغير، قد يكون هذا الغير قبيلة، أو أرضاً، أو قِطراً، أو قوماً، أو وطناً، أو حزباً، أو حاكماً، أو درهماً .. فلك أن تختار من هذا الغير. لتعقد فيه الولاء والبراء، والحب والكره، وتحدد على أساس الانتماء إليه طريقة تعاملك مع الآخرين . ما تشاء .. لكن لا يجوز لك أن تختار الله ... الذي خلقك فسواك فعدّلك، وتكفل برزقك^[135].

¹³⁵ العلمانية كمنهج في الحكم، تقوم على جملة من الاعتقادات والمفاهيم والقيم، والتصورات تعتبر. وفق مفهوم ومعنى الدين والتدين . ديناً .. لكنها دين وضعي من صنيع البشر .. وبالتالي فهي تفر من دين إلى دين .. وهي إذ تعلن

عُلُقَاءِ عِلْمَانِيُونَ

هذه هي العلمانية، فمن هم العلمانيون؟..

العلمانيون هم الذين يتبنون العلمانية . كما هو مبين أعلاه . قولاً وعملاً .. فالمرء منهم على قدر ما يفصل الدين عن ميادين الدولة والقيادة والسياسة والحياة .. ويمنع للدين أن يكون له ذلك الأثر في علاقة الناس بعضهم ببعض .. على قدر ما يكون أكثر علمانية .. وأقرب للعلمانية منه لأي مذهب أو اعتقاد آخر .. فكما أن العلمانية درجات بعضها أقرب للتطرف منها للاعتدال .. كذلك العلمانيون فهم درجات بعضهم أقرب للتطرف منهم للاعتدال .. لكن مهما اتسموا بالاعتدال فهم لا يخرجون عن صفة كونهم علمانيين .. يفصلون الدين عن الدولة والسياسة وقيادة الحياة .

أين كثير من مشايخ ودعاة هذا العصر من هذا الفهم للعلمانية ؟[136].

كثير من شيوخ ودعاة العصر قد تأثروا بالعلمانية المحيطة بهم، والتي حكمت البلاد والعباد . تحت مسميات وشعارات عدة . لأكثر من مائة عام .. فهم وإن كانوا يرفضونها كمذهب ونسبة .. فلا ينسبون أنفسهم للعلمانية والعلمانيين .. إلا أن أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم .. تحكم عليهم بأنهم علمانيون .. أو أنهم ملوثون بالعلمانية .. مُصابون بدائها .. ومتأثرين بها .. وإلى حدٍ كبير!

كثير من هؤلاء الدعاة والشيوخ . وبعضهم يرأس جماعات وأحزاب إسلامية معاصرة . يصارحونك بقولهم: نحن لا نسعى إلى السلطة .. والحكم .. ولا نسعى إلى تطبيق الشريعة .. ولا إلى أكثرية برلمانية [137]

الحرب على الديانات السماوية .. وتعمل على إخراج العباد من دين رب العباد .. فهي في المقابل تعمل على إدخالهم في دين العلمانية والعلمانيين .. فتستبدل ديناً بدين .. واعتقاداً باعتقاد .. ومنهجاً بمنهج .. فيكون مثلها . ومثل القائلين بها . كمثل من يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير!

¹³⁶ نحن هنا لا نعمم . فالتعميم ظلم نعوذ بالله منه . فمن أهل العلم المعاصرين من هم على خير كثير والله الحمد .

¹³⁷ نحن لا نرى شرعية العمل النيابي التشريعي بصورته المعمول بها في ظل هذه الأنظمة المعاصرة .. لأن التشريع والتحليل والتحرير من خصوصيات الله تعالى وحده .. ولكن سؤالنا لمن يرى شرعية هذا العمل . من الطرف المقابل والمخالف : إذا كنت لا تسعى إلى أغلبية برلمانية نيابية .. فما الذي يحملك على الدخول في هذا المعتكف المحفوف بالمخاطر والمزالق والمخالفات .. ولصالح من تمتنع عن تحقيق الأكثرية البرلمانية، مع قدرتك على تحقيقها .. ويُقال لهم

عُلُقَاءِ عِلْقَانِيُونَ

.. تاركين ساحة الحكم، والتشريع، والقيادة لغير المسلمين .. وفي الوقت التي تتطلع فيه الشعوب لقيادة مخلصه شريفة أمينة تقودها بكتاب ربها!

ومنهم: من يستحي .. إلى درجة الاستهجان .. من أن يُطالب بتحكيم الشريعة .. وكأن في دين الله شيء معيب يُستحي منه، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50.

ومنهم من يقول: بالديمقراطية .. ويُطالب بها؛ فيرد بموجها سلطة التشريع، والتحليل والتحرير لقيصر الشعب من دون الله!

ومنهم من يُطالب: بحرية الأحزاب الشيوعيّة المحاربة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن لها تحكم البلاد والعباد لو اختارها أكثر المصوتين من الناس؛ بزعم العمل بمبدأ حرية الأحزاب .. فعطلوا بذلك عقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هي في الإسلام!

ومنهم من يُصرِّح ويُعلن: بأن الولاء والبراء .. وكذلك الحقوق والواجبات تُعطى وتُقسم .. على أساس الانتماء الوطني الجغرافي . بزعم الوحدة الوطنية . بعيداً عن عقيدة الولاء والبراء في الله!
ومنهم من يقول: نحن . كجماعة . مهمتنا مقصورة على الدعوة إلى الصلاة، ومن ثم الخروج مع الجماعة للمبيت في المساجد . كما هو حال جماعة التبليغ . بعيداً عن شؤون السياسة، والدولة، والحياة .. تاركين كل ذلك لغير المسلمين!

ومنهم الصوفية: الذين تقتصر دعوتهم على العبادة الباطنية للفرد .. وفق ما يراه شيخ الطريقة .. بعيداً عن شؤون الحكم، والدولة، والسياسة، وواقع الناس ...!

كذلك: هذه نية مبطنه ومعلنة عن تمكين الآخرين غير المسلمين .. من أن يحكموا البلاد والعباد بغير ما أنزل الله .. مع قدرتك على منعهم من ذلك عن طريق تحقيق الأثرية .. لو شئتم ذلك، كما تزعمون؟!

عُلُقَاءِ عِلْقَانِيُونَ

ومنهم من يقول: نحن مجرد دعاة وعلماء .. نفقي .. ونعلم .. ونحقق الكتب والمخطوطات .. ونربي .. لكن لا نتدخل بشؤون الحكم، والدولة، والسياسة .. والشؤون العامة .. فهذه ليست لنا .. وإنما هي

لقيصر السلطان من دوننا .. للعلم رجاله .. وللسياسة وشؤون الحكم رجالها!

ومنهم من يعتزل الواقع ومعتك السياسة والحياة .. ويُؤصل لهذا المنهج .. ويقول عن نفسه: بأنه حبيس مكتبته ومجالس شيوخه .. بينما واقع الناس .. وهمومهم ومشاكلهم .. وحياتهم العامة والخاصة .. فهي لا تعنيه شيئاً .. ولا يعرف عنها شيئاً!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يُخالط النَّاسَ، ولا يصبر على أذاهم".

ومنهم من لا يُفتي ولا يخوض في القضايا العامة التي لها مساس بواقع الأمة والشعوب .. إلا بعد أن يأذن له الحاكم .. وفيهم يُرضي هوى الحاكم!

اقتنع كثير من طلاب العلم والشريعة .. بأن غاية أحدهم القصوى .. أن يحظى بوظيفة يكون فيها مجرد خطيب يعتلي المنبر مرة في كل يوم جمعة .. ويؤم الناس في الصلاة .. أما إمامة الناس في شؤون الحكم والسياسة .. وميادين الحياة فهي لا تعنيه .. وهي لغيره!

كل هذه الصور الأنفة الذكر أعلاه؛ أليست من العلمانية التي تفصل الدين عن شؤون الحياة .. بعضها أصح وأوضح من بعض؟!!

هذه الظاهرة . ظاهرة الإنكماش عن قيادة الحياة بالإسلام . لم يعرفها علماؤنا وسلفنا الصالح من قبل .. وهي لم تعرف لها سبيلاً إلى رؤوس بعض الشيوخ والدعاة إلا في زماننا المعاصر .. وللأسف! عندما يقتنع العالم أنه ليس قائداً ولا إماماً للناس في ميادين الحكم والسياسة والحياة .. كما هو إمام يؤم الناس في الصلاة .. فيفصل نفسه عن الدولة والسياسة وشؤون الحياة العامة .. فهو بذلك يفصل دينه عن الدولة والسياسة وشؤون الحياة العامة .. ويُعلن بلسان حاله أنه علماني .. وإن لم ينطق بها بلسان المقال!

عُلُقَاءِ عِلْقَانِيُونَ

النبي صلوات الله وسلامه عليه إمام للناس في جميع ميادين الحياة الخاصة والعامة سواء ..
والعلماء هم ورثة الأنبياء .. ومن مقتضى الإرث والعمل به .. أن يكون العلماء كذلك . تأسيماً بالنبي ﷺ .
أئمة للناس وقدوة وقادة لهم في جميع ميادين الحياة الخاصة والعامة سواء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
البقرة:124. فإمامة الناس في جميع شؤون الحياة لا ينبغي ولا يجوز أن تترك للظالمين المفسدين .. فإن
حصل شيء من ذلك .. وترك للظالمين المفسدين حرية قيادة السفينة .. غرقت السفينة .. وهلك جميع
من عليها!

ومن دعاء الصالحين، أن يكونوا للمتقين إماماً، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان:74. أي قدوة لهم في الخير .. وفي جميع
ميادين الحياة!

يا أيها الناس: الغرب النصراني لما رفعوا شعار العلمانية؛ إنما رفعوه لما وجدوا دين الكنيسة
المحرّف يتعارض، ويتصادم مع العلم، ومع مقتضيات ومتطلبات الحياة .. والحال ليس هكذا مع الإسلام
دين الله تعالى؛ الذي يصدّق العلم، والعلم يُصدّقه .. ويُطلق يد الإنسان لتعمل أقصى عملها في الإبداع
والبحث، والنظر .. بما يحقق أفضل حياة للبشرية جمعاء .. وبالتالي لا يجوز أن يُجرى عليه ما يجري
على غيره من الأديان!

أيها المسلمون: اعلّموا أن لا عزّ لكم .. ولا وجود لكم بين الأمم إلا بالإسلام .. سرّ قوتكم في الإسلام
.. لذا عمّل العدو قرناً كاملاً. ولا يزال يعمل . على إقصائنا عن الإسلام، وإقصاء الإسلام عنا .. ليتسنى
له حكمنا بقانونه وأهوائه .. وليتسنى له استعمار بلادنا أرضاً وشعباً .. ونهب خيراتنا كيفما يحلو له ..
وقد تحقق له كثير من ذلك بسبب بعدنا عن مصدر عزنا وكرامتنا ونصرنا وسؤددنا!

عُلُقَاء عِلْقَانِيُونَ

لنا أكثر من مائة عام .. قد جربنا فيها كل الشعارات الوافدة إلينا من الشرق والغرب سواء .. بعيداً عن هدي وتوجيهات الإسلام .. فعشنا بسبب ذلك الجهل .. والفقر .. والذل .. والتخلف .. والهزائم كلها .. حتى أصبحنا أضحوكة لبقية الشعوب والأمم!

فقدنا الإسلام على مستوى الحكم والقيادة والتطبيق في مجالات الحياة .. لأكثر من مائة عام .. ففقدنا بسبب ذلك الحصانة، والمناعة، والشعور بالذات .. حتى أصبحت بلادنا كالديار الخربة من غير أسوار ولا أبواب .. الكل يستسهل التسور عليها .. ليقضي حاجته فيها! ألا تكفيكم . يا قوم! . تجربة مائة سنة من الذل والهوان والتخلف .. لتتيقنوا أن لا عزّ ولا وجود لكم إلا بالإسلام!؟

صدق الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال: "نحن قوم كُنَّا في الجاهلية أذلاء، فأعزَّنَّا الله بالإسلام، فإذا ما ابتغينا العِزَّةَ بغير ما أعزَّنَّا الله به أذلَّنَّا الله ."

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1432/03/29هـ

2011/03/04م

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

الحكم على الشيء فرع عن تصوره وإدراكه، وبالتالي من لا يحسن تصور الشيء، لا يحسن التعامل معه ولا تحديد الموقف منه .. فالمرء عدو ما يجهل .. وعليه لكي نحسن تفسير وفهم سياسة ومواقف النظام السوري الطائفي، وأعماله الإجرامية الوحشية التي ارتكبتها طيلة أكثر من أربعين عاماً وما يرتكبه في هذه الأيام من مجازر بحق شعب سورية .. ونحسن التعامل معه بصورة جيدة وصحيحة .. لا بد أولاً من أن نفهم العقيدة الثقافية، والاجتماعية، والصفات النفسية لهذا النظام الطائفي، ولعناصره المنتفذة والفاعلة في الحكم وإدارة البلاد .. والتي كلها تنتمي إلى الطائفة النصرانية .. التي يحلو لها ولبعض الجهات أن تتسمى بالطائفة العلوية!

ونحن إذ نشير لهذا الجانب ليس رغبة منا في إثارة النعرات الطائفية في المجتمع السوري . كما يفهم البعض . وإنما من قبيل توصيف الواقع الذي نعيشه ونكابده في سورية . وبخاصة في هذه المرحلة العصبية . لكي نفهمه أولاً .. ومن ثم نحسن معالجته والتعامل معه .

ومما ساعدني على ذلك .. هو أنني لست مجرد مراقب أو ناقد وباحث وحسب .. بل أنني واحد ممن عايش القوم وجاورهم في قراهم .. ومساكنهم .. وعاملهم .. وخبر عاداتهم وحياتهم وطقوسهم الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية وبصورة مباشرة .. فأنا من هذا الوجه خبير بالقوم، أعلم عنهم ما لا يعلمه غيري من أبناء الداخل السوري، أو أبناء الجنوب والشمال من أبناء سورية الحبيبة .. لذا أرجو من الجميع . مشكورين . أن يصغوا لكلماتي، ويحسنوا قراءتها جيداً.

أقول، أولاً: بحكم العقيدة الباطنية التي يتدينون بها .. والتي لا تمت إلى الإسلام؛ دين وعقيدة الأمة بصلة .. والقائمة على الإلحاد، والجحود، والإباحية .. والوثنية ونكران البعث والنشور .. والحساب .. وأركان الإسلام الخمسة وغيرها .. وقولهم بأن علي بن أبي طالب ﷺ هو الله .. وما تابع ذلك

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

من انتهاج السرية، والتقية، في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الطائفية والاجتماعية .. تولد لديهم شعور قوي بالغربة والعزلة وعدم الانتماء لهذه الأمة، ولا لدينها، ولا لجمهورها من المسلمين .. فهي تنظر لنفسها على أنها جسد غريب عن محيطها .. كما تنظر للجمهور المحيط بها أنه عدو لها .. لا يقبلها ولا يمكن أن يتعايش معها على ما هي عليه من اعتقادات وطقوس، وأخلاقيات!

وبالتالي فهم ليس لديهم أدنى شعور بالانتماء لسورية أرضاً وشعباً .. ينظرون للسواد الأعظم من المسلمين المحيط بهم نظرة ريبة .. وشك .. وعداوة .. ورغبة في الانتقام!

وبالتعبير الوطني؛ ليس لديهم أي حس أو انتماء وطني أو غيرة حقيقية على الوطن والمواطن، فهم يتعاملون مع الوطن السوري كما يتعامل المزارع مع بقرة حلوب، قيمتها عنده على قدر ما تدر عليه من حليب .. وكما يتعامل لص مع بيت سطا عليه، فيعيث فيه فساداً وخراباً ما دام فيه لعلمه أنه ليس له، ولن يستطيع أن يطيل فيه المكث والإقامة .. يأخذون بشراة ولا يُعطون شيئاً!

لذا فهم باعوا وضحوا من قبل بهضبة الجولان الاستراتيجية .. بطريقة مريبة ومشبوهة .. اتفق جميع المراقبين والمحللين على أنها ترقى إلى درجة العمالة والخيانة من قبل حافظ الأسد النصيري الذي كان وقتئذٍ وزيراً للدفاع .. وإلى يومنا هذا لم يحركوا ساكناً نحو تحرير الجولان المحتل!

وعلى الصعيد الداخلي المحلي .. بعد أكثر من أربعين عاماً من التسلط والحكم .. لم يقدموا شيئاً يُذكر للوطن والمواطن .. سوى فتح مزيدٍ من السجون .. والمراكز الأمنية القمعية التي لا هم لها سوى إذلال وإفقار ونهب وتركيع الشعب السوري .. وما شهدته سورية خلال العقود العجاف الماضية من نوع تقدم في العمران ونحو ذلك .. فهو بجهود الشعب السوري العامل الكادح بعيداً عن جهود ومشاركات واهتمامات النظام وحكوماته!

السبب . بكل صراحة ووضوح . أنه نظام طائفي لا يشعر بالانتماء للوطن، أو أنه وجد لخدمة الوطن والمواطن، يمكن أن يقدم له شيئاً نافعاً .. فهذا الشعور لا يعرفه .. ولا يحس به .. لذا هان عليه

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

بكل سهولة أن يقتل مئات المواطنين السوريين في التظاهرات السلمية الأخيرة التي شهدتها الساحة السورية .. لشعوره أن هؤلاء أعداء له، لا يمتون له بأي نوع صلة تردعه عن قتلهم!

ولو أردنا أن نتحدث عن السياسات الداخلية الفاسدة والظالمة، والطائفية للنظام .. التي لم تأت للوطن والمواطن سوى الدمار والخراب والتخلف والفقر والإذلال .. لطال بنا المقام .. لكن السؤال الذي يبحث عن الجواب .. لماذا ذلك .. لماذا هذه السياسة الداخلية لهذا النظام الطائفي .. الجواب: أنه نظام ليس لديه أدنى ولاء أو انتماء للوطن السوري .. لذا فهو لا يهيمه من أمر الوطن والمواطن شيئاً! **فإن قيل: لمن ولاؤه وانتمائه إذاً .. وأين تنحصر اهتماماته؟**

أقول: ولاؤه لنفسه وشخصه، ولطائفته القائمة على مجموعة من الطلاسم والاعتقادات الباطنية والسرية .. ثم لشهوة البطن، والمال، والفرج، وكأس الخمر .. وما وراء ذلك لا يهيمه شيئاً من المعاني والقيم .. حلال .. حرام .. حق .. باطل .. ضاعت البلاد .. مات العباد .. دخل الاستعمار .. خرج الاستعمار .. لا يهيمه شيئاً من ذلك!

ثانياً: مما تتسم به الحياة الاجتماعية للطائفة النصيرية . الحاكمة لسورية . أنهم عرفوا فيم بينهم أن الغني القوي منهم يذل ويستعبد الفقير الضعيف منهم .. من غير رحمة ولا شفقة .. ولا إحسان .. وعلى درجة غنى وقوة الغني القوي يتم الإذلال والاستعباد والاستحمار لمن دونه أو هو أضعف منه .. والضعيف يذل ويقهر الأضعف منه .. والأضعف منه يذل ويقهر الأضعف منه .. وهكذا إلى أن تصل إلى أصغر وأضيق حلقة في مجتمعهم .. حيث تجد الزوج منهم ينتقم من إذلال الآخرين له بإذلال زوجته وأبنائه في بيته .. وكذلك هي علاقة شيوخ الطائفة مع أبناء الطائفة؛ هي علاقة استعلاء، واستعباد، وإذلال، ولعق لأحذية الشيوخ .. وجباية الأموال لصالح شيوخ الطائفة بالحرام!

لذا فإن الطائفة النصيرية اجتماعياً . على مدار تاريخها . تنقسم إلى طبقتين: طبقة غنية طاغية متفرعة .. وطبقة فقيرة محرومة مستحجرة وهم الغالبية من أبناء الطائفة .. وكل طبقة من الطبقتين تنقسم كذلك إلى طبقتين، والطبقتان تنقسم إلى أربعة، والأربعة إلى ثمانية وهكذا .. إلى أن تجد في

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

البيت الواحد طبقتين؛ قوي وضعيف أو ضعيف وأشد منه ضعفاً .. وهذه الطبقات غير ثابتة فيم بينهم فهي تتماوج وتتذبذب صعوداً وهبوطاً بحسب ارتفاع قوة الضعيف، وضعف القوي .. والظروف التي تسمح للفقير أن يكون غنياً، وللغني أن يكون فقيراً .. لذا يوجد تسابق محموم فيم بينهم على الاستغناء الفاحش بأي طريقة كانت .. ولما وجد الجندي حافظ الأسد النصيري نفسه أنه أقوى من رئيسه الضابط صلاح جديد النصيري كذلك .. انقض عليه .. ووضعه في السجن إلى أن مات الآخر في سجنه .. ليحل مكانه في رئاسة البلاد .. علماً أنهما كلاهما من الطائفة النصيرية .. وعرفتم كذلك لماذا رفعت الأسد حملته نفسه على أن ينقلب على أخيه ورئيسه حافظ الأسد .. مما حمل الآخر على أن يجرد أخاه رفعت من جميع صلاحياته العسكرية والسياسية .. ويطلب منه أن يهيم على وجهه خارج البلاد .. وعرفتم كذلك لماذا ماهر الأسد . رئيس الحرس الجمهوري . الأخ الأصغر لبشار الأسد .. يتصرف في هذه الأيام وكأنه دولة ضمن دولة .. وفوق القانون والمساءلة .. يُزاحم أخاه الرئيس على كثير من خصوصيات الرئيس والرئاسة .. حتى يظن البعض أن الرئيس الفعلي هو ماهر وليس بشاراً .. سبب ذلك كله البيئة والتربية الاجتماعية والأخلاقية لأبناء الطائفة النصيرية كما تقدم!

فإن قيل: ما الذي يحمل عوام الطائفة أن تصبر على هذا النظام الاجتماعي المتخلف والظالم

للطائفة؟

أقول: الذي يحمل عوام الطائفة من طبقة الفقراء والمهانيين على أن يصبروا على إذلال وإهانة شيوخهم وزعمائهم، وأغنيائهم .. أن زعماء وشيوخ الطائفة يخوفون أبناء الطائفة من محيطهم الإسلامي .. وأنهم مهما رأوا من إذلال زعمائهم وشيوخهم .. عليهم أن يصبروا ويسكتوا .. ويظلوا متماسكين فيم بينهم .. حتى لا يبتلعهم العالم الإسلامي المحيط بهم من كل حذب وصوب .. والذي لا تنظلي عليه منهم هذه المقولة .. ويتمرد على الطائفة وعاداتها وتعاليمها وقيمها الاجتماعية والأخلاقية .. يواجه بالقتل والتصفية .. وبطريقة سرية رهيبة تتواطأ عليها الطائفة كلها!

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

فإن عرفتم ذلك أحسنتم التفسير لماذا بعد خمسين عاماً من حكم الطائفة النصيرية لسورية .. لا يزال يوجد من أبناء الطائفة النصيرية من يشكو الفقر والحرمان .. وعرفتم كذلك لماذا المتنفذين والمتسلطين على الحكم في سورية من أبناء الطائفة يتعاملون باستعلاء واستهتار، واحتقار وإذلال للمواطن السوري بشكل عام .. مما حمل المواطن السوري مؤخراً . وبعد صبر طال أمده . أن يهتف في تظاهراته: المواطن السوري ما بينذل!

بينذل .. ممن .. ولماذا .. الجواب قد عرفتموه .. وقد تقدم أعلاه!

بُعد ثالث هام لا بد من أن نشير إليه، وهو أن الطائفة النصيرية تفتقد القيم الدينية، أو الأخلاقية، أو الإنسانية .. التي يحتكمون إليها .. أو تحاكمهم إليها عند الخلاف .. لا يمكن . مثلاً . أن تقول لهم: اتقوا الله .. أو تسألهم بالله شيئاً .. مباشرة يستخفون بك .. ويضحكون عليك .. ويبادرونك بشتم الله عز وجل .. ولو ذكرتهم بتعاليم الإسلام وما جاء به الأنبياء والرسل من عند ربهم .. شتموا الإسلام والأنبياء والرسل^[138] .. ولو قلت لهم .. هذا حرام .. أو لا يجوز .. أو عيب .. يتنافى مع القيم

¹³⁸ قدر الله لي أن سجن في سجون وأقبية المخابرات السورية سنة 1976 م، بسبب بعض الكتابات والخرشيات كتبتها على الجدران نددت فيها بالنظام وبقائده الهالك حافظ الأسد .. وقد مررت على أقبية وزنازين المخابرات في طرطوس، ومن ثم زنازين المخابرات في اللاذقية، إلى أن انتهى بي الأمر في زنازين المخابرات في دمشق .. وكان عمري وقتئذٍ لا يتعدى السادسة عشر عاماً .. أتذكر كل ذلك لما قام . في هذه الأيام . فتية من أبنائي، من أبناء درعا البطلة بنفس فعلي هذا .. فكانت كتاباتهم الجريئة على الجدران التي تندد بالطاغية وبنظامه سبباً مباشراً في اندلاع هذه الثورة المباركة التي تشهدها مدن سورية اليوم .. المهم .. وأنا في زنازين المخابرات في دمشق حيث كان رئيس المخابرات يومئذٍ يُسمى بـ " علي دوبا " وهو ضابط نصيري .. كانوا إذا أخرجوا أحداً للتعذيب .. كان البعض يقول للجلايين من النصيريين .. يتوسل إليهم . من شدة التعذيب . ليخففوا عنه بعض الضرب والتعذيب .. فيقول لهم: من شان الله (أي من أجل الله) اتركوني وارحموني، فيشتمونه ويشتمون الله .. ويقولون له هذه عصا الله الذي تستنجد به .. ويزيدونه ضرباً وتعذيباً .. فيقول لهم: من شان محمد ارحموني .. فيشتمونه .. ويشتمون محمداً . صلوات الله وسلامه عليه . ويقولون له: هذه عصا محمد .. ويزيدونه ضرباً وتعذيباً .. فيتوسل إليهم بكل مقدس .. فلا يجد منهم سوى

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

والأخلاق الدينية والإنسانية .. سخروا منك ومن دينك وشتموك .. وشتموا تلك القيم .. ولو ذكرتهم بحق الوطن .. وأخوة الوطن والمواطن .. وما يلزمهم من تعايش حضاري وإنساني مع غيرهم ممن يعيشون معهم في الوطن لشتموك وشتموا الوطن .. وشتموا القومية العربية .. والإنسانية .. حتى القانون السوري أو القانون الدولي لشتموه .. لا يحترمون شيئاً .. ولا يقدسون شيئاً .. وهذه مشكلة كبيرة للمواطن السوري إذ لا يعرف كيف يتعامل معهم .. وإلى أي مرجعية يحاكمهم .. وما هي اللغة الأنسب التي يخاطبهم بها .. ويحاكمهم إليها .. غير خطاب وقانون الرشاوي .. والفساد .. وبذل الأموال لهم بالحرام ليكفوا شرهم عنه!^[139].

فإن قيل: مرجعيتهم القانون السوري .. فهم يحتكمون إلى القانون السوري؟!

أقول: أنتم واهمون .. هل ترون آل الأسد والمقربين لهم من الطائفة الحاكمة والمتنفذين يخضعون للقانون السوري .. أو يمكن مساءلتهم ومحاسبتهم على أساس القانون السوري ..؟ سيأتي الجواب القطعي أن لا .. فهم فوق القانون .. وفوق المساءلة والمحاسبة .. والقانون دائماً تحتهم وتبعاً لهم .. ولما تعارض الدستور . وليس القانون وحسب . مع ولاية بشار الأسد للحكم .. مباشرة غيروا الدستور وتجاوزوه .. لأنهم هم الدستور .. وهم القانون!

وهذا أيضاً مما يعيننا على تفسير عدم إصغاء النظام الطائفي الحاكم .. لصيحات ومطالبات الناس بالإصلاح ... المعارضة ومنذ أكثر من أربعين عاماً، تطالبه ببعض الإصلاحات الضرورية التي لها

السب والاستهزاء .. ومزيداً من الضرب والتعذيب .. في النهاية يقول لهم: من شان حافظ الأسد ... فيتركونه .. ويمسكون عن تعذيبه وضربه من أجل حافظ الأسد .. فتأملوا، أي قوم هؤلاء؟!

¹³⁹ مما استوقفني في المظاهرات الأخيرة التي حصلت في مدينة درعا البطلية .. أن أحد المتظاهرين يقول . عن بعد . للطرف الآخر من مخابرات وبلطجية النظام الطائفي الذين يقمعون المتظاهرين: نحن إخوانكم .. كيف تقتلون إخوانكم .. هل يوجد جيش يقتل شعبه .. فما كان الرد من الطرف المقابل الطائفي إلا زخات من الرصاص الحي تسكت المنادي ومن معه من المتظاهرين .. وذلك أنهم لا يعرفون معاني هذه الكلمات .. ولا يلقون لها بالأ .. التي لو قيلت للعدو المحارب في أجواء القتال والحرب .. لتوقف عن قتلك!

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

مساس بحياة وكرامة وأخلاق وعزة وحرية المواطن السوري .. لكن لا حياة لمن تنادي .. وكأنهم يخاطبون جداراً .. ويتكلمون مع أصم أبكم .. والسرف في ذلك: أن النظام الحاكم لا يعرف معنى قيم الأخلاق، والعزة، والكرامة، والحرية .. وأثرها في نفس الإنسان .. فهذه مصطلحات غريبة جداً على بيئته وثقافته ومصطلحاته الطائفية .. فكيف ترونه يحتكم إليها أو يُصغي لها؟!!

وهل من الممكن من يقتل أكثر من ثلاثمائة شاب من مواطني سورية في أول تظاهرة سلمية لهم .. أن يكون محباً للوطن والمواطن .. أو يقبل أن يخضع لقانون الوطن ..؟!!

لا يقدم على هذه الجرائم والمجازر .. إلا من كان لديه الشعور مسبقاً أنه فوق الوطن والمواطن .. وفوق القانون .. وفوق المساءلة والمحاسبة .. وأن الوطن والمواطن لا يعني له شيئاً!

مجموع ما تقدم . في النقاط الثلاثة الأتفة الذكر . يعطينا تفسيراً دقيقاً لسلوكيات ومواقف وسياسات النظام الطائفي الحاكم .. كما يساعد شعبنا وأهلنا في سورية الجريحة على ابتكار الطريقة الأمثل للتعامل مع هكذا نظام طائفي .. هذه بعض صفاته وتركيبته الأخلاقية والنفسية، والاجتماعية، والطائفية!

فإن قيل: كيف تفسر إذاً موقف النظام الحاكم مع المقاومة وجهة الممانعة .. وهذا موقف يدل على أن النظام عنده من القيم الوطنية والإنسانية الشيء الكثير .. وهو بخلاف ما أشرت إليه؟

أقول: أجيب عن هذا السؤال من وجهين:

أولهما: أن النظام الحاكم الطائفي . طيلة أكثر من أربعين عاماً . ما كان بنفسه يوماً من الأيام مقاوماً ولا ممانعاً .. بل كان منبطحاً مستسلماً .. حيث لا تزال هضبة الجولان السورية . منذ احتلالها . بيد الصهاينة اليهود .. ومن ذلك الوقت وإلى ساعتنا هذه لم يُطلق النظام عليها ومن أجلها طلقة واحدة .. ولا يسمح لأحدٍ أن يُطلق نحوها طلقة واحدة .. وهو من ذلك الوقت يلعب دور كلب الحراسة الوفي الذي يحرس الحدود السورية مع دولة الصهاينة اليهود .. لذا فإن رحيل النظام الطائفي الحاكم

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

.. يشكل قلقاً كبيراً للصهاينة اليهود خوفاً من أن يكون البديل عنه ليس بدرجة وفاء نظام آل الأسد الطائفي .. وليس بنفس مقدرته على ضبط وحراسة الحدود!

إضافة إلى ذلك قد قامت دولة الصهاينة بقصف منشآت نووية وعسكرية في الشمال السوري .. فنعمت المنشآت .. وقتلت كل من فيها .. والنظام الحاكم الطائفي .. يتفرج .. ولم يزد عن إطلاق بعض الصواريخ الكلامية العنترية الفاضية .. التي لا تقدم ولا تؤخر .. ولم يتبعها إطلاق طلقة واحدة.

أما على الصعيد الفلسطيني .. فمجازر مخيم تل الزعتر، والكرنطينا .. وغيرها من المجازر التي ارتكبتها النظام الطائفي بحق الشعب والمخيمات الفلسطينية في بيروت في السبعينات وما بعدها .. التي لم يرتكب الصهاينة اليهود مثيلاً لها .. وما أعقبها بعد ذلك من ترحيل قصري لعرفات وللآلاف من الفلسطينيين ممن معه تحت القصف والوعيد السوري الطائفي .. نزولاً عند رغبة دولة الصهاينة اليهود .. ورغبة من النظام في تفرغ الساحة اللبنانية . من أي قوة فاعلة . للنصيرية في لبنان، وللشيعة الروافض بقيادة حزب الله اللبناني الرافضي .. كل ذلك يحدثنا عن مدى حقد وإجرام هذا النظام الطائفي بحق الشعب الفلسطيني، والقضية الفلسطينية .. والمقاومة الفلسطينية .. وكما اقتات هذا النظام وتشبع بما ليس فيه . ولا يزال . باسم القضية الفلسطينية!

ثانياً: النظام السوري الطائفي، كنظام متخلف فاسد، ومستبد، ينطوي على أجندة طائفية .. مكروه على الصعيد الداخلي المحلي، وعلى الصعيد الخارجي والدولي .. يحتاج لبعض الأوراق .. والاطلاقات الوطنية .. يتشبع ويتقوى بها على شعبه أولاً .. ثم على محيطه العربي ثانياً .. فمن قبل رفع حافظ الأسد شعار الصمود والتصدي .. إلى أن ظهر كذب النظام .. وأصبح الناس يسمون جيته بجبهة الجمود والتردي .. ولما انتهى مفعول جبهة الصمود والتصدي .. وأصبحت مسخرة للناس والمعلقين منهم .. عدل النظام . في عهد الوريث الابن . عن هذا الاسم وسمى نفسه ومن دخل في حلفه بجبهة المقاومة والممانعة .. وحتى يظهر أنه من هذه الجبهة، وينزعم هذه الجبهة، أذن لبعض قيادات الفصائل الفلسطينية . منها حماس . بالإقامة في دمشق بشرط أن يعطوا الولاء للطاغية ونظامه .. أضف إليهم

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

احتضانه لحزب الله البناني الرافضي الطائفي^[140].. ليقنات بهم .. ويستعملهم كورقة ضغط على من كل من يخالفه في الداخل والخارج سواء .. ولكي يجد لنفسه بهم مبرراً لكل تقصير أو فساد أو ظلم يقع فيه؟

فإذا طوِّب ببعض الإصلاحات .. وكف الأذى عن شعبه .. وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين .. وإلغاء العمل بقانون الطوارئ .. اعتذر للشعب السوري بأنه يمثل ويحتضن جبهة المقاومة والممانعة .. وأنه مشغول بالمقاومة والممانعة .. وأن المقاومة والممانعة تمنعه من أن يصغي لشعبه فيما يُطالبه به .. أو أن يقوم بأي إصلاحات ملموسة!

ولو انتفض الشعب السوري ضد ظلم النظام وفساده .. قال: هؤلاء ينتفضون على من يمثل ويحتضن المقاومة والممانعة .. وهم في انتفاضتهم يستهدفون المقاومة والممانعة التي يحتضنها النظام السوري .. ومن كان كذلك فهو خائن .. جزاؤه القتل .. فضلاً عن أن يُلتفت لمطالبه!

وإذا أُشير إلى بعض خيانات النظام الطائفي ومواقفه المزرية على مستوى العلاقات الخارجية .. اعتذر.. وترفع على من يخالفه .. بالمقاومة والممانعة .. وأنه يحتضن المقاومة والممانعة .. ومن يحتضن المقاومة والممانعة فوق الخيانة والعمالة .. والشبهات!

ومن خالفه من محيطه العربي .. والدولي .. هددهم بدبابير المقاومة والممانعة .. وأن بيده ورقة المقاومة والممانعة .. يستعملها ضدهم وقتما يشاء .. فيرهم لمصالحه الخاصة بالمقاومة والممانعة ..

¹⁴⁰ تحالف النظام السوري مع حزب الله البناني الرافضي، هو جزء من تحالفه الاستراتيجي الطائفي مع آيات وساسة قم وطهران وطموحاتهم الطائفية الرافضية في المنطقة .. ثم هو مع ذلك يجد في حزب الله البناني الرافضي المسلح تسليحاً جيداً تلك الورقة التي يهدد بها معارضيه في داخل لبنان .. كما يهدد بها المجتمع الدولي لو أرادوا يوماً أن يتعاملوا معه على طريقة تعاملهم مع القذافي ونظامه المجرم .. كما يهدد بها المجتمع السوري المحلي .. إذ أن الآلاف من مقاتلي حزب الله البناني أبدوا استعدادهم للقتال صفاً مع بشار الأسد ونظامه ضد أي تهديد يواجهه من قبل الشعب السوري الأسير .. رأيتم كم يستفيد هذا النظام الطائفي المستبد من هذه المقاومة .. وكم هذه المقاومة المزعومة شريفة في مقاصدها وغاياتها ووجودها !!؟

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

ويفاوض الأطراف لمآربه من منطلق أن معه المقاومة والممانعة .. وهو عملياً لم يقدم للمقاومة والممانعة سوى أنه سمح لبعض قادة الفصائل الفلسطينية أن يقيموا على الأراضي السورية وبشروط تعجيزية، مذلة ومهينة!^[141].

وهكذا فهو يستخدم المقاومة والممانعة كعصاة يتكئ عليها في باطله وظلمه .. ويُؤدب بها كل من يخالفه أو يعترض عليه في شيء .. كما يرى في المقاومة والممانعة غطاءً واسعاً يستر به عيوبه وعوراته عن أعين الناس!

ومقاومة وممانعة تدرّ على هذا النظام الفاسد الطائفي المهترئ .. هذه النتائج كلها .. ثم هو يرى فيها ذاك الكساء الذي به يغطي عيوبه وعوراته كلها .. كيف لا تريدونه يتشبع بالمقاومة والممانعة .. ويرحب بهكذا مقاومة وممانعة .. ويتظاهر أنه من ومع المقاومة والممانعة!

هذا هو حظ النظام الطائفي من المقاومة والممانعة، وهذا هو حظ المقاومة والممانعة من النظام البعثي الطائفي!

وكذلك يُقال فيم يخص مناداته بحزب البعث، والقومية العربية .. وغيرها من الشعارات الوطنية والقومية التي امتطها لمآربه الخاصة، ووجد فيها الغطاء الساتر لعيوبه وجرائمه .. وطائفيته .. وهي في الحقيقة لا تعنيه ولا تهمه شيئاً .. وإلا قولوا لي كيف تفسرون التزام النظام بمبادئ البعث والقومية العربية .. وهو في نفس الوقت قد تحالف مع إيران الفارسية الرفضية في قتالها وحرابها ضد العراق العربي، وضد حزب البعث العربي الحاكم للعراق آنذاك .. كيف يمكن أن يكون بعثياً، وقومياً ثم يفعل كل ذلك .. أضف إلى ذلك هذا التوغل الإيراني الرفضية .. في جميع مرافق وحياة المجتمع السوري ..

¹⁴¹ من السياسات الخارجية المريبة التي يتبعها هذا النظام الطائفي . فيم يخص الصراع مع دولة الصهاينة اليهود . أنه لا هو مع الحرب، ويعد للحرب عدته، ولا هو مع مشاريع السلام المطروحة على الساحة .. فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. وهذا الموقف المتذبذب هو الذي يسمح له بأن يقتات . وأن يمارس عملية الابتزاز لأكثر من أربعين عاماً . باسم المقاومة والممانعة .. ثم هو عملياً وعلى أرض الواقع ليس من المقاومة ولا الممانعة في شيء!

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

بتواطئ من النظام ذاته .. حتى أصبحت سورية وكأنها ولاية من ولايات إيران ... في أي خانة من خانات الوطنية، وخانات حزب البعث، والقومية العربية .. يمكن أن يُصنف هذا التواطؤ؟! خلاصة القول: أن النظام الطائفي الحاكم غير صادق مع أي شعار من الشعارات التي يرفعها .. ويتستر بها .. ثم في نفس الوقت تقدر على أن تلزمه بها وتحاكمه إليها .. بغض النظر عن مدى شرعية وصحة هذه الشعارات من بطلانها.

فإن قيل: ما هو المطلوب من الطائفة النصيرية في هذه المرحلة ..؟

أقول: مطلوب من أبناء هذه الطائفة ممثلة بوجهائها وقادتها وشيوخها .. أن يكون لهم موقف واضح وصريح ومعلن من سياسات النظام الحاكم الظالمة .. ومن عائلة آل الأسد المتسلطين .. وأن يقفوا مع الشعب السوري في رغبته في إسقاط هذا النظام الطائفي المتخلف الذي يقتات ويتقوى بهم، ومع رغبته في التغيير والتحرر من العبودية والتبعية للطاغوت ونظامه، وحزبه، وأن ينكروا عملياً، ومن خلال التظاهرات والاعتصامات جرائم النظام بحق الشعب السوري الأسير .. هذا هو المطلوب منهم في هذه المرحلة .. إذ لا يكفي أن يخرج واحد منهم ليكلمنا. عبر وسائل الإعلام. عن معارضته الباردة للنظام .. أو عن فقر ومعاناة أبناء الطائفة من النظام الحاكم .. ثم عملياً وواقعياً .. نجد أن النظام يتقوى بالطائفة ككل .. ويتكئ عليها في ظلمه للشعب السوري .. ويجعل منها شماعة للاستمرار في ظلمه وممارساته الطائفية العنصرية .. وعقبة كأداء أمام أي تغيير .. كما أن الطائفة ذاتها . منذ أكثر من أربعين عاماً . تتقوى بالنظام الحاكم .. على الشعب السوري .. والشعب السوري . إلى الساعة . لم يجد منها موقفاً واحداً ضد النظام!

لا يُقبل منهم ذلك .. وها نحن نقولها لهم وبكل وضوح .. اختاروا لأنفسكم وطائفتكم من الآن .. وقبل فوات الأوان: إما الوقوف مع النظام الطائفي الظالم والمتخلف، وكطرف معه في معركته ضد الشعب السوري .. وإما الوقوف مع الشعب السوري في مطالبه ورغبته في التغيير وإسقاط النظام

ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي

الطائفي الحاكم، المتخشب والمتوحش .. ولكل اختيار له تبعاته .. وله ردة الفعل التي تناسبه من قبل الشعب السوري المسلم.

كلمة أخيرة أهمس بها في أذان أهلنا وشعبنا السوري الأبي، فأقول لهم: وحدوا مطالبكم . من النظام . في مطلب واحدٍ لا غير؛ ألا وهو إسقاط النظام، كل النظام .. ورحيله عن الحياة والساحة السورية، وإلى الأبد بإذن الله .. وأيما مطلب لكم دون ذلك .. فهو عبث، ومضيعة للأوقات والطاقات من غير طائل يُذكر .. ويعني مزيداً من المعاناة والإذلال للإنسان السوري.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهَا مِنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:88.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1432/04/25هـ

أبو بصير الطرطوسي

2011/03/30م

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثرت علي الأسئلة من طرف الإخوان والشباب المسلم في تونس ومصر. بخاصة من إخواننا ذوي الاتجاه السلفي السني الذين لم يسبق لهم نوع مشاركة في عمل سياسي عام . عن المنهجية والطريقة في العمل ما بعد الثورة .. حيث قد أتيحت للشعوب مساحة مقبولة من الحريات لم يكن يعيشونها ولا يعرفونها من قبل في ظل الأنظمة المستبدة البائدة .. يمكنهم من خلالها التعبير عن دعوتهم وعقيدتهم، ومشاعرهم، واختياراتهم من غير إكراه ولا تهريب أو تزوير.. فما هو العمل .. وما هي الأولويات .. وما هو الممكن والمسموح به وما هو غير الممكن وغير مسموح به .. وكيف السبيل لذلك .. وأين خيار استخدام القوة. في مواجهة مشاكل الواقع. في ظل هذا الواقع الجديد .. وغيرها من التساؤلات .. نجتهد . بإذن الله تعالى . أن نجيب عنها من خلال النقاط التالية:

1- هذه الكلمات وإن كان المعني منها بالدرجة الأولى هم أهلنا وإخواننا في كل من مصر وتونس للجديد الذي طرأ على البلدين .. إلا أنها أيضاً هي موجهة لكل بلد تعيش نفس التجربة المصرية أو التونسية .. أو هي في طريقها للتحرر من هيمنة الأنظمة الطاغية المستبدة .. نسأل الله تعالى أن يحرر جميع بلاد المسلمين من هيمنة الأنظمة الطاغية الفاسدة المستبدة التي تستعبد وتستحمر الشعوب .. وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!

2- على الشباب المسلم . في حال انتفاء الجماعة التي تحسن تمثيلهم فكرياً ومنهجياً، وترقى إلى مستوى تطلعاتهم وأهدافهم . أن يُفرزوا قياداتهم من أنفسهم على وجه السرعة .. وأن يشكلوا جماعتهم المستقلة القائمة على منهج الكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح .. التي تجمع بين الدراية والاهتمام بالنقل، والأثر، وبين الدراية بالواقع المعاش، ومتطلباته وحاجياته.

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

وإن استدعى الأمر تشكيل حزب يُعلن عنه فلا حرج في ذلك .. بشرط الحذر والانتباه من مزالق التقوقع والوقوع في التعصب الحزبي المقيت الذي يمنع المتحزبين من إنصاف الحق، ويحملهم على العمل للحزب ومصالح الحزب بعيداً عن مصالح وهموم المجتمع والأمة .. فهذا لا يجوز.

3- الأجواء والظروف ما بعد الثورة هي أجواء سلمية .. تتسم بمساحة واسعة من الحرية والسماحة .. تستدعي تفعيل الوسائل السلمية في عملية البناء والتغيير ما أمكن لذلك سبيلاً .. فكما أن المسلمين في ساحات القتال . إن توفرت دواعي الجهاد وأسبابه وظروفه . هم السادة، وهم الأعلون بإذن الله .. كذلك إن تأمنت ساحات الحرية في التعبير، والحركة، والدعوة .. فهم السادة، وهم الأعلون، بإذن الله.

4- ما دامت المعركة مع الآخرين يمكن حصرها في ميادين الكلمة والبيان والحوار .. فحينئذٍ لا ينبغي أن نعدل عن ميادين الكلمة والبيان .. إلى ميادين العنف والشدة .. وذلك لثلاثة أسباب: أولها؛ لعدم الحاجة إليها، أو وجود ضرورة تستدعي اللجوء إليها، ولأن العنف لو استخدم في غير ميدانه وظروفه الاضطرارية يُفسد ويضر، ويُسيء.

ثانيها: أن المسلمين هم الأقوى في ميدان الكلمة .. لأنهم يملكون الحجة الأقوى .. والمنطق الصحيح والسليم .. يملكون: قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال الصحابة والسلف الصالح .. وأتى للآخرين أن يقووا على الوقوف أمام كلام الله وكلام رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الحشر:21. أما بضاعة الكفار من قبل واليوم وغداً في مواجهة نور وحجية وقوة القرآن .. هو اللغو، والدعايات الساقطة، والصخب ورفع الأصوات لا غير .. حتى لا تُسمع كلمات الله تعالى جيداً .. لأنه لو سُمع إليها جيداً لا يقوى أحد على ردها، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ فصلت:26. فكل هذا الصخب، والصراخ، والدعايات الهابطة التي يمارسها الكفار اختصرها القرآن الكريم بكلمتين ﴿وَالْغَوَا فِيهِ﴾ ، وأتى للغو أن يقوى على مواجهة الحق والنور والضياء .. وبالتالي فإن النصر، ومآلات الأمور محسومة لصالح

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

المسلمين بإذن الله .. فلا ينبغي أن نعلن عن هزيمتنا وانسحابنا من ميادين الكلمة والبيان .. ونحن لم نستخدم ولم نستثمر تلك الميادين بعد حق الاستخدام والاستثمار!

ثالثها: أن العمل كلما كان أقرب للرفق كلما كان أجدى نفعاً، وأكثر عطاءً وقبولاً لدى الناس، فالله تعالى رفيق، يُحب الرفق في الأمر كله، ويُجازي عليه ما لا يُجازي على العنف والشدة، والرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه .. فالبركة كلها في الرفق ومع الرفق .. وما دام الأمر يمكن معالجته عن طريق الرفق .. من الخطأ حينئذٍ العدول عنه ومعالجته عن طريق العنف والشدة.

5- جميع المراقبين المنصفين يشهدون أن الأوضاع ما بعد الثورة . وبخاصة في مصر. هي أفضل بكثير مما كان عليه الحال في عهد الطاغوت والاستبداد والله الحمد .. وأقل ما يُوصف به الواقع أن البلاد عادت لأهلها وأصبحت ملكاً لهم بعد أن كانت ملكاً للطاغية وعائلته .. لكن هذا الواقع الجديد على أهميته .. وأهمية ما تم إنجازه .. لا يعني أن الأمور قد اكتملت وبلغت درجة الكمال الذي يعقبه النوم والاسترخاء .. أو أن كل ما يجري ويحصل يرضينا وهو جيد .. فهناك مساحة واسعة طيبة من الإصلاحات قد حصلت وتم إنجازها والله الحمد .. وهناك جانب أيضاً هو كبير لا يزال يحتاج إلى إصلاح وجهد واجتهاد.

ويمكن أن يُقال أيضاً: أن هناك جانب هام وواسع لا بأس به ميسور ومقدور عليه .. وفي المقابل أيضاً جانب متعسر، وشاق، لم يُقدر عليه بعد .. فما العمل وما هو المطلوب؟

أقول: المعسور لا يُسقط الميسور .. ولا يبرر الاعتذار على ترك الميسور والمقدور عليه .. فما كان متيسراً ومقدوراً عليه ينبغي القيام به على أحسن وجه .. واستغلاله بطريقة حكيمة وجيدة للزحف نحو المعسور للتقليل من كفه ونوعه بحسب المستطاع .. وهذا يستدعي قراءة جيدة وناضجة لما هو متيسر وممكن، ولما هو غير متيسر ولا ممكن .. كما يستدعي عدم الاستعجال في الخطوات واتخاذ القرارات العامة قبل أوانها .. فمن تعجل شيئاً قبل أوانه عُوقب بحرمانه.

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

البقرة:286.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

6- الشيء الواحد قد يكون فيه جانب حق وجانب باطل .. فحينئذ لا ينبغي ولا يجوز أن نحكم عليه كله بأنه باطل أو أنه حق .. بل نحكم على الجانب الحق منه بأنه حق، فنباركه، ونشجعه، ونعمل على تنميته، وتكثيره .. ونحكم على الجانب الباطل منه بأنه باطل، ونجهد في تقليله والعمل على إزالته بالقدر المستطاع، كما في الحديث: "فاشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء"، أياً كان هذا المحسن، أو كان هذا المسيء .. والمؤمن الواحد قد تجتمع فيه طاعة ومعصية .. سيئة وحسنة .. وهذا لا يسلبه صفة المؤمن والمسلم .. وإنما يُقال فيه كذا، وفيه كذا .. بحسب ما فيه.

7- ليس كل ما هو جائز يعني يجب القيام به، من دون النظر للمآلات، والمصالح والمفاسد المترتبة جراء القيام به .. ومن دون النظر لما هو ممكن وما هو غير ممكن .. وفوق الاستطاعة .. واعلموا أن ما يجب على القوي لا يجب على الضعيف .. وأن مرحلة القوة والتمكين أحكامها، ومرحلة الاستضعاف أحكامها .. لا ينبغي حمل أحكام كل مرحلة منهما على الأخرى .. ومن يفعل فهو مخطئ، ولن يقطف إلا الندامة، ولات حين مندم!

8- إذا دعيتم لأي مشاركة من أي طرف من أطراف المجتمع؛ سواء كانت المشاركة لها الطابع السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي .. فاجعلوا الميزان الذي على أساسه تشاركون أو ترفضون هو شرع الله تعالى، فتنظروا ما كان فيه معصية لله أو يؤدي إلى معصية، وبخاصة إن كانت هذه المعصية ترقى إلى درجة الشرك .. فاعتزلوه مهما بدت المصلحة من جراء فعله .. وإن كان جائزاً؛ لا معصية فيه .. وفيه خدمة للناس والمجتمع .. فشاركوا فيه .. وادعموه .. واعملوا على إنجاحه، عملاً بقوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

المائدة:2.

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

فإن قيل: لو حددت لنا أكثر الميادين والأعمال التنفيذية والإدارية التي يمكن أن نقتحمها،

ونشارك فيها!؟..!

أقول: كل الأعمال الميدانية التي لها الطابع الإداري والتنفيذي والخدماتي للناس والمجتمع .. بإمكانكم أن تقتحموها وتشاركوا فيها. ولو كان ذلك عن طريق الانتخابات والتصويت. إن كانت المصلحة تكمن في ذلك .. بل أحياناً في مواضع يتعين عليكم المشاركة في هذه الأعمال إن ترتبت مفسد راجحة من جراء اعتزالكم لها .. من قبيل دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر .. وتقديم أكبر المصلحتين .. من هذه الأعمال التنفيذية الإدارية التي يمكن المشاركة فيها، على سبيل المثال لا الحصر: رئاسة البلديات، وإدارة المحافظات، والجامعات، والنوادي وغيرها من الأمور التنفيذية العملية التي تلامس حياة ومعاش الناس .. بل والمشاركة في منصب وزاري إن منحت حرية واستقلالية تامة للوزير تمكنه بحق من تمرير برامجه وإصلاحات عملية وضرورية للمجتمع والناس .. لا يمكن تمريرها عن طريق غيره .. وذلك أن الإسلام جاء بجلب المصالح وتكثيرها ودرء المفسد وتقليلها ما أمكن لذلك سبيلاً.

فإن قيل: هل يجوز المشاركة. ترشحاً وترشياً. في العمل النيابي التشريعي، الذي يوكل مهام

التشريع، والتحليل والتحريم، والتحسين والتقبيح للإنسان من دون الله تعالى؟

أقول: لا؛ لا يجوز .. لأنه شرك، يُشرك المخلوق مع الخالق في خاصية الحكم والتشريع، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:26. وقال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20.

ولأن الإقرار للمخلوق بخاصية التشريع والتحليل والتحريم من دون الله تعالى هو إقرار له بربوبيته على العباد، وإعلان سافر في دخول الناس. وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. في عبوديته من دون الله، كما

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

قال تعالى عن الأمم التي قبلنا من اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31. وذلك لما جعلوا لهم خاصية التشريع والتحليل والتحريم من دون الله، فاتبعوهم وأطاعوهم

في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله .. فذلك كان اتخاذهم أرباباً من دون الله.

وفرعون لما نادى في قومه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات:24. لم يكن يعني قدرته على الخلق

أو التصرف في الخلق كيفما يشاء، فهو أعجز من أن يخلق بعوضة أو أن يرد عن نفسه . من دون الله .

اذى وضرر بعوضة .. وإنما أراد هذا المعنى الأنف الذكر؛ أي أنا ربكم الأعلى الذي أرببكم وأنشئكم على

قانوني وشريعتي التي أسنها فيكم .. ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص: 38. أي ما علمت لكم

من مشرع ترجعون إليه في جميع شؤون حياتكم غيري؛ فأنا المألوه المطاع فيم أشرع لكم دون غيري!

وبالتالي فالشعوب الحرة الثائرة على الظلم والطغاة .. والتي تنشد الحرية والعزة والكرامة .. لا

يقبل منها أن تثور على العبودية للطغاة الذين تفرزهم الأنظمة الديكتاتورية .. بينما يدخلون طواعية

في العبودية للطغاة والأرباب الذين تفرزهم الأنظمة الديمقراطية .. فالعبودية للعبيد بجميع صورها،

وعلى اختلاف مصادرها ..كلها مرفوضة وممقوتة .. لا تليق بالإنسان الحر العزيز الكريم!؟

لذا كان من أعظم غايات الأنبياء والرسل عبر التاريخ كله .. ومن ثم ورثتهم من الدعاة والعلماء

العاملين .. هو تحرير وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64. فكيف يمكننا أن نقول للآخرين: ﴿وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ، ثم نحن في واقع حياتنا وتعاملنا اليومي نتخذ بعضنا بعضاً

أرباباً من دون الله .. فهذا لا ينبغي ولا يليق، وسيكون له أثر منفر على الآخرين .. لأننا . بالقول والفعل .

نقول بالشيء وضده في آن معاً .. ونقول ما لا نفع، والله تعالى يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا

لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف:3.

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

فإن قيل: أين الحديث الأنف الذكر عن تقدير المصالح والمفاسد ..؟

أقول: لا توجد مصلحة توازي أو تملو مصلحة التوحيد، كما لا توجد مفسدة ولا ظلم تملو مفسدة وظلم الشرك، فالشرك ظلم عظيم لا يوازيه ولا يعلوه ظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء:48. وبالتالي عند مورد الشرك الأكبر لا يوجد حديث عن المصالح والمفاسد؛ لأن الشرك قولاً واحداً مفسدة عظيمة لا توازيها ولا تملوها مفسدة، كما أن التوحيد وتحقيق التوحيد مصلحة عظيمة وعليها لا توازيه ولا تملوه مصلحة.

فإن قيل متى يمكن المشاركة في المجالس النيابية التشريعية ..؟

أقول: يمكن المشاركة في هذه المجالس في حالة واحدة فقط؛ عندما تُقيد هذه المجالس بقانون محكم ملزم، صريح .. بأن هذه المجالس لا يحق لها أن تشرع قانوناً يخالف الإسلام، وأن عمل أعضائه مقصور على استنباط القوانين والتشريعات من الشريعة الإسلامية، والاجتهاد فيم لا نص فيه مما له حكم وصفة النوازل أو له علاقة بالشؤون الإدارية التنظيمية ونحوها .. فعندما تتقيد هذه المجالس بهذا القيد وبهذا الوضوح .. فحينئذٍ يجوز . بل يجب . المشاركة فيها لمن يجد نفسه كفاً من أهل الحل والعقد من أهل العلم والدراية .. وحينئذٍ يُختار أي اسم لهذا المجلس .. فليُسمى مجلساً تشريعياً أو مجلس نواب .. أو مجلس الشعب .. أو مجلس الشورى .. أو مجلس أهل الحل والعقد .. أو غيرها من الأسماء فإنها لا تضره .. ولا تخرجه عن صفته ومهمته ومشروعيته.

وتحقيق ذلك ليس صعباً . بإذن الله . إن تشكلت القاعدة الشعبية القوية الواسعة التي تُطالب به، وتحرص عليه .. وهذه القاعدة يمكن تأمينها وتحقيقها من خلال انخراط الإسلاميين في المجالات الدعوية، والتنفيذية الإدارية الخدمانية . بصورة واسعة . ذات العلاقة بواقع وحياة ومعاش الناس .. فشعوبنا شعوب مسلمة . وهي على الفطرة . بقليل من التذكير والنصح الصادق المخلص .. سرعان ما تعود . بإذن الله . إلى دين ربها عوداً حميداً .

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

9- ما تقدم ذكره يحتاج إلى عمل جماعي منظم، قائم على التخطيط والدراسات الدقيقة التي تجمع بين الدراية بالنص والدراية بالواقع .. والتقييم الجريئ المستمر لمراحل العمل .. وبيان العوائق وجوانب القصور والخلل لتفاديها في أقرب وقت وفرصة .. كما يستدعي من العاملين ترتيب الأولويات على ضوء الشريعة، وما تقتضيه الحاجة أن يُقدم أو يُؤخر؛ فتقدم . عند انتفاء القدرة على التوفيق أو الجمع بين المصالح والمقاصد . المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والكلية على الجزئية .. والفرائض والواجبات على النوافل .. ودفع الضرر الأكبر على دفع الضرر الأصغر .. وذلك . كما تقدم . عند استحالة التوفيق فيم بينها أو استحالة القيام بمجموعها معاً.

10- اعلّموا أن الإنسان .. وبخاصة الإنسان الفقير في مجتمعاتنا . طبقة الفقراء والمستضعفين وهم الطبقة الأوسع والأكبر في مجتمعاتنا . حظّه من جميع هذه الأحزاب على اختلاف مشاربها وانتماءاتها وراياتها .. هو تحقيق العدل .. ومحاربة الظلم .. وأن يعيش العدل واقعاً في حياته .. وأيما حزب . مهما كانت شعاراته شريفة وصادقة . لا يحقق له العدل، ولا يدفع عنه الظلم، فسوف يستهجنه ولا يُصغي إليه .. بل ولن يجد عنده سوى الصد والرد والاستخفاف!

وهذا يستدعي من العاملين في حقل الدعوة إلى الله .. أن ينشطوا بصدق وإخلاص لتحقيق هذا المعنى في مجتمعاتنا " محاربة الظلم بكل صورته وأبعاده، وتحقيق العدل بكل صورته وأبعاده"، ليس من أجل صرف الناس إليهم أو تكثير سوادهم، وسواد حزبهم .. لا .. وإنما لأن الله تعالى أمر بالعدل .. ويحب العدل .. ويبغض الظلم .. وينهى عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل:90. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8. وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا".

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

لا بد للدعاة العاملين من أجل الإسلام .. أن ينزلوا إلى الشارع .. وأن يرتقوا إلى مستوى هموم ومشاكل الناس الحياتية واليومية .. ليعايشوا ويتلمسوا واقع الناس .. ومظالمهم .. وحياتهم .. فينشطوا في الذود عن مظالمهم وحقوقهم .. ابتغاء وجه الله، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكوراً.

أما إن كانوا يعيشون في وادٍ .. وقد تضخمت عندهم شعور " الأنا " وعظمة الذات .. بينما الناس يعيشون في وادٍ آخر .. وواقع آخر .. وحالٍ آخر .. فحينئذٍ لا يتوقعون استجابة ولا إقبالاً من الناس نحوهم .. ونحو مشروعهم الإسلامي السياسي، والملام حينئذٍ هم لا الناس .. حيث أن من الدعاة تجد ثقف مطالبه يبلغ العنان من السماء .. يريد كذا وكذا .. وكأنه يعيش في زمن خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .. لا ينقصه سوى أن يُخاطب الغيمة في السماء أن امطري حيثما شئت فإن خراجك سيأتيني .. بينما هو في واقعه ما عنده استعداد أن ينزل للشارع أو يكلف نفسه أن يعيش ساعة واقع ومشاكل وهموم وآلام الناس .. وهذا لا ينتظر من الناس أن يلبوا له ثقف مطالبه أو شيئاً منها ، قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران:159. فإذا كان النبي صلوات ربي وسلامه عليه وهو رسول الله فيه هذه الخصلة حاشاه ﴿فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ ، كان ذلك سبباً كافياً لنفور الصحابة وانفضادهم من حوله .. لكن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سيد الخلق وأحسنهم خلقاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:4. وهذا مدعاة للدعاة أن يراقبوا أنفسهم .. وأخلاقهم .. وسلوكياتهم .. وعلاقاتهم مع الناس .. ولا يغرمهم أنهم على الحق أو أنهم على السنة .. أو أنهم ينطقون بكلام خير البرية صلى الله عليه وسلم .. فهذا لا يكفي بمفرده في ميادين الصراع والتدافع، والبناء، والتفاعل والاحتكاك مع الناس والتعامل معهم^[142].

11- اعلّموا أن الإسلام جاء لحماية الإنسان والحفاظ عليه، فغاياته هو الإنسان؛ يُحافظ عليه ويصونه في دينه وعقيدته، ويُحافظ عليه في نفسه، وعقله، وعرضه، وماله .. فانظروا أين أنتم من

¹⁴² لنا مذكرة في فقه الدعوة إلى الله .. وهي منشورة في موقعنا .. فيها جملة من التوجيهات والنصائح النافعة للدعاة .. راجعها إن شئت.

كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر

ذلك ومن هذا المعنى .. فإن كان الإنسان . بهذا المفهوم والبعد . هو الهدف من دعوتكم، وحزبكم، ووجودكم .. فأنتم على خير.. بارك الله فيكم .. ثبتكم الله .. وسدد خطاكم .. وكثر سوادكم .. وإن كان الأمر على غير هذا النحو والوصف . ونعيذكم من ذلك . فوجودكم حينئذٍ وعدمه سواء، بل ربما عدمه يكون أكثر نفعاً!

أرجو أن أكون في هذه الكلمات قد أجبت عن بعض تساؤلات الإخوان حفظهم الله .. فإن أصبت فمن الله تعالى وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي الأمانة بالسوء .. وأستغفر الله وأتوب إليه .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1432/06/04هـ

أبو بصير الطرطوسي

2011/05/07م

الاستعمار القرمطي الباطني لسورية وشرعية الدفاع عن النفس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

للمرة العاشرة أقول: لمن يريد أن يستشرف مواجهة ومعارضة النظام السوري الطائفي .. لا بد له ابتداءً من أن تتوفر لديه قراءة جيدة ودقيقة لعقلية ونفسيات وجينيات النظام، والقائمين عليه .. إذ أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فمن أخطأ تصور الشيء أخطأ في الحكم عليه، ومن أصاب في تصوره أصاب في الحكم عليه.

النظام السوري الطائفي . باتفاق جميع المراقبين والباحثين المنصفين . ساقط سقوطاً ذريعاً من الناحية الأخلاقية القيمية .. فاقد للحد الأدنى من القيم والأخلاق .. لا يتورع عن ارتكاب الجرائم وكل ما هو مُشِينٌ ومُعيبٌ من أجل بقائه، وبقاء امتيازات ومخصصات القائمين عليه.

من صفات هذا النظام الجبان أن الخصم الذي يقف أمامه أو يُعارضه كلما كان ضعيفاً، مسالماً، مستسلاً كلما أمعن النظام في القتل، والاستعلاء، والإذلال، والقهر لهذا الخصم .. وكلما كان قوياً كلما هابه، وأصغى إليه، وأظهر له نوع احترام .. يظهر ذلك بجلاء من خلال إمعانه في قتل أطفال، ونساء، وشيوخ، ورجال سورية المسلمين، الذين يتظاهرون ضده سلمياً .. فالمجازر وجرائم القتل التي يرتكبها بحق الشعب السوري الأعزل المسالم . منذ أن أعلن عن انتفاضته وثورته السلمية . لم تتوقف .. فالمتظاهرون من جهة يرفعون الورود وغصون الزيتون .. ومهتفون سلمية سلمية .. والنظام الطائفي في المقابل يُمعن في الطغيان والقتل والإجرام والإذلال .. حيث بتنا في كل أسبوع . بل في كل يوم . نسمع عن عشرات القتلى من أبناء الشعب السوري يُقتلون بدمٍ باردٍ .. وبسخرية واستهتار .. على أيدي مخابرات النظام، وأجهزته الأمنية القمعية، والفرقة الرابعة التابعة لماهر الأسد .. هذا غير الاعتداءات على الأعراس والحرمات .. وممارسة قمة التعذيب والإذلال لمن يقع في شباكهم وأسرهم!

الاستعمار القرمطي الباطني لسورية وشرعية الدفاع عن النفس

هذا النظام الطائفي فاقد لشعور الانتماء للأمة ولعقيدها، وقيمتها .. فاقد لشعور الانتماء لسورية أرضاً وشعباً .. لذا لا يمكن أن يعمل شيئاً لصالح سورية وشعب سورية .. فسورية بالنسبة له لا تعني أكثر من مزرعة يتمتع بها آل الأسد وطائفته وعصابته .. أو بقرة حلوب إذا جف ضرعها رماها ونظر إلى غيرها .. فهو استعمار حقيقي متلبس بجميع صفات وخصال المستعمر الأجنبي الظالم!

قولوا لي: ماذا فعله الاستعمار الفرنسي من جرائم بحق سورية أرضاً وشعباً لم يفعل النظام البعثي النصيري الطائفي أضعافه .. وبالتالي علامَ لُقِّبَ وسُمِّي الاستعمار الفرنسي بالاستعمار، وعُومِلَ معاملة الاستعمار بينما النظام السوري الطائفي القرمطي لا يُلقَّب بالاستعمار، ولا يُعامل معاملة الاستعمار؟!!

لماذا من قبل حصل الإجماع من قبل الشعب السوري على ضرورة قتال وطرده الاستعمار الفرنسي، بينما هو منقسم فيم بينه على ضرورة قتال وطرده الاستعمار النظام الطائفي القرمطي الحاكم، الذي سام شعب سورية الذل والهوان .. وفعل به ما لم يفعله الاستعمار الفرنسي بكثير..؟!!

لماذا .. وما الفرق؟!!

نحن نريدها ثورة سلمية .. وتغييراً سلمياً .. لكن إذا سُدَّتْ أمام الخيارات السلمية الأبواب .. ثم في كل يوم . تحت شعار سلمية الثورة والتغيير . نُفاجأ بمقتل العشرات والمئات من شباب وأبناء شعب سورية على يد مخابرات وطائفة ووحوش آل الأسد .. حينئذٍ لا بد للمخلصين بأن ينهضوا للتفكير بجميع الخيارات المتاحة والممكنة لمواجهة هذا العدوان!

ما أظن شريفاً يحب بلده وشعبه .. يرضى بهكذا نتيجة .. أو تسره هكذا نتيجة .. أن يجلس على أريكته، وهو يراقب وسائل الإعلام ليعد كم قتيلاً من أبناء شعبه وبلده يسقطون صرعى خلال يوم أو أسبوع على أيدي جلاوزة الاستعمار..!

فإن قيل: ما هو الحل .. وكيف السبيل للخلاص من هذا الواقع المرير .. ومن هذا الاستعمار؟!!

الاستعمار القرمطي الباطني لسورية وشرعية الدفاع عن النفس

أقول: ابتداء كل من يهمة أمر سورية وشعب سورية من المعارضة وغيرهم .. يجب أن يعترف أن هناك ثمة مشكلة كبيرة لا بد من حلها .. ولا يكفي في حلها الاقتصار على الوسائل السلمية! لا بد من أن يقتنعوا ابتداء أن من حق الشعب السوري أن يدافع عن نفسه .. وأن جميع الخيارات متاحة ومشروعة له للتخلص من هذا الاستعمار الطائفي القرمطي البغيض .. الخيارات السلمية وغير السلمية!

لا بد من أن يقتنعوا ابتداء أن كل الخيارات متاحة .. وهي قابلة للدراسة والتفعيل .. فإذا لم تتوفر القناعة ابتداء لا يمكن الشروع في أي خيار أو عمل!

المشكلة كبيرة جداً .. ولمن يستشرف التصدي لها من المعارضة وغيرهم .. لا بد من أن يرقى إلى مستواها .. ومستوى مواجهتها وعلاجها!

ولا أحسب هؤلاء الذين يجرمون جميع الخيارات على الشعب السوري .. ويحرمون على أنفسهم التفكير أو دراسة أي خيار .. باستثناء خيار التظاهرات السلمية .. مع علمهم المسبق أن نتيجة هذه التظاهرات السلمية قد تكون مئات القتلى والشهداء من أبناء الشعب السوري .. لا أحسب هؤلاء قد فهموا حجم المشكلة .. فضلاً عن أن يكونوا قد ارتقوا إلى مستوى علاجها ومواجهتها!

ومن جهتي أقترح جملة من النقاط .. على الشعب السوري المسلم الأبي أن ينظر الممكن منها .. فيختار لنفسه ما يراه مناسباً له ولحركته في هذه المرحلة .. إذ القرار في النهاية لهم .. فهم في الميدان، وهم الأدرى من غيرهم بجدوى وسيلة دون غيرها .. وبمدى قدرتهم على تفعيل وسيلة دون غيرها .. سائلاً الله تعالى لهم السداد والتوفيق .. وأن يحفظهم من كل شرٍّ، وذو شر.

أولاً: كلامي أعلاه لا يعني أنني لا أستحسن الوسائل السلمية، ولا أرى جدواها .. لا؛ ليس شيئاً من ذلك، بل أنا مع استخدام جميع الوسائل السلمية وتفعيلها إلى أقصى حدٍّ .. وبخاصة " العصيان المدني " الذي يشل جميع مفاصل الحياة على النظام .. فأتأثر هذه الوسائل على الاستعمار القرمطي

الاستعمار القرمطي الباطني لسورية وشرعية الدفاع عن النفس

الطائفي بادية لا خفاء فيها .. فأرى تفعيلها .. والتفنن في إبداع الوسائل السلمية بصورة تخرج عن المألوف والمعتاد .. وتفاجئ وتربك الاستعمار!

ثانياً: الحركة الجماعية للشعب السوري . بكل صورها وأشكالها . تكون سلمية .. كما أفدنا في النقطة الأولى أعلاه .. فإن تقصد النظام فرداً أو أفراداً بأعيانهم .. يريد قتلهم أو اعتقالهم .. عليهم أن يتواروا عن أنظار أعين الاستعمار وجنده ما استطاعوا .. فإن حصلت المواجهة ولا بد فلهم أن يدافعوا عن أنفسهم وأعراضهم .. بما يملكون من سلاح .. ولا يُسلموا أنفسهم للاعتقال .. وبخاصة إن علموا أن اعتقالهم يعني خروجهم من السجن كما خرج الطفل حمزة الخطيب ميتاً ممثلاً بجثته رحمه الله .. أو أن يكون مصيره في مقابر جماعية يُلقى فيها وهو لا يزال على قيد الحياة، كما حصل في المجازر الجماعية التي ارتكبتها الاستعمار بحق أهلنا في درعا .. ولا أجدي هنا مضطراً لأن أسرد أدلة النقل والعقل التي تجيز للمرء أن يدافع عن نفسه وأهله وعرضه في حال تعرض لشيء من ذلك الاعتداء الوحشي الذي يقوم به الاستعمار القرمطي النصيري الطائفي بحق أهالي وشعب سورية .. فهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا خفاء فيه، ولا خلاف عليه بين جميع العلماء والعقلاء^[143].

ثالثاً: تحسباً للمحظور الأكبر الذي قد يمارسه ويرتكبه الاستعمار الطائفي المجرم كارتكاب إبادات جماعية لسكان المدن والقرى السورية . وقد ارتكب من قبل كثيراً من ذلك . **أقول:** للشعب السوري كامل الحق في أن يعمل جاهداً على تسليح نفسه بما يتيسر له من طرق .. وأن يعد العدة تحسباً لما ينتظره من مكروه ومحظور يُكره عليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال:60. ليتمكن من الدفاع عن نفسه، وحرماته، ورد عدوان وحوش الاستعمار القرمطي الطائفي عن نفسه .. وأيما خطوة عسكرية متطورة يتخذها الشعب السوري للدفاع عن نفسه . بعد أن حصل له هذا الذي حصل . فهي مشروعة .. معقولة .. ومتفهمة .. على الجميع أن يتفهمها ويباركها!

¹⁴³ انظر إن شئت مقالتنا " الخيار الأنجع الذي تخلت عنه المعارضة السورية"، وهو نشر بتاريخ 2010/4/7 م.

الاستعمار القرمطي الباطني لسورية وشرعيّة الدفاع عن النفس

رابعاً: فإننا نطالب بقايا الخير من الجيش السوري .. بأن يتقوا الله في سورية وشعب سورية .. وأن يتخذوا . في هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها سورية . الموقف الشجاع والمسؤول الذي يليق بهم، وينتظره منهم الشعب السوري .. في الدفاع عنهم وعن أرضهم، وعرضهم، وحرمتهم .. ضد استعمار نظام آل الأسد الطائفي.

إذا لم يتحرك الجيش الآن .. وبعد أن حصل ما حصل من جرائم ومجازر تفوق التصور والخيال على يد الاستعمار القرمطي الطائفي الأسدي .. فمتى سيتحرك .. متى؟!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1432/07/05هـ

أبو بصير الطرطوسي

2011/06/06م

جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية

جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

هذه جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها أهلنا في الشام بعامة، والثورة السورية والقائمين عليها بخاصة، فأقول: اعلموا . حفظكم الله . أن لا قوام ولا حياة لحقٍ من غير قوة تحميه .. حق من غير قوة تحميه كبيت من غير أسوار ولا أبواب .. الكل يتجرأ عليه .. ويتخلى فيه .. والله تعالى لم يُنزل الكتاب وحسب .. وإنما أنزل معه الحديد ليحمي الحق الذي في الكتاب.

لا خلاف أننا في الشام أمام نظام طائفي، تحكمه عصابة لا يألون في مؤمن ولا وطن .. ولا مواطنٍ شريف إلا ولا ذمة .. سوريا تعني عندهم الطاغية .. والطاغية سوريا .. لا كانت سوريا ولا أهلها إن لم يكن الطاغية حاكماً مطاعاً لسوريا وشعبها .. وإلى الأبد!

نظام متوحش متخلف فاقد للحد الأدنى من القيم والخلق والإنسانية .. التي تردعه عن ارتكاب المحظور والمجازر بحق سورية أرضاً وشعباً .. أو تمكنا من التفاهم معه في شيء! رغم الضغوط الدولية والمحلية على النظام .. وبعد مضي أكثر من خمسة أشهر على سلمية الثورة .. وتعدد مؤتمرات المعارضة التقليدية في الداخل والخارج سواء .. إلا أن شهية النظام الطائفي للقتل وسفك الدم الحرام، والاعتداء على الأعراض والحرمان .. لم تتوقف، وهي في ازدياد يوماً بعد يوم!

في الأشهر الخمسة الماضية سقط عشرات الآلاف من شبابنا بين شهيد، وسجين، وجريح .. غير الآلاف المهجرة .. والطاغية السفاح لم يرتو بعد من دماء الشعب السوري!

إن كنتم تراهنون على التدخل العسكري الأجنبي الأمريكي .. هذا يعني أن سوريا ستخرج من استعمار النظام الطائفي، إلى استعمار الأجنبي الصليبي . ولو بصورة غير مباشرة . وإلى تدخلاته في دقائق

جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية

حياتنا اليومية .. فضلاً عن قراراتنا السياسية والاستراتيجية .. ولا أظن أحداً شريفاً يرتضي هذه النتيجة للشام ولأهلها.

الرجوع إلى الوراء .. يعني الانتحار .. والدمار .. وخيانة الشهداء .. وهو خيار لا يمكن اللجوء إليه .. أو التفكير به .. والشعب السوري كله ولله الحمد متفق على ذلك.

الاستمرار في هذا النمط والنهج السلمي بالشكل الذي عليه الثورة الآن . مع الانتباه إلى ما تمت الإشارة إليه أعلاه . يعني الهروب من المسؤولية، ومواجهة الأحداث الضخمة بما تستحق من مواقف وقرارات حاسمة وجريئة .. كما يعني مزيداً من الشهداء والتضحيات يرتكبها الطاغية بدم بارد مستهتر .. غير مبالي لشيء؛ لاطمئنانه أن الذي أمامه قد حرم على نفسه حمل سكين أو عصاة يدافع بها عن نفسه .. ولعمر الحق هذا بخلاف أدلة النقل والعقل!

الدين، الجبان، عديم الشرف، والمروءة والقيم، والخلق، فاقد الشعور بالمسؤولية نحو الوطن والمواطن .. كلما كان خصمه ضعيفاً مسالماً مستسلماً .. كلما أمعن في إذلاله والاعتداء عليه، وعلى حرمانه .. ولا أظنكم تختلفون معي في أن الطاغية بشار الأسد، وعصابته هم أشد الناس دناءة وجبناً، وانعداماً للشرف والمروءة والقيم والخلق الحسن!

إذاً نحن أمام بلاء عظيم، ومشكلة كبيرة لم تعرفها سورية من قبل .. لا يكفي لحلها وعلاجها الاقتصار على مبدأ سلمية الثورة .. وشعار " سلمية سلمية"، ومن ثم تجريم أي محاولة ترد بعضاً من جرائم النظام وعصابته عن الشعب السوري، وعن حرمانه!

ما هو المقترح، وما هو التوجيه الذي نراه في هذه المرحلة الحرجة، وهذه الظروف ..؟

أقول ما يلي:

أولاً: ابتداء حتى لا أفهم خطأ، أؤكد على أهمية وضروة الحفاظ على الحراك السلمي، والأنشطة السلمية؛ من تظاهرات، واعتصامات، وعصيان مدني وغيرها .. وأن يكون ذلك السمة العامة لنشاطات

جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية

الشعب السوري، والثورة السورية .. فهذا ميدان لا نستخف به، ولا نهون منه، بل ندعو إلى تفعيله، وتطويره، وابتكار وسائل جديدة تفاجئ النظام الطاغي، وتزيد عليه الضغط.

ثانياً: تشكيل لجان أمنية محترفة منضبطة من شباب الثورة .. على غرار التنسيقيات الإعلامية .. تُنشأ تنسيقيات أمنية جهادية .. تعتمد الكتمان في إنجاح حوائجها .. يُلقى على عاتقها مهمة حماية الثورة وكوادرها الفاعلة .. وحماية الأعراس، والحرمت من عدوان عصابات النظام وشبيحته الأمنية ما استطاعت لذلك سبيلاً .. فإن لم تستطع رد جميع عدوان وجرائم النظام وعصاباتة .. فهي تقلل منها ومن أثارها .. والقليل في هذه المرحلة خير من لا شيء .. وهذا لا يتعارض مع التوجه العام السلمي للثورة كما هو مشار إليه أعلاه في النقطة الأولى.

وحتى لا يكون كلامي عاماً ومهماً أفضل وأحدد، **فأقول:** هذه اللجان الأمنية تقتصر مهامها على تحديد الأشخاص أو العناصر الذين يعتدون على بيوت وأعراس المواطنين .. أو يعتدون على بيوت الله فيعيثون فيها فساداً وخراباً .. أو تشتد فتنهم وأذيتهم وتعذيبهم للمواطنين .. بما في ذلك العناصر المجرمة التي تُشرف على فتنة وتعذيب السجناء في السجون، ويكرهونهم على السجود للطاغية، أو القول: لا إله إلا بشار ... فيتم تحديدهم، ومن ثم استهدافهم .. والتعامل معهم بمقتضى الشرع .. وبصورة توقف عدوانهم كلياً عن الشعب السوري .. من أي طائفة كانوا ينتمون إليها .. فالانتماء الطائفي . أياً كانت صفته وهويته . ليس عاصماً للمجرمين المفسدين يمنع من استهدافهم وتأديبهم وإسكاتهم.

هذه اللجان أو التنسيقيات الأمنية الجهادية .. لا تشارك في التظاهرات .. ولا في أي نشاط سلمي .. حتى لا يكون تواجدهم في المظاهرات ذريعة للطاغية المجرم لاستهداف الشعب السوري الأعزل المتظاهر سلمياً.

ثالثاً: تعزيز مبدأ الدفاع الفردي عن النفس، والعرض، في حال اعتدت كلاب الطاغية المسعورة على البيوت والأعراس والحرمت .. حتى لا يحسبوا أن السطو على البيوت والحرمت سهلاً .. فالموت

جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية

ولا المذلة، وانتهاك الأعراض أمام أعين الرجال .. فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قُتِلَ دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون عرضه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون مظلّمته فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون أخيه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون جاره فهو شهيد". أي من قُتِلَ في سبيل الله دفاعاً عن دينه، عن عرضه، عن ماله، عن مظلّمته .. فهو شهيد .. وهذا لا يتعارض مع التوجه العام لسلمية ثورة الشعب السوري كما هو مشار إليه في النقطة الأولى.

رابعاً: تعزيز موقف حركة ضباط الأحرار الشرفاء، الذين انشقوا عن الجيش السوري، وأبوا الانصياع لأوامر الطاغوت بقتل الشعب السوري .. والعناية بتوجيه النداءات المتكررة للعناصر الشريفة في الجيش، لتنضم إلى مجموعة حركة ضباط الأحرار .. وتكثير سوادها .. ليقوموا بمهمة الدفاع عن شعهم وبلدهم .. المهمة الأساسية المنوطة بالجيش .. إذ ألحظ تقصيراً كبيراً من قبل المعارضة التقليدية بحق هؤلاء الشرفاء .. فعلى كثرة بياناتهم التي يصعب حصرها . وفيهم ينفع وما لا ينفع . فإنهم يشحون على هؤلاء الضباط والجنود الشرفاء ببيان تأييد وتشجيع.

خامساً: مطالبة حركة الضباط الأحرار بتوسيع أنشطتها العسكرية .. وتأمين محاضن آمنة لمن شاء من الثوار المدنيين الالتحاق بهم .. كما يستحسن . إن تيسّر ذلك . التنسيق بين اللجان الأمنية الجهادية الأنفة الذكر، وبين حركة الضباط الأحرار .. ليكون العطاء أكثر نفعاً بإذن الله .. مع التأكيد على أن كل من يلتحق من الثوار المدنيين بحركة الضباط الأحرار، أو بالتنسيقيات أو اللجان الأمنية الجهادية .. عليه أن يعتزل كلياً جميع التظاهرات والأنشطة السلمية .. للسبب الأنف الذكر أعلاه.

بمراعاة مجموع ما تقدم ذكره في النقاط الواردة أعلاه، والعمل بمقتضاها، نكون . بإذن الله . قد جمعنا بين سلمية الثورة، وبين القوة التي تحمي حق الثورة .. كما نكون قد حققنا نوع ردع لجرائم الطاغوت ونظامه وشبيحته .. بحق الشعب السوري الأعزل.

هذا ما أردت بيانه وقوله .. وما أردت إلا خيراً .. فإن أصبت فمن الله تعالى، وأحمد الله .. وإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله.

جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية

اللهم إنِّي قد بلغت، اللهم فاشهد.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1432/09/14هـ

أبو بصير الطرطوسي

2011/08/14م

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ابتداءً أهني نفسي وأهلنا في ليبيا الحبيبة بسقوط الطاغوت اللعين معمر القذافي، الذي طالما كان يدعي الربوبية والألوهية لنفسه من دون الله .. فما أنتم أسعد بسقوطه وزوال ملكه مني .. الحمد لله الذي كلل جهادكم وصبركم وتضحياتكم بالفتح والنصر والتمكين .. سائلاً الله تعالى أن يرحم الشهداء، وأن يتقبلهم مع الصديقين والأنبياء .. وأن يشفي مرضاكم وجرحاكم .. وأن يُسبغ نعمه الظاهرة والباطنة عليكم، وعلى ليبيا أرضاً وشعباً، اللهم آمين.

أيها الإخوان .. أيها الأحبة .. هذا كلمات من أخ محب لكم أخصكم بها، فاصغوا إليها

مشكورين:

1- في جهادكم في مرحلة الثورة ما قبل الفتح .. قد أثبتتم أخلاقاً نبيلةً، ورقياًً عالياً في تعاملكم المتحضر مع الخصم وأنتم المظلومين المعتدى عليكم .. وأنكم كنتم على قدر كبير من الشعور بالمسؤولية نحو دينكم، وبلدكم، وأهاليكم .. فنحن نشهد لكم بذلك.

كما نشهد بأن ثورتكم كانت أرقى وأطهر وأقوى الثورات المعاصرة .. قد جمعت في نضالها وجهادها بين جميع النواميس والأسباب المشروعة .. فهي على شدتها وآلامها إلا أنها طهرت ليبيا من جميع مخلفات وأثار الطاغية الهالك .. وهذا لم يتحقق لغيركم .. كما طهرت الأنفس، وأعدتها لعهد جديد تليد .. وكأن ليبيا . حقيقة . في مولد جديد أرضاً وإنساناً.

2- ينبغي أن تُقابلوا النصر الذي منَّ الله به عليكم بالشكر لله، وأن تردوا الفضل كله لله .. فتلتمسوا رضاه في الرخاء، كما كنتم تلتمسون نصره وعونه في الشدة، وإن سخط الساخطون .. فأنتم أجل وأكبر من أن تذكروا الله في الشدة، ثم تنسوه في الرخاء وبعد الفتح .. إني أعيذك من ذلك.

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

3- اعلّموا أن الشعب الليبي كله . والله الحمد . شعب مسلم كريم، حتى الفساق منهم فإنهم يُحبون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .. وبالتالي لا تتكفوا في أن تصنعوا منه عدواً لكم .. أو أن تقوموا بعملية تصنيف له؛ هذا معنا، وهذا ضدنا .. هذا مع الإسلام، وهذا ضد الإسلام .. لا تفعلوا ذلك .. فمن كان عليكم اليوم فغداً بقليل من التذكير والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة قد يكون معكم بإذن الله.

4- الشعب الليبي المسلم .. قد عاش أربعين عاماً قصراً وقهراً تحت حكم الطاغوت الذي اتسم بقمة الكفر، والظلم، والجهل، والتجهيل .. وبالتالي ينبغي أن تتوقعوا من بعض الأفراد نوع مخالقات وجهالات .. والمطلوب منكم في هذه الحالة أن تتوسعوا في التأويل .. وأن تُقبلوا عثرات الناس .. وأن تأخذوهم بالرفق، والحكمة والموعظة الحسنة .. ما أمكن لذلك سبيلاً.

5- المأمول منكم أن تتعاملوا مع بقايا النظام، ممن سقطوا في أيديكم أسرى .. بطريقة شرعية تتسم بالعدل .. والصفح والعفو .. بعيداً عن حب التشفي والانتقام .. ما أمكن لذلك سبيلاً .. وبخاصة أن أكثر هؤلاء كان حاله بين الجهل والفقر والإكراه .. فأنتم أكبر من أن تتعاملوا مع الخصوم هؤلاء بعقلية وقانون الطاغوت وأزلامه .. فحينئذٍ تفقدون كثيراً من مبررات ثورتكم المباركة .. كما تفقدون كثيراً من بريق وبركة النصر.

وكلامي هذا لا يعني أن لا تأخذ العدالة طريقها لرؤوس الكفر والطغيان والإجرام، وبخاصة الطاغوت وابنه سيف الشيطان، وكل من قاربهما في الطغيان والإجرام.

6- بعد سقوط الطاغية، وتوقف آخر بندقية من بنادقه عن إطلاق النار .. واستسلام آخر جندي من جنوده .. أرى أن تضعوا السلاح، وتكفوا أيديكم عن القتال كلياً .. وأيما خلاف فيم بينكم أو مع أي طرف ليبي آخر .. يُعالج عن طريق الكلمة والحوار والرفق .. بعيداً عن لغة السلاح، والعنف والشدة .. فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه .. والله تعالى رفيق يُحب الرفق في الأمور

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

كلها، ويُجازي على الرفق مالا يُجازي على العنف والشدة .. فليكن الرفق لكم شعاراً ومنهجاً، تفلحوا بإذن الله تعالى.

فكما انتصرتكم . بفضل الله . وكنتم الأقوى في ميادين القتال والحرب .. فأنتم كذلك الأقوى في ميادين الحجّة والكلمة .. فلا تعلنوا هزيمتكم في ميادين الكلمة والدعوة . بعد أن كانت مغلقة ففتحت لكم . قبل أن تخوضوا ميادينها!

7- للثورة جولتين: جولة ما قبل سقوط الطاغية إلى حين سقوطه، وهذه بفضل الله تعالى قد أنجزتموها بنجاح عظيم .. وجولة ما بعد سقوط الطاغية؛ جولة البناء والعمران، وبسط الحق والعدل، والأمن والأمان على ربوع البلاد .. وهي جولة . في بعض جوانبها قد تكون أصعب من الجولة الأولى . تحتاج منكم إلى مزيد جهد وجهاد، وعطاء .. وكبير وعيٍ وشعورٍ بالمسؤولية نحو ليبيا أرضاً وشعباً .. وأنتم قادرون على ذلك بإذن الله.

بينكم جرحى .. وأبناء وعوائل الشهداء .. انصرفوا لخدمتهم ورعايتهم .. التمسوا حوائجهم .. أكرمواهم أعزّوهم .. فحذار أن تنشغلوا عنهم بتقسيم الغنائم .. فتنسوا فضل آبائهم الشهداء عليكم وعلى ليبيا كلها .. فلولا آبائهم الشهداء الأبطال . بعد الله تعالى . لما كانت بينكم اليوم غنائم .. ولا كانت اليوم ليبيا حرة عزيزة كريمة .. أقول ذلك على سبيل التذكير والتأكيد .. مع تيقني أنكم لستم غافلين عن هذا المعنى النبيل.

8- ليبيا كانت ملكاً للطاغية وعائلته .. واليوم ها هي . بفضل الله . قد عادت إليكم .. عادت إلى أهلها وأصحابها .. عادت إلى الشعب الليبي كله .. فأقبلوا عليها بكل حب وإخلاص، وحسن رعاية. لا طاغوت يُعبد من دون الله بعد اليوم في ليبيا بإذن الله .. لا لعبادة الأصنام والأوثان بعد اليوم .. ذهب فرعون ولا فرعون بعده بإذن الله.

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

حذار أن تصنعوا . من عند أنفسكم . طغاة وأصناماً تطوفوا حولها من جديد .. لا أحد ولا كبير بعد اليوم فوق العدالة .. وفوق المساءلة والمحاسبة .. فالذي لا يُسأل عما يفعل هو الله سبحانه وتعالى وحده .. وما سواه يُسأل ويُحاسب، مهما علا كعبه وشأنه!

ليبيا فيها خير كثير .. إن أحسنتم استغلاله جيداً .. تقدمتم وبلادكم تقدما كبيراً .. وأصبحت ليبيا من الدول الريادية في العالم .. وإن أسأتم استغلاله أو لم تعرفوا له قيمته وقدره .. تكونوا قد فرطتم وأضعتم خيراً كثيراً .. وشمتم الأعداء بكم .. وأنتم أكبر من ذلك بإذن الله .. فالظن بكم أنكم ستكونون . في هذه المرحلة العصبية التي تمر بها ليبيا أرضاً وشعباً . على قدر كبير من الشعور بالمسؤولية .

9- قد تقدمت الإشارة: أن شعب ليبيا . والله الحمد . شعب مسلم موحد .. محب لله ولرسوله ﷺ وبالتالي من حقه أن يُحكّم بشريعة الإسلام القائمة على الحق، والعدل، والمساواة .. واحترام حقوق الناس التي شرعها الله للعباد .. وهذا المطلب وهو أن " يُحكّم بشرع الله تعالى لا بشرع الطاغوت " مطلب هام وعظيم، على الشعب الليبي المسلم أن لا يعيدوا عنه قيد أنملة، وأن يتمسكوا به في مرحلة التغيير ما بعد عهد الطاغوت ونظامه اللعين .. ففيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20.

وقولي هذا لا يعني استعجال الخطوات قبل استيفاء حقوقها وشروطها .. فالعادة جرت أن من تعجل شيئاً قبل أوانه أفسده، وعُوقِبَ بحرمانه!

10- جميل أن تشكروا كل من قدم لكم معروفاً وأنتم في مرحلة الصراع مع الطاغية ونظامه .. فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله .. وأن تقابلوا المعروف بمعروف مثله وأحسن منه .. فهذا من ديننا وأخلاقنا .. لكن هذا لا يعني أن تُعطوا الآخرين . وبخاصة دول حلف النيتو. حق التدخل في في شؤونكم

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

الداخلية، وعلى حساب دينكم وسيادة قرار وحرية الشعب الليبي واختياراته .. حينئذٍ . لو حصل شيء من ذلك . تكونون قد خرجتم من استعمار إلى استعمار .. من استعمار الطاغية اللعين وعصابته إلى استعمار الصليبيين ولو كان بصورة غير مباشرة .. وتكونون قد فرطتم بالأمانة وبدماء شهدائكم .. والغاية التي استشهدوا من أجلها .. فأنا أعيدكم من ذلك .. وظني بكم وأنكم والله الحمد على دراية وتفطن نحو هذا المعنى الهام!

الثورة الليبية ثورة عظيمة بكل المقاييس .. لكن العبرة بالمآلات والخواتيم .. فإن كانت المآلات والخواتيم لصالح ليبيا أرضاً وشعباً .. وحرية قرارها واختيارها .. حينئذٍ يحق لكم ولنا ولجميع الأجيال التالية أن تفتخر بالثورة الليبية وعطاءاتها وإنجازاتها .. وإن كان العكس؛ حيث تأتي المآلات والخواتيم لصالح المستعمر الصليبي، ولصالح أجندته ومآربه ومصالحه .. فحينئذٍ ستكون النتائج كارثية ومحنة، ومخجلة .. فأسألکم بالله أن تحافظوا على مكتسبات وشرف واستقلالية ثورتكم .. وأن لا تخيبوا ظننا .. وأن لا تقتلوا فرحتنا .. وأنتم أهل لذلك بإذن الله.

الكل الآن . العدو والصدیق . يُراهن ويُراقب .. هل ستخرج ليبيا . بعد هذه التضحيات الجسام . من عبودية إلى عبودية .. من استعمار إلى استعمار .. أم ستخرج من عبودية إلى حرية تامة كاملة غير منقوصة!

حفظكم الله .. شيوخاً ورجالاً ونساءً وشباباً وأطفالاً .. وبارك الله بكم وبأرضكم .. وتقبل الله طاعتكم .. وعيدكم . يا ليبيين يا حبايب . عيدان: عيد الفطر .. وعيد النصر .. هنيئاً لكم ثم هنيئاً .. وكل عام وأنتم بخير ونصر جديد .. والدور قادم للشام بإذن الله .. يوم أن تتحرر الشام من طاغيتها اللعين بشار الأسد .. ليلحق بصاحبه وأخيه الطاغية القذافي .. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الروم:4-5.

كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية

وفي الختام أود أن أذكركم بأن لكل شيء زكاة .. وزكاة كل شيء يكون من جنسه .. وزكاة انتصار ثورتكم .. أن تنصروا ثورة أهل الشام .. أهل الشام الذين عاشوا ثورتكم وجهادكم ساعة بساعة .. ودقيقة بدقيقة .. يألمون لألمكم .. ويفرحون لفرحكم ونصركم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشامي ابن الشام

عبد المنعم مصطفى حليلة

1432/09/22هـ

أبو بصير الطرطوسي

2011/08/22م

النظام السعودي نصير الطفافة وعدو الثورات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

يأبى النظام السعودي إلا أن يضعنا في خانة الساكتين عن الحق .. والساكت عن الحق شيطان أخرس .. ويأبى علينا الحق إلا أن نصدع بالحق، ولو كره المجرمون المفسدون.

بقليل من التأمل يُدرك كل مراقب منصف حر أن النظام السعودي نصير للطفافة، وعدو للثورات .. وأنه عقبة كأداء أمام أي تغيير فعال في المنطقة الذي تنشده الشعوب المقهورة والمستضعفة في ثوراتها .. يظهر ذلك بجلاء؛ من خلال إيواء النظام السعودي لطاغية تونس " شين العابدين " وحمائته .. ومنع العدالة والقصاص العادل من أن يأخذ طريقه إلى رأس الطاغية .. وحتى لا تتجرأ الشعوب على محاسبة الحكام الأثمين، وفي الحديث: " من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف " البخاري. فكيف إذا كان هذا المحدث طاغوتاً قاتلاً لشعبه .. مرتكباً لجميع الموبقات والكبائر .. ثم يوجد من يأويه ويمنع عنه القصاص الشرعي العادل من أن يأخذ طريقه إليه .. لا شك أنه أولى بلعن الله، والملائكة والناس أجمعين.

كذلك موقفه من الثورة المصرية المتخاذل .. ونصرتة الصريحة لطاغية مصر " اللامبارك"، أبان حكمه، وبعد الاطاحة به؛ حيث إلى اللحظة يمارس الضغوط على الشعب المصري لكي لا يحاكموا الطاغية .. وأنى لهم ذلك إذا أراد الشعب ذلك!

أما موقف النظام السعودي من الثورة اليمنية السلي والمتخاذل فحدث عنه ولا حرج .. وهو لم يكتف بموقف المتخاذل من الثورة اليمنية والشعب اليمني .. بل وقف صراحة بكل إمكانياته مع الطاغية " اللاصالح " ونظامه الفاسد ضد الشعب اليمني الأصيل .. فحولوا الرياض عاصمة لنشاطات الطاغية ضد شعبه .. وعاقبوا الشعب اليمني المسلم اقتصادياً .. حتى أوقعوه في الحرج الشديد .. عساه في النهاية يرضخ لرغبات وأهواء وشروط حليفهم الطاغية اللاصالح!

النظام السعودي نصير الطفاة وعدو الثورات

كذلك الثورة الليبية المباركة .. رغم شدة المعاناة للشعب الليبي المسلم .. وكفر الطاغوت القذافي وإجرامه .. وما نال النظام السعودي من شر هذا القذافي المجنون .. إلا أنهم لم ينطقوا بكلمة واحدة تنم عن نصرتهم للثورة الليبية .. وإدانتهم للمجرم القذافي وجرائمه .. لم يُسمعوا الشعب الليبي المسلم كلمة مواساة تخفف عنهم بعض الآلمهم وجراحاتهم!

أما موقفهم من الثورة السورية فهو لم يخرج عن هذا السياق التأمري المتخاذل .. فالملك عبد الله . لما كان ولياً للعهد . هو أول من بارك وأيد حكم بشار كوريث لجرائم وحكم أبيه الهالك .. وها هم بعد مضي أكثر من ستة أشهر من عمر الثورة السورية الدامي .. وارتكاب النظام النصيري كل محظور ومشين بحق الشعب السوري المسلم .. واعتدائه على جميع الحرمات والمقدسات . حملت الأجنبي الغربي على أن يقول رأيه في النظام الأسد الطائفي بأن يرحل . يكتفي النظام السعودي باصدار بيان باسم الملك " عبد الله " لا يتعدى بضعة أسطر، يذكر الطاغية النصيري بشار الأسد بفضائل النظام السعودي عليه، وأنه كان الداعم والممول الأساس له ولنظامه^[144] .. ليقول له في النهاية أن هذا الذي يجري على الأرض السورية غير مقبول .. فقط غير مقبول .. ثم بعد ذلك تستمر الآلة العسكرية النصيرية في الذبح والتقتيل غير مبالية بشيء .. وعلى مرأى ومسمع من النظام السعودي ومليكه .. ولما قام بعض السوريين المستضعفين المهجرين المطاردين بدينهم في السعودية يهتفون مستبشرين بكلمة الملك . على ضعفها وقلة كلماتها . وموقفه الشجاع .. وأنه زعيم النخوة العربية .. قام هذا الزعيم للنخوة العربية باعتقالهم وزجهم في السجون لتظاهرهم، ولأن قانونه يجرم مطلق التظاهر؛ حتى التظاهرات التي تهتف باسم وحياة الملك .. حتى لا يألف الشعب السعودي المسلم على منظر المظاهرات .. فيتجرأ على مثلها

¹⁴⁴ في الوقت الذي يقتل النظام السوري الأسد الطائفي شعب سورية .. ويزجه في السجون .. ويرتكب بحقه المجازر .. يقوم النظام السعودي بدعمه بمبلغ وقدره " 375 " مليون ريال . كما أفادت بذلك جريدة الرياض المحلية . كدفعة من جملة الدفعات التي يصعب حصرها .. وكرواتب لجند ومخابرات وشبيحة الطاغية بشار الأسد .. تحت ذريعة ومسمى المساهمة في مشاريع إنشائية زعموا!!!

النظام السعودي نصير الطفاة وعدو الثورات

فيم لا يهواه النظام .. وربما أراد أن يقول للسوريين وغيرهم أيضاً: أن بيان الملك لا يعني أن يُسَمَح بالطعن بالنظام السوري على الملأ، وفي الشارع .. فلا تفهموا موقف زعيم النخوة خطأ .. كل هذه المعاني قد وصلت للمراقب المستقل.

فالنظام السعودي قبل أن يخذل الشعوب العربية المسلمة في ثوراتها المعاصرة .. فقد خذل من قبلهم . وللأسف . شعب فلسطين .. وأفغانستان .. والشيشان .. والعراق .. والصومال .. وغيرها من البلدان!

فهو مقتنع . وللأسف . بأن سلامته ومصالحته تكمن في أن تبقى المنطقة العربية بأنظمتها المستبدة الحاكمة كما هي من دون أدنى تغيير .. وأن أدنى تغيير يطرأ على هذه الأنظمة المستبدة الفاسدة سيطاله، وينعكس عليه وعلى أفراد العائلة ومخصصاتهم سلباً، لذا فهو يعمل على حمايتها والحفاظ عليها .. وتراه يتصرف كراع وحام لهذه الأنظمة ولطغاتها المجرمين .. وإلى درجة أنه يمنع خطباء مسجد الحرم المكي في قيام رمضان من أن يخصوا هذه الثورات بشيء من الدعاء لها، أو يخصوا أحداً من الطغاة المجرمين . كالقذافي وبشار الأسد مثلاً . بالدعاء عليهم!

فإن قيل: نظام بشار الأسد الطائفي حليف لإيران، وإيران معادية للسعودية .. فكيف للسعودية أن توالي حليف عدوها؟

أقول: يُجاب عن هذا السؤال من وجهين: أولهما يزعم النظام السعودي أنه في احتضانه للنظام السوري، ودعمه ودعم طاغيته المجرم بشار الأسد .. سيبعده عن إيران .. ويُقربه من الدائرة العربية .. وهذا ظن خاسر، ومراهنة ومقامرة خاسرة من قبل النظام السعودي .. وغباء سياسي صريح .. فالعلاقة بين النظامين السوري النصيري، والإيراني الرافضي .. علاقة طائفية مذهبية عقائدية استراتيجية .. وهي أقوى من أي تأثيرات جانبية .. أو أن يُؤثر عليها طرف ثالث .. والسعودية مهما أنفقت من أموالها الطائلة على النظام السوري الطائفي .. لا يمكن أن تُؤثر على هذه العلاقة في شيء، والواقع المشاهد أكبر برهان على ذلك!

النظام السعودي نصير الطفافة وعدو الثورات

ثانها: أن النظام السوري النصيري الطائفي على علاته، وما يؤخذ عليه سعودياً .. هو في نظر السعوديين أقرب إليهم، وأحسن تأويلاً .. مما ستفرزه الثورة السورية من ثمار ونتائج على المنطقة بعد سقوط الطاغية بشار الأسد وعصابته .. فهو على أقل أحواله يحقق للنظام السعودي وحلفائهم الأمريكان الاستقرار والهدوء على الجبهة الإسرائيلية .. كما يساهم معهم في محاربة المسلمين تحت مسمى وزعم محاربة الإرهاب .. وهو ما لم يضمنوه بعد سقوط نظام آل الأسد!

كما أن النظام السعودي لا يرغب أن يوجد في المنطقة نظاماً أو نموذجاً أفضل منه .. ليبقى شعبه متمسكاً به على علاته، ومهما بدر منه .. في حال أجرى مقارنة بينه وبين الأنظمة الأخرى في المنطقة!

أنظمة الأرض كلها .. تغير من مواقفها صعوداً وهبوطاً .. تأييداً ومعارضة بحسب المستجدات والمصالح إلا النظام السعودي فإنه نظام خشبي متحجر؛ إذا اتخذ موقفاً لا يغيره ولا يُبدله .. حتى لو كانت مصلحته تكمن في التغيير!

ولو سألتنا حمير السياسة وتنازلها: أين تكمن المصلحة المادية قبل المعنوية منها .. في الوقوف مع الطغاة: القذافي، وبشار الأسد، واللامبارك، واللاصالح .. وغيرهم من الطغاة الظالمين .. أم مع شعوب المنطقة .. لأجابه من فوره بأن المصلحة كل المصلحة تكمن في الوقوف مع الشعوب .. بينما حكام وساسة النظام السعودي لأجابوك بأن المصلحة تكمن في الوقوف مع الطغاة الأنف ذكر أسمائهم!

يقوم النظام السعودي بمحاولة محمومة لضم الأردن، والمغرب إلى مجلس التعاون الخليجي .. على ما بين هاتين الدولتين ومجلس التعاون الخليجي من تباين في الجغرافيا والحدود، وكثير من عناصر ومقومات التوحد .. ونحن لسنا ضد توحيد الأقطار العربية لو سلمت المقاصد .. وكان ذلك في خدمة الإسلام والمسلمين .. وإنما أراد النظام السعودي من وراء هذه الخطوة أن يحمي الأنظمة الملكية في المنطقة، والمرشحة لمواجهة ثورات شعبية من قبل شعوبها .. كما أراد أن يرسل رسالة لشعوب تلك البلدتين مفادها أن لا يفكروا بالثورة على حكامهم وأنظمة حكمهم لأن الثورة ضدهم هي ثورة ضد

النظام السعودي نصير الطفاة وعدو الثورات

مجلس التعاون الخليجي .. وهذا ما لا تقدررون عليه .. فالنظام السعودي يعتبر سقوط الأنظمة الملكية الظالمة في المنطقة تحت وطأة ثورات شعوبها المظلومة .. هو سقوط لآخر حصون الدفاع المباشرة عن الملكية السعودية ونظامها .. وفيه إيذان بأقول الأنظمة الملكية الوراثية الظالمة من المنطقة .. لذا نراهم على عجلة من أمرهم يريدون أن يعقدوا هذه الوحدة المشار إليها أعلاه!

لذا فهو يتوجس ريبة من هذه الثورات التي تشهدا المنطقة .. ويُعاديا .. ويستعدي عليها .. والقول بأن النظام الأكثر عداوة للثورات وحركات التحرر من العبودية للعبيد التي تشهدا المنطقة هو النظام السعودي .. هو قول ليس بعيداً عن الصحة.

النظام السعودي يريد منا أن نجاهله في الباطل .. وأن نشهد . للتاريخ والأجيال . شهادة زور وكذب .. فنضفي عليه . وعلى القائمين عليه . من المحامد وألقاب التفخيم والتبجيل ما ليس فهم .. لكن ليس نحن الذي يفعل ذلك، بإذن الله.

.رهانات خاطئة للنظام السعودي:

النظام السعودي يتصرف بكبر واستعلاء .. واستحقار للشعوب ومشاعرهم .. فهو لا يبالي لمشاعر شعبه المسلم الملتزم الأبى .. المتضامن مع قضايا المسلمين في العالم .. كما لا يبالي لمشاعر الشعوب الأخرى في المنطقة .. كما لا يبالي لغضبة الشعوب، ولا لأي ردة فعل .. حيث يراهن على جملة من الأمور يرى فيها منجاته من أي ردة فعل، ومن أي جهة جاءت:

منها: التلويح بالتهديد اليراضي الإيراني للمنطقة .. وأن أي مساس بالنظام السياسي للنظام السعودي .. سيكون لصالح إيران .. ولصالح تصدير التشيع والرفض في المنطقة، وبخاصة الجزيرة العربية .. حتى أصبح الشعب السعودي .. ومعه كثير من شعوب المنطقة .. تحت هذا الهاجس والخوف .. يقبل بكل ضيم يأتي من طرف آل سعود .. على اعتبار أن الإنكار عليهم سيصب في صالح الروافض الأشرار .. فشر آل سعود مهما تعاضم .. لا يمكن أن يوازي شر الروافض الإيرانيين، وعملائهم في المنطقة.

النظام السعودي نصير الطفاة وعدو الثورات

ومنها: رهانهم على وجود الحرمين الشريفين في مكة والمدينة . على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .. ولما لهذين المكانين العظيمين من هيبة ورهبة وقيمة عليا في نفوس المسلمين . السعوديين وغير السعوديين . تمنعهم من الإنكار على آل سعود وعلى سياساتهم الظالمة الباطلة .. خشية أن يحصل نوع اضطراب فيُساء لهذين المكانين الشريفين .. أو خشية أن يُساء لعباد الله الذين يقصدون هذين البيتين العظيمين .. فآل سعود يدركون ذلك .. ويستغلون ذلك أسوأ استغلال!

ومنها: الرهان على كومة من شيوخ وعلماء السلطان .. قد جندوا أنفسهم وأقلامهم وفتاويهم للذود عن باطل وظلم آل سعود، ونظامهم الحاكم .. ورضوا لأنفسهم . مقابل فتاتٍ يُرمى إليهم . أن يكونوا تلك المكانس التي تُكنس بها أوساخ وظلم وباطل آل سعود .. وبالتالي من يدخل في مواجهة مع النظام السعودي يعني بالضرورة سيدخل في مواجهة مع هؤلاء الشيوخ .. وبالتالي أحكام التكفير والتضليل والتفسيق ستكون جاهزة لكل من يتجرأ على نقد أو مواجهة نظام آل سعود .. وهذا مما يُخيف الشعب السعودي المسلم المحافظ الذي يجد في نفسه كل احترام وتوقير لأهل العلم.

النظام السعودي يُراهن على العناصر الثلاثة الأنفة الذكر، ويعتمد عليها اعتماداً كلياً في تنفيذ سياساته التأميرية والخيانية .. وبسط نفوذه على شعبه .. المسلوب القرار والرأي والحرية .. إلا فيم يخص طعامه وشرابه، ولباسه!

وأنا أعترف أن هذه العناصر الثلاثة . وبخاصة منها الأولى والثانية . حقاً هي معتبرة، ومخيفة .. ونراعيها أشد المراعاة .. تجعل أهدنا يُؤاثر الصمت في مواضع كثيرة .. حتى يخشى على نفسه أن يكون من جملة الشياطين الخرس!

ولكن في نفس الوقت أقول للنظام السعودي: لا تراهنوا كثيراً على هذه العناصر .. فتتمادوا في الظلم والبغي والعدوان .. واستحرقار الشعوب .. ونصرة الطفاة الظالمين .. فتحملوا الناس على أن يفعلوا ما لا ينبغي ولا نريد!

النظام السعودي نصير الطفاة وعدو الثورات

لا تضعوا الشعوب المسلمة وبخاصة الشعب السعودي المسلم الأصيل في خيارات صعبة .. إما حياة النذل والخوف، والعبودية والظلم .. وإما الدمار والخراب . كما فعل قبلكم كثير من الطغاة . فقد يختار في مرحلة من المراحل . تحت الضغط والإكراه . الدمار، ثم يعقها بعد ذلك الإعمار بإذن الله .. والملام حينئذٍ أنتم لا الشعوب!

لا تضعوا الشعب السعودي المسلم بين خيارين، لا بد له من أحدهما: إما الأمة الإسلامية، ومصالحها .. وإما النظام السعودي ومصالحه .. فقد ينحاز الشعب السعودي يوماً جهاًراً نهاراً إلى الأمة ومصالحها، على النظام السعودي ومصالحه .. وتصبحون في خبر الطغاة الملعونين المطرودين .. والملام حينئذٍ أنتم لا الشعوب!

واعلموا أن للبغي عواقبه الوخيمة في الدنيا قبل الآخرة .. وأن سنة الله تعالى قد مضت في الدول أن تقوم وتدوم بالعدل .. وأن تزول بالظلم والبغي، كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الأنبياء:11. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُرِّ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾ الحج:45. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ الحج:48. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء:16.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من ذنبٍ أحرى أن يُعَجَلَ اللهُ لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يُدْخِرُله في الآخرة من قطيعة الرحم، والبغي".

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1432/10/06 هـ

2011/09/03 م

أحكام الشَّهَادَةِ

أحكام الشَّهَادَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

الشهادة في سبيل الله معنى نبيل، وشرفٌ عظيم، ومقام رفيع، لا يناله إلا المصطفون الأخيار، تتوق له نفوس المؤمنين الموحدين .. فيه يتنافس المتنافسون .. ويتسابق المتسابقون .. ومع ذلك فإن هذا المفهوم " مفهوم الشهادة"، لم يسلم من التحريف والتشويه؛ فوضعه في غير موضعه، وأنزله غير منزله، وحملوه ويحملونه على أناس ماتوا ويموتون في سبيل الطاغوت .. وفي سبيل رايات عصبية جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان .. وكلما هلك منهم هالك وعدوه بالجنة .. وجزموا له بالشهادة، وأجر الشهادة!

ولم يقتصر تحريفهم وكذبهم عند هذا الحد .. حيث أن فريقاً منهم . من محترفي التحريف والكذب . بلغت بهم الجرأة والوقاحة .. بأن يصرفوا حكم الشهادة عن مقتل في سبيل الله حقاً .. وأن يصفوا من يُقتل في سبيل الله بأقبح الألقاب والأوصاف؛ كالفئة الضالة .. والخوارج .. وغيرها من عبارات التنازع بالألقاب .. لينفروا الناس عن الجهاد .. والاستشهاد في سبيل الله .. فانقلبت الموازين .. وتغيرت الأحكام .. فأصبح من يُقتل في سبيل الطاغوت شهيداً وبطلاً، يستحق المديح وجنان الخلد .. ومن يُقتل في سبيل الله .. يستحق الذم، ونار جهنم، والعذاب الأليم .. وكأن الأمور بأيديهم .. والحكم لهم من دون الله .. ساء ما يحكمون وما يصفون.

وفريق آخر أراه قد استعجل على الله .. ونفد صبره على حرّ الشوق، وفراق المحبوب، وما يحظى به الشهيد من مقام عظيم، ونعيم مقيم عند الله تعالى .. فاستعجل؛ فبادرته بنفسه .. وسلك لطلب الشهادة طرقاً ملتوية خاطئة قصيرة ما أنزل الله بها من سلطان .. لا تحقق شروط الشهادة ولا تنفي عنها موانعها .. ظناً منه أنه بذلك يختصر الطريق إلى الجنة .. وأنه ممن يُحسنون صنعاً، وفي الحديث

أحكام الشَّهادة

القدسي: "بادرني عبدي بنفسه، حرَّمتُ عليه الجنَّة" البخاري. والحديث وإن كان له سبب إلا أن العبرة بعموم اللفظ .. فيُحْمَل على كل من يَقْتُل نفسه بنفسه لنوع استعجال على الله.

ومما زاد الطين بلةً أنه قد أصبح لهذا النوع من الخطأ مُفتون .. ومُنظِّرون .. ومحَمِّسون .. ومشجِّعون .. قد علا صوتهم، وأرهبوا مخالفهم .. فأتسع الخرق .. إلى أن صَعَبَ الترقيع!

لذا يتعين الحديث عن هذا المفهوم العظيم " مفهوم الشهادة"، وعن بعض ما يتعلق به من مسائل وأحكام .. ﴿لِمَلِكٍ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال:42. وليُعرَف من الشهيد بحق الذي يستحق هذا الوسام العظيم " وسام الشهادة"، ويستحق وعد الله تعالى للشهداء.

. **معنى الشهيد لغة:** قيل معانٍ عدة: منها أنه سُمي شهيداً لأن الله وملائكته شهودٌ له بالجنة، وقيل لأنه حيٌّ يُرزق من نعيم الجنة لم يموت، كأنه شاهد؛ أي حاضر، وقيل لأنَّ ملائكة الرَّحمة تَشْهَدُهُ، وقيل لقيامه بشهادة الحقِّ في أمرِ الله حتى قُتِل، وقيل لأنه يشهد ما أعدَّ الله له من الكرامة بالقتل، وقيل لعدالته وفضله وحسن خاتمته يؤذن له يوم القيامة بأن يشهد على الناس بما كان منهم، وأن الأنبياء قد بلَّغوا رسالة ربهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة:143. وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الحج:78. فهذه الشهادة لا يُعطأها من الأمة إلا العدول الأخيار، والشهيد منهم، ومن سادتهم وخيرة الأخيار .. وهذه معانٍ كلها حق لا تنافي ولا تضاد بينها لو صُرفَتْ كلها للشهيد^[145].

. **أنواع الشهداء:** الشهداء في الإسلام أنواع: منهم شهيد وقتيل المعركة الذي يُقتل في سبيل الله، ومنهم الذي يموت بسبب الأوجاع والأمراض أو الأسباب التالية . فيصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى .

¹⁴⁵ انظر كلمة " شهيد " في النهاية.

أحكام الشَّهَادَةِ

وهي: المطعون؛ الذي يموت بسبب مرض الطاعون، والمبطنون؛ الذي يموت بسبب مرض البطن؛ كالملازيا، وانتفاخ البطن، والإسهال ونحوها من الأمراض والأوجاع البطنية، والذي يموت بالسَّيْلِ، وصاحب ذات الجنب، وصاحب الهدم؛ الذي يموت بسبب الهدم؛ كأن يُهدم عليه منزل أو جدار ونحو ذلك .. فيؤدي إلى وفاته، والذي يموت حرقاً بالنار، والنفساء؛ المرأة التي تموت بسبب الولادة .. وكذلك الذي يخرج للجهاد في سبيل الله فيدركه الموت في الطريق بغير سبب القتال .. ونحوه الذي يتمنى الشهادة في سبيل الله بصدق ثم يموت على فراشه .. والذي تأكله السِّبَاعُ والوحوش الضارية .. فهؤلاء كلهم قد سماهم النبي ﷺ بالشهداء، وصرف لهم أجر الشهيد، كما في الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "الشهداء خمسة: المطعون، والمبطنون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله" متفق عليه. أي قاتل المعركة الذي يُقتل في سبيل الله .. والمطعون؛ أي المصاب بالطاعون.

وقال ﷺ: "الطاعون شهادة لكل مسلم" متفق عليه.

وقال ﷺ: "كان. أي الطاعون. عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمةً للمؤمنين؛ فليس من عبدٍ يقَعُ الطاعونُ فيمكثُ في بلده صابراً، يعلمُ أنه لن يُصيبَهُ إلا ما كتَبَ اللهُ له، إلا كان له مثلُ أجرِ الشَّهيد" البخاري.

وقال ﷺ: "الطَّاعونُ غَدَّةٌ كغَدَّةِ البعير، المُقيمُ بها كالشَّهيد، والفاَرُ منها كالفاَرِ من الزَّحْفِ" [146].
وقال النبي ﷺ: "يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحابُ الطاعون: نحن شهداء. فيقال: انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دمًا كريح المسك، فهم شهداء، فيجدونهم كذلك" [147].

وقال ﷺ: "الطَّاعون، والغرقُ، والبطنُ، والحرقُ، والنُّفَسَاءُ شهادةٌ لأمتي" [148].

¹⁴⁶ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع الصغير: 3948.

¹⁴⁷ رواه الطبراني في الكبير، صحيح الترغيب: 1407.

¹⁴⁸ أخرجه أحمد، والطبراني، وغيرهما، صحيح الجامع: 3950.

أحكام الشَّهَادَةِ

وقال ﷺ: "الطَّعْنُ، وَالطَّاعُونَ، وَالْهَدْمُ، وَأَكْلُ السَّبْعِ، وَالغَرَقُ، وَالْحَرْقُ، وَالْبَطْنُ، وَذَاتُ الْجَنْبِ شَهَادَةٌ" [149].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دخلنا على عبد الله بن رواحة نعوذه، فأغمي عليه، فقلنا: رحمك الله إن كنا لنحب أن تموتَ على غير هذا، وإن كنا لنرجو لك الشهادة، فدخل النبي ﷺ ونحن نذكر هذا، فقال: "وفيما تعدون الشهادة؟" فأرَمَ القومُ، وتحركَ عبدُ الله فقال: ألا تُجيبون رسولَ الله ﷺ؟ ثم أجابه هو فقال: نَعُدُّ الشهادةَ في القتلِ. فقال ﷺ: "إن شهداء أمتي إذاً لقليل، إنَّ في القتلِ شهادةً، وفي الطاعونِ شهادةً، وفي البطنِ شهادةً، وفي الغرقِ شهادةً، وفي النفساءِ يقتلُها ولدها جُمعاً" [150].

وقال رسولُ الله ﷺ: "أوما القتلُ إلا في سبيلِ الله؟! إن شهداء أمتي إذاً لقليل! إن الطعنَ لشهادةً، والبطنَ شهادةً، والطاعونَ شهادةً، والنفساءَ بجمعِ شهادةً، والحرقَ شهادةً، والغرقَ شهادةً، وذاتُ الجنبِ شهادةً" [151].

وعن راشد بن حبيش رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ دخل على عبادة بن الصامت يعوده في مرضه، فقال رسولُ الله ﷺ: "أتعلمون من الشهيد من أمتي؟" فأرَمَ القومُ، فقال عبادة: ساندوني. فأسندوه، فقال: يا رسولَ الله! الصابِرُ المحتسِبُ. فقال رسولُ الله ﷺ: "إن شهداء أمتي إذاً لقليلٌ، القتلُ في سبيلِ الله

¹⁴⁹ صحيح الجامع الصغير: 3953. وذات الجنب: قال في النهاية: هي الدملة الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب. فوق الأضلاع. وتنفجر إلى داخل، وقلما يسلم صاحبها "أ- هـ. قلت: ونحوها التورمات السرطانية التي تنتشر داخل الجسد، وتؤدي إلى وفاة صاحبها.. فأرجو أن يكون هذا المرض داخلاً في معنى "ذات الجنب"، والله تعالى أعلم.

¹⁵⁰ رواه أحمد والطبراني، صحيح الترغيب: 1394. وقوله "فَأرَمَ القومُ"؛ أي سكتوا، وقيل سكوت مع خوف. وقوله "يقتلُها ولدها جُمعاً"؛ أي تموت وولدها في بطنها، فيموتا معاً.

¹⁵¹ رواه الطبراني، صحيح الترغيب: 1395.

أحكام الشَّهَادَةِ

عَنْ شَهَادَةٍ، وَالطَّاعُونَ شَهَادَةً، وَالغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالنَّفْسَاءُ يَجْرُهَا وَلِدُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ: وَزَادَ أَبُو الْعَوَامِ سَادِنُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَالْحَرْقُ، وَالسَّلُّ" [152].

وَقَالَ ﷺ: "الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرَأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدٌ" [153].

وَقَالَ ﷺ: "مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .." [154] مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ﷺ: "مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ" مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ﷺ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ" مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ﷺ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ الشَّهِيدِ" [155]. وَذَلِكَ

لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ نَوَى الْقِيَامَ بِطَاعَةٍ، وَكَانَ صَادِقًا فِي نِيَّتِهِ، ثُمَّ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِعْلِ الطَّاعَةِ حَائِلٌ قَاهِرٌ .. نَالَ أَجْرَ الطَّاعَةِ كَامِلًا وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا .. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَرَمِهِ، وَجُودِهِ، وَجَزِيلِ عَطَائِهِ، وَرَحْمَتِهِ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفْقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: "حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ" الْبُخَارِيُّ. هُمْ مَعَهُمْ فِي الْأَجْرِ سِوَاءً: لَصَدَقَهُمْ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَكِنْ حَبَسَهُمْ وَمَنَعَهُمُ الْعَذْرَ.

¹⁵² رَوَاهُ أَحْمَدُ، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ: 1396. وَقَوْلُهُ "الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ": أَيِ الَّذِي يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا.

¹⁵³ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَابْنُ حَبَانَ، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ: 1398.

¹⁵⁴ قَوْلُهُ "وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ": أَيِ مَنْ خَرَجَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ .. أَوْ مَاتَ بِغَيْرِ سَبَبِ الْقِتَالِ، فَهُوَ شَهِيدٌ.

¹⁵⁵ صَحِيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: 1350.

أحكام الشَّهَادَةِ

لكن أفضل الشهداء ممن تقدم ذكرهم قتل المعركة؛ الذي يُقتل في سبيل الله، مقبلاً غير مُدبر، كما في الحديث: "أفضلُ الشهداءِ مَنْ سَفِكَ دَمَهُ، وَعَقِرَ جَوَادُهُ" [156].

وفي رواية: أن النبي ﷺ قد سُئِلَ أَيُّ الْقَتْلِ أَشْرَفُ؟ قال ﷺ: "مَنْ أَهْرِيقَ دَمَهُ، وَعَقِرَ جَوَادُهُ" [157]. وعن نعيم بن هَمَّارٍ: أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ أيُّ الشُّهداءِ أفضل؟ قال: الذين إن يُلقوا في الصَّفِّ لا يَلْفِتُونَ وجوهَهُمْ حتى يُقْتَلُوا؛ أولئك ينطلقون في العُرفِ العُلا من الجنة، ويضحك إليهم ربه، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حسابَ عليه" [158].

ومن سادة الشهداء كذلك، رجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله، كما في الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قامَ إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتلَهُ" [159]. فرب كلمة حقٍ يصدع بها المسلم في وجوه الطغاة الآثمين، تزيد من حيث الأثر والنفع تلاحم السيوف، وهدير الرصاص.

أحكام تتعلق بالشهيد الذي يُقتل في سبيل الله: للشهيد الذي يُقتل في سبيل الله أحكام خاصة به، لا يُشركه فيها غيره من أموات المسلمين، منها: أنه لا يُغسَّل، وإنما يُدفن مضرجاً بدمائه، لقوله ﷺ: "ادفنوهم في دمائهم . يعني يوم أحد . ولم يُغسِّلهم" البخاري.

ومنها: أنه يُدفن في أرضه، أرض المعركة إن أمكن، ولا يُحملن إلى مسقط رأسه، كما جرت العادة في هذا الزمان، ويُكفَّن بثيابه التي قُتل وهي عليه، كما في الحديث عن ابن عباس قال: أَمَرَ رسولُ الله ﷺ يومَ أحدٍ بالشُّهداء أن يُنَزَعَ عنهم الحديد والجلود، وقال: "ادفنوهم بدمائهم وثيابهم" [160].

¹⁵⁶ أخرجه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: 1504.

¹⁵⁷ صحيح سنن أبي داود: 1286.

¹⁵⁸ أخرجه أحمد، وأبو يعلى، صحيح الترغيب: 1371.

¹⁵⁹ أخرجه الحاكم وغيره، صحيح الجامع: 3675.

¹⁶⁰ أخرجه أحمد في المسند، وقال أحمد شاكر في التخریج 47/4: إسناده حسن.

أحكام الشَّهَادَةِ

وقال ﷺ: "زَمَلُوهم بئِثابهم" [161].

وفي رواية عند النسائي: "زَمَلُوهم بدمائهم؛ فإنه ليس كَلْمٌ يُكَلَّمُ في الله، إلا أتى يومَ القيامةِ جُرْحُهُ يَدْمِي، لونهُ لونُ دَمٍ، وريحُهُ رِيحُ المِسْكِ" [162].

وعن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ أمرَ بقتلى أحد، أن يُردوا إلى مصارعهم، وكانوا قد نُقلوا إلى المدينة. وقال ﷺ: "ادفنوا القتلى في مصارعهم" [163].

ومنها: أن الصلاة عليه غير واجبة، ولو صَلَّى عليه فلا حرج، لثبوت الفعلين عن النبي ﷺ: الفعل والترك؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ قد صَلَّى على بعض الشهداء، وترك الصلاة على بعضهم الآخر، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره، أن النبي ﷺ أمرَ بدفن شهداء أحد في دمائهم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يُغسِّلوا.

¹⁶¹ أخرجه أحمد، أحكام الجنائز، للشيخ ناصر، ص 60.

¹⁶² صحيح سنن النسائي: 2950.

¹⁶³ صحيح سنن النسائي: 1893-1894. قلت: سنة دفن الميت حيثما يموت، وفي البلدة التي يموت فيها تشمل الشهيد وغيره، للحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو، قال: مات رجلٌ بالمدينة، ممن ولدَ بها، فصلى عليه رسولُ الله ﷺ ثم قال: "يا ليتَهُ ماتَ بغيرِ مولده"، قالوا: ولمَ ذاكَ يا رسولَ الله؟ قال: "إنَّ الرجلَ إذا ماتَ بغيرِ مولده، قيسَ له من مولده إلى مُنْقَطَعِ أثرِهِ في الجنة" صحيح سنن النسائي: 1728. وفي ذلك ترغيب على الهجرة والجهاد .. وهذا بخلاف ما جرت عليه عادة الناس في هذا الزمان .. حيث تراهم يتكلفون الأموال الطائلة من أجل نقل موتاهم إلى بلادهم ومسقط رأسهم ليدفنوا فيها .. هذا غير الأذى الذي يسببونه للميت بسبب تأخير دفنه .. ووضعه في التلججات لأيام .. وربما لأسابيع .. ثم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً!

أحكام الشَّهَادَةِ

وقد روي أنه ﷺ قد صلى على عمه حمزة ؓ، ولم يصل على غيره من شهداء أحد، كما في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك: "أن النبي ﷺ مرَّ بحمزة وقد مُثِّلَ به، ولم يصل على أحدٍ من الشهداء غيره" [164]؛ يعني شهداء أحد.

ويُقال كذلك: أن شهداء المسلمين في حروب الردة، وغزوة مؤتة، والقادسية، واليرموك، وغيرها من الغزوات كانوا بالآلاف .. ومع ذلك لم يُنقل لنا عن الصحابة . أو بعضهم . أنهم كانوا يصلون على الشهداء، مما دلَّ أن ترك الصلاة على الشهيد هو الأقرب للسنة، وفعل السلف، وأن صلاة النبي ﷺ على بعض الشهداء، كانت خاصة بالنبي ﷺ لفضل صلواته ودعائه .. ولحاجة الميت . وإن كان شهيداً . لدعائه وصلاته ﷺ، فدعاء النبي ﷺ ليس كدعاء غيره من المسلمين، وصلاته على المؤمنين ليس كصلاة غيره، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ النور:63. وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة:103. والله تعالى أعلم.

تنبيه: ما تقدم من أحكام دنيوية تُحمل على قتيل المعركة فقط؛ أما من طُعِن في المعركة ثم حُمِل إلى خارج ساحتها، وقُدِّر له أن يعيش زمناً أو أياماً .. ثم بعد ذلك أدركته المنية خارج ساحة المعركة .. فهذا شهيد الآخرة .. لكن لا تُحمل عليه الأحكام الدنيوية الخاصة بالشهيد؛ الأنفة الذكر .. وكذلك الشهداء الآخرين: المبطون، والمطعون، والذي يموت بالهدم أو الحرق وغيرهم ممن تقدم ذكرهم .. فهؤلاء أيضاً لا تُحمل عليهم الأحكام الدنيوية المتعلقة بشهيد المعركة .. وإنما يُكفَّنون، ويُغسَّلون، ويُصلى عليهم، حالهم في ذلك حال غيرهم من أموات المسلمين.

شروط الشهادة: للشهادة في سبيل الله شروط، إن اختل منها شرط رُدَّت الشهادة، وخرج صاحبها من قائمة وصفة شهداء الآخرة .. الذين يستحقون مقام ودرجة الشهداء عند الله ﷻ، وهي:

أولاً: أن يكون الشهيد مسلماً موحداً؛ فلو كان مشركاً، أو كافراً مرتدّاً ثم انطلق للجهاد فقتل .. لا يكون شهيداً، ولا ينتفع بشيء من جهاده؛ لأن الشرك يحبط مطلق العمل ويُبطله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ

¹⁶⁴ صحيح سنن أبي داود: 2690.

أحكام الشَّهَادَةِ

اللَّهِ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء:48. ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان:23.

ولقوله ﷺ: "لا يقبلُ اللهُ من مُشركٍ أشركَ بعدَ إسلامه عملاً" [165].

ولقوله ﷺ: "ليأخذنَّ الرجلُ بيدِ أبيه يومَ القيامةِ يريدُ أن يُدخله الجنةَ، فينادي: **إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يدخلها مشرك، إن الله قد حرَّم الجنةَ على كل مشركٍ**، فيقول: أي رب! أي رب! أبي؟ قال: فيتحول . أي أبوه . إلى صورةٍ قبيحةٍ، وريحٍ مُنتنةٍ فيتركه" [166].

ولقوله ﷺ: "إن السيفَ لا يمحو النفاق" [167].

ولقوله ﷺ للرجل المشرك الذي أراد أن يغزو معه . وكان يُذكر بالجرأة والنجدة : "تؤمن بالله ورسوله؟"، قال: لا. قال ﷺ: "فارجع؛ فلن أستعين بمشرك" مسلم.

وقال رجلٌ مُقنَّعٌ بالحديد: يا رسولَ الله، أقاتلُ أو أُسلمُ؟ قال: "أُسلمُ ثم قاتلُ". فأسلمَ فقاتلَ فقتلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: "عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا" متفق عليه.

ولا يلزم من هذا الشرط انتفاء الذنوب والخطايا التي هي دون الكفر والشرك عن الشهيد .. لا .. فهذا لا نقوله .. ولا يقول به أحدٌ من أهل العلم .. فالمسلم الموحد مهما عظمت ذنوبه .. ما لم ترق إلى درجة الكفر والشرك .. فإنه ينتفع من جهاده واستشهاده .. وحسناته، وذنوبه ومعاصيه لا تمنع عنه صفة وحكم فضل الشهيد لو ختم الله له بالشهادة في سبيله .. كما في الحديث: "ورجلٌ فرَّقَ على نفسه من الذنوبِ والخطايا، جاهدَ بنفسه وماله في سبيلِ الله، حتى إذا لقي العدوَّ قاتل حتى يُقتل،

¹⁶⁵ أخرجه البغوي في شرح السنة 150/15، وقال: حديث حسن.

¹⁶⁶ صحيح موارد الظمان: 61.

¹⁶⁷ رواه أحمد، والطبراني، وابن حبان، صحيح الترغيب: 1370. والحديث له تنمة عظيمة سنأتي على ذكرها إن شاء

الله.

أحكام الشَّهَادَةِ

قتلك مُصْصِمَةً مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السِّيفَ مَحَاً لِلخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ"
[168].

وفي ذلك رد على الذين يشترطون في المجاهدين أن يكونوا على درجة عالية من الالتزام والصلاح والتقوى .. خالية حياتهم وأعمالهم من الذنوب والخطايا .. أو أن يكونوا كالرعيل الأول من الصحابة في الالتزام والتقوى والعمل .. ليقبل جهادهم .. وأنهم لن يُجاهدوا إلا مع أناس هكذا ينبغي أن تكون صفاتهم .. فهذا الشرط إضافة إلى بطلانه ومخالفته للنص .. فإن مؤداه إلى تعطيل الجهاد .. وصدِّ الناس عن الجهاد في سبيل الله .. وتمكين العدو من بلاد المسلمين .. لأن شرطهم هذا تعجيزي يستحيل تحقيقه؛ فالرعيل الأول من السلف الصالح جيل فريد لن يكرره التاريخ ثانية وإلى يوم القيامة .. فمن أين للأمة أن تأتي أو تلد مثل هذا الجيل الذي شهد له النص بأنه خير الأجيال، وخير القرون على الإطلاق، وإلى يوم القيامة؟!

ما تقدم لا يعني ولا يُفهم منه الاستهانة بجانب التقوى والالتزام والصلاح .. وبالجانب التربوي .. وضرورة أن يعمل الشباب المجاهد على الارتقاء بأنفسهم إلى مستوى أخلاق وتعاليم وقيم الإسلام .. فهذا جانب هام جداً .. لا يجوز الزهد به أو إهماله .. وهو من الإعداد المطلوب شرعاً .. وهو عامل هام من عوامل النصر والتمكين .. لكن لا نجعله شرطاً للجهاد .. كما لا نجعله شرطاً لقبول شهادة المجاهد .. لدلالة النص على خلافه، والله تعالى أعلم.

ثانياً: الإخلاص: أن تكون الشهادة في سبيل الله؛ خالصة لوجهه الكريم، ابتغاء مرضاته، والفوز بالأجر العظيم، لا يُراد منها سمعة ولا رياءً .. فالإخلاص شرط لكل عملٍ تعبدي، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف:110.

¹⁶⁸ التخرج السابق أعلاه. وقوله ﷺ: "إن السيف محاء للخطايا " صيغة مبالغة؛ أي شديد وكثير وسريع المحاء للخطايا.

أحكام الشَّهَادَةِ

وقد تقدّم معنا الحديث، عن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِي قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: رأيت رجلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالدِّكْرَ ما لَهُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "لا شيءَ لَهُ"، فأعادها ثلاثَ مرَّاتٍ، يقولُ له رسولُ الله: "لا شيءَ لَهُ"، ثم قال: "إنَّ الله لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلا ما كانَ لَهُ خالِصاً وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ" [169].

وعن أبي هريرة ؓ، أن رجلاً قال: يا رسولَ الله، رجلٌ يريدُ الجهادَ، وهو يريدُ عَرَضاً مِنَ الدنِيا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "لا أَجْرَ لَهُ". فأعظَمَ ذلكَ الناسُ، فقالوا للرجل: عُدْ لرسولِ الله ﷺ فلعلَّكَ لم تُفْهِمُهُ. فقال الرجلُ: يا رسولَ الله رجلٌ يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله، وهو يبتغي عَرَضاً مِنَ الدنِيا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "لا أَجْرَ لَهُ". فأعظَمَ ذلكَ الناسُ، وقالوا: عُدْ لرسولِ الله ﷺ، فقال له الثالثة: رجلٌ يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله، وهو يبتغي عَرَضاً مِنَ الدنِيا؟ فقال ﷺ: "لا أَجْرَ لَهُ" [170].

¹⁶⁹ صحيح سنن النسائي: 2943. وقوله " يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالدِّكْرَ": أي خَلَطَ الإخلاص؛ وهو طلب الأجر والثواب من الله تعالى، مع نية أخرى فيها رياء؛ وهو أن يُدكر من الناس بالشجاعة والبطولة على جهاده، فهذا أيضاً مما يُفسد العمل؛ لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

¹⁷⁰ أخرجه أبو داود، وابن حبان، والحاكم، صحيح الترغيب والترهيب: 1329. وقوله عَرَضاً: أي قليلاً مما يُقتنى من مال ومتاع الدنيا. وقوله " يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله، وهو يبتغي عَرَضاً مِنَ الدنِيا": أي انطلاقة صحيحة، وغايته صحيحة؛ وهي في سبيلِ الله .. لكن شأها قصد آخر؛ وهو إرادة عرض من الدنيا الذي يأتي عن طريق الغنائم .. فالغنائم وإن كانت حلالاً لأمة محمد ﷺ .. إلا أنها لا يجوز أن تكون هي المقصد أو الغرض من وراء الجهاد في سبيلِ الله .. كما أنها: أي الغنيمة . لتأثيرها الخفي على الإخلاص، وإن لم تكن هي المقصد من وراء الغزو والجهاد . تُنقص الثلثين من أجر المجاهد يوم القيامة، كما في الحديث: "ما من غازية تغزو في سبيلِ الله فيُصيبون الغنيمةَ إلا تَعَجَّلُوا ثُلثي أَجْرِهِم مِنَ الأخرَةِ، ويبقى لهم ، الثُلثُ، وإن لم يُصيبوا غنيمةً تَمَّ أَجْرُهُم" مسلم. وهذا كله والغنيمة ليست هي المقصد أما إن كانت هي المقصد أو كان لها حظ في المقصد .. فإن الأجر يبطل كلياً، والعياذ بالله.

أحكام الشَّهَادَةِ

وعن أبي موسى الأشعري، قال: سئل رسولُ الله ﷺ: عن الرجل يُقاتلُ شجاعاً، ويُقاتلُ حميئاً، ويُقاتلُ رياءً، أي ذلك في سبيلِ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعَلِيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [171] مسلم.

وقال ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.." مسلم.

وفي رواية: "فَيَقُولُ: أَي رَبِّ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أُرِدْتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ جَرِيءٌ، فَقِيدَ قِيلَ ذَلِكَ" [172].

وقال ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللُّونُ لَوْنُ الدَّمِّ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ" [173].

وقال ﷺ: "الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ . مِنْهُمْ : وَرَجُلٌ مَنَافِقٌ جَاهِدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ فِي النَّارِ: إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ" [174].

¹⁷¹ أي ليس شيئاً مما تقدم ذكره . الذي يُقاتلُ شجاعاً، أو حميئاً، أو رياءً . في سبيلِ الله، وصاحبها يستحقُ صفة

المجاهد في سبيلِ الله، إلا " مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعَلِيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " .

¹⁷² أخرجه الترمذي، وابن حبان، وابن خزيمة في صحيحه، صحيح الترغيب: 22.

¹⁷³ رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي، صحيح الترغيب: 1332.

¹⁷⁴ رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي، صحيح الترغيب: 1370. قوله " قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "؛ أي خرج وهو كاره . وحتى لا

يُعرف نفاقه . مع المجاهدين الذين خرجوا للقتال في سبيلِ الله .. فأدركه القتل وهو معهم .. فظاهره أنه يُقاتل في

سبيلِ الله .. بينما حقيقة باطنه الكذب والكفر والنفاق .. ومثل هذا فإن جهاده لا ينفعه .. ولا يمحو عنه وزر النفاق

والكفر .. لأنه غير صادق ولا مخلص في جهاده .. ولأن الحسنات يمحوهن السيئات إلا الكفر والنفاق الأكبر .. فإنها لا

تمحده.

أحكام الشَّهَادَةِ

ثالثاً: أن يكون قتاله واستشهاده على السُّنَّة: أي تتحقق فيه صفة المتابعة، فيُغَلَّب الانقياد والمتابعة للشريعة، على حب التشفي والانتقام .. والهوى .. فيراعي الحدود والعهود .. فلا يغدرو ولا يخون .. أما من يغلب الهوى .. وحب التشفي والانتقام على الحكم الشرعي .. فيضع السيف حيث ينبغي شرعاً أن يرفعه .. ويرفعه حيثما ينبغي شرعاً أن يضعه .. فيقتل من صان الشرع حرمتهم .. ويسلم منه من أذن الشرع في قتالهم .. فمن كان هذا منهجه في القتال ثم قُتل عليه .. يفقد صفة المجاهد في سبيل الله .. كما يفقد صفة وحكم الشهيد في سبيل الله .. وما أعد الله تعالى للشهيد من مقام عظيم. مثال هذا النوع من القتال .. قتال الخوارج الغلاة .. الذين وضعوا السيف في أهل الإسلام .. وممن صان الشرع حرمتهم .. كما جاء وصفهم في الحديث: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" متفق عليه.

وقال ﷺ: "سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قومٌ يُحسنون القيلَ ويُسيئون الفعلَ، يقرأون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة، لا يرجعون حتى يرتدّ على فوقه، هم شرُّ الخلقِ والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم" [175].

وعن معاذ بن أنس الجهني، قال: غزوتُ مع نبي الله ﷺ غزوةً كذا وكذا فضيَّقَ الناسُ المنازلَ، وقطعوا الطريقَ، فبعثَ نبيُّ الله ﷺ منادياً ينادي في الناس أن من ضيَّقَ منزلاً أو قطعَ طريقاً فلا جهادَ له" [176].

هذا فيمن يضيِّق على الناس منازلهم، ويقطع عليهم طريقهم. ولو كان ذلك بسبب الغزو والجهاد . فكيف فيمن لا يراعي فيهم عهداً ولا ذمة .. ولا حرمة لمؤمن .. إلا ما لامس هواه .. فهذا لا يُمكن أن

¹⁷⁵ صحيح سنن أبي داود: 3987.

¹⁷⁶ صحيح سنن أبي داود: 2289.

أحكام الشَّهَادَةِ

يُصَنَّفُ من المجاهدين .. ولو قُتِلَ . على هذا المنهج . لا يُمكن أن يُصَنَّفَ من الشهداء، وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من آذى مؤمناً فلا جهاد له" [177].

ونحوهم المرجئة الغلاة الذين انطلقوا إلى آيات وأحاديث قيلت في المؤمنين الموحدين فحملوها على الطغاة الكافرين المجرمين .. فمنعوا من قتالهم وجهادهم .. وأوجبوا على المسلمين طاعتهم والدخول في موالاتهم ونصرتهم على من خالفهم وعاداهم من المؤمنين الموحدين .. فمن قُتِلَ أو مات على هذا المنهج الباطل الخبيث فهو كذلك ليس بمجاهد .. ولا شهيد .. ولا ممن يُقاتلون في سبيل الله .. وإنما ممن يُقاتلون في سبيل الطاغوت!

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء:76.

ومن الاستشهاد على السنّة .. أن لا يستعجل المرء على الله فيقتل نفسه بنفسه .. وأن لا يستشرف مواطن الهلكة والقتل .. كالمستعجل على الله .. من غير مصلحة راجحة ترتد على الإسلام والمسلمين .. والجهاد والمجاهدين .. ومن يأبى إلا أن يفعل .. فيقتل على هذا الوصف .. فهو ليس بشهيد .. بل هو على خطر عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:29. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:195.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من ركب البحر عند ارتجائه فمات؛ فقد برئت منه الدِّمَّة" [178]. وذلك لأنه قد استشرف مواطن هلكة وخطر .. فخاطر بنفسه .. وأوردها موارد الهلكة والخطر .. من غير مصلحة راجحة!

¹⁷⁷ أخرجه أحمد، وغيره، صحيح الجامع الصغير: 6378.

¹⁷⁸ أخرجه أحمد، السلسلة الصحيحة: 828.

أحكام الشَّهَادَةِ

وقال ﷺ: "لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ" قالوا: وكيف يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قال: "يَنْعَرِضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ" [179].

رابعاً: أن يكون الغرض الذي يُستشهد دونه مشروعاً: قد أذن الله تعالى لعباده أن يُجاهدوا، ويُستشهدوا دونه؛ كمن يُقتل دون دينه أو دون عرضه، أو دون ماله، أو دون دمه، أو دون أهله، أو دون حرمت المسلمين، أو دون مظلّمته أو مظالم المسلمين .. فمن قُتل دون أو دفاعاً عن هذه الأشياء . أو غيرها مما أذن الله تعالى أن يُقاتل دونها . فهو شهيد، كما في الحديث: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [180].

وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُوماً فَلَهُ الْجَنَّةُ" [181].

وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [182].

أما من يُقاتل فيقتل دون أغراض غير مشروعة، لم يأذن الله تعالى بالقتال دونها؛ كأن يُقتل المرء دون الطواغيت الظالمين، ودون عروشهم وأنظمتهم، وقوانينهم، ودون الكفر والشرك والظلم .. أو دون أمورٍ يكون فيها ظالماً لا مظلوماً .. أو دون رايات جاهلية .. أو يُقتل عصبية وحميةً لقومٍ أو قبيلة أو أرض .. فمن يُقتل دون شيءٍ من هذه الأغراض فهو ليس بشهيد .. بل هو في النار.

¹⁷⁹ صحيح سنن الترمذي: 1838.

¹⁸⁰ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 6445.

¹⁸¹ أخرجه النسائي، صحيح الجامع: 6446.

¹⁸² أخرجه النسائي وغيره، صحيح الجامع: 6447.

أحكام الشَّهَادَةِ

قال ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ؛ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ" مسلم.

وقال ﷺ: "مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ؛ يَنْصُرُ الْعَصْبِيَّةَ، وَيَغْضَبُ لِلْعَصْبِيَّةِ، فَقَتَلْتُهُ جَاهِلِيَّةً" [183].
خامساً: أَنْ يُقْتَلَ مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ؛ فَرَمِنَ الزَّحْفِ وَالْجِهَادِ: أَمَا مَنْ يُقْتَلُ وَهُوَ مُدْبِرٌ فَارَمِنَ الزَّحْفِ . حتى لو قتل في ساحات المعركة . فهو ليس بشهيد .. بل له وعيد شديد .. لأنه قد مات على كبيرة من كبائر الذنوب، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَكَذَّبَ بَاءً يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الأنفال:16.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، وعدّ منها: "التولي يوم الزحف" متفق عليه.

وقال ﷺ: "اجتنبوا الكبائر السبع" منها "والفرار من الزحف" [184].

وعن أبي قتادة، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أرايت إن قُتِلْتُ في سبيل الله، تُكْفَرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم؛ إن قُتِلْتَ في سبيل الله وأنت صابراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ". ثم قال رسول

¹⁸³ أخرجه مسلم والنسائي، صحيح الجامع الصغير: 6442. الراية العُمِّيَّة: من العَمَاء؛ وهي الراية التي لا تُعْرَفُ فيها وجهة الحق من الباطل، ولا تميز بين الحق والباطل، ولا بين ما يجوز وما لا يجوز .. فأصحابها يُقاتلون كالعَمِيان وكحاطب ليل .. لا يميزون . في قتالهم . بين الحق والباطل .. وهي راية لكل قتال باطل؛ غير مشروع لم يأذن به الله، فكل من قاتل قتالاً باطلاً أو لغرض باطل لم يأذن به الله فهو يُقاتل تحت راية عميَّة جاهلية. والقتال عصبية أو لعصبية؛ هو القتال الذي يكون لذات الشيء . من دون الله تعالى . في الحق والباطل سواء؛ كمن ينصر قبيلته أو قومته، أو حزبه أو بلده .. أو حاكمه .. في الحق والباطل سواء؛ لأنها قبيلته أو بلده أو أنهم من بني قومه، وحزبه .. أو لأنه حاكمه .. فهو ينصرهم لذواتهم؛ لأنهم هم هم .. وليس لأنهم على الحق تجب نصرتهم شرعاً!

¹⁸⁴ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، السلسلة الصحيحة: 2244.

أحكام الشَّهَادَةِ

الله ﷺ: "كيف قُلت؟". قال: رأيتَ إن قُلتُ في سبيل الله، أَتَكْفَرُ عني خطاياي؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "نعم؛ إن قُلتَ وأنتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، إلا الدَّينَ، فإن جبريلَ قال لي ذلك" مسلم.

تأمل في المرتين كيف أن النبي ﷺ يؤكد على قوله وشرطه للانتفاع من الشهادة "مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ".

وقال ﷺ: "الشهداء الذين يُقاتلون في سبيلِ الله في الصَّفِّ الأولِ، ولا يَلْتَفِتُونَ بوجوههم حتى يُقْتَلُوا؛ فأولئك يُلقونَ في العُرفِ العُلا من الجَنَّةِ، يضحكُ إليهم ربُّك، إنَّ اللهَ تعالى إذا ضحكَ إلى عبده المؤمن فلا حسابَ عليه" [185]. فتأمل صفتهم "ولا يَلْتَفِتُونَ بوجوههم حتى يُقْتَلُوا": كناية على الثبات، وعدم الفرار والإدبار.

وفي الأثر، عن ابن عمر، أنه كان في غزوة مؤتة، فقال: "فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، فعددنا به خمسين طعنةً وضربةً، ليس منها شيء في دُبْرِهِ" البخاري. أي ليس منها شيء من جهة ظهره .. كناية على شدة ثباته .. وإقباله على العدو بصدره .. وأنه لم يُعْطِهم ظهره مطلقاً .. أنعم به من بطل مجاهد .. رضي الله عنه، وعن الصحابة أجمعين.

وعن مجاهد، عن يزيد بن شجرة . وكان يزيد بن شجرة ممن يصدق قوله فعله . حَظَبْنَا .. وكان يقول إذا صفَّ الناسُ للقتال: فَتَحَّتْ أبوابُ السماءِ، وأبوابُ الجَنَّةِ، وَعَلِقَتْ أبوابُ النَّارِ، وَرُيِّنَ الحورُ العِينِ واطَّلَعْنَ، فإذا أقبلَ الرجلُ، قُلْنَ: اللهم انصره، وإذا أدبرَ احتَجَبْنَ منه، وقلْنَ: اللهم اغفر له، فأهكوا وجوهَ القومِ فدىً لكم أبي وأمي، ولا تُخزوا الحورَ العِينِ ... [186].

تنبيه: يُستثنى مما تقدم ذكره مَنْ كان فراره على شكل انسحاب وتكتيك تقتضيه الحاجة والمعركة .. يريد بعده أن يُعاود الكرة والقتال، أو أنه يريد أن ينجاز إلى فئة من المسلمين ليتقوى بهم على جهاده .. فمثل هذا الانسحاب والانهياز لا حرج فيه إن شاء الله .. ولو قُتِلَ المجاهد في ساعة انسحابه وتحيزه

¹⁸⁵ رواه الطبراني في الأوسط، وأحمد، وأبو يعلى، صحيح الجامع: 3740.

¹⁸⁶ رواه الطبراني، وغيره، صحيح الترغيب: 1377.

أحكام الشَّهادة

.. أرجو أن يكون شهيداً بإذن الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ الأنفال:16. فاستثنى من الفرار الذي يستحق صاحبه الوعيد الشديد، المتحرّف؛ أي المنعطف الذي ينعطف ثانية ليعاود الكرة والجهد، والمتحيز إلى فئة ليتقوى بهم في جهاده ضد العدو.. فمن كان فراره على هذا الوجه والصفة، فلا حرج عليه إن شاء الله.

تعريف الشَّهيد: نستخلص مما تقدم التعريف التالي للشهيد. ونعني من الشهداء؛ شهيد المعركة . فنقول: "هو المسلم الذي يُقتل في سبيلِ الله، على السُّنَّةِ، مُقبِلاً غير مُدبرٍ، ولغرضٍ مشروع".

فضل الشهيد، وما له من مكرمة وفضل وأجر: فمن حقق في نفسه شروط الشهادة الخمسة الأنفة الذكر أعلاه، فهذا هو الشهيد الذي يستحق مقام الشهداء يوم القيامة .. وعليه تُصرف نصوص الكتاب والسنة التي تبين فضل الشهداء، وما لهم عند الله تعالى من فضل، ومكرمة، وأجرٍ عظيم.

منها، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة:154.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آل عمران:170.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة:111.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ في الجنة مائة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض" البخاري.

أحكام الشهادة

وقال ﷺ: "ما من عبد يموت، له عند الله خيرٌ، يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد؛ لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة" متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضرٍ، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلموا عن الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم. فقال ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ إلى آخر الآية" [187].

وعن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك . أي رسول الله . فقال: "أرواحهم في جوف طير خضرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتمون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك ربهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا" مسلم.

وقال ﷺ: "رأيت الليلة رجلين أتياي، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، لم أرقط أحسن منها، قال لي: أما هذه الدار فدار الشهداء" متفق عليه.

¹⁸⁷ رواه أبو داود، والحاكم، صحيح الترغيب: 1379. وفي معنى "ينكلوا" قال المنذري: أي يجبنوا ويتأخروا عن الجهاد. وقوله "لما أصيب إخوانكم"؛ المراد منهم القراء السبعون من الأنصار الذين قتلوا غداً ببئر معونة؛ على يد من ذهبوا معهم ليعلموهم القرآن!

أحكام الشَّهَادَةِ

وقال ﷺ: "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ" [188].

وفي رواية، قال ﷺ: "إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعَ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ" [189].

وقال ﷺ: "الشَّهِيدُ يَشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ" [190].

وقال ﷺ: "الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ الْقَرِصَةَ يُقْرِصُهَا" [191].

وفي رواية: "الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرِصَةِ" [192].

وقال ﷺ: "أَوَّلُ مَا يُهْرَاقُ دَمُ الشَّهِيدِ، يُعْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ كُلُّهُ إِلَّا الدِّينَ" [193].

وقال ﷺ: "الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكْفِرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا الدِّينَ" مسلم.

وقال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: "كَفَى بِبَارِقَةِ السِّيَوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً" [194].

¹⁸⁸ صحيح سنن ابن ماجه: 2257. والفرع الأكبر: يوم بعث الناس من القبور للحساب. وقيل: يوم يُعرض الناس على النار، ويُذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

¹⁸⁹ رواه أحمد والطبري، صحيح الترغيب: 1374.

¹⁹⁰ أخرجه ابن حبان، صحيح الجامع: 3747.

¹⁹¹ أخرجه النسائي وغيره، صحيح الجامع: 3746.

¹⁹² أخرجه الطبراني في الأوسط، صحيح الجامع: 3745.

¹⁹³ أخرجه الطبراني في الكبير، السلسلة الصحيحة: 1742.

¹⁹⁴ رواه النسائي، صحيح الترغيب: 1380.

أحكام الشَّهَادَةِ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه سأل جبرائيل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الزمر:68. من الذين لم يشأ الله أن يُصعقهم؟ قال: هم شهداء الله" [195].

وقال صلى الله عليه وسلم: "القتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمنٌ جاهدَ بنفسه وماله في سبيل الله؛ حتى إذا لقي العدوَّ قاتلهم حتى يُقتل؛ فذلك الشهيدُ الممتحنُ في جنة الله تحت عرشه، لا يفضلُه النَّبِيُّونَ إلا بفضلِ درجةِ التُّبُوَّةِ. ورجلٌ فرَّقَ على نفسه من الذنوبِ والخطايا، جاهدَ بنفسه وماله في سبيلِ الله، حتى إذا لقي العدوَّ قاتل حتى يُقتل، قتلك مُصمِّصَةً محتَ ذنوبه وخطاياها، إن السيفَ محاً للخطايا، وأدخلَ من أي أبواب الجنة شاء؛ فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضلُ من بعض. ورجلٌ منافقٌ جاهدَ بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدوَّ قاتلَ في سبيلِ الله صلى الله عليه وسلم حتى يُقتل، فذلك في النار؛ إن السيفَ لا يمحو النفاق" [196].

¹⁹⁵ رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد، صحيح الترغيب: 1387.

¹⁹⁶ رواه أحمد، والطبراني، وابن حبان، صحيح الترغيب: 1370. وقوله "الشهيدُ الممتحنُ"؛ أي المُنقَى والمُصَفَّى والمُهَدَّب من كلِّ آثار الخطايا. وقوله "فرَّقَ على نفسه"؛ أي خاف على نفسه من ذنوبه وخطاياها. وقوله "قتلك مُصمِّصَةً"؛ قال المنذري في الترغيب: "هي الممحصصة المكفرة". قلت: والحديث فيه فوائد عدة، منها: أن الحسنات وبخاصة منها حسنات الجهاد. يذهبن السيئات، وأن لحسنة الجهاد أثر عظيم في زوال الذنوب وآثارها، دلَّ على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إن السيفَ محاً للخطايا". ومنها: أن من كان من ذوي الجهاد والبلاء في الله ينبغي أن يتوسع له في التأويل عند ورود العثرات والكبوات، والشبهات. ومنها: أن حسنة الجهاد مهما عظمت فإنها لا تنفع صاحبها إن كان قابلاً على النفاق أو الكفر والشرك؛ فالشرك يُحبط العمل كله، ويحرم صاحبه من الانتفاع بشيء من حسناته يوم القيامة، بما في ذلك حسنة الجهاد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر:65. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ الفرقان:23. وفي ذلك عِظة لأولئك الذين ينطلقون للجهاد ولم يحققوا التوحيد في أنفسهم .. ولم ينخلعوا ويتبرأوا من الشرك وعبادة الأوثان والطواغيت بعد!

أحكام الشَّهَادَةِ

. تنبيهات ومساائل هامة:

المسألة الأولى: اعلم أنه لا يجوز أن يُجَزَمَ لمُعَيَّنٍ بأنه شهيد، حتى لو كان ظاهره أنه قُتِلَ في سبيل الله، وذلك للمحاذير التالية:

منها: أن الحكم على شخصٍ مُعَيَّنٍ بالشهادة، وأنه شهيد عند الله يعني الحكم له بالجنة، وهذا خوض في الغيب بغير علم، فالشهادة على شخصٍ معين بأنه شهيد، وأنه في الجنة فهي ليست لأحدٍ بعد النبي ﷺ؛ لأن النبي لا يتكلم ولا يشهد على أحدٍ بأنه شهيد أو من أهل الجنة إلا بوحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم:3-4. وهذه ليست لأحدٍ بعد النبي ﷺ.

فلو جاز لأي أحدٍ أن يقول: فلان شهيد، وهو من أهل الجنة .. لما وجد حينئذٍ فرق بينه وبين النبي ﷺ في هذه الخاصية .. وكان حكمه كحكم النبي ﷺ لبعض أصحابه بأنهم شهداء، وأنهم من أهل الجنة .. ولما حصلت حينئذٍ ميزة لمن شهد لهم النبي ﷺ بأنهم من أهل الجنة .. وهذا قول باطل نقلاً وعقلاً لا يتجرأ عليه إلا من هان عليه دينه!

ومنها: لاحتمال أن يكون هذا المُعَيَّنُ قد أخلَّ بشرط من شروط قبول الشهادة، لا يعلم ذلك عنه إلا الله تعالى، وبخاصة أن من شروط الشهادة ما هو متعلق بالقلب؛ كشرط الإخلاص .. وما في القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب، لذا جاء في الحديث: "مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ... " متفق عليه. فردَّ النبي ﷺ علم من يُجَاهِدُ في سبيل الله على صفة الصدق والإخلاص لله ﷻ وحده؛ لأن الإخلاص . وموطنه القلب . لا يعلمه إلا الله تعالى.

ونحوه قوله ﷺ: "والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللُّونُ لَوْنُ الدَّمِّ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ " متفق عليه.

أحكام الشَّهَادَةِ

وأخرج البخاري في صحيحه تحت باب بعنوان " لا يقول: فلان شهيد"، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله التقى والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضرها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منّا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " أما إنّه من أهل النار". فقالوا: أيّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال فخرج معه كلّمًا وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فخرج الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين يديه، ثمّ تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشهد أنّك رسول الله، قال: "وما ذاك". قال الرجل: الذي ذكرت أنّاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثمّ جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض، وذبابه بين يديه، ثمّ تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك: " إنَّ الرجل ليعمل عملاً أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عملاً أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة" [197] متفق عليه.

فهذا رغم جهاده وشدة بأسه في الجهاد .. ورغم ثناء الصحابة عليه بالخير، وأنه من أهل الجنة لما رأوا من ظاهره .. إلا أنه لما أخلّ بشرط من شروط الشهادة: فاستعجل الموت، فقتل نفسه بنفسه .. حكم عليه النبي صلى الله عليه وآله بأنه من أهل النار.

وعن أبي هريرة قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَعْنَمْ ذَهَباً وَلَا وَرِقاً؛ غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُدَامٍ، يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِي قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَحُلُّ رِجْلَهُ فَرَمِيَ بِهِمْ،

¹⁹⁷ قوله " شاذة ولا فاذة"، قال ابن حجر في الفتح 540/7: الشاذة ما انفردت عن الجماعة، وبالفاء مثله ما لم يختلط بهم، والمعنى أنه لا يلقي شيئاً إلا قتله، وقيل المراد بالشاذ والفاذ ما كبر وصغر، وقيل الشاذ الخارج والفاذ المنفرد -

أحكام الشَّهَادَةِ

فكان فيه حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِينًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فقال رسول الله ﷺ: "كَلَّا، والذي نفس محمد بيده! إن الشَّمْلَةَ لَتَلْتَبُّ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ" مسلم.

فهذا رجل قد أفسد على نفسه الشهادة بشملة غلبها من الغنائم .. ولم يكن الصحابة يعرفون عنه ذلك، إلى أن أخبرهم النبي ﷺ بذلك.

وفي الحديثين الأنفي الذكر أعلاه أن الحكم على المعين بأنه شهيد كالحكم عليه بأنه في الجنة، ومن أهل الجنة، لذا جاء جواب النبي ﷺ بأنه في النار، وأن الشَّمْلَةَ التي غلبها تلتهب عليه ناراً، ولم يقل لهم: لا؛ ليس شهيداً .. لأنه ليس كل من لم يكن شهيداً يلزم أن يكون في النار أو من أهل النار، لكن كل من هو في النار يلزم منه أن لا يكون شهيداً .. فالجواب أنه في النار، أو أنه يُعَدَّبُ بالنار .. يلزم منه نفي الاثنين معاً: الشهادة، وأن يكون في الجنة أو من أهل الجنة، وهذا النفي لا يُحْمَلُ مطلقاً على التأييد .. من دون النظر إلى القرائن الشرعية الأخرى التي توضح المراد منه.

وكذلك فقد تقدم معنا الحديث الدال على أن من الناس من يُجاهد نفاقاً. ومن ينضم إلى قوافل المجاهدين ليتجسس عليهم وعلى عوراتهم لصالح العدو. وأن السيف لا يمحو النفاق، والنفاق مقره القلب لا يعلمه إلا الله.

ومنها: أن الحكم على معين بأنه شهيد ومن أهل الجنة فيه تزكية على الله، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم:32.

فهذه الأوجه مجتمعة هي التي تمنع من أن يحكم على معين بأنه شهيد .. **فإن قيل:** بما نحكم على قتلتنا إذا .. وما هو التعبير الصحيح بحقهم؟

أقول: فإن كان لا بد من أن نشير إلى شخص معين بالشهادة .. فنقول: نحسبه شهيداً ولا نزيهه على الله .. نرجو أن يكون شهيداً .. نسأل الله تعالى أن يجعله من الشهداء .. ومع الشهداء .. ولا نجزم، وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسبُ فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً؛ أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه" متفق عليه.

أحكام الشَّهَادَةِ

أما إن كان الحكم عاماً مجملاً لا على التعيين؛ لا حرج حينئذٍ من أن يطلق حكم الشهادة على مجموع قتلى المسلمين؛ فيقال: قتلى المسلمين الذين قاتلوا في سبيل الله في فلسطين .. أو أفغانستان .. أو الشيشان .. أو العراق .. أو الصومال .. هم شهداء .. أو يُقال شهداء معركة كذا وكذا .. أو قتلانا في الجنة وقتلهم في النار .. فهذا الإطلاق العام المجمل .. لا حرج فيه لورود النص الدال عليه، ولغياب المحاذير الأنفة الذكر أعلاه الخاصة في الشخص المعين عندما يُحكم عليه بأنه شهيد.

قال ابن حجر في الفتح 106/6: وعلى هذا فالمراد النهي عن تعيين وصف واحدٍ بعينه بأنه شهيد، بل يجوز أن يُقال ذلك على طريق الإجمال ا- هـ.

ثم اعلم أن الحكم لله الواحد الأحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف:40. ليس لأحدٍ سواه؛ فمن حكم الله عليه بأنه شهيد فهو الشهيد .. ولو أُطبق أهل الأرض كلهم على وصفه بخلاف ذلك لما تغير من الحقيقة شيئاً .. ومن يحكم الله تعالى عليه بأنه ليس بشهيد أو أنه في النار .. فهو في النار .. ولو أُطبق أهل الأرض كلهم على وصفه بأنه شهيد .. وأنه بطل .. وأضفوا عليه الأوسمة والألقاب .. لما تغير من الحقيقة شيئاً.

وبالتالي فلا يحزنك وصف الطواغيت الأثمين وأبواقهم وسحرتهم .. وعملائهم .. لقتلى الطاغوت بأنهم شهداء .. وأنهم في الجنة .. وأنهم أبطال ونشامى .. وقتلى المجاهدين الذين قُتلوا في سبيل الله بأنهم ضالون .. وفي النار .. وإرهابيون .. وتكفيريون .. وغير ذلك من الألقاب التي ابتدعوها من عند أنفسهم الأمانة بالسوء .. فحكمهم هذا مردود عليهم .. لا قيمة ولا أثر له، وهو لا يغير من الحقيقة شيئاً.

تأمل قصة حبيب النجار الذي ورد ذكره في سورة ياسين .. فبعد أن صدع بالحق في وجوه الملائ من قومه الكافرين .. ودعاهم إلى الإيمان بالله تعالى .. واتباع المرسلين .. قاموا عليه قومة رجل واحد .. فضربوه، ورجموه، وحرَّقوه .. ووطنوه بأقدامهم .. وتفننوا في تعذيبه وقتله .. حتى قيل أن أمعاءه قد خرجت من دبره ... وهم في غمهم وحقدهم وفرحهم هذا .. وبعد أن خرجت الروح من جسدها إلى بارئها .. قال تعالى . مباشرة، وفي الحال : ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ ؛ أي أنت شهيد .. لا عليك .. قد فزت بالشهادة ونعيمها وكراماتها .. ولا يضرنك ما يفعله المجرمون بجثتك .. ولا استهزائهم بك .. ولا شتمهم لك .. قال

أحكام الشهادة

وكأقصر طريق . كما يزعمون . إلى الجنة .. فهذه الصور ومثيلاتها كلها لا تجوز ، وهي منافية للنصوص التي تلزم بالأخذ بالأسباب والإعداد على قدر الطاقة والاستطاعة ، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال:60. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:195. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:29.

وقال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ النساء:102. هذا التشديد في أخذ الحذر .. وتكرار الأمر بأخذ الحذر .. كل ذلك حتى لا يصبح المسلم المجاهد صيداً سهلاً للعدو ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ .

ثم أن عقيدة التوكل على الله .. وعقيدة أن الله تعالى ناصر من ينصره .. لا تمنع من الأخذ بأسباب النصر والظفر .. أو أن يأخذ المؤمنون حذرهم عند مواجهة أعدائهم.

فإن أهمل المرء هذا التوجيه الرباني .. فلم يأخذ بالحذر .. استعجالاً على الله تعالى في طلب الشهادة .. فهو آثم .. وممن ألقوا بأيديهم .. وأنفسهم بأنفسهم إلى التهلكة!

وقد تقدم معنا قوله ﷺ: "بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة" البخاري. وقد ذكرنا أن الحديث وإن كان له سبب إلا أن العبرة بعموم اللفظ .. فكل من استعجل على الله .. فتسبب لنفسه بالموت عن إهمال أو تقصير أو لسبب كان يمكن له دفعه لو شاء .. لكنه لم يفعل استعجالاً على الله تعالى .. فله نصيب من الحديث أعلاه "بادرني عبدي بنفسه".

وقال ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت؛ إما محسناً فلعله يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعذب" متفق عليه. أي يتوب فيرجع.

وقال ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت من ضراً أصابه" متفق عليه.

حتى العدو قد تمهينا عن تمني لقائه .. وقتاله .. فإن حصل اللقاء .. سألنا الله تعالى النصر والثبات، وما ذلك إلا لأن المسلم له رسالة عظيمة في هذه الحياة هي أكبر من أن تُحصَر في استشراف مظان الموت

أحكام الشَّهَادَةِ

وحسب، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلُّوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظللال السيوف" متفق عليه.

فإن قيل: أين أدلة الانغماس ...؟

أقول: أدلة الانغماس حق؛ لكن كلها مقيدة بقيد وشرط أن يرتد انغماس المنغمس في العدو على الإسلام والمسلمين، والجهاد والمجاهدين بمصلحة راجحة .. وكل من قال من أهل العلم بأدلة الانغماس اشترط في انغماس المنغمس أن يرتد انغماسه بالمصلحة الراجحة على الإسلام والمسلمين .. أما القول بالانغماس لمجرد الانغماس .. ولمجرد أن يُقتل المنغمس على يد عدوه من دون مصلحة راجحة .. فهذا لا يقول به دليل صحيح .. ولا عالم معتبر .. والنقل والعقل قد دلا على خلافه.

ثم اعلم أن نفاذ الصبر نوعان: نفاذ الصبر على الضراء، وما ينزل بالمرء من بلاء .. فيجزع .. فيستعجل على الله تعالى بقتل نفسه .. ونفاذ صبر على فراق المحبوب، وما أعده الله تعالى للشهيد من نعيم عظيم ومقيم .. وتحمل ألم الشوق والحنين والفراق .. فيحمل صاحبه على الاستعجال على الله .. فيطلب الموت من غير طريقه الشرعية .. أملاً بأن يحظى بالمحبوب .. وهذا من الجزع والاستعجال على الله تعالى .. وقلَّ من يتنبه له!

كلا الفريقين اشتركا في صفة نفاذ الصبر الباعث على قتل النفس .. والاستعجال .. على اختلاف بينهما في السبب الباعث على نفاذ الصبر: فالأول نفاذ صبره على الضراء .. والآخر نفاذ صبره على فراق المحبوب .. وتحمل مشاق وتبعات طول الانتظار .. لكن كلاهما قد اشتركا في صفة قتل النفس بسبب نفاذ الصبر!

وكان أنس رضي الله عنه يقول: لولا أني سمعتُ النبي ﷺ يقول: "لا تتمنوا الموت"، لتمنيت. البخاري. وهو من كبار أصحاب النبي ﷺ .. فكيف بنا في هذا الزمان .. الذي أصبح الناس لما هم فيه من بلاء وضمك في العيش يتمنون الموت ولا يجدونه، كما في الحديث: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه" متفق عليه.

أحكام الشَّهَادَةِ

وفي رواية لمسلم: "والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على قبر الرجل فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء".

وهذا مدعاة لمن يتصدرون الفتاوى في هذا الزمان الذي اشتد فيه البلاء . والناس في ضنكٍ من العيش .. والقهر والذل .. لا يُطاق .. وقلَّ الصبر، إن لم يكن قد نفذ . أن يتقوا الله في العباد، وأن لا يجرئوهم على قتل أنفسهم بأنفسهم . في عمليات انتحارية محدودة الأثر، غير مأمونة النتائج والضحايا . تحت مسميات الاستشهاد .. وما هي من الاستشهاد في شيء، والله تعالى أعلم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1432/11/19هـ

أبو بصير الطرطوسي

2011/10/16م

فضل عشر ذي الحجة وما يتخللها من أعمال

فضل عشر ذي الحجة وما يتخللها من أعمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

ترغيباً في حسن استغلال هذه الأيام المباركة؛ أيام العشر من ذي الحجة، نذكر. على وجه الإيجاز . ببعض ما قيل في فضلها، وما ينبغي القيام به من أعمال في هذه الأيام المباركة.

قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الفجر:1-3. أي عشر ذي الحجة. والقسم هنا للتشريف وبيان الفضل.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾؛ قال صلى الله عليه وسلم: "العشرُ عشرُ الأضحى، والوترُ يومُ عرفة، والشَّفْعُ يومُ النحر".

وكذا فسر الشفع والوتر ابن عباس، وعكرمة والضحاك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام؛ يعني أيام العشر. قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء" البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ"، ويوم القر هو اليوم الحادي عشر، لإقرارهم في منى.

وقال صلى الله عليه وسلم: "أفضل أيام الدنيا أيام العشر"، قالوا يا رسول الله: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: "ولا مثلهن في سبيل الله إلا من عفر وجهه في التراب".

وفي رواية: "ولا ليالي أفضل من لياليهن".

فالجهاد درجات .. أعلاه الذي يخرج بنفسه وماله في سبيل الله، فلا يعود من ذلك بشيء .. فهذا لا يعدله شيء .. كما في الحديث، قالوا يا رسول الله: أي الجهاد أفضل؟ قال: "من عقر جواده وأهريق دمه".

فضل عشر ذي الحجة وما يتخللها من أعمال

سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو، يقول: اللهم أعطني أفضل ما تعطي عبادك الصالحين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إذن يُعقر جوادك وتُستشهد".

. في صيامها: كان من السلف من يحرص على صيام العشر كابن عمر، والحسن، وابن سيرين، وقتادة وغيرهم من أهل العلم.

لكن لم يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد صام العشر كاملاً، كما في صحيح مسلم، عن عائشة: "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صائماً العشر قط" أي كاملة.

لكن قوله صلى الله عليه وسلم " من صام يوماً في سبيل الله باعده الله وجهه عن النار سبعين خريفاً" متفق عليه. عام وشامل لجميع أيام السنة، ما لم يرد نص ينهى عن الصوم في يوم محدد كالعيد.

وفي سنن النسائي: "كان لا يدع صيام تسع ذي الحجة". وهو يوم عرفة.

قال صلى الله عليه وسلم: "صيام يوم عرفة؛ أحتسبُ على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة" مسلم.

وإذا كان يجب اعتزال المعاصي في أي وقت .. فإنه يتعين أكثر في يوم عرفة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "يوم عرفة من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له".

. في قيامها: كان سعيد بن جبير، إذا دخل العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه، وروي عنه أنه قال: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، تعجبه العبادة.

. الإكثار من الذكر: قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ الحج:28. وهي الأيام العشر.

فضل عشر ذي الحجة وما يتخللها من أعمال

وفي الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثرُوا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد". والحديث يشمل مطلق العمل الصالح، إلا أنه خص منها الذِّكْر " التهليل والتكبير والتحميد ".

" لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله ".

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

" الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد ".

الأضحية وما يتعلق بها من أحكام: قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ الكوثر:2. وهي صلاة العيد،

والأضحية بعده.

قال صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل العشر، وعنده أضحية، يريد أن يضحي، فلا يأخذن شعراً ولا يقلمن ظفراً" مسلم. وفي رواية: "إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئاً". وقوله صلى الله عليه وسلم: "وأراد أحدكم"، يفيد عدم الوجوب، وأنها سنة مؤكدة .. وكان أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما أحياناً لا يُضحيان خشية أن يظن الناس أنها واجبة.

تُذبح بعد صلاة العيد وليس قبلها، قال صلى الله عليه وسلم: "من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين".

يجوز تأخيرها إلى ما قبل مغرب آخر أيام التشريق " 13 " ذي الحجة.

كما يجب أن تكون سالمة من العيوب، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يجوز من الضحايا أربع: العوراء البين عورها، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقي". الهزال المزيل للمخ في عظامها، فلا تقوى على الحركة كقرينتها. (النقي: المخ).

البقرة والبعير يشترك فيه السبعة أنفار فما دون وليس أكثر: "فقد روى الإمام أحمد، عن حذيفة رضي الله عنه قال: "شرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته بين المسلمين في البقرة عن سبعة"،

فضل عشر ذي الحجة وما يتخللها من أعمال

وعن جابر رضي الله عنه قال: "اشتركتنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة كل سبعة منا في بدنة، فقال رجل لجابر: أيشترك في البقرة ما يشترك في الجزور؟ فقال: ما هي إلا من البدن " رواه مسلم.. وروى الطحاوي في شرح معاني الآثار، عن أنس رضي الله عنه، يحكيه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يشتركون السبعة في البدنة من الإبل، والسبعة في البدنة من البقر".

لا يجوز بيع شيء من الأضحية: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ، وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجَلَّتْهَا، وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجَزَارَ مِنْهَا" مسلم.
والحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1432/12/01 هـ

2011/10/28 م

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

" مقالة في السياسة الشرعية "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

الفقه الذي يُقال عندما تكون البلاد ومن فيها ملكاً للفرد الطاغية .. يتخذها لنفسه كما يتخذ المرء مزرعة من البقر والغنم لنفسه .. يتحكم بخيراتها وثرواتها، وبالداخل إليها والخارج منها .. كيفما يشاء ويهوى .. وفيه يخدم قانونه وحكمه .. يختلف عن الفقه الذي يُقال عندما تعود البلاد لأهلها .. الجميع شركاء في سرائها وضرائها .. وثرواتها!

الفقه الذي يُقال في أجواء الحرب، والاستبداد والإرهاب الذي يمارسه الطاغية ضد شعبه .. حتى يصبح الشعب، وكأنه في سجنين: سجن خاص لمن يعترض .. وسجن عام لمن يسكت .. وهو الوطن .. جميع مساحة الوطن ... الفقه الذي يُقال في هذه الأجواء يختلف عن الفقه الذي يُقال في أجواء السلم .. والسلام .. والأمن والأمان.

الفقه الذي يُقال في أجواء الكبت والاستعباد، والخوف والتقية .. يختلف عن الفقه الذي يُقال في أجواء الحرية .. والتحرر من الخوف .. والعبودية للطواغيت.

الفقه الذي يُقال في الأجواء التي يستحيل فيها تحصيل الحقوق، وصون الحرمات .. إلا بعد نوع حرب وقتال .. يختلف عن الفقه الذي يُقال في الأجواء التي يمكن فيها تحصيل الحقوق .. عن طريق الكلمة .. والحوار .. والرفق.

الفقه الذي يُقال في الأجواء التي تستطيع فيها أن تنجز شيئاً حقيقياً لأمتك وإسلامك .. وأهلك .. يختلف عن الفقه الذي يُقال في الأجواء التي تكون فيها مجرد حجر على رقعة يحركها الطاغوت ومخابراته، وأزلامه كيفما يشاؤون، وفي الاتجاه الذي يريدون!

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

الفقه الذي يُقال في الأجواء التي يُصدر فيها خطابك الشرعي للناس .. وتُجرّم لأجله .. ويُحال بينك وبين الناس بقائمة من الإجراءات التعسفية الظالمة .. يختلف عن الفقه الذي يُقال في الأجواء التي تختفي فيها الحواجز والموانع .. والإجراءات التعسفية الظالمة .. التي تحيل بين دعوتك وبين الناس!

إذ لكل من الحالتين فقهها وحكمها والطريقة التي تناسبها في التعامل .. المختلفة عن الأخرى ..

فلا يخلط بينهما .. ويُساوي بينهما في الحكم والموقف والمعاملة .. إلا ظالم أو جاهل!

وبالتالي لا حديث هنا عن التراجع والمراجعات .. عندما نعطي كل ميدانٍ حكمه وحقه .. المختلف عن الميدان الآخر .. إذ أن من الناس وللأسف، ممن يفسرون الأشياء كلها . على ما بينها من تنوع واختلاف . تفسيراً واحداً .. ويتعاملون معها بطريقة واحدة .. وينظرون للأمور من زاوية واحدة وحسب .. يعتبرون كل خروج على تفسيرهم .. وطريقة تعاملهم .. هو من النكوص والتراجع .. بينما الأمر على حقيقته ليس شيئاً من ذلك .. وإنما هي النوازل .. التي تحتاج إلى مواجهة وترجّل .. ونوع فقه واجتهاد.

لا يمكن أن نستمر في الهروب إلى عدّ الممنوعات والمحظورات عن الناس .. من دون أن ندلهم على البديل .. ويكون هذا البديل ممكناً ومشروعاً، وواقعياً!

سهل أن نقول للناس هذا لا يجوز .. وهذا ممنوع .. ثم ندعهم في منتصف الطريق يتخبطون .. ويختلفون .. ويتخاصمون .. ويتفرقون في أحزاب وشيخ شتى .. لكن الصعب .. الذي يحتاج إلى علمٍ .. واجتهاد .. وفقه .. وتقوى .. هو أن تدلهم على البديل الممكن .. والمشروع .. الذي يحفظ لهم سلامة دينهم ودنياهم معاً.

فإن علم هذا الذي تقدم، **أقول:** قد وردني هذا السؤال .. من أطراف عدة .. تنتمي إلى البلاد التي عاشت تجربة الثورات على الطغاة وأنظمتهم الظالمة الفاسدة المستبدة، خلاصته يقول: كنا قبل الثورة .. نشعر بأن البلاد ليست بلادنا .. وإنما هي ملك للطاغية وحزبه وأسرته .. قاتلنا فقاتلناه .. وأعلن علينا الحرب .. واستحل حرماننا .. فأعلننا عليه الحرب والجهاد .. ودافعنا عن أنفسنا وديننا وحرماننا .. إلى أن فتح الله بيننا وبينه بالحق .. وانتصرت الثورة .. وعادت البلاد إلى أهلها وأصحابها ..

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

وما كان مستحيلاً في عهد الطاغية .. أصبح الآن ممكناً عن طريق الكلمة .. وبشيء من الرفق .. والحكمة .. والسياسة .. والكياسة يمكن إنجاز وتحقيق الشيء الكثير للبلاد والعباد ... فماذا نفعل .. وبماذا تنصحنا .. فهل نبقى على طريقتنا الأولى في المعاملة كما كنا قبل سقوط الطاغية ونظامه .. أم ينبغي أن تتغير طريقتنا في التعامل مع الناس والمجتمع .. بما يتناسب مع المستجدات، والمساحات الحرة والواسعة .. التي تحققت ما بعد الثورات؟

هذا سؤال وجيه .. وملح .. يُطارد العلماء والدعاة العاملين .. لا يمكن أن نهرب من الإجابة عنه إجابة شرعية واقعية وعملية .. بإصدار قائمة من الممنوعات والمحظورات . ثم نغطي رؤوسنا في التراب . من دون أن نرشد الناس إلى البدائل الممكنة والمشروعة .. فالإسراع في اللجوء إلى قائمة الممنوعات والمحظورات فنُّ الكل يتقنه .. يسهل امتطاؤه على كل أحدٍ .. ليس فيه شيء جديد فيم يخص النوازل التي تتعرض لها الأمة!

كذلك لا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال الكبير على طريقة أهل التفريط والجفاء .. كل شيء يجوز وحلال .. فلا تكاد تجد عندهم شيء اسمه حلال وحرام .. وإنما حلال وحلال .. أيضاً هذا لا يجوز .. ولا يحل المشكلة .. وإنما يزيدا تعقيداً!

إذاً لا بد من التفصيل

وأنا من جهتي أستعين بالله وأجتهد وسعي .. وأدلي بدلوي .. فإن أصبت فمن الله تعالى وحده .. وإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله .. وعزائي أنني اجتهدت .. وما أردت إلا خيراً .. سائلاً الله تعالى السداد والتوفيق.

وكم كنت أتمنى أن أدارس هذه المسائل والنوازل المستجدة الهامة .. مع بعض الإخوان الأفاضل من أهل العلم .. ليكون لنا فيها رأي واحد مشترك .. لنمنع الخلاف والقييل والقال فيم بين الشباب .. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38. لكن سجون الطغاة وزنازينهم، ومخابراتهم .. وحواجزهم .. قد حالت بيني وبين رغبتى هذه .. الله المستعان.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

أختصر الجواب عن السؤال الوارد أعلاه في النقاط التالية:

- 1- اعلّموا أن لساحات الحرب وميادينها .. أحكامها وفقهها .. ولساحات السلم، والسلام .. والأمن والأمان .. أحكامها وفقهها .. ولا يخلط بين الساحتين .. ومن ثم بين الفقهين إلا جاهل أو ظالم.
- 2- ما يمكن إنجازه وتحصيله من الحقوق والمصالح الدينية والدنيوية عن طريق الكلمة .. والحوار .. والرفق .. لا يجوز حينئذٍ العمل على تحصيله عن طريق القتال، والعنف والشدة .. فإن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويجازي عليه ما لا يجازي على العنف والشدة .. والرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزِعَ من شيء إلا شأنه.
- 3- كما أنك لا يجوز أن تتخلى عن بيتك .. ولا تعمل على تدميره .. لوجود نوع خراب فيه .. يمكن إصلاحه بقليل من الجهد .. كذلك البلاد عندما تعود لأهلها .. تعود لأصحابها .. تعود للشعوب .. لتصبح هي المسؤولة عنها بدلاً من فرد الطاغية .. لا يحسن بك حينئذٍ أن تتخلى عنها .. أو تعمل على تدميرها وخرابها .. لوجود نوع خلل فيها .. أو تقصير .. أو شرّ هنا وهناك .. يمكن علاجه وإصلاحه بشيء من الصبر، والرفق، والسياسة الشرعية .. وبخاصة في المراحل الأولى التي تعقب الثورات؛ حيث أن الشعوب تكون حديثة عهدٍ بالطواغيت وأنظمتهم الفاسدة المستبدة .. فكل شيء جديد عليهم .. يحتاجون منك أن تتعامل معهم بمزيد رفق .. ودراية .. وفقه .. وإقالة للعثرات ما أمكن لذلك سبيلاً.
- ليس لأدنى خللٍ أو تقصيرٍ تراه .. أو مجرد تصريح . عبر وسائل الإعلام . تسمعه من منافق متسلق .. تُصاب بالاحباط .. وتحكم على الثورات بالفشل والموت .. والضيق .. وتعلن الإفلاس .. والهروب من مواجهة الواقع ومستحقاته .. لتواجهه فيم بعد بلغة القوة والسلاح .. فتفسد أكثر مما تُصلح!
- 4- اعلّموا أن شعوبنا محبة للإسلام .. محبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .. بقليل من الجهد والاجتهاد .. والدعوة الصادقة المخلصة .. والغيرة على مصالحهم .. تعود . بإذن الله . إلى دينها ورشدها .. ويتطهرون من ذنوبهم التي ورثوها واكتسبوها من الطغاة الظالمين المفسدين .. وحملوهم عليها حملاً

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

بفعل مكر الليل والنهار الذي كانوا يمكرونه .. وبالتالي ليس من الحكمة .. أن تصنعوا من الشعوب أعداءً لكم .. أو أن تفتعلوا معهم معارك أنتم بغى عنها .. ما ألزمكم بها نقل ولا عقل.

عندما يكون هناك نوع خلاف مع شرائح من الناس والشعوب .. يختلف حينئذٍ الحديث .. وتختلف المعاملة والأساليب .. مما لو كان الخلاف مع الطغاة الأثمين المجرمين المستبدين .. إذ لكلٍ منهما الطريقة المثلى والمختلفة في التعامل معه .. فهما لا يستويان مثلاً .. وبالتالي لا ينبغي أن يستويا في النظرة والمعاملة .. لا بد من أن يكون هذا واضحاً.

الإسلام جاء بتحطيم الطواغيت الظالمين .. وتحطيم أنظمتهم وحواجزهم التي تحيل بينه وبين الناس .. فإن خلي بينه وبين الناس .. وزالت الحواجز .. وتحطمت عروش الطواغيت الظالمين وأنظمتهم .. اختلفت المعاملة .. واختلفت الطريقة .. ووضعت الحرب أوزارها .. وقيل للناس: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ البقرة:256. وقيل لهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلْمَهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ يونس:108.

5- اعلّموا أن التوحيد خط أحمر، لا يجوز الاقتراب منه بما يناقضه .. كما لا يجوز أن يخضع . عند التزاحم واستحالة التوفيق . لقاعدة الترجيح والمفاضلة بينه وبين ما سواه .. ثم التماس أكبر المصلحتين .. واجتناب أكبر المفسدتين .. لأن تحقيق التوحيد الخالص أكبر المصالح على الإطلاق .. الذي لا توازيه ولا تفضله مصلحة .. فهو غاية الغايات .. التي ترخص في سبيله كل الغايات والمقاصد، والوسائل .. كما أن ما يضاده من الشرك الأكبر هو أكبر المفسد على الإطلاق، الذي لا توازيه ولا تملوه مفسدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿النساء:48﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الحج:31.[199].

وما سوى ذلك . عند التزاحم واستحالة التوفيق أو تمرير الجميع . فإنه يخضع لقاعدة النظر في المصالح والمفاسد .. ومن ثم الترجيح بين المصالح، والمفاسد؛ فنقدم أكبر المصلحتين على ما دونها، وندفع أكبر المفستتين أو الضررين بأصغرهما، وفق قواعد وترجيحات الشريعة.

6- وعليه فإني أقول: جميع المناصب والمراكز الإدارية التنفيذية العملية .. الخدماتية .. والتربوية .. قابلة للنظر والموازنة بين مصالح القيام بها، ومفاسد تركها واعتزالها .. فإن وجد الصالح والطلّاح .. وكان الصالح قادراً على تمرير الخير وتعطيل الشر .. وليس مجرد كرسي موظف من قبل الطاغوت .. فيُقدّم حينئذٍ الصالح على الطّالّح .. بما في ذلك منصب رئاسة الدولة إذا وجد الرجل الصالح الكفؤ القوي .. فهو منصب إداري تنفيذي توجيهي هام وحساس جداً .. يملك صاحبه كثير من الخصائص والحقوق .. لا يمتلكها غيره .. تمكنه . إن كان صالحاً . من تمرير كثير من الخير .. لا يمكن لغيره أن يمرره .. كما يمكنه تعطيل كثير من الشر، لا يمكن لغيره أن يعطله .. فلو ترك هذا المنصب الهام والحساس للمفسدين الأشرار .. لمرروا كثيراً من الشر .. وعطلوا كثيراً من الخير .. مستغلين ما يمنحهم المنصب من صلاحيات وخصائص، لا تُمنح لغيرهم.

لأجل ذلك . ولشهادة العدول من العلماء والدعاة في الرجل خيراً . نصحت أهلنا وإخواننا في مصر بأن يقفوا بجوار الأخ الأستاذ " حازم صلاح أبو اسماعيل "، في ترشحه لرئاسة مصر .. وأن ينصروه بما يلزم ويمكنه من تسلّم واستعلاء هذا المنصب الحساس والهام .. وأن يقفوا بجواره ناصحين وناصرين

¹⁹⁹ هذا لا يتعارض مع ما استنتجته الشريعة في أجواء الإكراه والتقية .. والحرب .. وما يجوز من رخص في تلك الأجواء .. فهذه مسألة مختلفة .. لا ينبغي أن نقحمها هنا .. حيث قد بحثناها في كتابنا " المفاهيم " وغيره، فانظرها هناك إن شئت.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

.. وبخاصة أن البديل عنه . كما هو معلى ومعلوم . تجتمع فيه كثير من خصال الشر والباطل .. التي تجر الولايات والفساد، والخراب على مصر وأهلها!

عندما تكون البلاد .. وكذلك العباد .. حديثو عهد بحكم الطاغوت الهالك الذي استمر حكمه لعقود عدة .. ينبغي أن لا تتوقعوا سهولة انتقال الأوضاع إلى حكم راشد عادل كامل يخلو من النواقص .. والهفوات .. والثغرات .. في أيام معدودات .. ومن دون مواجهة مشاكل وعقبات جسام .. فمن كان يتوقع ذلك فهو واهم، لا يعيش واقعه .. ولا يفقه السنن .. لكن هذا الواقع لا يبرر لنا الهروب والانسحاب .. والعكوف في زوايا المساجد .. ليقصر عملنا على الوعظ والتربية .. وترك الساحة ليفسد المتنفذون الحاكمون في ساعة ما نبنيه ونربيه في سنة!

ليس من الفقه ولا الحكمة .. ولا السياسة الشرعية، أن نقوم نحن بالثورات .. وتكون منا التضحيات .. ثم بعد ذلك نقول للأشرار: تفضلوا اقطفوا الثمار.. وقودوا السفينة .. واحكمونا والبلاد كيفما شئتم .. وبالقانون الذي تشاؤون .. فلن يزاكمكم أحد على ذلك!

فإن قيل: هذا في المهام والمناصب التنفيذية الإدارية .. فما بال المناصب التشريعية النيابية .. كيف نتركها . على أهميتها . للأشرار!؟

أقول: لا يمكن أن نمارس نحن الربوبية على الناس؛ فنحلل لهم الحرام، ونحرم عليهم الحلال .. كما لا يمكن أن نسمح أو نقبل من الآخرين أن يمارسوا الربوبية علينا وعلى الناس .. فيحلون لنا وللناس الحرام، فنتبعهم ونطيعهم في ذلك .. ويحرمون علينا الحلال، فنتبعهم ونطيعهم في ذلك؛ لأن هذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد .. وقد بينا من قبل أن التوحيد لا يمكن الاقتراب منه بما يُسيئه أو يُنافيه مهما كانت المصالح من وراء ذلك .. كما أن فيه تعبيد العبيد للعبيد .. وهو يتنافى كلياً مع شعار الحرية الذي ترفعه الشعوب!

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

قال تعالى عن الأمم التي قبلنا من اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31. وذلك لما جعلوا لهم خاصية التشريع والتحليل والتحريم من دون الله، فاتبعوهم وأطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله .. فذلك كان اتخاذهم إياهم أرباباً من دون الله. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64. هكذا ينبغي أن يكون خطابنا مع أنفسنا ومع الآخرين: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ، لا يتخذ بعضنا بعضاً مشرعين، نشرّع ونحلل ونحرم من عند أنفسنا ما نهوى وما نريد، من دون سلطان من الله .. إذ خاصية التشريع والتحليل والتحريم هي لله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:26. وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ يونس:59. أي أن التحليل والتحريم هو حق خالص لله تعالى وحده .. لا يجوز لأحد أن يتجرأ على شيء من ذلك من غير إذن من الله .. ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ ؛ أي كيف تتجرأون على التحليل والتحريم من عند أنفسكم .. من أذن لكم .. من أعطاكم هذا الحق .. وصاحب هذا الحق لم يأذن لكم ..!؟

وقال تعالى: ﴿وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام:121. أي وإن أطعتموهم في تحليل ما حرم الله فإنكم مشركون .. مشركون في اتخاذكم إياهم مشرعين لكم يحللون ويحرمون لكم من دون الله .. ومشركون في طاعتهم في تحليل ما حرم الله .. وفي ذلك رد صريح لحكم الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ الرعد:41. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:65.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

فإن قيل: ما العمل، وما هو البديل .. إذ أيضاً ليس من الدين والإيمان .. ولا من السياسة الشرعية .. أن نسلم هذا الأمر الهام للمجرمين الأثمين، لينفردوا به من دون الصالحين ..؟! **أقول:** لا بد من تعبئة الأمة والشعوب وحملها على المطالبة بتحكيم شرع الله تعالى .. واعتماد جميع الوسائل الممكنة والمشروعة من أجل تحقيق ذلك.

لا بد للشعوب المسلمة من أن تعمل جاهدة .. تخرج بمظاهرات مليونية .. واعتصامات دائمة .. كما تفعل ذلك لأمرٍ هي أقل أهمية من موضوعنا هذا .. تُطالب فيها بتثبيت مادة سيادية في الدستور، غير قابلة للتغيير، تقول: "الشرعية الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع". فإن أصروا على صيغة: "الشرعية الإسلامية هي المصدر الأساس للتشريع"، على اعتبار أن هناك قوانين إدارية وتنظيمية تركت لاجتهاد الإنسان وتقديراته .. تُردف هذه المادة مباشرة بمادة أخرى تقيدها، تقول: "وأما قانون يتعارض مع شرع الله تعالى فهورد".

الشعوب القادرة . بإذن الله وعونه وتوفيقه . على إسقاط الطغاة وأنظمتهم وعروشهم .. قادرة على تمرير وتثبيت قانون ينص على أن الشرعية هي المصدر الوحيد للتشريع.

نجد كثيراً من الشعوب في تجاربهم النيابية والسياسية .. يتفقون فيم بينهم على مواد أساسية سيادية في الدستور غير قابلة للتغيير، هي أقل قيمة بكثير من مادة الشرعية المشار إليها أعلاه .. فعلاهم يقدرون على تثبيت تلك المواد على قلة أهميتها في الدستور .. على أنها مواد سيادية ثابتة .. ثم شعوبنا المسلمة .. بعشرات .. ومئات ملايينها .. لا تستطيع أن تثبت مادة سيادة حاكمة الشرعية .. كما هو وارد أعلاه.

لا بد من العمل بكل طاقاتنا .. وعبر جميع الوسائل الممكنة والمشروعة .. من أجل تحقيق هذا الهدف، والمطلب النبيل العظيم.

الثورة تنقسم إلى جولتين: جولة يتم فيها إسقاط الطاغوت، ونظامه، وفساده وظلمه .. وجولة ثانية تليها مباشرة يتم فيها إحقاق الحق، وإقامة العدل بتحكيم شريعة رب العالمين .. في شؤون البلاد

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

والعباد .. والثوار الذين ينجحون في الجولة الأولى، لا بد . بإذن الله إن وجدت العزيمة الصادقة . من أن ينجحوا في الجولة الثانية .. وبخاصة أن مطلب الشريعة .. هو مطلب الأكثرية العظمى من الشعوب التي تعيش في بلاد العرب والمسلمين.

أن تنجح الشعوب في الجولة الأولى دون الجولة الثانية .. هذا يعني أن ثورتها ليست ثورة كاملة، وإنما هي نصف ثورة .. ومصالح البلاد والعباد لا تقوم بأنصاف الثورات .. ويعني كذلك أن النصف الأول من الثورة الذي حققه قد استثمر لصالح المنافقين، والظالمين المفسدين الذين لا يريدون خير الشعوب .. الذين ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ النساء:61.

فإن قيل: ما قيمة هذا القانون أو المادة إذا نص عليه في دستور الدولة ..؟

أقول: هذا يعني الكثير .. يعني تحكيم شرع الله .. يعني تحقيق التوحيد في الحكم .. ويعني انتفاء الأرباب الذين يزعمون الربوبية لأنفسهم من دون الله .. والذين يفرضون أنفسهم على البلاد والعباد كأرباب ومشرعين من دون الله!

يعني أن الجميع يعمل ويتحرك ويجتهد تحت سقف الشريعة .. وفيما لا يخالف الشريعة! يعني أن جميع النواب يكون عملهم حينئذٍ بين الاقتباس من أحكام الشريعة .. أو الاجتهاد في النوازل على ضوء أحكام الشريعة، وفيما لا يخالف الشريعة ..! يعني انتفاء الحرج والمحذور من وراء العمل النيابي .. وحينئذٍ الشعب كله يمكنه المشاركة في الانتخابات .. وفي فرز من يمثله من النواب الصالحين .. إلى المجالس النيابية .. أو مجالس الشعب .. أو الشورى .. أو المجلس التأسيسي .. فحينئذٍ لا مشكلة ولا مشاحة حول شيء من هذه الاصطلاحات. كما يمكن حينئذٍ كل من يرى في نفسه الكفاءة أن يُرشح نفسه للعمل النيابي .. ما دام الجميع يعمل تحت سقف الشريعة، ومنضبط بأحكام وقوانين الشريعة.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

لا بد لهذا الأمر أن يتحقق ابتداءً لتكون مشاركة الشعب شاملة وعادلة .. ويكون التمثيل شاملاً وعادلاً .. إذ من دون تثبيت هذه المادة . المشار إليها أعلاه . في الدستور .. يعني إحجام كثير من الناس عن المشاركة في أي انتخابات أو عملية تمثيل .. للسبب الأنف الذكر .. وبالتالي لا يمكن حينئذٍ عن الحديث عن عدالة التمثيل .. وشمولية التمثيل للشعوب!

كما لا يمكن . لمن يتحدثون عن إرادة الشعوب . أن يتجاهلوا .. رغبة وإرادة الأكثرية العظمى من الشعوب .. ثم بعد ذلك يزعمون زوراً أن أنظمتهم وقوانينهم تمثل الشعب وإرادة الشعب!

فإن قيل: ولكن هذه ديمقراطية .. ويعني الدخول في الديمقراطية .. وهو بخلاف المنهج الحق الذي تربينا عليه وندعو له؟!

أقول: لا تُحموا الديمقراطية في كل موضع .. وفي كل نازلة وشاردة وواردة .. وتجعلوا منها الشماعة التي تمنعنا من المضي نحو أهدافنا ومشاريعنا بيسر وسهولة بإذن الله.

من الناس . لغرضٍ وهوى في نفوسهم . ما إن تجهد في نازلة من النوازل .. ومستجد من المستجدات تطراً على الأمة .. إلا ويتصايحوا في كل وادٍ وناذٍ .. انظروا إلى فلان .. قد غير وبدل وانقلب إلى الديمقراطية .. يدعو إلى الديمقراطية .. قد دخل في الديمقراطية .. بعد أن كان قد حذر منها! ولهؤلاء نقول: على رسلكم .. لا تفرحوا .. ولا تسمتوا .. ففرحكم وشمتمكم سيرتد عليكم بالكآبة والنكد والندامة بإذن الله .. فنحن . بفضل الله تعالى وحده . لم نغير .. ولم نبدل قيد أنملة .. ونحن لا نزال على العهد وعلى منهجنا الحق الذي عُرفنا به منذ أن وعينا الحياة .. نسأل الله تعالى الثبات، وحسن الختام.

لقد تكلمت . في مؤلفاتي وأبحاثي . مراراً وتكراراً عن الديمقراطية ومعانيها، ودلالاتها ومحاذيرها .. وكان لي . بفضل الله تعالى . السبق في التحذير منها ومن مزالقها .. وأعيد هنا فأختصر الحديث عن الديمقراطية .. لتعرف على مواقفنا وأفعالنا واجتهاداتنا أين هي من مزالق الديمقراطية .. وأين هي من الحق .. من دين الله تعالى.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

الديمقراطية تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بالديمقراطية كعقيدة، ودين، وفلسفة .. تنص على أن الإنسان فوق الله .. وأن حكمه وإرادته فوق حكم وإرادة الله .. وأن الإنسان هو إله نفسه .. يتأله هواه .. وهو الإله المعبود في الأرض .. يحكم نفسه بنفسه .. ويشرع لنفسه بنفسه .. فما يراه حلالاً فهو الحلال، وما يراه حراماً فهو الحرام .. لا سلطان لله عليه .. له كامل الحق في أن يتصرف في نفسه، وماله .. كيفما يشاء .. وفي الاتجاه الذي يشاء .. لا يُسأل عما يفعل .. ولا ينبغي أن يُسأل، لأنه المالك الحقيقي لنفسه وماله من دون الله .. إلا فيم يحظره عليه القانون الوضعي الطاغوتي!

هذا الجانب العقدي الفلسفي من الديمقراطية . وهو الجانب الأهم والأساس منها . هو كفر بواج مخرج عن الملة .. ومن يقول بالديمقراطية ويدعو إليها بهذا المعنى الوارد أعلاه .. فهو كافر خارج من ملة الإسلام .. مهما تزيى بزي المسلمين .. وتسمى بأسمائهم .. فالإسلام والديمقراطية بمعناها الوارد أعلاه لا يلتقيان .. ولا تتراءى نارهما.

وأمریکا ومعها دول الغرب .. تريد تصدير هذا الجانب من الديمقراطية إلى المسلمين في بلادهم لسببين: أولهما أنه يطال المسلمين في عقيدتهم ودينهم .. ويردهم عن دينهم .. لو استقر هذا الاعتقاد في قلوبهم .. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة:217. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران:100. فالحذر الحذر، عباد الله.

ثانيهما: أن هذا الجانب العقدي الفلسفي الأهم للديمقراطية .. لو استقر في عقول وقلوب وحياة وواقع المسلمين وممارساتهم .. لا يُشكل أي ضرر أو تحدٍ لهم . أي لأمريكا ودول الغرب . من قبل المسلمين .. بل على العكس من ذلك فهو يزيد المسلمين ضعفاً وذللاً وهواناً .. كما يزيدهم تبعية لأمريكا ودول الغرب!

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

أما القسم الثاني من الديمقراطية: فهو القسم الذي يتعلق ببعض آلياتها ووسائلها في الحكم .. كالانتخابات .. والتصويت .. وتداول السلطة .. وحرية التعبير والنقد .. وتفعيل رقابة الشعوب والأمة على الحكام .. ونحو ذلك .. وهذه الآليات رغم أنها تمارس بطريقة خاطئة من قبل الديمقراطيين والأنظمة الديمقراطية .. تُسجّل عليها كثير من الملاحظات والمآخذ^[200] .. إلا أن من يتعامل مع الديمقراطية على هذا الأساس .. أو يأخذ من الديمقراطية هذا الجانب وحسب .. ويفهمها ويمارسها على هذا الأساس وحسب .. فهذا ليس كافراً، ولا يجوز أن يُحمل عليه حكم الكفر الوارد أعلاه .. لكونه قد مارس بعض ما يدخل في آليات ووسائل الديمقراطية .. كما لا ينبغي أن يُقال عنه بأنه ديمقراطي .. وداخل في الديمقراطية .. هكذا على الاطلاق .. بل من كان كذلك قد يصيب في مواضع، ويُخطئ في مواضع أخرى .. بحسب طريقة استخدامه لتلك الآليات والوسائل .. فيثنى عليه خيراً فيما قد أصاب فيه، ويثنى عليه شراً فيما قد أخطأ فيه، كما في الحديث: "فاشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء". بحسب ما يظهر لنا من كلّ منهما.

الانتخابات ليست هي الديمقراطية .. والوقوف في الطوابير للتصويت ليس هو الديمقراطية .. ومراقبة الشعوب للحكام ومن ثم محاسبتهم على ما فرطوا بحق البلاد والعباد ليس هي الديمقراطية .. كما يظن ذلك البعض! .. وإنما هي ممارسة لآلية من الآليات التي تعتمدها الديمقراطية، لها ما لها، وعليها ما عليها!

بل هذه الآليات ليست حكراً على الديمقراطية، والأنظمة الديمقراطية .. فهي مستخدمة في الأنظمة الديكتاتورية، كما هي مستخدمة في الأنظمة الديمقراطية .. كل منهما يستخدمها ويتلاعب بها بما يتناسب مع نظامه وطبيعته .. ومآربه .. وسياساته .. وأغراضه .. لذا في كثير من الأحيان لا تكون هذه الآليات معبرة تعبيراً صادقاً عن رغبة وإرادة الشعوب .. كما أنها لا تلبّي حاجته بطريقة عادلة وكما ينبغي .. وهذا من جملة ما يُؤخذ على هذه الآليات عندما تُستخدم من قبل هذا الفريق أو ذاك!

²⁰⁰ انظر كتابنا " حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية " إن شئت.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

وأمریکا ومعها دول الغرب .. تتحفظ كثيراً من توريد هذا الجانب من الديمقراطية إلى بلاد المسلمين .. وتتوجس منه ريبة .. خوفاً من أن يفرز لهم حكماً ونظاماً هم لا يريدونه .. وقادةً .. هم لا يريدونهم .. ولا يحققون لهم مصالحهم في المنطقة .. وبالتالي فهم إن عارضوهم وحاربوهم .. فسيظهرون على أنهم يحاربون ديمقراطيتهم التي يتشبعون بها .. ويعملون على تصديرها .. ويحاربون إرادة واختيار الشعوب .. وإن تركوهم وما يريدون .. ويختارونه .. خسروا مصالحهم في المنطقة .. لذا فهم في كثير من الأحيان . حتى لا يحصل شيء من ذلك . يتدخلون عبر وسائلهم العديدة والنافذة .. في ترجيح فوز فريق أو حزب يريدونه على حساب فريق أو حزب آخر لا يريدونه .. مما يُسيء لفاعلية وجودة ومصداقية تلك الوسائل المشار إليها أعلاه!

كما أنهم من الناحية العملية المصلحية .. أن يتعاملوا مع شخص الطاغية الديكتاتوري المستبد كفرد .. أهون عليهم، وأوفر لهم حظاً ألف مرة من أن يتعاملوا مع الشعوب بطريقة فيها ندية ومساواة ومكافأة .. ومكاشفة ومحاسبة .. فإن عرفت ذلك .. عرفت السبب الذي يحملهم . في كثير من الأحيان . على دعم الأنظمة الديكتاتورية المستبدة .. مع مناداتهم بالديمقراطية في آنٍ واحد!

فإن قيل: هل هذه الوسائل أو الآليات التي تعتمدها الديمقراطية . وغير الديمقراطية . والوارد ذكرها أعلاه .. هي كلها مذمومة في الإسلام .. أم أن هناك جانب منها ممدوح .. يمكن اعتماده وتطويره بما لا يتعارض مع مبادئ الحكم في الإسلام؟

أقول: هذه الآليات . وغيرها مما يحسن من الآليات والوسائل . أصولها موجودة في الإسلام .. لكن بسبب غياب الحكم الإسلامي .. وغياب التجارب المعاصرة للحكم الإسلامي .. ومحاربة التوجه الإسلامي السياسي من قبل الطغاة والأعداء .. وذلك منذ أكثر من مائة عام . بعد سقوط الخلافة العثمانية . أصاب الفقه الإسلامي ذي العلاقة بالسياسة الشرعية .. وطريقة حكم وإدارة البلاد نوع ضمور وقصور .. حتى ظننا أننا نفتقد الآليات الأنجع في حكم وإدارة البلاد والعباد .. وأن رصيدنا الإسلامي ضعيف في هذا المجال .. وهذا خطأ كبير لا ينبغي أن نقع فيه.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

نعود للسؤال الوارد أعلاه فنجيب عنه بإذن الله، **فأقول:** مبدأ الانتخاب والتصويت .. ومراعاة رأي الأكثرية فيم لا نص فيه .. له أصوله في ديننا الحنيف .. فخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حصلت بعد نوع انتخاب وتصويت .. فيم بين الصحابة الستة الذين حددهم عمر رضي الله عنه .. إضافة إلى عبد الله بن عمر كعنصر مرجح من دون أن يكون له الحق في الترشح للخلافة .. ومما أوصى به عمر رضي الله عنه الصحابة . وهو وينازع على فراش الموت : "فمن تأمر منكم من غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه !"

فحصلت تصفية فيم بين الصحابة الست .. فبعضهم تنازل لصالح عثمان، وبعضهم الآخر تنازل لصالح علي رضي الله عنهما .. حتى آل الأمر إلى عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .. فقام عبد الرحمن بن عوف . الذي فوض الأمر إليه في اختيار واحد منهما . يلتمس آراء ورغبة أهل وسكان المدينة فيمن يريدون؛ هل يريدون علي بن أبي طالب، أم عثمان بن عفان .. فكان الناس يجتمعون في تلك الأيام إلى عبد الرحمن يُشاورونه ويُناجونهُ، فلا يخلو به رجلٌ ذورأي فيعدلُ بعثمانَ أحداً، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة، حمد الله وأثنى عليه، وقال في كلامه: "إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان". وفي رواية: "أما بعد، يا علي، فإني نظرتُ في الناس فلم أَرهم يعدلون بعثمانَ، فلا تجلَعنَّ على نفسك سبيلاً، ثم أخذ بيد عثمان فقال: نبايعك على سنة الله وسنة رسوله، وسنة الخليفين بعده، فبايعه عبد الرحمن بن عوف، وبايعه المهاجرون والأنصار^[201]."

فهذه صورة من صور الحكم التي تدل على أن التصويت .. والانتخاب .. والتماس رغبة وإرادة الناس فيمن يريدون من الحكام .. لها أصولها في ديننا وتاريخنا الإسلامي .. فهي ليست بدعة من القول، وليس هي من المحدثات كما يظن البعض .. حتى إذا ما ذكرت لهم شيئاً عن الانتخابات والتصويت .. لسرعان ما رموك بأنك ديمقراطي .. وداخل في الديمقراطية!!

²⁰¹ تاريخ الخلفاء للسيوطي.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

كذلك العمل بمبدأ الشورى العظيم .. الذي جاء به الإسلام، وحض عليه في نصوص كثيرة .. فمن آليات التصويت .. والتماس رأي الأكثرية أو الأغلبية .. فيم ليس فيه نص، أو فيما لا يُخالف نصاً. وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، ولا تصعد إلى السماء، ولا تجاوز رؤوسهم: رجلٌ أمّ قوماً وهم له كارهون ..". وفي رواية: "أيما رجل أمّ قوماً وهم له كارهون، لم تجز صلواته أذنيه". فإذا كانت الصلاة أهم ركنٍ في الإسلام بعد شهادة التوحيد .. ينبغي أن يُراعى في إمام الجماعة رغبة ورضى الناس .. فما بالكم بما هو دون ذلك من شؤون الحكم والسياسة، والإدارة .. لا شك أن مراعاة التماس رغبة ومرضاة الناس من باب أولى.

وقال صلى الله عليه وسلم: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم .." مسلم. فدل حديث النبي صلى الله عليه وسلم على أن من العلامات التي يُفرّق فيها بين خيار أئمة الحكم من شرارهم .. هو بالنظر إلى مدى رضى الناس عن أولئك الأئمة، وحيهم لهم .. أو سخطهم وبغضهم لهم .. وبالتالي فإن التماس الحكام لمرضاة وحب الناس لهم، بخدمتهم، وحسن رعايتهم. فيم يرضي الله. مطلب من مطالب الشريعة .. وهو من السياسة الشرعية .. قبل أن يكون آلية من آليات ووسائل الديمقراطية أو غيرها .. وبالتالي فإن فكرة فرض الحاكم على الناس بالقوة والإكراه. كما يظن البعض! . هي ليست من الإسلام في شيء .. والإسلام منها براء!

. مبدأ رقابة الشعوب للحكام ومحاسبتهم ومساءلتهم: أيضاً هذا المبدأ لم تنفرد به الديمقراطية. كما يظن البعض! . بل الإسلام هو السباق له .. وقد جاء به بأحلى وأرقى صورته .. وقد سبق الديمقراطية وغيرها من الشعارات الوضعية. في هذا الشأن. سبقاً بعيداً.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
التوبة:71. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ؛ كل المعروف؛ المتعلق بالحاكم والمحكوم سواء، ﴿وَيَنْهَوْنَ

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ كل المنكر؛ المنكر المتعلق بالحاكم والمحكوم سواء .. وهذا يستدعي نوع مراقبة يقظة للشؤون العامة والخاصة سواء .. من المؤمنين والمؤمنات؛ كل المؤمنين والمؤمنات.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الدين النصيحة " قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا يغفل عنهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر.." [202]. والنصيحة للأئمة وولاة الأمر .. تتضمن العدل في الأمر، والنهي .. وإرادة الخير لهم .. وأطهرهم إلى الحق .. ومنعهم عن الظلم .. وهذا لا يتحقق إلا بعد حسن مراقبة ومتابعة من الأمة كلها .. كل بحسبه، وموقعه.

كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" [203].

وفي رواية: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر".

وفي رواية: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" [204].

وفي رواية "أحب الجهاد إلى الله؛ كلمة حق تُقال لإمام جائر" [205].

وقال صلى الله عليه وسلم: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره

ونهاه فقتله" [206].

²⁰² رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 1085.

²⁰³ صحيح سنن أبي داود: 3650.

²⁰⁴ صحيح سنن الترمذي: 1766.

²⁰⁵ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 168.

²⁰⁶ أخرجه الحاكم، السلسلة الصحيحة: 491.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم لمقام رقابة الشعوب لسلاطين الجور، ومحاسبتهم، ومساءلتهم، والصدع بالحق في وجوههم .. درجة أفضل الجهاد .. وأحب الجهاد .. وأعظم الجهاد .. وأنه شهيد، مع سيد الشهداء في الجنة .. لمن يُقتل على يد الظالمين بسبب موقفه هذا !..

وقال صلى الله عليه وسلم: "سيكونُ أمراءٌ من بعدي؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدْهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدْهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدْهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمانَ بعده" [207].

وقال صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا، هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراءٌ فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارِدٍ عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يُعِنْهم على ظلمهم ولم يُصدّقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه، وهو واردٌ عليّ الحوض" [208].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا إنَّها ستكون بعدي أمراءٌ يظلمون ويكذبون، فمن صدّقهم بكذبهم، ومالاهم [209] على ظلمهم، فليس مني، ولا أنا منه، ومن لم يُصدّقهم بكذبهم، ولم يُمالئهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه" [210].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن النَّاسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم اللهُ بعقابٍ" [211]. وغيرها عشرات الأحاديث النبوية التي تعزز لدى الأمة والشعوب عنصر الرقابة، والمحاسبة للحكام والأمراء.

²⁰⁷ صحيح موارد الظمان: 1298.

²⁰⁸ صحيح سنن الترمذي: 1843.

²⁰⁹ أي طاوعهم ووافقهم.

²¹⁰ أخرجه أحمد، صحيح الترغيب: 2244.

²¹¹ رواه أبو داود وغيره، صحيح سنن أبي داود: 3644.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

ولمَّا وُلِّي أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة، قام خطيباً بين الناس، فكان مما قال: "أيتها الناس، فإنِّي قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني .. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه، فإن عصيتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعة لي عليكم". أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو.. هو.. ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، يُطالب الناس، بأن يُراقبوه، ويُتابعوه .. وسيرته في الحكم .. فإن أساء أن يُقوموه .. وإن عصى اللهَ ورسولَه . حاشاه . أن لا يُطيعوه .. فأى معنى لمراقبة الأمة والشعوب لحكامها .. يوازي هذا المعنى العظيم .. الذي أشار إليه الصديق .. وحضَّ عليه الناس!

أما الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. صاحب شعار ومبدأ " من أين لك هذا؟! . فحدث عنه ولا حرج ... جاءت عمر برود من اليمن، ففرقها على الناس بُرداً بُرداً، ثم صعد المنبر يخطب وعليه حلّة منها (أي بردان) فقال: اسمعوا رحمكم الله. فقام إليه سلمان، فقال: والله لا نسمع، والله لا نسمع. فقال: ولم يا أبا عبد الله؟ فقال: يا عمر! تفضلت علينا بالدنيا، فرقت علينا برداً برداً، وخرجت تخطب في حلّة منها؟ فقال: أين عبد الله بن عمر؟ فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين! قال: لمن أحد هذين البردين اللذين علي؟ قال: لي. فقال لسلمان: عجلت علي يا أبا عبد الله، إني كنت غسلت ثوبي الخلق، فاستعرت ثوب عبد الله. قال: أما الآن فقل، نسمع ونطع^[212].

انظروا في التاريخ كله: القديم والحديث منه سواء .. وفي جميع الأنظمة السياسية الديمقراطية وغيرها .. هل تجدون نموذجاً يجسد مراقبة الشعوب ومحاسبتهم لحكامهم يرقى إلى مستوى هذا النموذج أعلاه .. ثم انظروا هل تجدون حاكماً يُصغي لأحد رعيته .. وهو في خطاب له على الملأ .. يحاسبه ويُسأله .. ويقول له: لا سمع ولا طاعة لك من أجل ثوب .. لماذا عليك بُردين .. بينما لكل واحد من رعيته برد واحد ..؟!

لذلك لما قلت أنفاً أن الإسلام كان له السبق في تقرير مبدأ مراقبة الشعوب ومحاسبتهم لحكامهم .. إذا ما بدر منهم أي تقصير .. فأنا أعني ما أقول .. والأمة الإسلامية إذا أرادت أن تمهض من كبوتها ..

²¹² أخبار عمر، علي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، ص 161.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

وتستأنف عزتها من جديد .. ودورها الريادي في قيادة الأمم والشعوب .. لا بد من أن تحيى في الشعوب من جديد روح المراقبة والمحاسبة، والمساءلة للحكام إذا ما بدر منهم أي تفريط .. لا بد من أن نعزز في الشعوب دورهم . الذي شرعه الله لهم . في مراقبة الحكام، ومساءلتهم، ومحاسبتهم!
لا يمكن أن نحظى بحكام يحكمون بالعدل، والحق .. ثم الشعوب عنهم . وعن سيرتهم في الحكم . ساهية لاهية.

إن سهو الشعوب عن مراقبة حكامهم ومساءلتهم، يجعل من الحكام طغاة متكبرين ومتجبرين وإن لم يكونوا في الأساس كذلك^[213].

. مسألة التداول على السلطة: بمعنى تحديد فترة زمنية معينة لحكم الحاكم .. يتم بعدها ترشيح حاكم آخر من قبل الأمة .. **أقول:** هذه المسألة من النوازل التي تقبل الاجتهاد والنظر، وأن يكون لعلماء الأمة فيها رأي .. وتوجيه المسألة من جهتي كالتالي:

1- يستمر حكم المهدي عليه السلام حين ظهوره، وكذلك عيسى عليه السلام حين نزوله .. طيلة حياتهما لورود النص في ذلك.

2- يستمر حكم الخليفة العام للمسلمين . المنتخب عن طريق الشورى واختيار المسلمين . في جميع أقطارهم وبلدانهم في حال قيام خلافة راشدة . بإذن الله . طيلة حياته قياساً على حكم الخلفاء الأوائل للأمة، ما لم يخل بشرط من شروط الحكم والاستخلاف .. مع وجود آلية عملية وقانونية . يتفق عليها علماء الأمة ومن معهم من أهل الحل والعقد . تسهّل عملية إقالته في حال أخل بشروط بقائه كحاكم وخليفة .. أو كان في إقالته مصلحة راجحة على بقائه .. من دون إراقة دماء .. ولا صدام مسلح بين

²¹³ كثير من طغاة الحكم المعاصرين .. تنص دساتيرهم وقوانينهم الباطلة على أن الحاكم فوق المساءلة والمحاسبة .. مهما بدر منه من ظلم أو تقصير .. وأيما مساءلة له تعرض السائل للعقوبة والسجن والتنكيل .. وربما يُرمَى بالخيانة العظمى للوطن .. فإذا عرفتم ذلك .. عرفتم سبب طغيان هؤلاء الحكام .. وعرفتم سبب التخلف والظلم والذل والفقر الذي أصاب الشعوب .. ولا بد من أن نتحرر من كل هذه القيود، بإذن الله.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

الحاكم وسلطاته وبين الشعب .. فنضمن بهذه القيود استقرار الخلافة، واستتباب حكمها ودوامه .. كما نضمن إقالة الخليفة بصورة حضارية ميسرة من دون أدنى إراقة للدماء أو صدام مسلح في حال أخلّ بشرط من شروط بقائه كحاكم وخليفة.

3- حاكم ولاية أو قطر من الأقطار. سواء كان هذا القطر مستقلاً أو تابعاً لدولة الخلافة . فهذا لا أرى مانعاً من تحديد فترة زمنية معينة لحكمه .. تقدر بخمس سنوات تزيد أو تنقص .. قابلة للتمديد لو اختاره الشعب ثانية .. فهذا أدوم للود بين الحاكم والمحكوم .. كما أنه أقطع لخلق الطغيان والاستبداد من أن يتسلل للحاكم .. وبخاصة أننا نعيش في الزمان الذي فقدت فيه الأمانة .. وفشا فيه الكذب .. وضعفت فيه الثقة بالناس .. حتى يُقال في بني فلان .. في قبيلة كذا وكذا .. رجل أمين واحد شدوا إليه الرحال .. وبالتالي لا يصح عقلاً ولا نقلاً أن يُقاس زماننا بكل جزئياته ومتطلباته .. على زمن النبوة الأعظم والأشرف والأطهر .. أو زمن الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا بالاعتداء بهم، وبسنتهم.

فليس كل ما يُقال في زمانِ الصدق، والأمانة، والوفاء فيه هو الأصل .. وما سواه فهو شاذ واستثناء .. يُمكن أن يُقال في زمانِ الكذب، والغدر، والخيانة، وضياع الأمانة فيه هو الأصل .. وما سواه فهو شاذ واستثناء!

أتوني برجل يرقى إلى كعب أبي بكر، وعمر .. لنقول له: احكمننا الدهر كله .. فلا ضير عليك .. ولكن أتى لنا بهذا؟!!

قال صلى الله عليه وسلم: "يُصبح الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يؤدي الأمانة، فيُقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يُقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة" [214].

²¹⁴ أخرجه الطبراني وغيره، السلسلة الصحيحة: 1739.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

وقال صلى الله عليه وسلم: "أول ما يُرْفَع من الناس الأمانة .." [215].

وقال صلى الله عليه وسلم: "خير النَّاسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسحوا الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يُسْتَشْهَد، ويحلف الرجل ولا يُسْتَحْلَف" [216]. وقد أصابنا نحن في زماننا من ذلك الشيء الكثير .. الله المستعان!

مع التأكيد على وضع آلية قانونية ممكنة وسهلة . يُتفق عليها بين أهل الحل والعقد . تمكن من إقالة الحاكم، واستبداله بحاكم آخر، لو أخل بشرط من شروط بقائه كحاكم طيلة الفترة المحددة له .. أو كان في إقالته مصلحة راجحة على بقائه.

4- ونحو ذلك رئاسة المحافظات .. ورئاسة البلديات .. ونحوها من المناصب الإدارية والخدماتية العامة .. لا مانع شرعاً من أن يتم فرز هؤلاء الرؤساء عن طريق الانتخاب والتصويت .. ورغبة الناس .. كما أنه لا مانع من تحديد فترة زمنية معينة لبقائهم في مراكزهم .. يُستبدلون بعدها بغيرهم .. لو أراد الناس ذلك .. بل لربما يكون هذا هو الأصوب، والأُنفع، والأدوم للود بين الحاكم والمحكوم .. وهو مطلب من مطالب السياسة الشرعية لا يمكن إغفاله.

لا بد من تفعيل مبدأ الشورى في حياة الناس .. ووضع الآليات السهلة التي تفعل الشورى في حياة الناس العامة منها والخاصة .. وفي جميع جزئيات حياتهم .. حتى تصبح الشورى ثقافة الجميع، ومظهراً حضارياً واضحاً من مظاهر حياة وسلوك الناس .. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38. وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران:159.

. مبدأ حرية التعبير والصدع بالحق: الإسلام كان له السبق في تقرير هذا المبدأ العظيم، ووضعه في مساره النافع الصحيح .. فحمل أتباعه على التحرر من مطلق الخوف من الطغاة الظالمين، وجندهم، وعلى أن يقولوا الحق أينما كانوا، لا يخشون في الله لومة لائم، فقال تعالى: ﴿أَتَخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ

²¹⁵ صحيح الجامع: 1575.

²¹⁶ صحيح سنن الترمذي: 1874.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ التوبة:13. وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
آل عمران:175.

وفي الحديث، عن عبادة بن الصامت، قال: "بايعنا رسول الله على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يمتنع رجلاً هيبته الناس أن يقول بحق إذا علمه؛ فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق" [217].

وقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم، من أنواع الجهاد، الجهاد باللسان، كما في الحديث: "إن المؤمن يجاهد بسيفه، ولسانه" [218]. بل عده أفضل الجهاد، كما في الحديث: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" [219].

وكما أن الإسلام حض أتباعه على الصدع بالحق، حذرهم من عواقب كتمان الحق والعلم والخير، وعدم الصدع به، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
البقرة:174.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار" [220].

وقال صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل آتاه الله علماً فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" [221].

²¹⁷ رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 168.

²¹⁸ أخرجه أحمد وغيره، صحيح الجامع: 1934.

²¹⁹ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 491.

²²⁰ صحيح سنن ابن ماجه: 213.

²²¹ رواه الطبراني، صحيح الجامع: 2714.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

وقال صلى الله عليه وسلم: "مثلُ الذي يتعلَّم العِلْمَ ثم لا يُحدِّثُ به، كمثلِ الذي يكثرُ الكثرَ ثم لا يُنفِقُ منه" [222].

وهذا لا يعني أن يُطلق العنان . تحت زعم ومسمى الحرية والديمقراطية كما يفهم ذلك بعض الشواذ والملحدين المجرمين . للسان ليقول الكفر البواح .. أو يشتم الله والأنبياء والرسل .. أو يقذف الأعراس، ويسب الأمهات والآباء بأقبح الألفاظ وأشنعها .. لا .. وألف لا .. فهذا الشركه قد منع منه الإسلام .. وحذر من عواقبه .. وعاقب عليه .. وهو لا يدخل في الحرية التي يدعو إليها، ويلزم بها الناس .. لأنها ليست حرية حقة شريفة .. وإنما هي شذوذ ومرض، وأذى وشر.

إن من الشواذ والمرضى .. تركوا المساحة الأوسع والأرحب لحرية التعبير .. المعنية بالعلم، والبناء .. وبكل خير، وما هو نافع للبشرية جمعاء .. وعكفوا على القبيح الممنوع منه .. كالطعن والاستهزاء بالله، وآياته، وبأنبيائه، ورسله .. فلم يجدوا أنفسهم .. ولا حريتهم .. ولا شخصياتهم المريضة المعقدة .. إلا في هذا المستنقع الآسن النجس الخبيث .. وهؤلاء لا حرية لهم في المجتمع المسلم، ولا في دولة الإسلام .. لا حرية للمعاول عندما تريد أن تعمل عملها التخريبي في خرق السفينة لتغرقها ومن فيها من الناس!

فإن قيل: ولكن هذه الآليات التي أشرت إليها أعلاه .. لا تُمارَس، ولا تُطبق . في ظل الأنظمة المعاصرة . كما هي في الإسلام، وكما ضبطها الإسلام؟

أقول: هذا صحيح .. وفي بياني أعلاه حول هذه الآليات أردت أربعة أمور: أولها أن أبين أن هذه الآليات لها أصولها في ديننا الحنيف .. فهي ليست من البدع ولا المحدثات .. بل الإسلام كان له السبق في بيانها .. وبصورتها الأكمل والأحسن كما سبق بيان ذلك.

ثانيها: ليس لأدنى تشابه أو تلاقٍ في وسيلة أو آلية من الآليات بين الإسلام وبين الأنظمة والمذاهب السياسية الوضعية المعاصرة .. ومن ثم الإشارة لهذا التشابه .. يعني أننا ندعو لهذه المذاهب الوضعية .. أو أننا قد دخلنا فيها . معاذ الله . كما يفهم البعض .. ويُشيع البعض الآخر!

²²² رواه الطبراني، صحيح الترغيب: 118.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

ثالثها: كون هذه الآليات غير مطبقة جيداً كما هي في الإسلام .. هذا يستدعي منا أن نعمل على تطبيقها كما هي في الإسلام .. وأن نسعى من أجل ذلك .. وأن نهون على الناس فعل ذلك .. وشرح ذلك يطول، ولكن أضرب مثلاً هنا للبيان لا على سبيل الحصر: من المآخذ التي تُؤخذ على نظام الانتخابات المعاصرة، وكما هي تمارس في الأنظمة الديمقراطية .. أنها لا تميز بين أشد الناس إجراماً وإفساداً في الأرض، وبين الصالحين المصلحين .. فتساوي بينهما في التصويت .. وتقرير من يحكم البلاد والعباد .. وهي بذلك تعطي فرصة للأشرار المفسدين بأن يتسللوا ويحكموا البلاد والعباد .. لو غلبت أصوات الفجار الأشرار .. أصوات الصالحين الأخيار .. ونحن لكي نقلل من هذا الخطر .. وهذه الصورة السلبية للانتخابات .. يمكننا مثلاً أن نعتمد قانوناً ينص على أن كل من يُطعن في عدالته من خلال ارتكابه لجناية من الجنایات، وكبيرة من الكبائر .. وبعد حكم قضائي عادل .. تمنع من قبول شهادته شرعاً .. يُمنع من التصويت .. ومن الترشح والترشيح .. وبذلك نكون قد قللنا من خطر وأثر المجرمين المفسدين على هكذا قرار حساس يمس أمن وسلامة الأوطان!

خلاصة القول: أن هذه الوسائل بصورتها المطبقة في كثير من الأنظمة المعاصرة .. ليست مقدسة .. ولا هي من المسلمات التي لا تقبل النقاش ولا التعديل .. وبالتالي فإني أطلب جميع الأخيار من الساسة والمصلحين .. بأن يعملوا جادين مجتهدين .. على تطوير هذه الوسائل والآليات وتنقيحها حتى ترقى إلى المستوى المطلوب شرعاً وعقلاً .. وبصورة تخدم البلاد والعباد على الوجه الأكمل والأحسن.

رابعها: إمكانية التعامل مع هذه الآليات بصورتها الحالية .. والعمل على إصلاحها من الداخل .. ومن خلال ممارساتنا العملية .. وليست النظرية وحسب.

نتعامل معها لأن لها أصول في ديننا أولاً كما ذكرت .. ولأن هذا هو الممكن والموجود الآن .. فنستغل الممكن لتحقيق غير الممكن .. والزحف على المساحات المتعسرة، والتقليل منها .. ننطلق من الميسور لتحقيق المعسور .. وإزالة جميع معوقاته .. حتى يُصبح المعسور ميسوراً بإذن الله.

حتى يكون التمثيل عادلاً وشاملاً

فالميسور لا يسقط بالمعسور .. وما يمكن إنجازه لا يسقط بما يتعسر إنجازه .. واعلموا أن مدار الأمور والتكاليف كلها على قدر الاستطاعة .. لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. ولقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"، والحمد لله رب العالمين.

. تنبيه: الوسائل والآليات، والنظم الإدارية والتنظيمية التي لا نص على حرمتها .. الأصل فيها الإباحة .. وللمسلمين أن ينظروا منها لأنفسهم ودولتهم وحكمهم أحسنها .. ويردوا سيئها ورديتها .. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر:18.

وبعد، هذا الذي انتهى إليه اجتهادي في هذه المسألة النازلة الواردة في مطلع هذا البحث .. فإن أخطأت، فمن نفسي، وأستغفر الله العظيم .. وأن أصبت، فمن الله تعالى وحده، وله الحمد والمنة والفضل.

ثم إنني أعرض هذه الورقات على إخواني من أهل العلم وطلبته .. فإن وجدوها حقاً وصواباً، فليوقعوا عليها .. عسى الله تعالى أن يوحد بذلك الكلمة والجهود والصفوف فيما يخص هذه النازلة الملحة .. وإن وجدوا فيها غير ذلك .. فليقوموني .. ويسددوني بأدلة النقل والعقل، ولهم مني خالص الشكر، والدعاء ..

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1433/01/06هـ

2011/12/01م

قبل أن يقع المحظور نشير إلى جملة من الأمور

قبل أن يقع المحظور نشير إلى جملة من الأمور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

أرى أن السلاح قد انتشر بين أيادي الناس في سوريا .. وأنه سينتشر أكثر، فأكثر .. وأن العمل المسلح سيتوسع مع الأيام أكثر مما هو عليه الآن .. وأرى أنه يتعين عليّ . ناصحاً مشفقاً . أن أشير إلى جملة من الأمور، وقبل أن يقع المحظور:

فأقول للجميع: اتقوا الله في الدماء المعصومة، والحرمة المصانة .. لا تجمعوا على الشام، وأهل الشام سيفين: سيف الطاغوت، وسيفكم ..!

ليس المهم أن تحمل السلاح يا عبد الله .. أو أن تستعمله يمناً ويسرة .. وإنما المهم كيف تستخدمه .. وأين .. ومتى .. وأن تنظر إلى مآلات فعلك؛ من المستفيد منه، الطاغوت، أم الشعب السوري المسلم، وثورته المباركة ..؟!

فشأن الجهاد عظيم، لا يتقنه إلا الرجل المكّيث ..!

الجهاد في سبيل الله مبدأ عظيم .. وطريق مبارك .. والذود عن الحرمات، والأعراض هدف نبيل وعظيم .. لكن كل ذلك لا يبرر سفك الدم الحرام .. أو الاستهانة بحرمة الدماء .. فيكون مثلنا حينئذٍ .. كمن يزيل حراماً بحرام .. ومنكراً بمنكر مثله أو أكبر منه!

فالغايات النبيلة العظيمة .. لا تبرر الوسائل الباطلة المشينة!

كم من غاية نبيلة عظيمة .. أسيء إليها .. لما طلبت عن طريق وسائل خاطئة مشينة!

الجهاد كالصلاة، وغيرها من العبادات .. يُشترط . لقبولها . شرطان: الإخلاص، وحسن المتابعة للسنة، وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خذوا مناسككم عني" . " صلوا كما رأيتموني أصلي" . كذلك الجهاد؛ فالواجب . في جميع مراحل وأجزائه وأنواعه . أن يكون على السنة

قبل أن يقع المحظور نشير إلى جملة من الأمور

لا البدعة والأهواء .. أن تتحقق فيه صفة المتابعة لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فنجاهد كما كان يُجاهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلا نتجاوزه في أدب أو حكم من أحكام الجهاد والقتال. لا يمكن أن نبارك عملاً انتحارياً، وفق كل المقاييس الشرعية والعقلية هو عمل انتحاري . يحلو للبعض ممن يكبرون ويهللون لأي دم يُسفك وَيَسِيل، أن يسموه عملاً استشهادياً، وغزوة دونها غزوتي بدرٍ وأحد! . يَقْتُلُ الْفَاعِلُ فِيهِ نَفْسَهُ .. ويقتل بقتله لنفسه بضعة أنفار من عسكر الطاغوت .. معهم مثلهم أو يزيد أو ينقص من المسلمين، وممن صان الشارع دماءهم وحرمتهم من الآمنين .. ثم بعد ذلك .. نعتبره عملاً استشهادياً، وجهاداً راشداً!

سنة العمليات الانتحارية . كما تمارس ونشاهدها في واقعنا . سنة خاطئة .. لا نريدها أن تمضي في جهاد الشام .. لأنها بذاتها محرمة كانتحار وقتل للنفس بالنفس، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:29. وفي الحديث القدسي: "بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة" البخاري. وحتى لا ينحصر بها الجهاد .. وتصبح وكأنها خيار المجاهد الوحيد .. كما حصل في بعض البلدان .. ولو مضت، واعتاد عليها الناس .. ليكونن ضحاياها . والله تعالى أعلم . من المسلمين والأبرياء، وشباب الجهاد .. أضعاف أضعاف ضحايا العدو .. إضافة لانعكاساتها الإعلامية، والسياسية السلبية .. وهذا جانب لا ينبغي تجاهله، على مبدأ " حتى لا يُقال "!

اتقوا الله أيها الناس في أهل الشام .. اتقوا الله في دماء المسلمين .. وغير المسلمين ممن صان الشارع حرمتهم ودماءهم .. فنحن كما نحرّض على الجهاد في سبيل الله .. ونرى في الجهاد منجاة للأمة مما هي فيه من ذل .. فإننا كذلك نحذر من عواقب التهاون بشأن الدماء المعصومة .. تحت أي زعمٍ كان!

إن كان في المسألة قولان: خذ بالقول الذي يحتاط للدماء المعصومة أكثر من الآخر .. تسلم في دينك، وأخرتك.

قبل أن يقع المحظور نشير إلى جملة من الأمور

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء:93.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات". وعد منهن: " وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ..".

وقال صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" و " المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم". مفهوم المخالفة يقتضي أن الذي لا يأمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، ولا يسلمون من شرِّ لسانه ويده، فهو ليس بمسلم ولا مؤمن.

وقال صلى الله عليه وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من حمل علينا السلاح فليس منا".

وقال صلى الله عليه وسلم: "لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا".

وقال صلى الله عليه وسلم: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً".

وقال صلى الله عليه وسلم: "أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة".

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يزال العبد في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً". فإذا أصاب الدم الحرام، فليبيكي على نفسه، وعلى دينه!

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قتل رجلاً من أهل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قتل نفساً معاهدةً بغير حلها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة لتلعن أحداكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه". هذا إذا كان يشير إليه بحديدة على وجه اللعب والمزاح، فما بالك فيمن يشير جاداً

قبل أن يقع المحظور نشير إلى جملة من الأمور

بالمسدسات والرشاشات والقنابل، وغيرها من الأسلحة الفتاكة ليرعب المسلمين المؤمنين، لا شك أنه أولى باللعن والوعيد، والطرده من رحمة الله.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من أذى مؤمناً فلا جهاد له". هذا فيمن يؤذي مؤمناً .. فما قولكم فيمن يقتل مؤمناً . أو يُروع المؤمنين . باسم الجهاد .. أتى أن يقبل منه جهاده!

وغیرها كثير من النصوص الصحيحة الثابتة في الكتاب، والسنة الصحيحة .. التي تحرم وتجرم سفك الدم الحرام .. تحت أي ذريعة كانت.

هذه كلمات الله تعالى، وكلمات رسوله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم .. فلا تردوها .. ولا تستخفوا بها .. فيسحتكم الله بعذاب من عنده.

واعلموا أنه لا يفرح لسفك الدم الحرام، ويستهن به، إلا واحد من اثنين: الطاغوت وعصابته المجرمة .. وأفراخ الخوارج الغلاة .. وإني أعينكم أن تكونوا من أحد الطرفين .. حفظنا الله وإياكم .. وشامنا الحبيب .. ومجاهدين الأبطال .. وأهلنا في الشام .. وثورتنا الشامية المباركة .. من شر الطائفتين معاً .. ومن شطط الإفراط أو التفريط .. ومن كل شر، وذو شر، اللهم آمين، آمين.

اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد ..

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1433/04/06 هـ

2012/02/28 م

“ السَّيْجَارَةُ ” تلك الوثن

“ السَّيْجَارَةُ ” تلك الوثن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

لا خلاف بين جميع الأطباء والعقلاء على أن التدخين ضار وقاتل للإنسان، وأنه سبب رئيسي في أمراض القلب، والرئة، والسرطان، وأنه مشوه لضم وأسنان الإنسان^[223].

وضرره لا يقتصر على المدخن وحسب .. بل يطال ويشمل كل من يجالس المدخن .. أو يستنشق دخانه ممن يكون قريباً منه .. وهو ما يسمونه بالتدخين السلبي القصري^[224].

والدخان يحتوي على مواد كيميائية قاتلة وسامة عديدة .. أبرزها مادة النيكوتين، والقطران، وأول أكسيد الكربون .. من مضاعفات وأثار النيكوتين أنه يسبب عند المدخن الإدمان على التدخين .. يجعل المدخن ينقاد للتدخين بصورة تجعله لا فكاك له من سلطانه وهيمنته .. مع علمه بأنه قاتل لنفسه، وماله .. ولمن حوله!

وقد رأيت بنفسى عدداً من المجاهدين وهم في خنادق الحراسة المتاخمة لمواقع العدو يشعلون السجائر، مع علمهم المسبق أنها قد تُساعد العدو على تحديد مواقعهم .. وتكون تلك السجائر سبباً في قتلهم وقتل من معهم .. وقد حدثني أحد الأخوة المجاهدين عن معركة دارت رحاها على ثرى الشام الطهور .. وبعد انسحاب للمجاهدين بعد غروب الشمس من موقع المعركة .. قرروا أن يأخذوا لأنفسهم قسطاً من الراحة .. وكانوا على بعد من مرمى العدو لا يزيد عن خمسمائة متر .. فشرع أحدهم يشعل لنفسه " سيجارة"، فنصحوه الأخوة بأن لا يفعل .. وأن يُطفئ " سيجارته"، حتى لا يُحدد العدو مكانهم .. فما استطاع أن يُقاوم " السيجارة"، وجاذبيتها وفتنتها .. فأبى إلا أن يفعل .. فأعطت " السيجارة "

²²³ في إحصائية لمنظمة الصحة العالمية: أن عدد الذين يُقتلون بسبب التدخين سنوياً ثلاثة ملايين ونصف المليون "

3500000 " نسمة، أي أن الذين يُقتلون في السنة بسبب التدخين أكثر بكثير ممن يُقتلون ويموتون بسبب الحروب!

كيف تُطاول نفس المدخن أن يُدخن، مع علمه المسبق أنه بدخانه يؤدي جليسه وضيغه، ومن حوله ..؟! ²²⁴

“ السَّيِّجَارَةُ ” تلك الوثن

بصيصاً ونوراً في الليل .. مكن العدو من تحديد مكانهم .. فأطلق على مكان بصيص السيجارة قذيفة .. أدت إلى مقتل اثنين من المجاهدين .. وامرأة كانت لا تبعد عن المجاهدين كثيراً!

ومن القصص التي تُذكر أيضاً: أن الطواغيت في سجونهم .. يستغلون العناصر المدخنة في السجن .. فيعرضون عليهم الدخان . بعد منعه عنهم . مقابل أن يتعاملوا معهم .. ويتجسسوا على إخوانهم في السجن .. وعلى قدر تفاعل أحدهم .. وهمته في التجسس وإعطاء المعلومات .. يُعطى من الدخان .. ويُزاد له في عدد السجائر .. وكان كثير من السجناء تحت هذا الضغط والابتزاز .. يسقط في الاختبار، ويرضى لنفسه بأن يشتغل جاسوساً على من معه من السجناء .. ويخون إخوانه ورفقاء دربه .. كل ذلك بسبب ضعفه وعجزه أمام فتنة " السيجارة"، وإدمانه على التدخين!

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مدمن الخمر كعابد وثن" [225]. وفي رواية: "من مات وهو مدمن خمر، لقي ربه وهو كعابد وثن" [226]. ووجه الشبه بين المدمن وعابد الوثن أن المدمن منقاد لما قد أدمن عليه انقياد العبد للوثن .. لا فكاك له من سلطانه وأثره .. يحبه، ويُصغي إليه .. ويُطيعه حتى في قتل نفسه .. ويُقاتل دونه وفي سبيله .. فيوالي ويُعادي فيه .. كما يوالي ويعادي العبد في معبوده الوثن .. وعلى قدر الإدمان وتمكنه من صاحبه .. على قدر ما تظهر تلك المعاني الأنفة الذكر فيه!

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء:29. وفي التدخين قتل للنفس بالإجماع واتفاق الأطباء والعقلاء!

وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من شرب سمّاً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً" مسلم. والدخان لا شك أنه سام قاتل لما يحتوي من مواد كيميائية سامة وقاتلة .. فالحديث يطال من يتناول سم الدخان ولا بد.

²²⁵ صحيح الجامع الصغير:5861.

²²⁶ صحيح الجامع:6549.

“ السَّيِّجَارَةُ ” تَلِكُ الْوَثْنِ

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قتل نفسه بشيءٍ في الدنيا عُدِّبَ به يوم القيامة" مسلم. قوله " بشيء "؛ صيغة نكرة تفيد العموم؛ أي أي شيء . بما في ذلك الدخان والتدخين . يقتل المرء نفسه به في الدنيا يُعذب به يوم القيامة.

وعن عبادة بن الصامت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قضى أن لا ضرر ولا ضرار" [227]. فالحديث تضمن النهي عن كل ما هو ضار أو يؤدي إلى ضرر .. ولا خلاف أن التدخين ضار وضرره مركب ومغلظ لصاحبه ولمن حوله!

وعن أم سلمة قالت: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر، ومفتر" [228]. ولا شك أن الدخان يُعد من المفترات.

وضرر التدخين لا يقتصر على تلف الجسد، وقتل النفس وحسب، وإنما يمتد ليشمل تلف المال وهدره فيما لا يجوز [229].

فصرف المال في أوجه التدخين من الإسراف والتبذير، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام:141.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ الإسراء:27. والمدمن على التدخين تراه يحرم نفسه، وزوجه، وأطفاله النفقة والإطعام .. مقابل أن يوفر لنفسه ثمن الدخان!

صحيح سنن ابن ماجه:1895. 227

رواه أبو داود وغيره، وقال ابن حجر في الفتح 47/10: سنده حسن. 228

229 تلف المال في سبيل التدخين لا يقتصر على ما ينفقه المدخن كثمن لدخانه وحسب، وإنما يمتد ليشمل كلفة زراعته، وتصنيعه، وتوزيعه، والدعايات الكاذبة التي تنفق من أجل ترويجه، كذلك الأموال التي تنفق على الأمراض الخطيرة والمزمنة التي يتسببها التدخين ... فالإنفاق الذي يُصرف على الدخان والتدخين من جميع هذه الأوجه مبلغ ضخم يصعب تحديده وتقديره .. لو صرف في طريق الإعمار والتصنيع والخير .. لعم التقدم والازدهار البلاد والعباد!

“ السَّيِّجَارَةُ ” تَلِكُ الْوِثْنُ

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعٍ . منها : وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه" [230]. فتأمل أيها المدخن بما ستجيب خالقك يوم القيامة .. وكم سيكون جوابك مخزلك عندما تقول: أنفقت مالي في شراء الدخان .. وأبليت جسدي وأتلفته في التدخين!

ويُقال كذلك، أن الإسلام جاء ليُحافظ على مقاصد خمسة، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال. والتدخين ينال من ثلاثة مقاصد من أصل تلك المقاصد الخمسة، وهي: النفس، والعقل، والمال ..!

وعليه، وبناء على ما تقدم فإن الدخان " التبعغ " حرام زرعه، حرام بيعه، وتوزيعه، وشربه .. حرام ثمنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا حرم على قومٍ أكل شيءٍ حرم عليهم ثمنه" [231]. لا يُخالف في ذلك إلا جاهل، أو مريض صاحب هوى لا يُلتفت إليه، ولا يُعتد برأيه، والله تعالى أعلم.

وفي الختام إنني لأرجو أن تكون هذه المقالة سبباً في إقلاع الناس عن التدخين .. وبخاصة منهم أهلنا وأحبتنا في الشام الحبيب .. حيث ظاهرة التدخين قد عمّت وطمت فيم بينهم .. لم يسلم منها إلا القليل .. وهي لا شك من مخلفات وآثار النظام الأسدي الطائفي البائد والمتخلف .. التي ينبغي الثورة عليها .. وعلى كل مورثات هذا النظام اللعين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1433/12/12هـ

2012/10/28م

²³⁰ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

²³¹ صحيح سنن أبي داود: 2978.

لِمَن الحُكْم..؟

لِمَن الحُكْم..؟

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران:102.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء:1.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الأحزاب:70-71.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وبعد، لِمَن الحكم .. ومَن له حقَّ التشريع؛ حق التحليل والتحریم، والتحسين والتفبيح .. ومن ثمَّ له حق الطاعة والانقياد فيما يُشرع ..؟

وشرعُ مَنْ يجب أن يمضي في البلاد والعباد .. وأي شرعٍ هو الأَسلم، والأحكم، والأعدل .. شرع الخالق سبحانه وتعالى .. أم شرع عبد الله المخلوق .. ولماذا؟

هذا سؤال كبير .. قديم جديد .. يتجدد ويتكرر طرحه .. كما يتجدد الصراع والخلاف عليه . بصورٍ شتى . بين الفينة والأخرى .. وإلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها .. للناس في الجواب عنه مشارب .. ومذاهب .. وأهواء شتى!

لِقِن الْحُكْم..؟

في الأنظمة الديكتاتورية الطاغية الفردية .. قالوا: هو حق خالص لشخص الحاكم أو الملك وحزبه؛ فله أن يشرع ما يشاء، ويُجَل ويُحرم ما يشاء، ويُزيل من الشرائع والقوانين ما يشاء .. ويُبقي منها ما يشاء .. وفق ما يبتغي هواه .. والقانون الذي يمضي في البلاد والعباد، لا يكون قانوناً نافذاً إلا بعد موافقة وتوقيع هذا الحاكم الفرد المتسلط على البلاد والعباد .. فهو لا يُرهم . ولا يجوز لهم أن يروا . إلا ما يرى .. فالحق ما يراه هو حقاً، والباطل ما يراه هو باطلاً!

ثم أن هذا الحاكم أو الملك الفرد تراه يُشرع لنفسه التشريع الذي يجعله فوق المساءلة والمحاسبة أو المراجعة .. فهو يسأل، ولا يُسأل .. ويُحاسب ولا يُحاسب، والويل كل الويل لمن يتجرأ على مساءلته ومُحاسبته!

وهذا مثله في الغابرين فرعون اللعين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص:38. أي ما علمت لكم من مشرعٍ . يحلل لكم ويحرم . ترجعون إليه في جميع شؤون حياتكم غيري .. فأنا المشرع لكم لا أحداً غيري!

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29. أي لا أريكم، ولا أسمح لأحدٍ أن يُريكم، كما لا أسمح لكم أن تروا إلا ما أرى .. وما أريكم إياه هو الحق الذي ما بعده إلا الغي والضلال .. وما أكثر طغاة العصر الذين يُحاكون أسلوبه وطريقته!

وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات:23-24. أي كما أن التشريع من حقي وحدي، فلا أريكم إلا ما أرى .. فأنا ربكم الأعلى الذي له الحق في أن يريكم وينشئكم على قانونه ونظامه وشرعه .. كما تربو وتنشأ الماشية في مزرعة صاحبها .. وبحسب ما يرمي لها من الأطعمة والأغذية .. وما أكثر فراعنة وطغاة العصر الذين يقولون مقولة فرعون هذه .. ويتخلقون بأخلاقه .. ويفعلون فعله .. وبأساليب شتى: بعضها تقل صراحة ووقاحة عما قاله فرعون، وبعضها يزيد!

هذا في الأنظمة الديكتاتورية . على اختلاف مسمياتها وصورها . بينما في الأنظمة الديمقراطية الليبرالية .. قالوا: المشرع هو عبارة عن مجموعة من الأفراد .. يُفرزون من خلال حصولهم على أغلبية

لِقِن الْحُكْم..؟

أصوات من يُشاركون في العملية الانتخابية من الشعب .. يُسمون أنفسهم نواباً ومشرعين .. تناط بهم مهمة التشريع، والتحليل والتحرير، والتحسين والتقييح .. وسن القوانين .. والحكم على الأشياء تحسناً وتقيحاً .. والقانون الذي يصدر عنهم أو عن أكثريتهم هو القانون الملزم والنافذ في البلاد والعباد .. الذي لا يجوز العدول عنه.

فالأنظمة الديمقراطية لا تختلف عن الأنظمة الديكتاتورية في هذا الشأن .. سوى أنها ترى التشريع منوط بمجموعة أفراد بدلاً من أن يكون منوطاً بشخص واحد كما في الأنظمة الديكتاتورية .. فهي إذ لا تقبل أن يحتكر شخص واحد لنفسه الألوهية وخاصية التشريع .. فإنها تبارك وتقر بأن هذه الألوهية والربوبية في الأرض ينبغي أن يتمتع بها مجموعة من الأشخاص .. وكل من يرى نفسه أهلاً للتشريع، ثم يحظى بأكثر الأصوات في الانتخابات!

وفريق آخر ينتمون إلى الدين المُحرّف والمبدل .. أو إلى التصور الخاطئ عن الدين .. فأناطوا مهمة التشريع والتحليل والتحرير .. والتحسين والتقييح .. وسن القوانين .. بجمع من الأبحار والرهبان .. فقالوا: هؤلاء الذين لهم الحق في أن يُحلّوا ويحرموا . من تلقاء أنفسهم . ما يشاؤون .. ولهم الحق في أن يحكموا على الأشياء ذماً ومدحاً .. فالأمر إليهم من دون الناس .. لأنهم يتكلمون باسم الله، ونيابة عن الله .. وهم المعنيين من قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة:31. يحلون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال من غير علم ولا سلطان من الله .. وصورة هؤلاء المشرعين تظهر بوضوح في حكم الكنيسة أو الدول التي تحكمها الكنيسة، وما لباباواتها من سلطة تشريعية ذاتية من دون الله !!

كذلك حكم الدولة الشيعية الراضية . كما في إيران . الذين ابتدعوا من عند أنفسهم نظام ولاية الفقيه .. الذي له ولكلماته وأفعاله قدسية، وعصمة، وصلاحيات إمامهم الغائب المعصوم والمطلقة .. كما هو مقرر في دينهم، وكتيبهم!

لِقِن الْحُكْم..؟

وفريق رابع مهزوم: يرى أن الدول الحاكمة والمعاصرة تنقسم إلى قسمين: دول عظمى لها صفة السيادة والريادة والاستعمار.. الأمرة الناهية .. لا يجوز أن يُرد لها أمر.. ودول صغرى لها صفة العبودية والتبعية .. وعلى الدول الصغرى التي لها صفة العبودية والتبعية أن تستمد قوانينها وتشريعاتها من الدول الكبرى التي لها صفة السيادة والريادة والتقدم .. وأن لا تخرج عن قانون الأسياد . إلا فيم يسمح به الأسياد . حتى لا يحل بها غضب الأسياد .. ونقمة دولهم العظمى .. وهذا الفريق من الحكام العبيد هو الذي عليه غالب الأنظمة الحاكمة في بلاد العرب والمسلمين .. وهم أحط الفرقاء . الأنفة الذكر أعلاه . قدراً .. ومكانة .. وعبودية للعبيد .. فهم الطغاة العبيد؛ طغاة على شعوبهم، عبيد لأسيادهم في الدول الاستعمارية الكبرى!

وجميع من تقدم ذكرهم . على ما بينهم من تباين واختلاف . يشتركون في صفة واحدة؛ ألا وهي: حصر وقصر مهمة التشريع بالمخلوق؛ بالإنسان .. سواء كان هذا الإنسان فرداً أم مجموعة أفراد .. أم حزباً واحداً أم مجموعة أحزاب .. فكلهم شركاء في وزر الشُّرك .. والظلم .. ووزر تعبيد العبيد للعبيد .. من دون الله عزّ وجل .. وكلهم لهم . في دين الله . حكم ومسمى " الطاغوت !"
ثم ما إن تُثار قضية الحكم بما أنزل الله .. وأن الحكم ينبغي أن يكون لله تعالى وحده؛ لا لأحدٍ سواه .. إلا وتثور ثائرة طواير الكفر والشرك، والنفاق والشقاق .. معترضين، ومستنكرين، ومتهكمين، وساخرين .. وما أكثر تلك الطواير!

أيما دولة تحاول أن تقوم على مبدأ الحكم بما أنزل الله .. ومبدأ التحاكم إلى شرع الله .. سرعان ما تُحاصر وتُحارب .. وتُشوّه صورتها .. وتُرمى بالقنابل المدمرة .. والصواريخ العابرة للقارات!
كل الشعوب .. وكل الملل والنحل . كما هو الواقع . لها كامل الحق والحرية في أن تقيم دولة وحكومة تمثلها، وتمثل أبنائها .. وتُحكم بالقانون التي تشاء .. إلا الإسلام . دين الله تعالى . لا يحق له أن يُقيم دولة في الأرض تمثله وتمثل أبنائه وأتباعه!

لِقِن الْحُكْمِ..؟

صدق الله العظيم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ البقرة:217.

يقبلون منك أن تناقشهم في كل شيء .. أن تمارس أقصى حرية المجون والتحلل من القيم
والأخلاق .. لا يباليون من أجل ذلك؛ بل تراهم يشجعون ويُرغّبون الشعوب أن تسير في نفق التحلل
والمجون والفساد والفجور إلى أقصى حد .. ولكنهم يُمانعون أشد الممانعة من أن تُطرح عليهم مسألة
لمن الحكم .. من المطاع لذاته .. من له حق التشريع، والتحليل والتحرير .. والتحسين والتقبيح ..
والحكم على الأشياء .. لله الواحد الأحد أم للطاغوت .. للخالق أم للمخلوق!

فإن جاء الجواب أن الحكم والتشريع لله تعالى وحده، أجابوك من فورهم كما قال تعالى:
﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ص:5.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ : أن الله تعالى وحده هو المعبود، المألوه، والمطاع لذاته فيما
يحكم ويشرع ﴿شَمَّازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ الطواغيت؛ والأنداد
الذين يُشرعون من دونه ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر:45.

فالله تعالى بزعمهم له من هذه الحياة الدنيا .. المعابد والمساجد وحسب .. وحصته من عباده
وهذه الحياة الدنيا من يدخل تلك المعابد لحظة أو ساعة دخوله وحسب .. أما ما سوى ذلك من شؤون
الحياة المختلفة .. ومن شؤون الحكم والسياسة .. فللطاغوت .. والبُعول .. ساء ما يحكمون!

قالوها بكل وقاحة وصراحة: "ما لله، لله. وما لقيصر، لقيصر!"

وقالوا: "الدين لله، والوطن للجميع!"

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى في المشركين: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام: 136 [232].

ونحن نقول لهؤلاء الظالمين: إنا لله وإنا إليه راجعون .. فنحن، وقيصر، والأوطان، والأرض كلها .. والكون كله وما فيه، ومن فيه .. لله رب العالمين، لا شريك له.

لا يُمانعون بأن يُعبد الله في السماء .. وأن يكون له الحكم والأمر في السماء .. ولكنهم يُمانعون أشد الممانعة بأن يُعبد الله في الأرض .. أو أن يكون له الحكم والأمر في الأرض .. أو أن يُطاع في الأرض من دونهم..!

ويأبى الله إلا أن يحق الحق بكلماته ولو كره المشركون .. وأن يكون هو الإله المعبود والمطاع في السماء وفي الأرض سواء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف: 84.

²³² قال ابن كثير في التفسير: "هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعاً وكفراً وشركاً، وجعلوا لله شركاء وجزءاً من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى، ولهذا قال تعالى: [وجعلوا لله مما ذرأ [أي مما خلق وبرأ] من الحرث [أي من الزرع والثمار] والأنعام نصيباً]: أي جزءاً وقسماً [فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا] وقوله [فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم]. قال علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس أنه قال: في تفسير هذه الآية إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءاً وللوثن جزءاً ... وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية: كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة، وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه "ا- هـ.

قلت: ونحوهم قول زنادقة العصر العلمانيين: هذا لله، وهذا لقيصر .. فما كان لله . وهو المساجد والمعابد . يصل إلى قيصر، ومن حق قيصر أن يتدخل فيه .. وما كان لقيصر . وهو جميع مرافق الحياة وشؤون الحكم . لا يصل إلى الله .. ولا يحق لله أن يتدخل فيه .. فقد تشابهت قلوبهم، وأقوالهم [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] .

لِقِن الْحُكْمِ..؟

هذا هو موقف وقول المشركين بكل أطيافهم ومسمياتهم وصفاتهم .. عبر جميع أزماتهم السابقة والحاضرة والمستقبلية .. الطواغيت منهم والأتباع .. فما هو موقف الإسلام، وما هو قوله الحاسم في

هذه القضية الشائكة الكبيرة .. وكيف ينظر إليها .. ويتعامل معها؟

من خلال ما تقدم ندرك أن المشكلة موجودة وقائمة، وهي كبيرة جداً .. والأمة الإسلامية منذ سقوط الخلافة العثمانية وإلى الساعة هذه تُعاني من فتنة التحاكم إلى الطاغوت وشرائع الطاغوت .. وهي تعيش حالة من الانفصام بين الاعتقاد والشعور من جهة .. وبين الواقع والسلوك من جهة أخرى؛ المغاير كل التغاير عن عالم الاعتقاد والشعور!

من هنا تأتي أهمية هذا البحث، وأهمية الإجابة عن هذا السؤال الكبير: **لِمَن الحكم في الأرض..؟**

ولماذا يجب أن يكون الحكم بما أنزل الله ..؟

وهل قضية الحكم بما أنزل الله قضية ثانوية يُمكن تجاوزها من أجل غيرها من القضايا كما

يصور البعض .. أم أنها قضية جوهرية ومركزية ومصيرية لا يُمكن تعديها أو تجاوزها والتغاضي عنها ..

قبل أن تُحسَم، ونُعطي عليها الإجابة الكافية الشافية!

نجيب عن هذا السؤال الهام والكبير، من أوجه عدة:

منها: أن الذي قرره الإسلام . وألزم به أتباعه، ودعا إليه جميع الناس . في جميع الكتب السماوية .. وعلى لسان جميع الأنبياء والرسل؛ من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه: أن الحكم والتشريع لله تعالى وحده لا شريك له .. فكما أن له تعالى الخلق فله كذلك الحكم والأمر .. وكما أن هذا الكون . كل الكون . تنتظم حركاته وسكناته، ويعطي عطاءه العظيم بحكم الله وأمره، وتديره ورعايته .. كذلك الحياة الدنيا لا ينتظم أمرها ولا يستقيم حالها . وحال الناس فيها . على العدل والحق إلا عندما تُحكم بما أنزل الله .. وتسير وفق مشيئته الشرعية الدينية.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

والعباد كما أنهم يستسلمون لحكمه القدري الكوني، لا مناص لهم من رده .. كذلك يجب عليهم أن يستسلموا لحكمه الشرعي الديني .. ويدخلوا في سلم الإسلام كافة .. والذي يعترض على حكمه الشرعي الديني كالذي يعترض على حكمه الكوني القدري !!

وعليه فإن حق التشريع، والتحليل والتحريم، والحظر والإباحة، والتحسين والتقبيح لله تعالى وحده لا شريك له؛ وهو حق خالص له ﷻ دون أحدٍ من خلقه وهو من أخص خصائصه التي تفرّد بها عن سائر خلقه .. فكما أن الله تعالى هو الخالق المالك المتفرد بالخلق والملك، لا شريك له في الخلق والملك .. كذلك فهو سبحانه وتعالى المتفرد في الحكم والتشريع؛ لا شريك له في الحكم والتشريع .. وكما أنه ﷻ يجب أن يُعبد ويُطاع في النَّسك والشعائر التعبدية .. كذلك يجب أن يُعبد ويُطاع فيما يشرع، ويأمر وينهى، ويحلل ويحرم، ويحسن ويُقبح، في جميع نواحي الحياة الأخرى .. وكما أنه ﷻ هو الإله المعبود بحق في السماء، فهو كذلك الإله المعبود بحق في الأرض .. وأيما معارضة لهذا التقرير الحاسم، والإقرار للمخلوق. أيّاً كان هذا المخلوق وكانت صفته. بهذا الحق. حق التشريع والتحليل والتحريم، من دون أو مع الله. يعني الإقرار والاعتراف لهذا المخلوق بالألوهية والربوبية، واتخاذ نداءً لله عز وجل في صفاته وخصائصه .. ويعني الشرك .. ويعني بالضرورة الخروج من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر والشرك والعصيان .. ومن دائرة التصديق إلى دائرة التكذيب والنفاق .. ويعني بالضرورة مناقضة شهادة التوحيد " لا إله إلا الله " مهما كثر ترادها على اللسان؛ مجرد اللسان، فالإيمان قول، واعتقاد، وعمل .. وهو لا يُقبل من صاحبه إلا إذا أداه بخصاله وأركانه الثلاثة معاً.

هذا الذي تقرره بجلاء ووضوح أدلة النقل، والعقل، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف: 84. فكما أن الله تعالى هو المألوه المعبود المطاع بحق في السماء، كذلك فهو المألوه المعبود المطاع بحق في الأرض.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾؛ أي ليس الحكم لأحدٍ (إلا)؛ أداة استثناء جاءت بعد نفي تفيد الحصر والقصر (لله)؛ وحده لا شريك له ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾؛ أحداً (إلا)؛ أداة استثناء جاءت بعد

لِقِن الْحُكْمِ..؟

نفي تفيد الحصر والقصر ﴿إِيَّاهُ﴾ ؛ أي إلا الله تعالى وحده .. فهذا التوحيد وهذا الإفراد للخالق ﷻ في الحكم وفي العبادة هو ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ؛ الحق والمستقيم الموصل إلى خيري الدنيا والآخرة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:40.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام: 57. الحكم الكوني القديري، والحكم الشرعي الديني.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف:110. فالآية السابقة أعلاه دلت أن الخالق ﷻ هو المختص بالحكم والتشريع، وفي هذه الآية ينفي الخالق ﷻ أن يكون له شريك في الحكم والتشريع.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ يونس:59. أي كيف تتجرؤون على التحليل والتحرير من تلقاء أنفسكم، ومن دون أن تستأذنوا الخالق ﷻ صاحب الأمر والشأن .. وهو الذي أنزل لعباده الرزق وليس أنتم .. والذي له وحده حق التشريع والتحليل والتحرير فيما أنزل من رزق؟!!

فالتحليل والتحرير ليس من اختصاصكم، وإنما هو من اختصاص الخالق الرازق المالك .. الذي ينزل الرزق .. وبالتالي لا بد من الرجوع إليه ﷻ فيما تحلون وتحرمون .. وتحسنون وتقبحون .. فإن لم تفعلوا فأنتم ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ .

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ ؛ من تلقاء أنفسكم، ومن دون أن تستأذنوا الخالق ﷻ فيما تحلون وتحرمون وترجعون إلى حكمه وشرعه .. فهذا عين الافتراء والكذب والتعدي ﴿لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل:116.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ الطواغيت والمشرعين من دون الله ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ ذي حقٍ وقيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ؛ وهو كل حكم يخالف حكم الله، فله حكم وصفة الجاهلية ﴿يَبْغُونَ﴾ ؛ يطلبون ويرجون منه النفع والفائدة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم".

وعن الحكم بن سعيد قال: أتيت النبي ﷺ فقال: "ما اسمك؟" قال: أنا الحكم، قال ﷺ: "بل أنت عبد الله"، قلت: فأنا عبد الله.

فحتى مجرد التسمي بـ"الحكم" فكان النبي ﷺ ينكره، ويعمل على تغييره واستبداله باسم آخر؛ لأن "الحكم" اسماً ومعناً هو مما يختص به الخالق وحده دون أحدٍ من خلقه.

وفي سنن أبي داود، عن هانئ أنه لما وفد على رسول الله ﷺ، مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: "إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تُكَنِّي أبا الحكم .. فما لك من الولد؟" قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: "فمن أكبرهم؟" قلت: شريح، قال ﷺ: "فأنت أبو شريح" [233].

ولما قال القائل من بني تميم للنبي ﷺ: إن حمدي زين، وذمي شين، قال له: "ذاك الله" [234]. فالحكم على الأشياء بالمدح أو الذم من خصوصيات الله تعالى وحده؛ فالله تعالى وحده هو الذي يكون مدحه زين على الإطلاق، وذمه شين على الإطلاق، وليس أنت ولا أي مخلوق غيرك أياً كان هذا المخلوق .. فما يحكم عليه المخلوق بأنه زين قد يكون في حكم الله شين، وما يحكم عليه بأنه شين، قد يكون في حكم الله تعالى زين.

أما من يأبى إلا أن يستشرف خاصية التشريع، والتحليل والتحريم، والحكم على الأشياء بالتحسين والتقبيح من تلقاء نفسه وبغير سلطانٍ ولا إذنٍ من الله تعالى . سواء كان فرداً أو مجموعة أفراد . فقد جعل من نفسه نداً لله ﷻ في أخص خصائصه .. وزعم الألوهية والربوبية من أوسع أبوابها

²³³ صحيح سنن أبي داود:4145.

²³⁴ ذكره ابن تيمية في الفتاوى: 164/28.

لِقِن الْحُكْم..؟

.. وقال ما قاله فرعون من قبل، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص:38. أي ما علمت لكم من مشرع ومرجع ترجعون إليه في شؤون الدين والدنيا غيري .. فأنا المألوه المطاع .. فالذي أراه حلالاً فهو الحلال، والذي أراه حراماً فهو الحرام .. وليس لكم سوى اتباعي وطاعتي والدخول في عبوديتي .. ولا رأي لكم إلا الذي أريكم إياه .. ولا رشاد تسلكونه إلا الذي أهدىكم وأدلكم عليه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29. وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات:23-24. أي أنا الرب الذي أريكم على ما أشاء من قوانين وشرائع وعقائد .. فلا رب أعلى مني تتربون وتنشأون على دينه وتعاليمه وقانونه غيري ... ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ النازعات:25. فأهلكه الله تعالى بالغرق عقوبة الأولى؛ وهي قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ، والآخرة وهي قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ .

وما أكثر الفراعنة والطغاة في زماننا الذين يزعمون هذا الزعم الكبير الذي زعمه فرعون من قبل .. فيقولون لشعوبهم: نحن المشرعين .. نحن الذين نحلل ونحرم .. فحق التشريع والتحليل والتحرير لنا لا لغيرنا .. فلا مشرع ترجعون إليه غيرنا .. وما علمنا لكم من مشرع تحتكمون إليه في جميع شؤون حياتكم أفضل وأحسن منا .. وغير شرعنا .. نحن الذين نريكم على ما نريد ونهوى من الشرائع والقوانين .. وليس لكم . أيها الشعوب .. أيها العبيد . سوى طاعتنا واتباعنا .. والدخول في عبادتنا .. ومن يعصينا منكم فهو خارج على القانون .. وعلى شرعية وقانون فرعون .. والويل كل الويل له!

ومع ذلك . وللأسف . فكثير من الناس لا يرون حرجاً في الدخول في طاعتهم واتباعهم فيما يشرعون، ويحللون ويحرمون .. ويحسنون ويقبحون .. ويسنون من القوانين المضاهية لشرع الله .. وهؤلاء سواء علموا أم لم يعلموا فقد دخلوا في عبودية هؤلاء الطغاة الأثمين، وأقروا لهم بالربوبية من دون الله ﷻ.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

كما قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة:31. وذلك عندما اتبعوهم وأطاعوهم فيما يشرعون، وفيما يحللون ويحرمون بغير سلطان ولا إذن من الله تعالى .. فتلك كانت ربوبية الأحرار والرهبان .. وبذلك اتخذوهم أرباباً من دون الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:64.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ : أي لا يتخذ بعضنا بعضاً مشرعين؛ نَشْرَعُ لبعضنا البعض، نحلل ونحرم لبعضنا البعض .. نَعْبُدُ بعضنا لبعض بتشريع بعضنا لبعض .. من دون الله وبغير سلطان ولا إذن من الله .. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ : أي أعرضوا وأبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، ونقول لهم كذلك: ﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف:39.

ما أحوج البشرية في هذا العصر إلى هذا الخطاب .. إلى هذا النداء الرباني الخالد ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾. جميع الأنظمة المعاصرة على اختلاف مسمياتها سواء الديمقراطية منها أم الديكتاتورية، الملكية أم الجمهورية .. يتخذون بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. ويقررون ربوبية العبيد .. وهي جميعها تقوم على مبدأ تعبيد العبيد للعبيد .. ولو ظهرت هذه العبودية أحياناً بصورة لبقة مكللة بشيء من الحريات .. كما في بعض الأنظمة الديمقراطية .. لكنها في النهاية لا تخرج عن كونها أنظمة تقرر عبودية العبيد للعبيد !!

ومنها: أن الله تعالى هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه ومن فيه: فهو ﷻ المتفرد بالخلق والمملك لا شريك له، وبالتالي لا بد من أن يتفرد في الأمر والحكم فيما يخلق ويملك .. كما أنه لا بد لهذا الكون ومن فيه وما فيه من أن يسير وفق مشيئة وحكم خالقه ومالكة ﷻ .. وليس وفق مشيئة وحكم

لِقِن الْحُكْمِ..؟

غيره ممن لا يخلق ولا يملك شيئاً .. ولا يملك . في هذا الكون . نفعاً ولا ضرراً .. والذي يُسَلِّمُ بَأَنَّ الله تعالى هو الخالق المالك لهذا الكون وما فيه، ومن فيه، لا بد من أن يُسَلِّمُ بَأَنَّ هذا الكون ومن فيه لا بد من أن يسير وفق شرع الله تعالى وحكمه، وقانونه!

فالله تعالى لم يخلق هذا الكون وما فيه ومن فيه عبثاً من غير شريعة توضح الغايات والوسائل .. والطريق المنجي والموصل إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة!

لم يخلق الله تعالى هذا الكون وما فيه ومن فيه عبثاً ليسير وفق مشيئة وحكم وشرع غيره ممن لا يخلق ولا يملك شيئاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون:115-116.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:56.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ . أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد: 4-10.

فالذي يخلق ويملك هو الذي له كامل الحق في أن يُشَرِّعَ ويقنن لمن يخلق ويملك .. أما من لا يخلق ولا يملك لا يحق له أن يشرع ويقنن لما لا يملك ولا يخلق.

كيف يليق بعقل الإنسان أن يُسَلِّمَ . ولا بد له أن يُسَلِّمَ . بَأَنَّ الله تعالى هو خالقنا ومالكنا ورازقنا .. وخالق ومالك هذا الكون وما فيه ومن فيه .. ثم في المقابل الذي يمضي في هذا الكون .. في هذه المملكة الواسعة الشاسعة التي تتسع لجميع المخلوقات .. حكم وشرع غيره، من لا يخلق ولا يملك شيئاً من هذا الكون؟! من هذا الكون؟! من هذا الكون؟! من هذا الكون?!

كم هو مستهجن ومستقبح أن يأتي جاهل بصناعة السيارات . مثلاً. ليقول لصانعها تنحى جانبا فأنا الذي أحدد أنظمتها وقوانينها وسرعتها، لا أنت .. فكيف بهذا الجاهل الضعيف لو قال للخالق ﷻ الذي خلق هذا الكون الفسيح وما فيه ومن فيه فأحسن الخلق على أجمل وأكمل صورة .. أنا الذي

لِقِن الْحُكْم..؟

أشْرَحَ وأقنن لهذا الكون وما فيه ومن فيه، لا أنت، وهذا الكون لا بد من أن يسير وفق شرعي وقانوني ومشيتي وليس شرعك وقانونك ومشيتك .. ألا ينبغي أن يكون أكثر استهجاناً .. ومعارضة للنقل الصحيح، والعقل السليم .. وكل منطق سليم!

كيف نستهن الأول ولا نستهن الآخر وهو أكثر من الأول معارضة لكل عقل ونقل،

ومنتق سليم؟!

ونقول كذلك: أن هذا الإنسان من جملة من خلقهم الله تعالى في هذه الأرض .. وبالتالي لا بد له من أن يعيش وفق أمر وشرع هذا الخالق ﷻ وحده .. يستأذنه في كل شيء .. يستأذنه فيما يفعل وفيما لا يفعل .. وفيما يُحل وفيما يُحرم .. وفيما يأكل ويشرب وفيما يدع من ذلك .. إذ لا يليق بالإنسان أن يكون مربوباً مملوكاً ومخلوقاً لرب واحد .. وهذا الرب له كامل الفضل عليه؛ يتفضل عليه بالنعمة التي لا تُحصى .. وهو يعيش في مملكته وعلى مائدته على مدار الوقت لا قدرة له على الاستغناء عنه ثانية واحدة .. ثم هذا الإنسان يكفر الفضل والنعمة ويجردها ليعيش وفق مشيئة وشرع أرباب وآلهة مزيفة ضعيفة جاهلة لا تخلق ولا تملك شيئاً .. لا تملك نفعاً ولا ضرراً؟!

فالذي لا يخلق ولا يملك شيئاً، بل ولا يملك لنفسه . فضلاً عن أن يملك لغيره . نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله .. فالعجز والضعف والنقص يُحيط به من كل جوانبه .. وهو مخلوق مربوب مملوك لله تعالى وحده .. فمن كان كذلك لا يستحق أن يكون رباً ولا مشرعاً .. كما لا يليق به أن يعلو قدر ومقام العبودية لخالقه ومالكة وسيده .. ليمارس . جهلاً وظلماً وعدواناً وطغياناً . خصائص الربوبية والألوهية .. ويُخاصم الخالق ﷻ في صفاته وخصائصه!

هذا المعنى قد أشار إليه القرآن الكريم باستفاضة وتوسع، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:54. فالذي له الخلق، فله حصراً وقصراً الحكم والأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ ؛ أي تعظم وتعالى شأنه ﷻ عن أن يكون له شريك في الخلق أو شريك في الحكم والأمر .. وهو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ . فمن سلم بأن لله الخلق .. لا يُستحسن منه بعد ذلك أن يُجادل فيمن يكون له الأمر!

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وقال تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ الأعراف:191. وهذا سؤال تقريعي استنكاري موجه لكل مشرك؛ أي كيف تتوجهون بالعبادة والطاعة والتحاكم إلى شرع من لا يخلق شيئاً، وهو مخلوق مربوب شأنه شأن أي مخلوق .. فتشركونه مع الله، وتجعلون منه نداً للخالق سبحانه وتعالى .. فهذا لا ينبغي، ولا يليق بالعقلاء، ولا بمن يحترم نفسه وعقله!

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:17. هل يستويان مثلاً الذي لا يخلق فيُعبد ويُطاع، ويُرد له الأمر كمن يخلق وله الخلق كله ﷻ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ؛ أي تنبهون فتعلمون أن المتفرد بالخلق؛ وهو الله تعالى وحده هو الذي يجب أن تفردوه وتخصوه بالعبادة والطاعة والتحاكم إلى شرعه دون أحدٍ سواه؟!!

وقال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الصافات:125. يا سبحان الله يعبدون بعلاً .. يُطيعون بعلاً .. يتحاكمون إلى بعلي .. يدعون ويستغيثون ببعلٍ .. الذي لا يخلق، ولا يقدر على شيء .. ويدرون أحسن الخالقين؟!!

وبعلٌ هذا صنم كان يُعبد من دون الله .. وما أكثر البعول في زماننا التي تُعبد من دون الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ الحج:73. فقولته تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب من الله تعالى إلى كل الناس وإلى يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم؛ فالمؤمن يزداد بهذا المثل إيماناً وهدى، والكافر المعاند يزداد به كفراً وضلالاً إلا من شرح الله صدره للإسلام.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ ؛ فافهموه، وتأملوه، وتدبروه .. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فتعبدونهم من دون الله؛ تتوجهون لهم بالدعاء، والطاعة، والتحاكم، وغير ذلك مما يدخل في معنى ومسمى العبادة .. فهؤلاء ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾

لِقِن الْحُكْمِ..؟

ضَعَفَ الظَّالِمُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿ ومن كان بهذا العجز والضعف لا يصلح أن يكون مألوهاً معبوداً من دون الله .. وبالتالي كيف تتخذونه إلهاً ورباً من دون الله تُحلون ما يُحل، وتُحرمون ما يُحرم، وتُحسنون ما يُحسن، وتُقبحون ما يُقبح، وهو أضعف من أن يخلق ذباباً أو أن يستنقذ ما يسلبه الذباب منه .. فهذا لعمر الحق هو عين الضلال الميين، وعين الظلم، والجهل، والجحود!

وقال تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

لقمان:11.

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ فكل هذا الكون الفسيح ومن فيه وما فيه من اتقان وإبداع وجمال وعظمة هو من خلق الله .. وهو دليل على عظمة الخالق ﷻ .. وأنه الإله والرب المستحق للعبادة وحده .. ﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ لا شيء .. وهم أعجز من أن يخلقوا شيئاً .. وبالتالي كيف يُعبدون من دون الله تعالى .. كيف تتخذونهم آلهة وأرباباً وهم بهذا الوصف من العجز والضعف .. وتذرون أحسن الخالقين؛ الخالق لهذا الكون وما فيه ومن فيه .. المتفضل على عباده بالنعمة التي لا تُحصى .. صدق الله العظيم ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ يعبدونهم ويُطيعونهم ويتحاكمون إليهم من دون الله .. رغم أن هذه الآلهة ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾ الفرقان:3. وهذا عين الضلال، والجهل، والجور!

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ﴾ ؛ الذين تعبدونهم، وتطيعونهم، وتحتكمون إلى شرائعهم وقوانينهم من دون الله ﴿ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ؟ لا أحد منهم يقدر على شيء من ذلك .. ولكن ﴿ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ﴾ . وقوله تعالى ﴿ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ﴾ ؛ أي كيف تُصرفون عن عبادة وطاعة الله تعالى وحده مع قيام الدليل القاطع على حقه عليكم؛ وهو أنه تعالى هو الذي ﴿ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ، إلى عبادة وطاعة من ليس له حق عليكم، رغم قيام الدليل القاطع على عجزه وبطلان إلهيته المزعومة، بدليل أنه لا يقدر على أن ﴿ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ .

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد:16.

فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أي بعد هذا الإقرار والتسليم بأن الله هو رب السماوات والأرض والذي يُسَلِّم به الجميع ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ تعبدونهم وتطيعونهم وتتبعونهم فيما يشرعون لكم من دون الله .. وهم في حقيقتهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً﴾ : أي جلب نفع، ﴿وَلَا ضَرّاً﴾ : أي ولا دفع ضرر، فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ المشرك الضال الذي ضل طريق التوحيد، وعبد آلهة عاجزة ضعيفة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ ولا لغيرهم ﴿نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ ، هل يستوون هؤلاء ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن الموحد الذي يعبد الله تعالى . ربه ورب السماوات والأرض . على بصيرة وعلم ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ ظلمات الشرك والكفر؛ والظلمات ذُكرت بالجمع لأن الشرك ليس نوعاً واحداً وصورة واحدة بل هو أنواع وأشكال وصور متعددة تعلو بعضها بعضاً فتزيد الظلمة ظلمات ﴿وَالنُّورُ﴾ التوحيد والإيمان؛ فأفرد في الذكر لأن طريق التوحيد واحد، ولأن الحق واحد، والمعبود بحق واحد، والطريق الموصل إليه واحد، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أنداداً يُماثلونه في خصائصه وصفاته ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ : أي هل من هؤلاء الأنداد الذين تعبدونهم وتطيعونهم من دون الله قد خلق شيئاً فشارك الله في الخلق فتشابه الخلق على المشركين فلم يحسنوا التمييز بين الذي خلقه الله تعالى وبين الذي خلقه هؤلاء الشركاء .. لو كان الأمر كذلك لوجد لكم عذراً أو تأويلاً .. أما أنه لم يحصل شيء من ذلك، وقد علم أن المتفرد بالخلق هو الله تعالى وحده فلا عذر لكم .. وحينئذٍ نقول لكم ما أمرنا الله أن نقوله لكم: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ صيغة عامة شاملة لكل شيء؛ فلا يخرج شيء في هذا الكون الفسيح عن كونه مخلوق لله ﷻ ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ : أبعد هذا الإقرار والتسليم بأن

لِقِن الْحُكْمِ..؟

الله تعالى هو الخالق، المالك، الرازق المتصرف بهذا الكون وما فيه ومن فيه وفق مشيئته سبحانه وتعالى .. تعدلون عن عبادته وطاعته والتحاكم إلى شرعه، إلى عبادة وطاعة غيره ممن لا يملك شيئاً من خصائص وصفات الخالق المالك الرازق سبحانه وتعالى ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يونس:31. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أفلا ينبغي أن يحملكم ذلك على أن تقلعوا عن الشرك .. وعبادة وطاعة الأنداد والشركاء .. وتدخلوا في توحيد الله تعالى وعبادته وطاعته؟!!

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ؛ سيجيبون ويقرون بأنه الله سبحانه وتعالى هو الذي يفعل كل ذلك .. وهم بعد هذا الإقرار والتسليم .. يشركون بالله؛ فيعدلون عن عبادته وطاعته إلى عبادة وطاعة الأنداد .. فيأتي السؤال التقريعي التوبيخي ﴿أَلِلَّهِ﴾ ، أي كيف بعد هذا الإقرار والتسليم منكم بأن الله تعالى هو الذي ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تتألهوا آلهة أخرى لا يقدر على فعل شيء من ذلك، فتعبدهم، وتطيعونهم، وتحتكمون إلى شرعهم ﴿مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ النمل: 60-64. وأنى لهم أن يأتوا بالبرهان على صحة ما هم عليه من شرك، وجَهل، وباطل وظلم ..!

ومنها: أن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ والتي من مقتضاها أن لا يصدر عنه ﴿إِلَّا الْكَمَالَ﴾؛ العدل المطلق، والحق المطلق، والخير المطلق، والجمال المطلق، والمصلحة المطلقة .. فالشرائع والقوانين انعكاس عن صفات صاحبها؛ فإن كان صاحبها له صفات الكمال، كانت شرائعه

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وأحكامه لها صفة الكمال .. وإن كانت صفاته مجبولة على النقص، والجهل، والعجز .. جُبلت شرائعه وقوانينه بما جُبل به من النقص، والجهل، والعجز .. ولا بد!

فالذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا هو الذي ينبغي أن يحكم، وحكمه وشرعه هو الذي يجب أن يمضي في البلاد والعباد، وليس حكم غيره؛ ممن لا يملك شيئاً من تلك الأسماء الحسنى، والصفات العليا .. بل تلاصقه صفات النقص والعجز والضعف، والقصور، والجهل .. ومهما ظهر أنه أوتي من العلم .. فهو في النهاية مختوم بخاتم: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الإسراء:85. ومن كان كذلك فإن حكمه سيتسم بالنقص والخطأ والجهل والظلم .. والبلاد والعباد التي تخضع لحكمه وشرعه تكون عبارة عن حقل تجارب لقوانينه وتشريعاته الخاطئة الجائرة التي تتغير وتتبدل بين الفينة والأخرى بحسب ما تملي عليه أهواؤه وعقله القاصر .. ومصالحه الذاتية .. وكلما ظهر له خطؤه وقصوره فيم قنّ وشرّع!

فالأنظمة التي تحكمها القوانين الوضعية .. كل الأنظمة؛ الديمقراطية والديكتاتورية منها سواء .. لا تعرف الثبات ولا القرار في التشريعات وسن القوانين .. فهي تعيش عملية تغيير وتبديل مستمرة لقوانينها وشرائعها؛ فما يستحسنونه اليوم يقبحونه ويجرمونهم غداً، وما يقبحونه ويجرمونهم غداً قد يستحسنونه ويجمّلونه بعد غدٍ . وهكذا إلى ما لا نهاية ما داموا يتصدرون موقع الحكم ومهمة سن القوانين والتشريعات . بحسب ما يظهر لهم، وتترأى لهم المصالح والأمور .. وبحسب ما تملي عليهم أهواؤهم وعقولهم القاصرة الجاهلة .. والإنسان الذي تحكمه تلك القوانين والشرائع الوضعية هو وحده الذي يدفع ضريبة جهل وقصور أولئك الأرباب والرهبان، وجهل وقصور وظلم قوانينهم وشرائعهم .. وما أعظمها وأفدحها من ضريبة؛ تكون في كثير من الأحيان في الدين، والنفس، والعرض، والمال!

عندما يقولون هذا القانون الوضعي خاطئ وظالم، ولا بد من أن نستبدله بقانون آخر .. مثلهم كمثل من يقول: قد تبين أن هذا الدواء قاتل وسام لا بد من أن نستبدله بدواء آخر .. وإلى حين ما يتم اكتشافه، واستبداله .. يكون قد مات وتضرر بسببه كل من جرى عليه هذا الدواء السام القاتل وجربه

لِقِن الْحُكْمِ..؟

.. والقانون الخاطئ الظالم الذي يعم جميع الناس في الدولة والمجتمع لهو أشد فتكاً وضرراً على البلاد والعباد من الدواء الذي يُكتشف فيم بعد بأنه داء وليس دواء!

صدق الله العظيم إذ أمرنا أن نقول لهؤلاء المشركين ﴿قُلْ أأنْتُمْ﴾ ؛ على قصوركم وجهلكم، وعجزكم، وضعفكم ﴿أَعْلَمُ﴾ ؛ بمصلحة البلاد والعباد وبما ينفعهم ويضرهم ﴿أَمِ اللّهُ﴾ البقرة:140. الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا؟!

يأتي الجواب في آية أخرى ليقرر حقيقة دامغة خالدة لا تقبل المراء ولا الجدل: ﴿واللّهُ يَعْلَمُ وَأأنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:216.

وقال تعالى: ﴿اللّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ أي لا مألوه ولا معبود ولا مُطاع ولا حاكم بحق إلا الله ﷻ .. لماذا؟ الجواب يأتي مباشرة لأنه ﴿الْحَيُّ﴾ ؛ الذي لا يموت أبداً، وله دائم البقاء أزلاً وأبداً .. ولأنه ﴿الْقَيُّومُ﴾ ؛ القائم على شؤون وتديرو ورعاية خلقه .. يرعاهم بلطفه، وفضله، وعدله، ورحمته .. ومن تمام وكمال قيوميته أنه ﷻ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ؛ أي لا يغلبه النعاس، ولا تعثره غفلة ولا سهو ولا نوم، بل هو القائم على خلقه بالحفظ والرعاية، لا يخفى عليه شيء .. ولا قيام للخلق إلا به ﷻ، وهو مع ذلك كله له ملك ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة:255.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل لهؤلاء الأرباب والمشرعين الذين يشرعون ويحلون ويحرمون بغير سلطان ولا إذن من الله تعالى .. شيء من تلك الأسماء والصفات والخصائص التي يختص بها الخالق ﷻ .. فإن كان الجواب لا .. ولا بد من أن يكون لا .. يأتي السؤال الآخر: كيف إذاً تطاع فيم تُشرع وتحلل وتحرم .. ويترك أحسن الخالقين الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا؟!

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لماذا ..؟ لأنه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعلم السر والعلن، ما خفي وما ظهر، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشر:22.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لماذا..؟ لأنه ﴿الْمَلِكُ﴾؛ السيد المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، ﴿الْقُدُّوسُ﴾؛ الطاهر المبارك المتزه عن صفات النقص والمخلوقين، ﴿السَّلَامُ﴾؛ السالم من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وأفعاله، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾؛ الذي يصدِّق الصادقين بما يُقيم لهم من شواهد صدقهم، والذي يؤمِّن خلقه من أن يظلمهم، ﴿الْمُهَيِّمِنُ﴾؛ الشاهد على خلقه بأعمالهم، الرقيب عليهم، ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ القاهر الذي لا يُغلب ولا يناله ذل، ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما يشاء، المصلح لأمر خلقه المتصرف فيه بما فيه صلاحهم، العظيم إذا أراد أمراً فعله، ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾؛ الذي له الكبرياء والعلو، المتعالي عن كل سوء، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾؛ تنزه الخالق وتعالى وتعاضم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر: 23^[235]. فيتخذون معه . ومن دونه . أنداداً وشركاء فيعبدونهم ويطيعونهم، ويتحاكمون إلى شرائعهم وقوانينهم .. وهم لا يملكون شيئاً من تلك الصفات والأسماء الحسنى الأنفة الذكر والتي يختص بها الخالق وحده ﷻ .. بل صفات النقص والعجز والجهل تلاحقهم طيلة حياتهم!

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لماذا..؟ لأن ﴿لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى﴾ طه:8. ومن أسماء الله الحسنى: العليم، العالم، الخبير، القدير، الجميل، الحق، الحكيم، الحكم .. الذي لا يقضي ولا يحكم ولا يأمر إلا بالحق المطلق، والعدل المطلق، والخير المطلق .. والجمال المطلق .. والذين من دونه لا يقضون بشيء؛ لأنهم ليس لهم شيء من تلك الأسماء وتلك الصفات .. بل هم مجبولون على صفات القصور والضعف، والجهل، والعجز!

كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾؛ لأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾؛ فيعبدونهم ويطيعونهم ويتحاكمون على شرائعهم من دون الله .. ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾؛ معتبر وذو بال .. ولو قضوا وحكموا فقضاؤهم وحكمهم ليس بشيء؛ لأنه صادر عن جهل وعجز وضعف وقصور ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر:20.

²³⁵ انظر معاني وتفسير أسماء الله الحسنى الواردة في الآية، تفسير ابن كثير.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:50.

فلا أحسن من الله تعالى حكماً ولا قضاء؛ لأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا والتي من مقتضياتها أن لا يقضي ولا يحكم إلا بالأحسن والأجمل والأفضل والأنفع .. وكل حكم غير حكم الله، ويكون مغايراً لحكم الله ﷻ فهو من حكم الجهل والجاهلية والهوى الذي يجب اعتزاله والبراء منه؛ لأنه لا يأتي بخير .. وفيه من القصور والنقص كقصور ونقص وعجز صاحبه ولا بد!

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا يَشْرَعُونَهُ وَيَحْسَنُونَهُ وَيَقْبَحُونَهُ وَيَرْتَأُونَهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بغير سُلْطَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَبَعِيداً عَنْ هُدَى اللَّهِ ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : أي من الدين والتوحيد، والشرائع ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة:120.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية:18.

فدللت الآية الكريمة أن كل صاحب شرعٍ يُخالف بشرعه شرع الله تعالى فهو صاحب هوى، ومن الذين لا يعلمون ..!

ومنها: لأن الحكم بما أنزل الله إيمان وتوحيد، وعدل، وخلافه كفر، وردة، وظلم وفسوق: وجحود وخروج من الدين .. فالمسألة من هذا الجانب لا تقبل عند المسلمين الاستهانة أو التراخي أو التأخير أو أنصاف الحلول .. أو التفاوض .. فإما الحكم بما أنزل الله فحينئذٍ يكون الإيمان والإسلام .. ويكون العباد داخلين في توحيد وعبادة الله تعالى وحده .. وإما الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى الطاغوت وشرائع الطاغوت .. فحينئذٍ يكون الكفر والظلم والفسوق، والشرك، والردة، والخروج من الإسلام .. وتكون العبودية للطواغيت.

كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ النساء:65.

لِقِن الْحُكْم..؟

قال ابن القيم رحمه الله: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع، وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض" -هـ.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:59.

أفادت هذه الآية الكريمة معانٍ عدة:

منها: وجوب طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ طاعة مطلقة؛ لأن النبي ﷺ يبلغ عن الله ﷻ، وهو لا ينطق عن الهوى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم:3-4.

ومنها: وجوب طاعة أولي الأمر من المسلمين طاعة مقيدة بطاعة الله تعالى، وفيما ليس فيه معصية؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﷻ.

ومنها: في حال حصول النزاع مع أولي الأمر، أو أولي الأمر بعضهم مع بعض .. يجب رد النزاع والتحاكم إلى الله والرسول؛ أي إلى الكتاب والسنة بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومنها: أن السنة محفوظة كحفظ الله تعالى لكتابه، وأن السنة من الذكر الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:9. إذ يستحيل أن يأمر الخالق ﷻ عباده بأن يردوا نزاعاتهم إلى شيء غير محفوظ .. ولا موجود.

ومنها: أن الكتاب والسنة فيهما حل لكل نزاع أو تنازع يقع فيه البشر .. إذ يستحيل أن يأمر الخالق ﷻ عباده بأن يردوا نزاعاتهم إلى شيء ثم لا يجدوا في هذا الشيء حلاً لما قد تنازعوا فيه.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

ومنها: أن من لوازم وشروط صحة الإيمان رد التنازع إلى الكتاب والسنة، فإذا انتفى الرد، انتفى معه الإيمان مباشرة، وهو المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . فمن علامات صدق الإيمان بالله واليوم الآخر رد التنازع إلى الكتاب والسنة .. وليس إلى شيء سواهما.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء:60.

فاعتبر القرآن إيمانهم زعماً لا حقيقة له في الصدور .. وذلك بسبب عدولهم عن حكم الله ﷻ وعن التحاكم إلى شرعه .. إلى التحاكم إلى الطاغوت؛ وكل حاكم لا يحكم بما أنزل الله .. أو شرع غير شرع الله ﷻ فهو طاغوت .. يجب الكفر به، واجتنابه، والبراء منه كما قال تعالى ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:36. ومن اجتناب الطاغوت اجتناب التحاكم إليه، وإلى شرعه، وقانونه. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ الزمر:17. أن يعبدوها في النسك، والنذر، والتحاكم .. وكل ما يدخل في معنى ومسمى العبادة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .. فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .. فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة:44-45-47. والمراد من الكفر، والظلم، والفسق الوارد في الآيات، الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر؛ لأن هذه الآيات نزلت في كفار ومشركي أهل الكتاب من اليهود، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: "﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، إلى قوله: ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ ، هؤلاء الآيات الثلاث نزلت في اليهود؛ خاصة في قريظة والنضير^[236]. وما نزل في اليهود

²³⁶ صحيح سنن أبي داود:3053. مرجئة العصر يخفون هذا الأثر عن ابن عباس، ويعرضون عنه .. ويكثر من الإشارة إلى قوله الآخر في الأثر: "كفردون كفر"؛ رغبة منهم في الجدل عن طواغيت الحكم والظلم! ومن أراد أن ينصف ابن عباس رضي الله عنه، ويعرف مذهبه في المسألة لا بد من أن يأخذ الأثرين الواردين عنه معاً، ويعمل على التوفيق فيم بينهما.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وطريقتهم في الحكم بغير ما أنزل الله، يُستبعد أن يُراد منه الكفر الأصغر، والظلم الأصغر، والفسق الأصغر؛ كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات:2. أي خشية أن تحبط أعمالكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، فإذا كان مجرد رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم مدعاة لحبوط العمل، ولا يحبط العمل إلا الكفر والشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر:65. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:88. فمن باب أولى أن يحبط عمل من يرفع حكمه وقانونه وشرعه، على حكم، وقانون، وشرع النبي ﷺ.

لذا كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا من غير ممانعة ولا معارضة، ولا حرج في أنفسهم، ويسلموا تسليماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور:51. والتحاكم إلى الله ورسوله؛ يكون بالتحاكم إلى الكتاب والسنة بعد وفاة النبي ﷺ.

هذا قول وحال المؤمنين .. بينما قول وحال المنافقين الذين في قلوبهم مرض، مع قضية التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ تتسم بالإعراض، والمعارضة، والصد .. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النساء:61. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ النور:48.

ومنها: لأن الحكم بما أنزل الله فيه حياة: حياة حقيقية للروح والمادة معاً .. حياة آمنة سعيدة مطمئنة تحقق التوازن المطلوب بين الروح والجسد معاً .. حياة للفرد، والجماعة، والشعوب، والأمم .. حياة للبلاد والعباد.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

الحكم بما أنزل الله .. يعني تحرير العباد من عبادة العباد .. وأطهرهم إلى مكمن عزتهم وسعادتهم وكرامتهم، ونجاتهم؛ إلى عبادة رب العباد؛ الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

الحكم بما أنزل الله تعالى .. يعني إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والإيمان .. ومن ظلم الأديان وجورها إلى عدل الإسلام ورحمته.

الحكم بما أنزل الله .. يعني العدل المطلق في الأرض .. يعني إنصاف المظلوم من الظالم مهما كان الظالم شريفاً ورفيعاً وكان المظلوم وضعياً وضعيفاً .. وأياً كان انتماء الظالم والمظلوم.

الحكم بما أنزل الله .. يعني تحقيق السلام الحق في الأرض .. السلام الذي يقوده .. ويرعاه .. ويفرضه الحق وأهله .. أما الباطل ومعه أهله لا يملكون السلام الحقيقي والعدل .. ولا مقوماته .. وفاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه .. وواقعنا المعاش خير شاهد على ذلك.

الحكم بما أنزل الله .. يعني إيقاف هذا الدمار، والخراب، والفساد، والظلم، والعدوان الذي يضرب في الأرض؛ في جميع أطرافها وأقطارها.

الحكم بما أنزل الله .. ضرورة ملحة لا منجاة للأرض ومن عليها إلا به .. فإما الحكم بما أنزل الله وإما الدمار والغرق والهلاك.

مُعَوَّل الخراب والفساد والإجرام والتدمير يعمل عمله في الأرض والمجتمعات .. ومنذ زمن بعيد .. ولا بد من إيقافه .. ولن يقف إلا بالحكم بما أنزل الله .. والسهر على تطبيق شرع الله تعالى في الأرض، وقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلاً فقال ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: لو أننا خرقتنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" البخاري.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

لا بد من أن يؤخذ على أيدي المجرمين المفسدين المخربين . أيّاً كانوا وكان موقعهم السيادي . بالمنع والزجر، والقصاص الشرعي .. وإلا غرقت السفينة، وهلكوا جميعاً .. وهلكت معهم البلاد والعباد! وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:179. فالقصاص الشرعي وإن بدت منه نوع قساوة وشدة . لا بد منها . على فرد أو مجموعة أفراد آثروا إلا أن يسيروا في طريق الخطأ والجريمة .. والشر .. إلا أن فيه منجاة وحياة حقيقية للمجتمعات والجماعات، وللملايين الناس.

تأملوا النتيجة المفزعة التي آلت إليها المجتمعات بسبب غياب العمل بالقصاص الشرعي .. تأملوا كم هي جرائم القتل، والسطو والنهب، والاعتصاب .. التي تحصل في اليوم الواحد، بل في الساعة الواحدة، بل في الدقيقة الواحدة .. وبصورة لم تعرفها البشرية من قبل! تأملوا حجم الفساد والخراب والمجون المنتشر في الأرض كل الأرض .. وفي البر والبحر والجو سواء!

تأملوا حجم الظلم المنتشر على الرجال والنساء سواء .. تأملوا السجون وحجم الانتهاكات لحرمان وحقوق الإنسان!

تأملوا كم طفل يموت في العالم في الدقيقة الواحدة بسبب الجوع أو المرض أو عدوان المعتدين الظالمين .. بسبب سطو القوي على الضعيف .. بينما فريق آخر من المسرفين قَطَطهم وكلاهم تموت بسبب التخمّة والإسراف والتبذير!

تأملوا كيف أن شرائع الطاغوت تنتصف وتنتصر للقوي الظالم المعتدي .. لأنه قوي .. وتهمل وتخذل الضعيف المظلوم .. لأنه ضعيف .. إذ لا حياة للضعفاء في أرض تحكمها شريعة الغاب .. تحكمها شريعة الطاغوت!

هذا كله وغيره يحصل .. بسبب غياب القصاص الشرعي .. وغياب الحكم بما أنزل الله على جميع الميادين والمستويات.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى:52. فالعمل بالقرآن والحكم به .. فيه روح وحياة للبشرية .. وإذا كان الأمر كذلك فإن مفهوم المخالفة يقتضي أن عدم الحكم بالقرآن وبالشريعة التي نزل بها القرآن الكريم .. يعني الموت والخراب والدمار والهلاك .. وكل ما هو مضاد للحياة الحقيقية.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ؛ من كل داء وبخاصة منها الأدوية المعنوية الروحية، الأخلاقية ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ لأنهم قابلوا التنزيل بالتصديق والإيمان فانتفعوا به ، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء:82. لأنهم قابلوا التنزيل بالجحود والإعراض فلم يستفيدوا منه، بل زادهم . تكذيبهم بالتنزيل وإعراضهم عنه . خسارة إلى خسارتهم بكونهم ظالمين.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إقامة حدٍّ من حدود الله خيرٌ من مطرٍ أربعين ليلة في بلاد الله ﷻ" [237].

وقال ﷺ: "حدٌ يعمل به في الأرض، خيرٌ لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحاً" [238]. فرغم أن الماء والمطر فيه حياة للأرض وأهل الأرض .. وأن الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي .. إلا أن العمل بحد من حدود الله خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين يوماً .. وإذا كان الأمر كذلك مع حدٍّ واحد من حدود الله .. فما يكون القول لو تم العمل بمجموع حدود وأحكام الله .. لا شك أن الخير حينئذٍ يتضاعف، لا يمكن أن يُقدَّر ولا أن يُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ الجن:16.

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ هود:52.

²³⁷ صحيح سنن ابن ماجه:2056.

²³⁸ صحيح سنن ابن ماجه:2057.

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ نوح:10-12.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق:2-3. ومن

التقوى . التي يعقها الفرج والمخرج من كل كرب وضيق . الحكم بما أنزل الله.

ومع ذلك يوجد من المنافقين من بني جلدتنا من يخوف الناس الحكم بما أنزل الله .. ومن قيام

دولة تحكم بما أنزل الله .. يخوفونهم عواقب الحكم بما أنزل الله .. وأنه سيجلب عليهم العداوات ..

والفقر .. والخراب .. وهؤلاء هم العدو .. هم الشيطان ينطق بلسانهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران:175. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى

يُؤْفِكُونَ﴾ التوبة:30.

. تنبيه: لكي نستفيد من الحكم بما أنزل الله .. من شرع الله تعالى .. لا بد من أن نؤمن به ..

ونخضع لسلطانه وحكمه .. ونسلم له تسليماً .. أما من كفر به، وقابله بالصد والإعراض .. والكيد

والمؤامرات .. فأنى يستفيد منه لو التمس منه الدواء والحلول لأمرضه ومشاكله .. فهو مثله . في هذه

الحالة . كمن يضع الدواء على غير موضع الداء .. وكمن يأتي الشيء وضده في آنٍ معاً!]^[239].

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ : لأنهم آمنوا به .. وارتضوه حكماً

لأنفسهم في جميع شؤون حياتهم الخاصة والعامة سواء ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء:82.

لأنهم كفروا به، وأعرضوا، وصدوا عنه .. فأنى يستفيدون منه؟!!

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾ : هدى لكل حق، وخير، وعدل .. لكن لمن؟ يأتيك

الجواب: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة:2-3. أما

²³⁹ يوجد فريق من الناس، يُطالبون الإسلام بأن يعالج مشاكل مجتمعات، وأنظمة .. لا تؤمن به .. بل تعاديه وتحاربه

.. وتحارب أهله .. على اعتبار أن الإسلام فيه حل وعلاج لكل مشكل .. وهؤلاء بطليهم هذا يُخالفون النقل، والعقل!

لِقِن الْحُكْمِ..؟

الظالمون الذين لا يؤمنون بالغيب، ولا يقيمون الصلاة، ولا ينفقون مما رزقهم الله .. فأنى أن ينتفعوا من هذا الكتاب المنزل العظيم؟!

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة:124-125. فقلوه: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ ؛ أي كفرأ إلى كفرهم، وباطلاً وظلماً إلى باطلهم وظلمهم؛ لأنهم قابلوا ما يتنزل من الآيات والسور بالكفر والجحود والإعراض .. فأضافوا إلى تكذيبهم السابق لما قد تنزل من الكتاب تكذيباً جديداً آخر لما قد تنزل من السور والآيات .. وإلى إعراضهم السابق إعراضاً جديداً آخر لجديد التنزيل .. فزادوا بذلك كفرأ وضلالاً، وعذاباً.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" متفق عليه.

فمثل النقيّة التي قبلت الماء، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ .. مثل المؤمن الذي قبل الإيمان والعلم فانتفع به لنفسه، ونفع به الآخرين .. وهذا أحسن الناس.

ومثل الأجادب . الأرض الصلبة التي لا ينضب منها ماء، ولا تُنبت كلاً . فأوعت وجمعت الماء من غير كلاً .. مثل من يجمع العلم لينتفع به الآخرون، من دون أن ينتفع به لنفسه .. وهذا ممن يُقال فيه:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف:3. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة:5.

ومثل القيعان التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً .. مثل المنافقين والكافرين .. الذين لا يقبلون من الهدى والعلم شيئاً .. فلا هم انتفعوا، ولا هم أفادوا ونفعوا غيرهم .. وهؤلاء أسوأ الناس!

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وبعد، لأجل جميع الأوجه الأنفة الذكر أعلاه. وواحد منها يكفي . قلنا ونقول: بوجوب الحكم بما أنزل الله في جميع شؤون الحياة الخاصة منها والعامه .. وأن قضية الحكم بما أنزل الله، قضية عقدية كليتة أساسية لا يمكن تجاوزها، أو التغاضي عنها، من أجل مكاسب ومصالح أخرى !!
فإما الحكم بما أنزل الله؛ فحينئذ تكون النجاة .. وتكون الحياة المفعمة بالعزة والكرامة، والحرية، والعدل، والأمن والأمان .. وإما الحكم بغير ما أنزل الله؛ فحينئذ يكون الكفر، والظلم، والفسوق .. وتكون العبودية للعبيد .. ويكون الدمار والهلاك!

قضية الحكم بما أنزل الله لا تقبل أنصاف الحلول .. ولا الوقوف وسطاً . كما يحلو للبعض . في منتصف الطريق؛ لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء .. كما لا تقبل القسمة بين الخالق والمخلوق .. هذا الله، وهذا لغيره .. هذا لله، وهذا لشركائهم .. لله ولشرعه المساجد والمعابد، والأحوال الشخصية .. وما سوى ذلك من شؤون الحكم والحياة لغير الله .. فحينئذ من يفعل ذلك، أو يرضى لنفسه هذا المنهج الضال .. نصيبه من كتاب الله تعالى، قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة:85. وقوله تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ النساء:143.

. مسألة: صفة الحكم بما أنزل الله كيف تتم، ومن المسؤول عنها ..؟

أقول: الجميع . وكل بحسبه . يجب أن يحكم بما أنزل الله في نفسه، وماله، وفيم يرعى من الأشياء والأمور .. والجميع مسؤول عن إقامة شرع الله تعالى، والحكم بما أنزل الله .. بحسب موقعه ومكانته .. فالمرأة تحكم بما أنزل الله تعالى في نفسها، ومالها، وبيتها، وفيم استرعاها الله إياه، والرجل يحكم بما أنزل الله في نفسه، وماله، وأهله، وعمله، وفيم استرعاها الله إياه، والخادم يحكم بما أنزل الله في نفسه، وفي مال سيده، وما استُرعي عليه .. والحاكم أو الخليفة يحكم بما أنزل الله في نفسه، وحاشيته، ورعيته .. وما استؤمن عليه من شؤون البلاد والعباد .. كما أن على الجميع أن يُطالبوا بالحكم بما أنزل الله ..

لِقِن الْحُكْمِ..؟

وأن يحرسوا الحكم بما أنزل الله من أي انتقاص، أو تهميش .. أو تجاوزات من قبل أي طرف أو فريق من الناس!

فقضية الحكم بما أنزل الله ليست مسؤولية الحاكم أو الخليفة وحسب .. ثم على البقية من الناس أن يناموا، وكأن الأمر لا يعنهم في شيء .. فهذا الفهم الخاطئ مردود بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. فالتكاليف . كل التكاليف . بما في ذلك الحكم بما أنزل الله .. يجب أن تؤتي، ويُعمل بها كل بحسب استطاعته وموقعه، فمن استطاع أن يُقيم حكم وشرع الله تعالى في نفسه، وأسرته .. أو عمله ومتجره، أو مزرعته، أو شركته، ومصنعه .. أو مدرسته ومعهد .. لا يُعذر لو تخلف أو قصر فيم يستطيعه .. بحجة أن الحاكم أو الرئيس الحاكم للبلاد لم يحكم بما أنزل الله أو أنه مقصر في الحكم بما أنزل الله .. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر:38. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام:164. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة:286.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "كلُّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجلُ في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ في بيتِ زوجها راعيةٌ، وهي مسؤولةٌ عن رعيته، والخادمُ في مالِ سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته" البخاري.

لا يوجد شخص يستطيع أن يقول عن نفسه أنه ليس مسؤولاً، ولا راعياً، ولا حاكماً على الإطلاق .. إذ لا بد من أن يكون حاكماً وراعياً بحسب موقعه، وصفته .. " فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته".

ثم عندما الجميع يلتزم الحكم بما أنزل الله في نفسه، وبيته، وفيه يملك، ويستطيع .. حينئذٍ سيسهل الحكم بما أنزل الله على مستوى الحكومات والدول .. كما سيسبب على الحاكم، أو الإمام

لِقِن الْحُكْم..؟

العام أن يتنكب عن الحكم بما أنزل الله .. وقد صدق من قال: أقيموا دولة الإسلام في أنفسكم وبيوتكم .. تقم في أرضكم، ودولكم.

وصلى الله على سيدنا ونبينا وقائدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1433/12/23هـ

أبو بصير الطرطوسي

2012/11/08م

بَيْعَةُ خَاطِئَةٌ بَاطِلَةٌ

بَيْعَةُ خَاطِئَةٌ بَاطِلَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: توجد من الجماعات المعاصرة من تأخذ البيعة لنفسها ولأميرها من الأفراد على النحو التالي: أبايع على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، ما لم أر كفراً بواحاً... فما مدى صحة وشرعية هذه الصيغة من بيعة الأفراد لأمرء مجموعاتهم، وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. هذه الصيغة من بيعة الأفراد لأمرء مجموعاتهم باطلة لا تجوز؛ وذلك من أوجه:

منها: أن هذا القيد " ما لم أر كفراً بواحاً "؛ مفاده أنه مهما رأى منهم فجوراً بواحاً، وظلماً وفسقاً، وإجراماً بواحاً. لكن لا يرقى إلى درجة الكفر البواح. لا يجوز له أن يفارقهم، بل يجب عليه أن يبقى معهم، يناصرهم، ويعطيهم السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وفي العسر واليسر.. وهذا باطل بالنقل والعقل.. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام:68. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ النساء:140. هذه الآية وإن نزلت في النهي عن القعود والجلوس مع الكافرين المستهزئين.. إلا أنه يجوز الاستدلال بها على النهي عن الجلوس والقعود مع الفاسقين والظالمين، كما استدل بها عمر بن عبد العزيز على الصائم الذي جالس شارب الخمر وهم يشربون الخمر.. فجلده كما جلدتهم سواء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة:2. وفي بقاء المرء المسلم مع الفاسقين الظالمين، على ما يمارسونه من ظلم وعدوان وبغي.. ينصرهم ويكثر سوادهم.. فيه من التعاون على الإثم والعدوان ما فيه، وفي الحديث: "من كثر سواد قوم فهو منهم".

بَيِّغَةُ خَاطِئَةٌ بَاطِلَةٌ

ومنها: قد ظهرت جماعات وفرق عدة في التاريخ الإسلامي كان لها أفرادها وأمرؤها .. وكان منها من يقاتل .. كالمرجئة، والمعتزلة، والخوارج .. وغيرهم .. ومع ذلك كان السلف ينكرون عليهم، ويرون وجوب اعتزالهم، وعدم تكثير سوادهم لا بقول ولا فعل .. فضلاً عن أن يقول أحد من السلف بوجوب طاعتهم وطاعة أمرائهم ما لم يُرمنهم كفراً بواحاً .. وكلمات السلف في وجوب اعتزال مجالس أهل البدع والأهواء أكثر من أن تُحصَر في هذا الموضوع.

ومنها: أن المبايعة على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر هكذا على الإطلاق وفي جميع مناحي ومرافق الحياة .. لا تُعطى إلا للخليفة أو الحاكم العام الذي ترتضيه الأمة حاكماً عليها .. أما أمراء الجماعات أو المجموعات كالتي تتشكل في زماننا فهذه إمارة استثنائية خاصة .. طاعتها خاصة ومقيدة فيما تم التعاقد عليه تنتهي بانتهاء ما تم التعاقد عليه .. كالسفر .. أو الجهاد .. أو طلب العلم في مدارس ومعاهد يكون على هذه المعاهد قيم أو أمير مطاع، ونحو ذلك .. فإذا انتهى السفر انتهت الإمارة .. وإذا انتهى الجهاد في مرحلة من المراحل انتهت الإمارة .. وإذا انتهى طلب العلم انتهت الإمارة .. أما الإمارة العامة التي تعطى السمع والطاعة في المعروف، وفيم ليس فيه معصية .. في جميع مناحي ومرافق الحياة .. هي للخليفة أو الحاكم العام للمسلمين، وليس لأحدٍ غيره!

ومنها: أن الخليفة العام لا يحق له أن يُطالب أمته والناس ابتداءً أن يُبايعوه على السمع والطاعة ما لم يروا منه كفراً بواحاً، فضلاً عن سواه .. ولم يحصل شيء من ذلك مع الخلفاء الراشدين الأربعة، ومن جاء بعدهم من الخلفاء .. بل في اليوم الأول من خلافة الصديق رضي الله عنه تراه يخاطب الأمة بقوله العظيم: "أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم!"

فإن قيل: كيف نفهم ونفسر قوله صلى الله عليه وسلم: "أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً

بواحاً عندكم من الله فيه برهان"؟

بَيْعَةُ خَاطِئَةٌ بَاطِلَةٌ

أقول: أن لا ننازع الأمر أهله بعد التمكين، وبعد أن يستتب لهم الحكم، وتتم لهم البيعة شيء .. وأن يبايع أولو الأمر ابتداءً . وقبل التمكين . على السمع والطاعة ما لم يُرْمَنهم كفر بواح شيء آخر .. لا يجوز الخلط بينهما.

ويُقال كذلك: عدم منازعة الولاة إلا في مورد الكفر البواح .. ليس محل اتفاق عند السلف .. بل هناك كثير من السلف وأولي العلم يرون الخروج على حكام الفجور والظلم .. في حال كان الخروج عليهم أقل فتنة وضرراً من إقرارهم وبقائهم على سدة الحكم .. كما بينا ذلك في مقالتنا المنشورة في موقعنا " فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام" ، فليراجعها من شاء. وبالتالي عبارة " ما لم ترو كفرًا بواحًا" ، لا يجوز أن تكون في مورد المبايعة، أو شرطاً للمبايعة!

ويُقال أيضاً: أن المسلم المجروح العدالة .. ابتداءً لا يجوز أن يُبايَع على الحكم والولاية .. ومن ثم يُعطى السمع والطاعة .. فضلاً عن أن يبتدئ حكمه بشرطه على المبايع بأن يسمع ويطيع له ما لم ير منه كفرًا بواحًا ..!

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة:124. أي لا ينال عهدي بالإمامة الظالمين.

قال القرطبي في التفسير: استدل جماعة من العلماء بهذه الآية على أن الإمام يكون من أهل العدل والإحسان والفضل مع القوة على القيام بذلك، وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا ينازعوا الأمر أهله، على ما تقدم من القول فيه. فأما أهل الفسوق والجور والظلم فليسوا له بأهل، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ .

قال ابن خويز منداد: وكل من كان ظالمًا لم يكن نبياً ولا خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً، ولا إمام صلاة، ولا يقبل عنه ما يرويه عن صاحب الشريعة، ولا تقبل شهادته في الأحكام، غير أنه لا يعزل بفسقه حتى يعزله أهل الحل والعقد ا- هـ.

بَيْعَةُ خَاطِئَةً بَاطِلَةً

ومنها: أن مثل هذه الصيغة في بيعة الأفراد لأمرائهم .. تحمل الأمراء على الطغيان، والاستبداد، والظلم والاستعلاء بغير حق .. وهذه نتيجة تتنافى مع مقاصد الشريعة من الإمارة والتأثير، فالإمارة في الإسلام تكليف، وخدمة ورعاية، ومسؤولية، وليس تشريفاً .. وهي مغرم وليس مغنماً، إلا من أخذها بحقها .. قال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يُحِطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من أميرٍ يلي أمرَ المسلمين، ثم لا يجهدُ لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ليتمنينَّ أقوامٌ وُلُوا هذا الأمر، أنهم خَرُّوا من الثرى، وأنهم لم يُلُوا شيئاً" [240].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ويلٌ للأمرء! ليتمنينَّ أقوامٌ أنَّهُم كانوا مُعَلَّقِينَ بِذَوَائِبِهِم بِالثَرِيَّا، وأنهم لم يكونوا وُلُوا شيئاً قط" [241].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ويلٌ للأمرء، وويلٌ للعرفاء، وويلٌ للأمناء؛ ليتمنينَّ أقوامٌ يومَ القيامة أنَّ ذَوَائِبِهِم معلقةٌ بالثَرِيَّا يُدَلَّدُونَ بين السماء والأرض، وأنهم لم يُلُوا عملاً" [242].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من أميرٍ عشرةٍ، إلا وهو يُؤْتَى به يومَ القيامةِ مَغْلُولاً، حتَّى يَفُكَّهُ العدلُ، أو يوبقَهُ الجورُ" [243].

²⁴⁰ رواه أحمد، صحيح الجامع: 5360.

²⁴¹ صحيح موارد الظمان: 1295. والذوائب: جمع ذُوَابَةٍ وهي الشعر المضمفور من شعر الرأس "النهاية". والثريَّا؛ السماء، أو النجم في السماء.

²⁴² أخرجه ابن حبان، والحاكم، صحيح الترغيب: 2179. العرفاء أو العريف: هو المختار الذي يمثل قومه أو بلده أو منطقته عند السلطان الحاكم، ليعرفه على أحوالهم وحاجياتهم .. فيكون الوسيط بين من يمثلهم من الناس وبين الحاكم. والأمناء: من يستأمنهم السلطان الحاكم على ولاية ورعاية وإدارة بعض المدن أو الأقطار.. ويُحمل كذلك على الجباة؛ الذين يجبون الزكاة والحقوق .. فهؤلاء كذلك أمناء.

²⁴³ رواه البيهقي في السنن، صحيح الجامع: 5695.

بَيْعَةُ خَاطِئَةٌ بَاطِلَةٌ

خلاصة القول: هذه البيعة في بيعة الأفراد لأمرء مجموعاتهم، والواردة أعلاه في السؤال .. باطلة، باطلة .. لا يجوز العمل بها .. وصاحبها في حِلِّ منها، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أيا شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل". بهذا أجيب عن السؤال الوارد أعلاه .. والحمد لله رب العالمين.

فإن قيل: ما هي صيغة البيعة الأسلم والأصح التي تُعطى للإمارة الاستثنائية الخاصة ..؟

أقول: لا توجد صيغة معينة يلتزم بها .. كما لم يعرف عن السلف عندما كانوا يخرجون في سفر .. أو غزو .. أنهم كانوا يعطون بيعة خاصة لأمرء السفر أو الجند .. ولكن كانوا يعلمون ضمناً .. أن من يُؤمّر على سفر أو حج أو جهادٍ، ونحو ذلك من الأعمال .. يجب أن يُطاع في المعروف فيم قد أمر عليه .. فيطيعونه بالمعروف، وفيم ليس فيه معصية .. من دون أن يخصوه ببيعة خاصة به، غير بيعتهم للإمام العام .. وهذا يكفي.

فإن قيل: كيف نفهم ونفسر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية"؟

أقول: المراد هنا بيعة الإمام العام .. وليس البيعات الاستثنائية الخاصة .. فهذه لا تغني ولا تجزئ عن البيعة العامة للإمام العام للمسلمين، يوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم، في حديث آخر: "من مات وليس عليه إمامٌ مات ميتةً جاهلية". فالمراد بالإمام هو الخليفة أو الإمام أو الحاكم العام للمسلمين .. وقوله: "مات ميتةً جاهلية"؛ لا يفيد أنه مات كافراً، وإنما يفيد أنه مات ميتة شابهت ميتة الجاهلي في جاهليته .. حيث كانوا في الجاهلية متفرقين في قبائل شتى، تتنازعهم الولاءات والزعامات القبلية .. من غير إمام عام يجمعهم!

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1434/02/23 هـ

2013/01/06 م

استراتيجية جهاد الأمة واستراتيجية جهاد العصابة

استراتيجية جهاد الأمة واستراتيجية جهاد العصابة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

استراتيجية جهاد العصابة، لا تعرف الثبات، ولا الاستقرار في مكان دون مكان، تعتمد أسلوب الكر والفر، ومن ثم التخفي والموارة .. لا تبالي لورمت بسهامها في أكثر من اتجاه، وعلى أكثر من جبهة، لا تحسب للعواقب والمآلات حساباً ذا بالٍ إلا فيم يتعلق بسلامة وحركة العصابة ذاتها. استراتيجية جهاد العصابة هي الخيار الأسهل بالنسبة للمقاتلين والمجاهدين؛ لأنه لا يترتب عليها مسؤوليات ومهام كبيرة يلتزمون بها نحو الشعوب، والمجتمع المسلم ومؤسساته، ونحو قيام دولة راشدة عادلة قوية، لها مؤسساتها ومرافقها، وأهدافها .. وبالتالي فهي . أي استراتيجية جهاد العصابة . لا تصلح لقيام مشاريع كبيرة ومهمة . حتى لو رفعتها كشعار . كقيام دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله، لها مؤسساتها ومرافقها المدنية والاجتماعية، ولو حاولت ستفشل، كما فشلت في أكثر من موقع في واقعنا المعاصر.

استراتيجية جهاد العصابة قد تترك آثاراً .. لكنها لا تُزيل عروشاً، ولا تقيم دولاً.

استراتيجية جهاد العصابة لا تكثرث للحاضنة الشعبية كثيراً، فهي لا يهملها من هذه الحاضنة الواسعة والضخمة سوى أن تنتقي لنفسها منها بضعة أفراد، تنطلق بهم نحو أهدافها، وتشتتهم بحسب تشتت سهامها، وعدد جيهااتها!

وهذا بخلاف ما عليه استراتيجية جهاد الأمة .. فاستراتيجية جهاد الأمة تعتمد على الجهاد بالأمة ضد أعداء الأمة .. الجهاد بالشعوب المسلمة . كل الشعوب المسلمة . ضد الطغاة الظالمين، وأنظمتهم الفاسدة الفاجرة.

استراتيجية جهاد الأمة واستراتيجية جهاد العصابة

استراتيجية جهاد الأمة تعتمد على تشكيل الجيوش المسلمة المعلنّة، تستمد عناصرها من مجموع القادرين من الشعوب المسلمة، والمنظمة تنظيماً حديثاً ومتطوراً، لتقوم بمهامها في الذود عن الدين، والديار والحرّات .. لا تعرف أسلوب الكر، والفر، ومن ثمّ التخفي عن الأنظار!

استراتيجية جهاد الأمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمطالب وآمال الشعوب وما تصبو إليه .. كقيام دولة راشدة عادلة قوية، لها مؤسساتها ومرافقها المدنية والعسكرية .. وبالتالي فإنّ هذا البعد معتبر جداً . في استراتيجية جهاد الأمة . في كل خطوة من خطواتها، وفي كل مرحلة من مراحلها .. تحسب للعواقب والمآلات حساباتها الجيد، والمُحْكَمَة.

استراتيجية جهاد الأمة لها مسؤولياتها الجسام .. نحو مجموع أبنائها .. ومصالحهم .. وديارهم .. وبلدانهم .. ومقدساتهم .. كما تتحمل مسؤولياتها الأخلاقية والشرعية نحو جميع شعوب العالم .. وبالتالي فهي . أي استراتيجية جهاد الأمة . من هذا الوجه صعبة جداً تحتاج إلى جهد كبير، وإلى كوادِر كبيرة وكثيرة تتضافر عليها مجموع قوى أبناء الأمة.

استراتيجية جهاد الأمة والشعوب .. معنية بإزالة عروش الطغاة الظالمين، وإقامة دولة العدل والحق .. فمهمتها لا تقتصر على المناوشات أو الهدم وحسب .. ومن ثمّ بعد ذلك فليكن ما يكون .. من دون الالتفات إلى العنصر الأهم؛ عنصر البناء؛ بناء الدولة العادلة الراشدة القوية.

استراتيجية جهاد الأمة والشعوب .. قائمة على ترتيب الأولويات في تحديد العدو الأشدّ خطراً .. ومن ثمّ دفعه ودفع خطره عن البلاد والعباد .. وهذا قد يستدعي منها نوع تحالف أو تصالح مع فريق دون فريق، لتتفرغ للعدو الأشدّ شراسة وخطراً .. فهي . أي استراتيجية جهاد الأمة . لا تنهج سياسة استعداد العالم .. كل العالم .. وتجعلهم جميعاً في مصاف واحد من العداوة .. ومن ثمّ تخوض معهم مجتمعين معركة . في وقت واحد . تعرف نتائجها المدمرة على دولة الإسلام ومؤسساتها .. وعلى الشعوب المسلمة مسبقاً .. والسنة قد أشارت لشيء من هذا الفقه الهام، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم، فتسلمون وتغنمون .."، وفي رواية:

استراتيجية جهاد الأمة واستراتيجية جهاد العصابة

"ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتنصرون، وتغنمون، وتسلمون... [صحيح سنن أبي داود]. فهناك عدو من وراء الروم. ويُحتمل أن يكون جزءاً منه من وراء المسلمين كما أفادت بذلك الرواية الأخرى. شديد الخطر والعداوة لا يمكن الوصول إليه ومن ثم دفعه ودفع شره، إلا بعد نوع تصالح وتنسيق مع نصارى الروم.

وفي غزوة الخندق، استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، في أن يشاطر بعض الأحزاب التي شاركت في تطويق المدينة وحصارها، تمر المدينة، مقابل أن يفكوا ارتباطهم وتحالفهم مع مشركي قريش، وينفضوا عن القتال ومحاصرة المدينة.. وهذا كله من قبيل العمل بالفقه المشار إليه أعلاه.

فإن قيل: هل يُفهم مما تقدم أعلاه أن استراتيجية جهاد العصابة مرفوضة أو مستهجنة على الاطلاق؟..

أقول: لا؛ بل قد تتواجد. في مرحلة من المراحل. ظروف موضوعية تبرر وجود من يُقاتل على طريقة حرب العصابات، معتمداً استراتيجية جهاد العصابة.. وقد تواجد في التاريخ الإسلامي شيء من ذلك كما في جهاد الصحابي الجليل أبي بصير ومن معه، لما اضطرتهم الظروف الناجمة عن صلح الحديبية أن يشكلوا بأنفسهم جهة مستقلة، ومتنقلة، تعتمد أسلوب الكر والفر، بعيداً عن دولة الإسلام والتزاماتها، المتمثلة في المدينة المنورة، والتي كانت تمثل استراتيجية جهاد الأمة.

لكن ما إن تزول تلك الظروف الموضوعية التي أفرزت تلك المجموعة التي تقاتل على طريقة استراتيجية جهاد العصابة.. إلا ويتعين على تلك المجموعة أن تنخرط وتدخل في المشروع الأضخم والأشمل؛ مشروع استراتيجية جهاد الأمة والشعوب، وهذا الذي حصل مع الصحابي أبي بصير رضي الله عنه ومن معه؛ فما أن زالت تلك الظروف الموضوعية التي أفرزتهم، وأبعدتهم عن استراتيجية جهاد الأمة، إلا وسرعان ما انضموا إلى الجسد الأكبر للأمة، ليجاهدوا معها جهادها الأكبر، وفق استراتيجيتها. استراتيجية جهاد العصابة.. حالة استثنائية طارئة، توجدها ظروف موضوعية معينة.. فإذا ما زالت تلك الظروف.. ووجدت استراتيجية جهاد الأمة والشعوب.. بطلت استراتيجية جهاد العصابة..

استراتيجية جهاد الأمة واستراتيجية جهاد العصابة

ودخلت وجوباً في الاستراتيجية العامة لجهاد الأمة .. فإن لم تفعل؛ فحينئذٍ قد تفسد أكثر مما تُصلح؛
إذ لا يمكن أن تُفعل في زمان واحد، ومكان واحد .. استراتيجية جهاد الأمة، واستراتيجية جهاد العصابة
معاً!

لا يجوز أن تكون استراتيجية جهاد الأمة تبعاً لاستراتيجية جهاد العصابة .. أو أن تفرض العصابة
على الأمة استراتيجيتها في الجهاد، والعمل، والحركة والتغيير .. فمثل من يفعل ذلك كمثل من يُلزم
الرجل الكبير بأن يرتدي ثياب الطفل الصغير .. وأنى!

عندما تنهض الأمة للجهاد والتغيير .. يجب على من يجاهد على طريقة استراتيجية جهاد العصابة
.. أن يتنحى عن الطريق .. وأن يعطي الفرصة كاملة للأمة والشعوب أن تمضي في طريقها نحو أهدافها،
وإلى نهايته .. من دون أن يُحدث أي حدث .. حتى لا يفسد على جهاد الأمة خطتها، واستراتيجيتها،
وطريقتها في العمل والتغيير.

الطغاة الظالمون .. في كثير من الأحيان لا يستطيعون مواجهة استراتيجية جهاد الأمة والشعوب
.. ولكي يفسدوا على الأمة خطتها في الجهاد والتغيير .. يستفدون ويستجرون الذين يُقاتلون على طريقة
استراتيجية جهاد العصابة إلى الساحات والميادين .. ليثيروا معهم المعارك الجانبية .. ويضربوهم ..
ويضربوا معهم جهاد الأمة والشعوب .. وتكون ذريعتهم في ضرب استراتيجية جهاد الأمة والشعوب ..
أنهم أرادوا ضرب ومحاربة من يُقاتل ويُجاهد على طريقة استراتيجية جهاد وحرب العصابات .. أرادوا
قتال الإرهابيين " والعصابات الإرهابية"، وليس الشعوب .. وهم بهذا الزعم الكاذب عساهم يستعطفون
دول العالم لتقف بجوارهم، في حربهم ضد الشعوب الثائرة الراغبة في التغيير!

لذا إن لم يتنبه من يُجاهد على طريقة استراتيجية جهاد العصابة لهذا الجانب .. وأبى إلا أن
يُزاحم ويشارك استراتيجية جهاد الأمة والشعوب في العمل والجهاد والتغيير .. على طريقته، وفق
استراتيجيته .. فهو من جهة يضر أكثر مما ينفع .. ومن جهة أخرى يقدم خدمة كبيرة لطغاة الحكم
المجرمين الظالمين من حيث لا يدري!

استراتيجية جهاد الأمة واستراتيجية جهاد العصابة

لا ينبغي ولا يليق لمن يُجاهد على طريقة استراتيجية جهاد العصابة .. أن يُطالب الأمة والشعوب بالجهاد والنهوض للتغيير .. ثم إن فعلت الأمة، ونهضت للجهاد والتغيير وفق استراتيجيتها .. زاحمها في العمل .. وأحدث الأحداث التي تفسد عليها خططها واستراتيجيتها في الجهاد والعمل والتغيير .. وألزمها باستراتيجيته .. وطريقته في العمل .. فإن لم تفعل .. ولن تقدر على أن تفعل .. أساء بها الظنون .. ورمى بفشله على الأمة والشعوب .. والحق أن ما أصابه .. وأصاب الأمة بسببه، هو من عند نفسه!

أرجو أن تكون كلماتي واضحة الدلالة والمعاني .. وأن تجد من يلقي السمع وهو شهيد .. وأن لا تُحمّل من الأفهام السقيمة ما لا تحتمل، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:88.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1434/05/15هـ

2013/03/27م

الشورى الفريضة الغائبة

الشورى الفريضة الغائبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

من أهم ما يتميز به العمل الإسلامي الراشد الجاد، وكذلك المجتمع الإسلامي . وبخاصة نظام الحكم فيه . العمل بمبدأ الشورى على وجه الوجوب والإلزام، وعلى جميع المستويات العامة والخاصة، وفي جميع مرافق الحكم والحياة .. وبخاصة في الزمان الذي تَضَعُ فيه الأمانة، ويفشو فيه الكذب، ويُقال في بني فلان رجل أمين .. ونحن في هذا الزمان وللأسف!

لا بد للمجتمع الإسلامي من أن تكون الشورى فيه هي الثقافة الرائجة فيما بين الناس .. التي يتحلى ويتزين بها الجميع .. والجميع . سواء كانوا حكاماً أم محكومين . يمارسونها ويُطبقونها في حياتهم العملية، والعلمية، والسياسية .. وعلى جميع المستويات، وبخاصة في الأمور الهامة التي يرتد الخطأ فيها على مجموع أبناء الأمة!

كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38.

وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران:159. وهذا الأمر بالشورى موجه من رب العالمين إلى المسدّد سيد الخلق الذي لا ينطق عن الهوى، صلوات ربي وسلامه عليه .. فيكون من دونه أولى بالالتزام والعمل بمبدأ الشورى.

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "ما رأيتُ أحداً قطُّ كان أكثرَ مشورةً لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم". وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "لو اجتمعتما في مشورةٍ ما خالفتكما".

عندما يسود العمل بمبدأ الشورى في دولة من الدول، تكون هذه الدولة دولة الجميع، وحمايتها ورعايتها مسؤولية الجميع، وما يُصيها يعني الجميع، ويتحمل مسؤوليته الجميع .. بخلاف الدولة التي تُغيب العمل بمبدأ الشورى، ويسودها حكم الفرد، وقرار الفرد .. وهوى الفرد .. فهي حينئذٍ تكون دولة هذا الفرد، وما يصيها وينتاجها لا تعني سواه، ولا يتحمل مسؤوليته أحد سواه .. ودولة هذا وصفها لا تقوى على مواجهة الصعاب والتحديات، ثم هي ما أسرع انهيارها وسقوطها!

الشورى الفريضة الفائية

العمل بمبدأ الشورى فيه تطيب لخاطر الجميع، كما أنه يحيى في الأمة والشعوب روح العمل الجماعي، والتكافل الجماعي، والترابط والتوحد الجماعي الشامل لجميع المسلمين، الذي أثنى الله ورسوله عليه خيراً، إذ كل واحد - بسبب الشورى - يشعر أنه مسؤول، وأنه على ثغر من ثغور الأمة والإسلام، يحرص أن لا يؤتى من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران:103. هذا الاعتصام بحبل الله جميعاً، ومن دون أن يعقبه تفرق بين المسلمين لا يمكن أن يتحقق من غير شورى، وتشاور بين المسلمين .. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ﴾ الصف:4. وهذا الواجب لا يمكن أن يتحقق من غير شورى، ومشورة بين المسلمين .. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال:46. ومن أعظم الأسباب التي تُذهب التنازع فيما بين المسلمين تقرير مبدأ الشورى، والعمل بها .. كما أنه لا شيء يجلب التنازع والتفرق بين المسلمين ويوغر صدور بعضهم على بعض كتغييب العمل بالشورى، وتجاهل الخلق وحقهم في الشورى، رغم أن الأمر يعينهم، ويخصهم .. وإذا كان الأمر كذلك، وهذه الأهمية والخطورة، فإن العمل بالشورى واجب حتمي، لا ينبغي الشك أو التردد في ذلك.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" مسلم.

وقال ﷺ: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة" [صحيح سنن الترمذي: "1758"]. وقال ﷺ: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب" [السلسلة الصحيحة:667]. وهذا كله لا يمكن تحقيقه على الوجه المطلوب شرعاً من دون العمل بمبدأ الشورى.

وفي الأثر عن عمر بن الخطاب ؓ قال: "فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه: تَغَرَّةٌ أَنْ يُقْتَلَ" متفق عليه. أي خشية وحذر أن يُقتل؛ لأنه عندما غرر بنفسه، وبصاحبه الذي بايعه على غير مشورة من المسلمين، فقد عرضهما للقتل.

وقال ﷺ: "الإمارة مشورة"؛ أي إنما تقوم الإمارة وتثبت بالمشورة.

الشورى الفريضة الفائية

لا شيء يُحصن الدّول من السّقوط والانهيار كالعمل بمبدأ الشورى .. ولا شيء يُعجل من سقوطها وانهيارها كتغييب العمل بعقيدة ومبدأ الشورى.

والناظر في أسباب تفرق الأمة في هذا العصر وضعفها، يجد من أهمها تغييب وإهمال العمل بمبدأ الشورى فيما بين المسلمين .. فيما بين الجماعات الإسلامية بعضها مع بعض، وفي داخل الجماعات ذاتها .. كما أن الناظر في أسباب توحيد الأمم الكافرة في هذا العصر. على ما بينها من اختلاف وتنوع وتباين . يجد من أهمها تفعيل الشورى فيما بينهم!

أعجب لقوم من بني جلدتنا .. تراهم لا هم يريدون الديمقراطية .. ولا هم يريدون الشورى؛ فيعملون لها عملها، ويفعلون آلياتها في واقعهم، وحياتهم العامة والخاصة .. وهؤلاء لم يبقَ أمامهم سوى خيار النظام الديكتاتوري الاستبدادي .. سوى عقلية حكم الفرد، على مبدأ فرعون القائل ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29. وهو خيار مرفوض بالنقل والعقل، ترفضه وتستعديه جميع الشعوب الحرة الكريمة.

قد كثرت الجماعات الوافدة إلى سوريا الحبيبة .. ومع كل جماعة أجنحتها الخاصة بها، نحو حكم سوريا، ومستقبل سوريا السياسي .. يريدون فرضها على الشام، وأهل الشام من غير مشورة منهم .. وكأن أهل الشام قاصرون عن إدارة شؤونهم، وشؤون بلادهم بأنفسهم!

ولهؤلاء نصارحهم فنقول: وفروا عليكم الجهد والوقت .. مهما كانت مشاريعكم تحمل عناوين شريفة ومقدسة .. لا يمكن أن يُكتب لها القبول والنجاح في الشام .. أو أن تُفرض على أهل الشام فرضاً من غير مشورة ومباركة منهم، ومن علمائهم، ومجاهديهم .. ولو حاولتم فرض مشاريعكم بالقوة والعنف من غير مشورة ولا تشاور مع علماء ومجاهدي وثوار الشام .. لن تفلحوا .. ومثلكم حينئذٍ كمثّل من يأتي البيوت من غير أبوابها .. ومن يريد أن يدخل الجمل في سمّ الخياط، وأنى .. ثم لو حصلت فتنة ومقتلة بسبب ذلك .. فهو بسببٍ من عند أنفسكم .. لأنكم تجاهلتم الشورى .. وأعرضتم عن العمل بمبدأ وفريضة الشورى .. ونسيتم حظاً عظيماً من الدين باسم الدين .. ولا تلوموا حينئذٍ إلا أنفسكم!

الشُّورَى الفريضةُ الغائبة

هذا ليس رأي صاحب هذه الكلمات وحسب، بل هو رأي كل من التقيناهم وعرفناهم من أهالي، وعلماء

ومجاهدي الشام!

اللهم احفظ الشام، وأهل الشام من كل شرٍّ، وذِي شرٍ.. ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن .. اللهم آمين،

أمين، وصلى الله على محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1434/09/09 هـ

أبو بصير الطرطوسي

2013/07/17 م

بيانٌ ونداءٌ إلى الشَّبَابِ السُّوريِّ الذين يفتَرشون المخيّمات

بيانٌ ونداءٌ إلى الشَّبَابِ السُّوريِّ الذين يفتَرشون المخيّمات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تجاوز عدد الشَّبَابِ السُّوريِّ الذين يفتَرشون الخيام في مخيمات اللاجئين في الأردن، ولبنان، وتركيا، وعلى الحدود داخل الأراضِ السُّوريةِ .. عشرات الآلاف .. إن لم يكن مئات الآلاف!

ولهؤلاء الشَّبَابِ نوجه النداء، والخطاب:

أيها الشَّبَابِ .. كيف ترضون لأنفسكم أن تفتَرشوا خيام النذل والهوان .. أن تراحموا الأطفال، والنساء، والشيوخ خيامهم وطعامهم .. وإن كان الأطفال، والنساء، والشيوخ معذورين بالاستضعاف .. فما عذرکم أنتم؟!

كنتم من قبل تعتذرون بقلّة السلاح، وأنکم لا تملكون السلاح، وها هو اليوم . بفضّل الله . قد أصبح السلاح متوفراً لكل من يصدق الله في جهاده، ويريد صادقاً أن يُجاهد، وإني لأعیدکم أن يُحمّل علیکم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة:46.

علام عندما قال الله تعالى لکم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ البقرة:183. لبيتم الأمر والنداء، فصمتم مشكورين، من غير تلكؤ، ولا جدال، وعندما قال لکم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ البقرة:216. تقاعستم عن تلبية الأمر، والنداء، وأكثرتم الجدال، ورضيتم لأنفسكم عيش الخيام، والنذل والهوان، علماً أن الأمر والفرض واحد، وهو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ ، والأمر واحد، وهو الله تعالى رب العالمين!

كيف ترضون لأنفسكم الفرار من الزحف، وافتراش مخيمات النذل والهوان، بينما بيوتكم تُهدم على رؤوس ساكنيها من أهاليكم .. وحرماّتكم وأعراضكم تُنتهك صباح مساء على أيدي عصابات المجرم الطاغية بشار الأسد؟!

بيانٌ ونداءٌ إلى الشباب السوري الذين يفتershون المخيمات

أيها الشباب .. كيف ترضون لأنفسكم أن ينفر لنصرة الشام وأهل الشام، شباب من أقاصي صقاع الأرض . جزاهم الله خيراً . بينما أنتم المقربون، أهل الديار، أبناء البلد .. الديار دياركم، والأعراض أعراضكم، والحرمات حرما تكم .. تفرون، وتُدبرون، وترضون لأنفسكم عيش الذل والهوان، في المخيمات!؟

والله تعالى يقول لكم: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ النساء:75.

أيها الشباب، أيها الرجال الأشداء .. تشكون ضنك العيش، وما تتعرضون له من إذلال، ومهانات في المخيمات .. فهو من عند أنفسكم، وهو جزء يسير من عاجل عذاب الله لكم، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التوبة:39. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قَلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِينُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة:38.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله سبحانه بقارعة قبل يوم القيامة " السلسلة الصحيحة: 2561. الله أعلم بماهية ونوعية وحجم هذه القارعة!

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما ترك قومٌ الجهادَ إلا عمَّهم الله بالعذاب " السلسلة الصحيحة:2663.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق" مسلم.

بيانٌ ونداءٌ إلى الشباب السوري الذين يفتershون المخيمات

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتُم بالعينة، وأخذتُم أذنابَ البقر، ورَضيتُم بالزَّرع، وتركتمُ الجهادَ، سلَّطَ اللهُ عليكم ذلًّا لا ينزعهُ حتَّى ترجعوا إلى دينِكُم" السلسلة الصحيحة:11. أي حتى ترجعوا إلى جهادكم، فتجاهدوا في سبيل الله.

زعمتم أنكم فررتُم من الموت، والموت يدرككم حتى لو كنتم في خيامكم، بل وفي بروج مشيدة، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ النساء:78. ثم شتان شتان من يموت مقبلاً محتسباً في ساحات الجهاد والعز، والشرف، وبين من يموت مدبراً، في ساحات الذل، والهوان، ومخيمات اللجوء .. لا يستويان!

ثم كم من مقتحم، طالب للموت من مظانه، لا يكتب الله له الموت .. وكم من جبان، طالب للحياة والنجاة من مظانها، يكتب الله له الموت، ومن حيث أراد الحياة؟!!

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ البقرة:243.

تريدون الحياة ..؟ وحياتكم في جهادكم، وقتالكم، والذود عن دينكم، وأعراضكم، وحرماتكم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال:24. أي إذا دعاكم إلى الجهاد الذي فيه حياتكم، وعزكم، وكرامتكم، فإما عيش السعداء الأعداء، وإما ميتة الشهداء الكرماء، وكلاهما نصر وحياء، أنعم بها من حياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة:154. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ آل عمران:169.

وقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهمَّ والغمَّ" السلسلة الصحيحة:1941. وقال صلى الله عليه وسلم: "رباطٌ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها" متفق عليه.

بيانٌ ونداءٌ إلى الشُّبابِ السُّوريِّ الذين يفتَرشون المخيمات

وقال صلى الله عليه وسلم: "مقامُ الرجل في الصِّفِّ في سبيلِ الله، أفضلُ عند الله من عبادة الرجل ستين سنة " صحيح الترغيب:1303. وقال صلى الله عليه وسلم: "موقف ساعةٍ في سبيلِ الله خير من قيام ليلةٍ القدر عند الحجر الأسود " السلسلة الصحيحة:1068.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيلِ الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " البخاري.

أيها الشباب، أيها الرجال الأشداء الأقياء .. عودوا إلى جهادكم، تُكتب لكم . وللمستضعفين من أهاليكم . الحياة .. ارفضوا عيش المخيمات؛ فالمخيمات لم تُنصَبْ لكم .. وانفضوا عن أنفسكم غبار الذل، والخوف، والهوان .. فالشام تناديكم، وهي بحاجة إليكم .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد:7. ﴿وَمَا تَنصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران:126.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليلة

1434/10/03هـ

أبو بصير الطرطوسي

2013/08/10م

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد وردتني أسئلة عدة، ومن أطراف عدة .. عن شرعية الوسائل السلمية . كالتظاهرات، والاعتصامات، والدعايات، والعصيان المدني ونحوها من الوسائل السلمية . وعن الجدوى منها في إنكار المنكر السياسي، أو إنكار المنكر الصادر عن الحاكم، والسلطة الحاكمة، وبخاصة بعد الانقلاب العسكري المشؤوم الذي شهدته مصر . حفظها الله وأهلها من كل سوء . حيث لم تنفع معه الوسائل السلمية، كما أنها لم تردعه عن غيّه وظلمه، وعدوانه .. وقد كثرت . إثر ذلك . الحوارات والمساجلات بين الإخوان حول شرعية إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية .. وأيهما أفضل وأجدى نفعاً في إنكار المنكر السياسي؛ اللجوء إلى الوسائل السلمية، أم اللجوء إلى الوسائل العسكرية؟

فكان لزاماً علينا أن نجيب، فأقول . مستعيناً بالله : المنكر السياسي؛ الصادر عن السلطة الحاكمة شأنه شأن أي منكر آخر يتعين إنكاره، فمنه ما يُنكر بالوسائل السلمية، عندما تتوفر دواعيه، وظروفه، وهو الخيار الأول الذي ينبغي اللجوء إليه، ومنه ما يُنكر بالقوة والوسائل العسكرية، عندما تتواجد مقتضياته، وتحقق شروطه .. فلا تعارض بين المنهجين . السلمية والعسكرية . وبالتالي لا يجوز أن نضرب منهجاً بالمنهج الآخر، كما لا يجوز أن نلغي منهجاً من أجل المنهج الآخر .. فكل المنهجين مشروعان، يكملان بعضهما البعض، قد دلت عليهما نصوص الشريعة.

من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها على إنكار المنكر . أيّاً كان نوع هذا المنكر، سواء كان منكراً سياسياً أم غير سياسي . بالوسائل السلمية، قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" مسلم . فتغيير المنكر . بما فيه المنكر السياسي . باللسان، يدخل في خانة الوسائل السلمية.

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

ونحوه الحديث، عن عبادة بن الصامت، قال: "بايعنا رسول الله على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" [244].

وقال صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" [245].

وقال صلى الله عليه وسلم: "أحب الجهاد إلى الله، كلمة حق تُقال لإمام جائر" [246].

فكلمة الحق التي تُقال عند سلطان جائر، وكذلك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، يدخل في خانة الوسائل السلمية.. ثم لو قُتل الصادع بالحق، الأمر بالمعروف، والناهي عن المنكر بسبب صدعه، وأمره، ونهيه فهو شهيد، بل هو مع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "سيكونُ أمراءٌ من بعدي؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدْهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدْهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدْهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمانَ بعده" [247]. وجهادهم باللسان، يدخل في خانة الوسائل السلمية.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحقرن أحدكم نفسه" قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: "يرى أمراً لله عليه مقالاً، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول: فيأي كُنت أحق أن تخشى" [248].

²⁴⁴ رواه الحاكم، السلسلة الصحيحة: 491.

²⁴⁵ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، السلسلة الصحيحة: 491.

²⁴⁶ رواه أحمد، والطبراني، صحيح الجامع: 168.

²⁴⁷ صحيح موارد الظمان: 1298.

²⁴⁸ قال المنذري في الترغيب: رواه ابن ماجه، ورواته ثقة. وقال أحمد شاكر في العمدة 701/1: إسناده صحيح.

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

فهو إذا كان لا يملك سوى أن يقول الحق في أمر يتعين عليه أن يقول فيه .. فليقله .. ولا يحقرن مقالته ونفسه، ويقول: ماذا تنفع مقالي .. أو يقول: مقالي من الوسائل السلمية، التي لا تجدي نفعاً .. هذا لا ينبغي!

ومما يحسن الاستدلال به على المنهج السلمي في إنكار المنكر، الأحاديث العديدة العامة التي تأمر بالرفق، وتنهى عن العنف والشدة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الرَّفِقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ" مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفِقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ" مسلم. وفي رواية: "يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ". والرفق أقرب إلى الوسائل السلمية منه إلى غيرها.

أما الدليل على جواز اللجوء إلى القوة، والوسائل العسكرية في إنكار المنكر السياسي . عندما تتوفر مقتضياته، وتتحقق شروطه . فهي أكثر من أن تُحصَر، فكل الآيات والأحاديث التي تأمر وتحض على الإعداد والجهاد، وإنكار المنكر باليد، تصلح أن تكون دليلاً في المسألة.

فإن قيل: متى نعمل بهذا الخيار أو ذاك .. ومتى نقدم أحدهما على الآخر .. وما هو الضابط في

ذلك؟

أجيب عن هذا السؤال من أوجه عدة:

منها: أن التعامل مع العدو الداخلي المتمدد والمتداخل في المجتمع وأحيائه أصعب من التعامل مع العدو الخارجي المتميز، والواضح في عداوته وعدوانه .. وبالتالي حتى يتحقق الحد المطلوب لمواجهة العدو الداخلي، يحتاج لمزيد من الفقه، والبيان، والعمل .. والاعداد .. ما لا يحتاجه العدو الخارجي .. والعجلة في مثل هذه المواضع تورث الخسران والندامة.

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

ومنها: الخيار العسكري في التعامل مع المنكر السياسي الداخلي، لا ينبغي اللجوء إليه، إلا بعد نفاذ الإصلاح والتقويم والتغيير عن طريق الوسائل السلمية، وبالتالي ينبغي إعطاء الوسائل السلمية حقها وفرصتها في العمل والتغيير. ما دامت تثمر وتُعطي نتائجها المرجوة. قبل الشروع في أي عمل عسكري .. من قبيل الإغذار، والتماس أقل الضررين.

ومنها: لا ينبغي أن نُعمل الوسائل العسكرية، أو نلجأ إلى الخيار العسكري في البيئة أو الميادين التي تعمل فيها الوسائل السلمية، أو في البيئة التي لم تستنفد الوسائل السلمية قدراتها وعطاءها بعد .. كما لا ينبغي أن نُعمل الوسائل السلمية في البيئة أو الميادين التي تنشط فيها الوسائل العسكرية، أو يكون القرار فيها للوسائل العسكرية .. وعدم الانتباه لهذا المعنى يُفسد ويضر .. وهو كمن يضع الأشياء في غير موضعها، فأنتى لها أن تثمر أو تُعطي عطاءها!

ومنها: عند استخدام الوسائل العسكرية، واللجوء إلى خيار القوة .. ينبغي أن يحصل تقييم دقيق لطبيعة العدو الداخلي المراد التعامل معه .. هل تجدي الوسائل السلمية معه نفعاً أم لا .. وعلى ضوء ذلك يصدر الحكم والقرار من ممثلي المجتمع من أهل الحل والعقد بتبني الخيار الأنسب، والأنجع، سواء كان الخيار العسكري أم الخيار السلمي.

عند اللجوء إلى الخيار العسكري أو استخدام الوسائل العسكرية في استئصال طاغية من الطغاة المجرمين .. لا بد من أن يتقدمه استقراء دقيق أن هذا الطاغية لا يُجدي معه خيار سوى خيار القوة، واللجوء إلى الوسائل العسكرية .. وهو ما حدى بنا أن نقول منذ اليوم الأول من الثورة السورية المباركة .. يوم أن كانت سلمية .. أن الطاغية المجرم القرمطي بشار الكيماوي لا يجدي معه نفعاً، ولا يمكن التفاهم معه أو تغييره إلا من خلال القوة، واستخدام الوسائل العسكرية .. وهذا ناتج منّا عن استقراء دقيق لطبيعة وجينيات وتاريخ هذا النظام الطائفي الظالم البغيض .. والأحداث أثبتت صحة نظرتنا فيه!

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

ومنها: عند تبني أحد الخيارين أو المنهجين في التعامل مع المنكر السياسي الداخلي ينبغي أن يراجع بدقة، وتقوى، وفقه بين المصالح والمفاسد، فما رجحت المصلحة منه عُمل به، وما رجحت مفسدته دفعناه، وتخلينا عنه .. وتقدير المصالح من المفاسد .. في اختيار أي المنهجين أو الطريقتين .. وتقديم أحدهما على الآخر .. مرده إلى أهل العلم والاختصاص من الصادقين المخلصين.

فما كان يُزال عن طريق الوسائل السلمية، من الخطأ حينئذٍ اللجوء إلى الوسائل العسكرية .. وما كان لا يُزال إلا من خلال الوسائل العسكرية، من الخطأ، والعبث اللجوء إلى الوسائل والخيارات السلمية .. إلا بالقدر الذي يخدم الخيار والوسائل العسكرية.

ومنها: الأضرار الناجمة عن اللجوء إلى القوة والوسائل العسكرية .. مهما تعاظمت .. يجب أن تكون أقل ضرراً من المنكر السياسي المراد إزالته وتغييره .. وأقل ضرراً من ضرر إقرار فساد وظلم وكفر المنكر السياسي سيدياً، وحاكماً على البلاد والعباد.

ومنها: من وجد نفسه في العمل والجهاد بالوسائل السلمية أكثر نفعاً وعطاءً من العمل والجهاد بالوسائل العسكرية .. لا يعيب على من يجاهد عبر الوسائل العسكرية .. كذلك من يجد نفسه في العمل والجهاد عبر الوسائل العسكرية أكثر نفعاً وعطاءً من العمل بالخيارات أو الوسائل السلمية .. لا يعيب على إخوانه الذين ينشطون ويعملون لدينهم وأمتهم عبر الوسائل السلمية .. مادامت هذه الوسائل مشروعة ومباحة .. وتُعطي ثماراً.

فكلا الفريقين على خير .. وكلاهما يكملان بعضهما البعض .. والأمة تحتاج إليهما معاً، وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ" [249].

وهذا الحديث قد شمل نوعي الجهاد: الجهاد بالوسائل السلمية، والجهاد بالوسائل العسكرية.

هذه جملة من الضوابط والمعايير التي ينبغي مراعاتها .. والنظر إليها .. عند العمل بالخيار السلمي،

وتقديمه على الخيار العسكري، أو العكس .. والله تعالى أعلم.

²⁴⁹ صحيح الجامع: 1934.

إنكار المنكر السياسي بالوسائل السلمية

فمن لم يقنع بما تقدم أعلاه، وأراد مزيداً من التفصيل والبيان .. فليراجع مقالتنا المعنونة بـ " فصل الكلام في مسألة الخروج على الحكام"، وقد كتبت بتاريخ 2001/4/11، ومقالة " العصيان المدني"، وقد كتبت بتاريخ 2002/8/8، فالحق أحياناً قد تجتمع أطرافه وفروعه من أكثر من مقالة ..

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1434/10/29هـ

أبو بصير الطرطوسي

2013/09/05م

الزم غرز أهل الشام ومجاهديهم

الزم غرز أهل الشام ومجاهديهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

إذا تكاثرت عليك الخيارات، وتشتتت بك السبل، وصعب عليك الاختيار، ومعرفة الطريق الصحيح .. فانظر أين يكون أهل الشام . ممثلين بعلمائهم ومجاهديهم . فثَمَّ الحق .. فالزم غرزهم وسبيلهم .. ولا تلتفت عنهم إلى غيرهم .. تنجو وتفوز في داري الدنيا والآخرة بإذن الله.

وهذا ليس مجرد رأي .. وإنما هو توجيه وإرشاد ووصية من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَى﴾ النجم:4.

فالشام . ممثلة بأهلها وعلمائها ومجاهديها . بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم محفوظة، منصوره .. لا تخلو من وجود الطائفة المنصورة الظاهرة .. وبالتالي لا يمكن أن تتواطأ على باطل أو ضلالة .. قد تكفل الله لنبيه؛ ولدينه، ولأمتة بالشام وأهله .. وهذا من لوازمه أن يرعى الله أهل الشام ويرفعهم إلى مستوى تلك الأمانة العظيمة ألا وهي نصرة الملة والأمة.

عن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستجندون أجناداً؛ جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن". قال عبد الله: فقلت: خِرْلِي يا رسول الله! فقال: "عليكم بالشام .. فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله".

قال ربيعة: سمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث، يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: "يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام! قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: "تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتهم على الشام".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عمِد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم". مفهوم المخالفة يقضي بأن أهل الشام إذا صلحوا، فالخير كل الخير في الأمة .. فالشام بالنسبة للأمة زاوية الانطلاق في الفساد

الزم غرز أهل الشام ومجاهديهم

والاصلاح .. فكما أن فساد الأمة مبعثه من فساد الشام، كذلك صلاح الأمة مبعثه من الشام، وهو مرهون بصلاح أهل الشام.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لن تبرح هذه الأمة منصورين أينما اتجهوا، لا يضرهم من خذلهم من الناس حتى يأتي أمر الله وهم بالشام". فإن لم تكن الطائفة المنصورة محصورة في الشام وأهله .. فهي . بنص هذا الحديث . لا تخلو من وجود الطائفة المنصورة الظاهرة، التي لا يضرها من خذلها من الناس.

وعن عبد الله بن جواله أنه قال: يا رسول الله اكتب لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أخترعلى قريك. قال: عليك بالشام، عليك بالشام، عليك بالشام. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم كراهيته للشام قال: هل تدرون ما يقول الله عز وجل؟ يقول: أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي.. ورأيت ليلة أُسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة، قلت: ما تحملون؟ قالوا: نحمل عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب، فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام".

وقال صلى الله عليه وسلم: "عِقد دار المؤمنين بالشام".

فهذه بعض منح الله تعالى للشام، ولأهل الشام .. وهذه بعض توجيهات ووصايا الحبيب صلى الله عليه وسلم في الشام، وأهل الشام .. وهذا هو اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، والمؤمنين من بعدهم .. وقد خاب وخسر، وانتكس من ناصب أهل الشام ومجاهديهم الحرب والعداوات .. وقد أفلح وفاز من ألزم نفسه غرز أهل الشام ومجاهديهم!

عبد المنعم مصطفى حليلة

1435/03/30هـ

أبو بصير الطرطوسي

2014/02/01م

لن تنتصروا حتى تحابوا

لن تنتصروا حتى تحابوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد طفت على عديد من الفصائل والمجموعات التي تجاهد على أرض الشام .. فنادر ما كان فصيل يثني خيراً على فصيل آخر .. أو يُنصف ما عند الفصيل الآخر من حق، وخير .. علماً أن الفصيل الآخر لا يُعدم خيراً .. وما إن تسأل مجموعة عن مجموعة أخرى .. إلا وسرعان ما تبدأ التجريح .. والانتقاص .. والغمز .. واللمز .. وسوء الظن .. بالمجموعة الأخرى .. وكأنها تخلو من الحسنات .. أو حتى من حسنة واحدة تستحق المدح لأجلها!

وهذا لعمر الحق .. سبب كبير .. في تفريق الصفوف .. وتدابير النفوس .. وإطالة المعاناة .. وتأخير النصر.

فإذا كان العدو الكافر .. لا ينبغي أن تمنعنا عداوته ومحاربتة، من إنصافه فيما له من حق .. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8. فكيف بالمسلم . وبخاصة المسلم المجاهد . فإنصافه، وإنصاف ما عليه من حق .. من باب أولى.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء". والمرء قد يُحسن تارة، ويُسيء تارة أخرى .. فيُشهد عليه في الأولى بأنه قد أحسن، وفي الأخرى أنه قد أساء .. وهذا من تمام العدل والإنصاف.

وقال صلى الله عليه وسلم: "حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثًا: دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السُّوءِ"

[السلسلة الصحيحة: 3420].

لن تنتصروا حتى تحابوا

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تَبَاغَضُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوقَ ثلاثِ ليالٍ" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن والظن فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تجسسُوا، ولا تحسسُوا، ولا تباغضُوا، وكونوا إخواناً" البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: "وإياكم والبُغْضَةُ؛ فإنها هي الحالقة، لا أقولُ لكم: تحلقُ الشَّعرَ، ولكن تحلقُ الدينَ" [صحيح الأدب المفرد: 197].

وقال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه" متفق عليه. فإذا كان الإيمان لا يتحقق على الوجه الصحيح والمطلوب إلا بعد أن يحب العبد لأخيه ما يحب لنفسه .. فمن باب أولى أن لا يتحقق النصر، والتمكين إلا بعد أن يحب العبد لأخيه ما يحب لنفسه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلوا الجنةَ حتى تُؤمنوا، ولا تُؤمنوا حتى تحابوا" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسدِ إذا اشتكى عضواً تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمى" متفق عليه. فلو لم يُطبق المسلمون من سنة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث لكان النصر والتمكين حليفهم!

فإن قيل: إذا كانت محبة المؤمنين لبعضهم البعض بهذه الدرجة من الأهمية .. فما هي الوسائل، والأمور التي تعين على تحقيق المحبة . وتزيدها . فيما بين المسلمين؟

أقول: هذا سؤال هام، قد أجابنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فوجه المسلمين إلى جملة من الأمور تحقق فيما بينهم المحبة، وتزيدها قوة وتمتينا.

منها: أن يُعَلِّمَ الأَخُ أخاه أنه يُحبه في الله .. فهذا مما يُطَيِّب قلبه، ويقوي المحبة بينهما.

قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أحبَّ أحدُكمُ أخاه، فليُعلِّمه أنه أحبُّه" [صحيح الأدب المفرد: 421]. وفي رواية: "إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فليُخبره أنه يحبُّه" [صحيح سنن أبي داود: 4273].

لن تنتصروا حتى تحابوا

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أحبَّ أحدكم أخاه في الله فليبيِّنْ له؛ فإنَّه خيرٌ في الإلفة، وأبقى في المودة" [السلسلة الصحيحة: 1199].

ومنها: أن يجتنب مماراته ومجادلته في غير حق .. وأن لا يكون لجوجاً عليه في الطلب والمراجعة .. وأن لا يُكثر من سؤال الناس عنه؛ فقد يُصادف مبعضاً حسوداً، يوغرما بينهما من محبة وود .. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أحببتَ أحاً فلا تُمارِه، ولا تُشاره . أي لا تكن لجوجاً في مراجعته ومساءلته . ولا تسأل عنه؛ فعسى أن توافي له عدواً، فيُخبركَ بما ليس فيه، فيُفرِّق بينك وبينه" [صحيح الأدب المفرد: 424].

ومنها: إفشاء السلام، على من تعرف، ومن لا تعرف .. قال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تُسلموا، ولا تُسلموا حتى تحابوا، وافشوا السلام تحابوا" [صحيح الأدب المفرد: 197].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو، أن رجلاً سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلام خير قال: "تُطعمُ الطَّعامَ، وتقرأُ السَّلامَ على من عَرَفْتَ ومن لم تعرف" مسلم.
وخيرهما .. وأولاهما بالله .. وأحيمهما لله .. وأقربهما منه سبحانه وتعالى الذي يبدأ صاحبه بالسلام .. ويكون السَّبَّاق في طرح السلام.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ من بدأهم بالسَّلامِ" [صحيح الترغيب والترهيب: 2703].

وفي رواية عند الترمذي: قيل يا رسولَ الله الرجلانِ يلتقيانِ أيُّهما يبدأ بالسَّلامِ؟ قال: "أولاهما بالله تعالى". أي أقربهما إلى الله وأحيمهما إليه.

لن تنتصروا حتى تحابوا

ومنها المصافحة .. فالمصافحة سبب في مغفرة الذنوب .. وتساقطها .. وزيادة المحبة فيما بين المتصافحين .. قال صلى الله عليه وسلم: "ما من مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ إِلَّا غُفِرَ لِهَٰمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا" [صحيح سنن أبي داود: 4343].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِذَا لَقِيَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَصَافَحَهُ، تَنَاضَتْ خَطَايَاهُمَا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِمَا كَمَا يَتَنَاضَرُ وِرْقُ الشَّجَرِ بِالشَّتَاءِ" [السلسلة الصحيحة: 2004].

وعن البراء بن عازب، قال: "من تمام التحية أن تصافح أخاك" [صحيح الأدب المفرد: 745].

ومنها: الإهداء والتهادي .. فالتهادي فيما بين الإخوان مما يزيد من المحبة فيما بينهم .. قال صلى الله عليه وسلم: "تهادوا تحابوا" [صحيح الأدب المفرد: 462].

وعن أنس، قال: "يا بُنَيَّ تَبَاذَلُوا بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَوْدُ مَا بَيْنَكُمْ" [صحيح الأدب المفرد: 463].

ومنها: الدعاء لأخيك المسلم بظهر الغيب .. قال صلى الله عليه وسلم: "دعوة المرء المسلم لأخيه . بظهر الغيب . مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ؛ كَلِمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِ" مسلم.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "إِنَّ دَعْوَةَ الْأَخِ فِي اللَّهِ تُسْتَجَابُ" [صحيح الأدب المفرد: 486].

ومنها: التبسمُ في وجه أخيك المسلم، وأن تلقاهُ بوجه طلق منبسط .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ" [صحيح الترغيب والترهيب: 2685].

وعن أبي جُرَيْجٍ الهَجِيمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَعَلِمْنَا شَيْئاً يَنْفَعُنَا اللَّهُ بِهِ؟ فَقَالَ: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً .. وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ..." [صحيح الترغيب والترهيب: 2687].

وفي رواية للنسائي وأحمد، فقال: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً .. وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ الْمُسْلِمَ وَوَجْهَكَ بِسَطِّ إِلَيْهِ": أي منبسطٌ منطلق.

لن تنتصروا حتى تحابوا

ومنها: الاعتدال والتوسط في زيارة الإخوان من غير إكثارٍ ممل، ولا إقلالٍ مُخِلٍ .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رُزُ غِبًّا تَزُدُّ حُبًّا" [صحيح الترغيب: 2583].

قال ابن الأثير في النهاية: الغِبُّ من أورد الإبل؛ أن ترد الماء يوماً وتدعه يوماً ثم تعود، فنقله إلى الزيارة وإن جاء بعد أيام، يُقال: غَبَّ الرجلُ إذا جاء زائراً بعد أيام. وقال الحسن: في كل أسبوع ا- هـ. وما زاد عن ذلك يورث الجفاء.

فإن قيل: ما للمتحيين في الله من مثوبة ومقام يوم القيامة ..؟

أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المتحَابُونَ في الله في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، يَغِطُّهُمْ بمكانهم النبيُّون والشُّهداءُ .. يقول الرب تبارك وتعالى: حَقَّتْ محبَّتِي على المتحَابِينَ فيَّ، وحَقَّتْ محبَّتِي على المتناصِحِينَ فيَّ، وحَقَّتْ محبَّتِي على المتبَاذِلِينَ فيَّ، هم على منابرٍ من نورٍ، يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّون والشُّهداءُ والصِّدِّيقُونَ" [صحيح الترغيب والترهيب: 3019].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: المتحَابُونَ في جَلَالِي لَهُم منابرٌ من نورٍ، يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّون والشُّهداءُ".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن لله جُلَسَاءَ يومَ القيامةِ عن يمين العرشِ، وكلتا يدي الله يمينٌ، على منابرٍ من نورٍ، وجوههم من نورٍ، ليسوا بأنبياءَ ولا شُهَدَاءَ ولا صِدِّيقِينَ"، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "هم المتحَابُونَ بجلالِ الله تبارك وتعالى" [صحيح الترغيب والترهيب: 9022].

وأولى المتحَابِينَ بالله، وأحبهما إليه سبحانه وتعالى، أشدهما حُبًّا لصاحبه .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تحابَّا الرجلان إلا كانَ أفضلُهُما أشدَّهُما حُبًّا لصاحبه" [صحيح الأدب المفرد: 423].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من رجلين تحابَّا في الله بظهِرِ الغيبِ؛ إلا كانَ أحبَّهُما إلى الله أشدَّهُما حُبًّا لصاحبه" [السلسلة الصحيحة: 3273].

فيا هؤلاء . حفظكم الله . هذه هي آثار المحبة .. وهذه هي أسبابها .. وهذه هي آثار ومخاطر انتفائها .. وهذا هو مقام وعطاء الله للمتحيين في الله .. فلا تحرموا أنفسكم من هذا الخير، والعطاء العظيمين

لن تنتصروا حتى تتأبوا

.. واعلموا أن لا نصر ولا تمكين . ولا خروج من هذه المحنة التي نزلت بالشام وأهله . إلا بعد أن تتحدوا .. وتتحابوا في الله .. وترفعوا عن التعصب للمسميات التي أحدثتموها من عند أنفسكم .. وعن ظلم بعضكم بعضاً .. فصولاً وقذائف، ومتفجرات الطاغوت .. لا تميز بين مسمى ومسمى من مسمياتكم .. فكلكم عنده سواء ..!

غفر الله لنا ولكم .. وسدد خطاكم لما يحبه ويرضاه ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1435/07/17هـ

أبو بصير الطرطوسي

2014/05/16م

شَرْعِيَّةُ إِقَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

شَرْعِيَّةُ إِقَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: ما حكم إمارة المتغلب، وفي حال تغلبت داعش " جماعة الدولة"، واستتب لها الأمر، ندخل في مبايعتها، وطاعتها .. أم ماذا نفعل .. وجزاكم الله خيراً؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

هذا سؤال قد وردني من أكثر من طرف .. وبخاصة بعد أن ظهرت فتنة الخوارج الدواعش في الشام والعراق .. فكان لزاماً علينا أن نجيب عنه، فأقول . مستعيناً بالله :

المتغلب؛ هو الذي يسطو على سدة الحكم عن طريق القوة، والغلبة، والقهر، والبطش .. فلا يتورع أن يسفك الدم الحرام، وأن يُعَمَلَ السيف والقتل في كل من يقف أمامه أو يُحِيل بينه وبين هدفه وغايته؛ ألا وهي السلطة والحكم!

وهو بعد أن يسطو على الحكم والسلطة .. وينفرد في الحكم .. ينتهج في الناس سياسة القمع، والاستبداد، والإرهاب .. وتكميم الأفواه .. ليضمن استمرار تسلطه على البلاد والعباد!

وعليه، فالتغلب طريق باطل بدعي غير شرعي .. وبطلانه يأتي من أوجه:

منها: أنه يأتي البيوت من غير أبوابها الشرعية السنيّة .. والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ البقرة:189.

والباب الشرعي الذي يُؤْتَى منه الحكم، وينتظم أمره: الشورى .. ومن ثم موافقة ورضى الأمة، وعلى رأسهم من يمثلهم وينوب عنهم من أهل الحل والعقد من العلماء، والشيخوخ، وقادة الجهاد، والوجهاء، الذين بهم تتحقق الشوكة والمنعة، ويستتب نظام الحكم.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشورى:38.

شَرْعِيَّةُ إِهَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران:159. وأعظم الأمر الذي تتعين فيه الشورى، نظام الحكم، وتنصيب إمامٍ أو حاكمٍ عامٍ على المسلمين.

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "ما رأيتُ أحداً قطُّ كان أكثرَ مشورةً لأصحابه من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم". وهو. صلى الله عليه وسلم. لا ينطق عن الهوى .. ولا ينطق إلا حقاً وصدقاً .. ومع ذلك كان أكثر الناس مشورةً لأصحابه .. فمن دونه . وبخاصة في القرون المتأخرة . أولى بالشورى .. وأن يتخلَّقوا بالشورى .. وأن تكون الشورى بالنسبة لهم نظام حياة.

وقال عمر رضي الله عنه: "الإمارة مشورةٌ": أي إنما تقوم الإمارة وتثبت بالمشورة، والشورى.

وقال رضي الله عنه: "فمن بايع رجلاً على غير مشورةٍ من المسلمين فلا يُتَابَع هو ولا الذي بايعه؛ تَغَرَّةٌ أن يُقتل" متفق عليه. أي خشية وحذر أن يُقتل؛ لأنه عندما غرر بنفسه، وبصاحبه الذي بايعه على غير مشورة من المسلمين، فقد استشرفا وعرضاً أنفسهما للقتل.

وعندما بايع المسلمون علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الخلافة .. قام فيهم في اليوم التالي خطيباً، فقال: "يا أيها الناس، إن هذا أمركم . أي الاستخلاف . ليس لأحد فيه حق إلا من أمَّرتكم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس". فرد حق التأمير للناس، ولممثلهم من أهل الحل والعقد، والشوكة، والمنعة .. والذي بهم تمضي البيعة .. وتثبت الإمامة والولاية.

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمَّ قوماً وهم له كارهون، وقال: "ثلاثة لا يُقبَلُ منهم صلاةٌ، ولا تصعدُ إلى السماء، ولا تُجاوِزُ رؤوسهم: رجلٌ أمَّ قوماً وهم له كارهون .." السلسلة الصحيحة:650.
هذا فيمن يؤمُّ قوماً في الصلاة وهم له كارهون .. فكيف فيمن يؤم الناس في الحكم والإمامة العامة وهم له كارهون .. لا شك أنه أولى باللعن .. والطرده .. وعدم القبول.

شُرْعِيَّةُ إِهَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

ومنها: أن المتغلب شديد الحرص على الحكم والإمارة .. فالإمارة عنده غاية ترخص في سبيلها الدماء والحرمان .. والنبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن طلب الإمارة وتمنيتها .. أو الحرص عليها .. فقال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَيِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ " مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّا كُمْ سَتَحْرَصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَإِنهَا سَتَكُونُ نَدَامَةً وَحَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ " البخاري.

وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلِّتَ إِلَيْهَا، وَإِن أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا " مسلم. والمتغلب لا يحرص عليها أو يسألها وحسب .. بل يُقاتل .. وينتهك الحرمات من أجلها! ومنها: أن المتغلب حاكم مستبد، متسلط بالجبروت، لا يتورع عن البطش والظلم، والقمع .. وسفك الدم الحرام من أجل شهوة الحكم والسلطة!

وعليه وعلى أمثاله من الحكام المستبدين الديكتاتوريين يُحْمَلُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَتَةُ لَعْنَتِهِمْ . لَعْنَتُهُمْ اللَّهُ . وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ . مِنْهُمْ : الْمَتَسَلِّطُ بِالْجَبْرُوتِ ؛ يُذَلُّ مِنْ أَعَزِّ اللَّهِ ، وَيُعْزَمُ مِنْ أَدَلِّ اللَّهِ ... "

وقال صلى الله عليه وسلم: " من خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا . فَلَا يَفْرُقُ فِي بَطْشِهِ بَيْنَ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ . وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ " مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: " رَجُلَانِ مَا تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلَمَ غَشُومًا ، وَآخِرُ غَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ " رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخریج: 41. والغشوم؛ هو الحاكم الظالم الذي يخبط الناس خبطاً فيأخذ منهم كل ما يقدر عليه؛ ما يحق له وما لا يحق !! وقال صلى الله عليه وسلم: " أَشَدُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا، إِمَامٌ جَائِرٌ " صحيح الجامع: 1001. وقال صلى الله عليه وسلم: " أَرْبَعَةٌ يَبْغِضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . مِنْهُمْ : الْإِمَامُ الْجَائِرُ " السلسلة الصحيحة: 363. ولا شك أن الحاكم المتغلب إمام جائر مغتصب لحق الأمة في الحكم.

شَرْعِيَّةُ إِهَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ شَرَّ الرُّعَاءِ الحُطَمَاءُ" مسلم. والحطمة؛ الذي يظلم الرعية ويبطش بهم، ويسلك معهم مسلك العنف والشدة ..!

وقال صلى الله عليه وسلم: "يكونُ أمراءٌ فلا يُردُّ عليهم قولهم، يتهافتون في النَّارِ، يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً" السلسلة الصحيحة: 1790.

وقوله " فلا يُردُّ عليهم قولهم "؛ أي لشدة استبدادهم وديكتاتوريتهم، وتسلبهم، وتفردهم في الحكم لا يجرؤ أحد من الرعية أن يعقب عليهم بقول أو رأي .. أو فهم .. فهم فوق المساءلة وفوق أن يُعقَّب عليهم .. ومن يتجرأ على التعقيب .. فجزاؤه القمع والسجن والتنكيل .. هؤلاء الحكام والأمراء: "يتهافتون في النَّارِ، يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً"!

هذا حكم وجزاء الحاكم المتغلب المتسلط .. وهذا هو موقف الشريعة منه .. فإنل قيل: إن استتب الأمر له .. فما الموقف منه، وما العمل؟

أقول: إن استتب له الأمر .. واستقر حكمه .. تُقدّر مفسدة الخروج عليه .. ومفسدة إقراره على الحكم .. فتقدّم أقل المفسدتين .. لتُدفع بها المفسدة الأكبر .. والضرر الأكبر .. وتكون طاعته حينئذٍ . في المعروف . من قبيل الضرورات التي تبيح المحظورات .. ومتى كان الخروج عليه .. وإقالته عن سدة الحكم أقل ضرراً وأقل مفسدة .. من إقراره على الحكم .. والسلطة .. تعين على الأمة الخروج عليه .. واستبداله بحاكم شرعي ترتضيه الأمة .. فالإسلام جاء بتحصيل أكبر المصالح .. ودفع أكبر وأشد المفسدات .. فأين توجد المصلحة، ويوجد العدل فثمّ الإسلام، وشرع الإسلام .. وأين توجد المفسدة، ويوجد الظلم فثمّ دين الطاغوت، وشرع الطاغوت!

أما إن كان المتغلب من ذوي الأهواء، والضرر المركب، كالشيعة الروافض، أو الخوارج الغلاة .. أصوله لا تردعه عن انتهاك الحرمات .. وسفك الدم المعصوم .. فهذا لا طاعة له البتة .. إلا على وجه الإكراه والتقية عند العجز .. والواجب دفعه وقتاله ما أمكن لذلك سبيلاً .. لأن الشارع قد نصّ على وجوب قتاله ودفعه، ودفع شره وفساده قبل أن يتمكن، وبعد أن يتمكن .. إن كان شره وضرره لا يندفع إلا بالقتال .. فقال صلى الله عليه وسلم في الخوارج الغلاة: "سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث

شَرْعِيَّةُ إِهَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

الأسنان . أي صغار السن . سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "سيكون بعدي من أمي قوماً يقرأون القرآن، لا يُجاوزُ حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخليقة" مسلم. وعن أبي أمامة، يقول: شرقتلى قُتِلوا تحت أديم السماء، وخير قتيلٍ من قَتَلوا، كلاب أهل النار، قد كانوا هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً. قلت: يا أبا أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح سنن ابن ماجه: 146.

وقال صلى الله عليه وسلم: "هم شرار أمي، يقتلهم خيار أمي" قال ابن حجر في الفتح 298/12:
إسناده حسن. **وكان أول من قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في موقعة النهروان.**

وقال صلى الله عليه وسلم: "سيكون في أمي اختلاف وفرقة، قومٌ يُحسنون القيل ويُسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منّا في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم" رواه أبو داود، مشكاة المصابيح: 3543.

والخوارج الغلاة رغم تمكنهم في تاريخهم من تأسيس بعض الإمارات الخاصة بهم .. إلا أنه لا يُعرف عن أحدٍ من السلف الصالح أنه قد دخل في موالاتهم وطاعتهم، أو أنه بايع أميراً من أمرائهم .. أو دعنا إلى مبايعته وطاعته .. وإنما كان الموقف منهم في اتجاه واحد لا غير؛ وهو قتالهم، ورد عدوانهم، وخطرهم عن الأنفس والحرمات ..!

والخوارج الدواعش . خوارج العصر . المعروفين باسم " جماعة الدولة"، لا يخرجون عن هذا التوصيف .. وعن هذا الحكم .. بل هم في كثير من أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم أخطر من الخوارج الأوائل .. ودفعتهم أولى وأؤكد .. وبالتالي لا يجوز أن يحصل خلاف حول جواز قتالهم ورد عدوانهم وخطرهم عن البلاد والعباد .. كما لا يجوز أن يحصل خلاف حول بطلان إمارتهم، وتأمرهم، وبطلان

شَرعِيَّةُ إِهَارَةِ الْمُتَغَلَّبِ

بيعتهم .. مهما توسعوا .. وتغلبوا في بعض المناطق .. وإعلانهم عن تمدد اسمهم ليصبحوا خلافة . بعد أن تسموا باسم الدولة . وأن صاحبهم " إبراهيم عواد " قد أصبح خليفة .. لا يغير من هذه الحقيقة شيئاً؛ إذ العبرة ليست بالتبني والادعاء .. ورفع الشعارات .. وإنما العبرة بالتحلي، ومدى القدرة على أن يتحلوا بما يدعونه ويزعمونه .. ويتشبعون به!

قد نادوا لصاحبهم الخارجي " إبراهيم عواد"، بأنه قد أصبح خليفة على المسلمين .. كل المسلمين في الأرض .. ويطالبون المسلمين في الأرض . كل الأرض! . بمبايعته والدخول في طاعته .. بينما صاحبهم إلى الساعة لا يجرؤ أن يعرّف عن نفسه .. وهيبته .. ومكانه .. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الإمامُ جُنَّةٌ؛ يُقَاتَلُ من ورائه، ويُنْتَقَى به" متفق عليه.

وقوله " إنما الإمامُ جُنَّةٌ "؛ أي واقٍ يحتمي به المسلمون . كل المسلمين . من العدو وخطره .. وبه تُحَفَظُ البيضة، وتُصان الحرمات .. ويُرد خطر الأعداء .. عن البلاد والعباد .. هذا هو الغرض الأساس من الإمامة والخلافة .. فأين صاحبهم الخارجي " إبراهيم عواد " المجهول العين والحال .. والعاجز عن أن يُعرّف عن نفسه .. وصورته .. هو وكثير ممن معه .. فضلاً عن أن يكون قادراً على أن يرد خطر العدو عن نفسه .. من هذا المعنى العظيم الذي أشار إليه الحديث النبوي الشريف؟! بهذا أجيب عن السؤال الوارد أعلاه ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

06/رمضان/1435هـ

2014/07/04م

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: هل مجرد الانتصار بالكافر أو الاستعانة به على دفع ظلم وبغي المسلم، كفروردة، أم في المسألة تفصيل .. فقد نُقل عن أحد الشيوخ المعروفين أنه يقول . كما في موقعه! : "نبيه كل من يستنصر بالأمريكان، من الفصائل في سوريا أو غيرها، سواء كان من يستنصر بهم على تنظيم الدولة أو غيرهم من المسلمين، أن هذا الاستنصار إضافة إلى كونه مظهرة للكفار على المسلمين وهو ردة معلومة وأدلتها مشهورة .. ومن شاء من الفصائل المسلمة أن يرد عدوان تنظيم الدولة عن نفسه أو عن المسلمين فليتوحد مع إخوانه المجاهدين الصادقين وليدحروا بتوحدهم عدوان الدولة وغلوها وجورها إن أبت أن ترعوي، أما الاستنصار عليهم بالصلبيين فلا يحل لهم ذلك بحال " ا- هـ. فما قولكم، وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، وبعد. المسألة فيها تفصيل، وتفصيلها كالتالي:

1- الانتصار بالكافر على إسلام المسلم الظالم .. كفروردة؛ لأنه انتصار على الإسلام، وليس على الظالم وظلمه.

2- الانتصار بالكافر على المسلم الظالم، لكونه مسلماً .. أو لكون الذين ينتصر عليهم من المسلمين .. فهذا أيضاً كفروردة .. وعلى هاتين الحالتين تُحمَل الأدلة . وأقوال أهل العلم . التي تفيد كفر من ظاهر الكافرين على المسلمين.

3- الانتصار بالكافر على المسلم الظالم الباغي، من أجل دفع ظلمه وبغيه وعدوانه عن الحقوق والحرمت، والأعراض وحسب .. فهذا يُقال فيه التالي:

إن استطاع المسلمون أن يردوا بغي وعدوان وظلم المسلم . سواء كان هذا المسلم فرداً أم جماعةً . من تلقاء أنفسهم، فهذا هو الواجب الذي لا تجوز الحيدة عنه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿الحجرات:9﴾.

أما إن عجز المسلمون عن دفع ظلم وبغي وعدوان وإجرام المسلم من تلقاء أنفسهم . سواء كان هذا المسلم المجرم من الخوارج الغلاة أم من قطاع الطريق . وكان دفعه لا يتحقق إلا بنوع استعانة أو تعاون مع الكافر الأصلي .. فهذا جائز، بل هو الواجب .. الذي دلت عليه الأدلة النقلية والعقلية سواء .. والقول عن هذا النوع . أو القدر . من التعاون والاستعانة بأنه " ردة معلومة" ، قول باطل، مخالف للنقل والعقل، يُفضي إلى الغلو والظلم .. ويُلأمس أهواء الغلاة!

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة:2. وقوله ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ ؛ عام، يُفيد الأمر بالتعاون فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض، وفيما بين المسلمين وغيرهم .. ما دام هذا التعاون يُفضي إلى البر والتقوى، ويدفع الإثم والعدوان! والذي يحرم ويجرم التعاون مع غير المسلمين مهما كانت الضرورة، وكان الهدف، وكانت النتيجة المحققة من وراء انتفاء التعاون .. حتى لو كانت النتيجة تفضي إلى الإثم والعدوان .. وتعطيل البر والتقوى .. فهذا مثله مثل من يعمل بعكس الآية: يتعاون على الإثم والعدوان، ولا يتعاون على البر والتقوى .. ويأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف .. فالموقف السلبي، موقف وعمل يُسأل عنه صاحبه: فعدم التعاون على البر والتقوى، هو تعاون على الإثم والعدوان.

والله تعالى يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر، والبغى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:90. فكل تعاونٍ أو عملٍ يُفضي إلى العدل والإحسان .. فالله تعالى يأمر به، ويحبه ويرضاه .. وكل تعاونٍ أو عملٍ يفضي إلى الفحشاء، والمنكر، والبغى .. فالله تعالى ينهى عنه .. ولا يحبه، ولا يرضاه من عباده .. بغض النظر عن أطراف وعناصر التعاون.

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

فالظلم مبغوض ومحارب لذاته، يجب دفعه ومنعه؛ أيّاً كان صاحبه .. وكانت دوافعه .. والعدل محبوب ومطلوب لذاته، أيّاً كان صاحبه .. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة:8. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الأنعام:152.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "واشهدوا على المحسن . أيّاً كان هذا المحسن . بأنه محسن، وعلى المسيء . أيّاً كان هذا المسيء . بأنه مسيء" [السلسلة الصحيحة: 457]. وقال صلى الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" فقال رجل: يا رسول الله، أرايت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: "تحجزه، أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" البخاري. وفي رواية: "تأخذ فوق يديه". فإذا تعرّس منه من الظلم إلا بنوع استعانة بغير المسلمين .. تعينت الاستعانة، وتعين منع وقوع الظلم.

وقال رجل: يا رسول الله ما العصبية؟ قال: "أن تُعين قومك على الظلم". ومن إعانة قومك وجماعتك على الظلم أن تسكت على ظلمها وأنت قادر على منعها عن الظلم، ولو كان ذلك بالاستعانة بغيرك، وكان هذا الغير من غير المسلمين.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من نصرَ قومَه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدِّي فهو يُنزعُ بذنبه" [صحيح سنن أبي داود: 4270].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" [صحيح الجامع: 1973]. وقوله صلى الله عليه وسلم "إن الناس"؛ عام وشامل لكل الناس؛ كافرهم ومؤمنهم، فسنة الله تعالى في عباده أن يأخذهم بعقاب من عنده إن لم يأخذوا على يد الظالم بالزجر والنهي، فينتصفون منه لضحاياهم من المظلومين .. فالظلم والسكوت على الظلم والظالمين يدع الديار بلاقع!

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إنّي حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" مسلم.

والذي يقول: إن تعسّر إنكار الظلم عن طريق المسلمين، لا يجوز إنكاره عن غير طريق المسلمين .. ولا التعاون على إنكاره مع غير المسلمين .. هو كمن يقول: إن الله تعالى يأمر بالظلم .. وبالسكوت على الظلم .. والعياذ بالله!

وقال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الظلم ما استطعتم" [صحيح الترغيب:2221]. فإن لم تستطع أن تدفع الظلم وتتقيه بنفسك وبمن معك من المسلمين .. واستطعت أن تدفعه وتتقيه بغير المسلمين .. تعين دفعه ولا بد .. لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما استطعتم".

وقال صلى الله عليه وسلم: "سُئِلَ الحَوَنَ الرُّومَ صُلْحاً آمناً، فَتَغَزَوْنَ أَنْتُمْ وَهَمَّ عَدُوٌّ مِنْ وَرَائِهِمْ . وَفِي رِوَايَةٍ: عَدُوٌّ مِنْ وَرَائِكُمْ . فَتَسَلَّمُونَ وَتَغْنَمُونَ ... " [صحيح الجامع:3612]. والحديث وإن كان يُشير إلى وقعة محددة، في زمن محدد .. تأتي في المستقبل .. إلا أنه أفاد معانٍ عدة منها: مبدأ جواز الصلح مع نصارى الروم صلحاً آمناً، والتعاون معهم على رد عدوٍ آخر. رده وتحجيمه ضرورة تستدعي هذا الصلح والقدر من التعاون والتناصر. في أي وقت من الأوقات، المسلمون يحتاجون فيه لمثل هذا النوع من التصالح، والتعاون .. فالعبرة بمعاني ودلالات الحديث، لا بخصوص السبب.

ومنها: أن الحديث قال: "عدواً"، ولم يحدد صفة وهوية واسم هذا العدو .. فقد يكون هذا العدو شيعياً ملحداً .. أو مشركاً من عبدة الأوثان .. أو من الروافض الحاقدين .. أو من الخوارج الأشرار؛ شر الخلق والخليقة، كما جاء وصفهم في الأحاديث النبوية .. فهذه الأصناف كلها تحتملها لفظة وكلمة "عدواً".

وعن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "شهدت مع عمومي جلف المطيبين، فما أحب أن أنكثه وأن لي حمر النعم" [صحيح الأدب المفرد:441].

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

فهذا الحلف ينطوي على التناصر فيما بين المشركين على نصرة المظلوم، والانتصار له من الظالم .. أياً كان المظلوم، وكان الظالم .. وكان القائمون عليه من المشركين .. ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد باركه واستحسنه، وأثنى عليه خيراً، وود لو أن هذا الحلف ظل إلى ما بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم، ولا ينقضه .. للغاية النبيلة من وراء انعقاده.

قال ابن الأثير في النهاية: اجتمع بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسُموا المطيبين ا- هـ.

ومن الأدلة العقلية التي توافق النقل .. يُقال: لو أن مسلماً من الغلاة المفسدين الظالمين . سواء كان فرداً أم طائفة . أراد أن يحرق عليك بيتك على من فيه من الأهل والذاري .. وقد شَرَعَ بالحرق والقتل فعلاً .. ثم لم تستطع دفعه، ولا شره .. ولم تجد من يعينك على إطفاء ناره، ودفع شره إلا الكافر .. فهل يُقال لك لا يجوز لك أن تستعين بالكافر على هذا المجرم الظالم لكونه مسلماً .. واصبر على حريق النار أنت وأهلك وأطفالك .. أم أن كل عاقل يقول لك: لك كامل الحق في أن تستعين بكل قادر من حولك على دفع هذا الشرير وشره عنك، وعن أهلك، وبيتك ..؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى 146/28: أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يُقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويُقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم"; فالباغي يُصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة ا- هـ.

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

فإن قيل: هل لهذا النوع من التعاون والتناصر بين المسلمين وغيرهم شروط .. أم أن الأمر مُتْرَك

له العنان من غير قيد ولا شرط؟

أقول: نعم؛ له شرط، وشرطه أن لا يؤدي هذا النوع من التعاون والتناصر إلى مفسدة ومظلمة

أعظم من المفسدة والمظلمة المراد إزالتها .. فالإسلام جاء بجلب المصالح، ودفع المفاسد .. ودفع أكبر الضارين والمفسدين بأقلهما ضرراً ومفسدة.

وفيما يخص الفصائل المجاهدة المقاتلة على أرض الشام .. يُضاف شرط آخر، لقبول أي

مساعدة . أياً كان نوعها . من أي جهة غير مسلمة .. أياً كانت هذه الجهة .. وهو أن لا تكون هذه المساعدة

على حساب حرية القرار السياسي، والعسكري لتلك الفصائل .. وأن لا تكون تلك المساعدات مشروطة

بتبعية تلك الفصائل لتلك الجهات والأطراف الخارجية . الداعمة أو المساعدة . غير المسلمة .

بهذا أجيب عن السؤال الوارد أعلاه ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1435/11/08هـ

أبو بصير الطرطوسي

2014/09/03م

— ملحق:

الاستنصار بأمريكا على داعش في سوريا.

لما كتبت مقالي " الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم "، لم يكن غرضي .. ولم يخطر على بالي .. فكرة التأصيل لمشروعية التعاون مع أمريكا في حربها على داعش .. لا؛ وإنما أردت أن أتناول الموضوع من زاوية فقهية وحسب .. وكرد على من اعتبر أن المسألة من المكفرات التي توقع صاحبها في الردة .. على أي وجه كان هذا التعاون والاستنصار!

أما مسألة الاستنصار بأمريكا والدخول في حلفها على محاربة داعش .. فالقضية أكبر من أن يُنظر إليها من زاوية فقهية وحسب .. بعيداً عن الاعتبارات السياسية، وما تقتضيه السياسة الشرعية من خيارات، وأحكام.

فإن كان لنا مأخذ على داعش .. فلنا عشرات المآخذ على الحكومة الأمريكية وسياساتها!.. وإن كانت لداعش ضحايا أبرياء .. فلأمريكا أضعاف، أضعاف ضحايا داعش .. وإن كانت داعش ظلمت وبغت في جانب .. فأمريكا قد ظلمت في عشرات الجوانب .. وعشرات المواضع .. وتاريخها المعاصر حافل بالكيد على الإسلام والمستضعفين من المسلمين .. وبالأخطاء الكثيرة بحق المسلمين .. وما أخبار سجن أبي غريب في العراق، وسجن جونتنامو، وسجن الشيخ الضيرير عمر عبد الرحمن الذي تجاوز الخامسة والسبعين من عمره في السجون الأمريكية عن مسامعنا ببعيد!..

أمريكا لا يمكن أن تكون بريئة في مواقفها وسياساتها تجاه الشرق الأوسط وما تتلطمه من أمواج وأحداث .. فهي لها استراتيجياتها الخطيرة في المنطقة، والخاصة بها .. لا يمكن . ولا يجوز لأحد . أن يُطاوعها عليها!..

أمريكا لو وجهت صواريخها .. وطيرانها نحو الأراضي السورية .. لا يمكن أن تقتصر على محاربة داعش .. وإنما ستكون داعش شماعتها في ضرب جميع الفصائل المجاهدة الثائرة الشريفة التي تغار على الدين، والأرض، والعرض .. ومن وراء المجاهدين حاضتهم الشعبية من المدنيين!

الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم

داعش ستكون شماعة أمريكا للتدخل في مستقبل سوريا .. وفي الشأن السوري .. وفي الشاردة والواردة .. ما عظم شأنه وما قل .. من حياة السوريين!

لذا . وهذا موقفى الشخصي . فإننى أتحفظ جداً على التدخل الأمريكى فى سوريا .. وعلى الدخول فى حلفها واستراتيجيتها .. وأرفضه .. ولا أجيزه .. وأضع عليه عشرات إشارات الاستفهام .. التى تحمل فى طياتها الشك ، والريبة من النوايا الأمريكية .. ومن سياساتها المخيفة نحو المنطقة بعامة ، وفى سوريا بخاصة!

وانى لأنصح إخوانى المجاهدين والثوار فى الشام حفظهم الله .. بجميع فصائلهم وكتائبهم .. أن يقدموا سوء الظن على حسن الظن .. عند أدنى خطوة يخطونها نحو التعامل مع الحكومة الأمريكية ... حفظ الله المسلمين فى الشام ، وفى العراق ، وفى كل مكان .. من شر الأمريكان .. وشر الدواعش .. وكلّ ذي شر!

2014/9/3

فَنُ الْبِرِّ

فَنُ الْبِرِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

عندما يبلغ الأبوان الكبر: أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا .. ويضعف عظمهما عن خدمة أنفسهما بأنفسهما .. هنا لا يكفي بحقهما البر وحسب، كما أن الابن البار لا يرضى بأن يقتصر عمله على البر أو الخدمة وحسب .. وإنما يتفنن في البر، فيبدع صوراً من البر والإحسان، قد لا يتنبه لها من يقتصر عمله على مجرد البر، الذي يقدمه كل ولد بار لوالديه أو أحدهما.

فمن صور هذا التفنن والإبداع في الإحسان والبر .. عندما تتعامل مع أمك الطاعنة في

السن مثلاً:

- 1- أن تتعرف على حاجتها، قبل ومن دون أن تسألها .. من خلال دقة المراقبة، والملاحظة .. والتعرف على النواقص .. فإن من الأمهات . حياء أوفقاً بالأبناء، ودفعاً للحرج . من يمتنعن عن الإعراب عن حاجياتهن .. فضلاً عن المطالبة بها.
- 2- أن تشعرها أنها هي صاحبة الفضل دائماً .. حتى وأنت تقوم بخدمتها .. فالشكر لله أن أمد بعمرك، لخدمتها .. والشكر لها موصول أن سمحت لك أن تخدمها، وتدنو منها.
- 3- أن تتعرف إلى أحب العبارات إلى نفسها .. فتخاطبها بها .. وتمازحها بها.
- 4- أن تملأ أذنيها بالمدح، والإطراء المباح .. كقولك لها: يا أحلى أم في العالم .. ويا أجمل أم في العالم .. يا ست الحبايب، وست الكل .. وتظهر إعجاباً كبيراً بمشيئها وهي تجر برجلها على الأرض، وتتكئ على عكازتها.
- 5- أن تتعرف إلى ما تكره من العادات، والسلوكيات . حتى لو كانت مباحة . فتجتنبها أمامها .. وتجتهد أن لا تريها . أو تسمعها . شيئاً من ذلك.

فَنُّ الْبِرِّ

6- أن تربيها من نفسك ما تُحب . هي . من لباس ، أو زينة مباحة .. ونحو ذلك.

7- أن تَظعم الطعام معها بين الفينة والأخرى .. وحيثما هي تحب .. واحذر أن تشعرها أنك تنظر

إليها وهي تأكل أو تشرب .. فهذا قد يجرها!

8- وأنت تؤاكلها، تجتهد بلطف أن تقرب لها البعيد من الطعام .. وتسهل عليها الصعب منه ..

من دون أن تشعرها أنك تراقبها.

9- لا تغفل عن مسح ما يتبقى من فضلات طعامها .. ومن ثم أكله .. بعد استئذانها .. فهذا يفرحها

.. ويشعرها أنها، نظيفة، لا يأنف من فضلاتها أحد .. والأعظم من هذا أن تتناول فضلاتها بملعقتها.

10- إياك أن تأكل لقمة تشعر أن أمك تحبها، ونفسها فيها ..!

لكن أحياناً الأم . كعادتها . تؤثر ولدها على ما تُحب .. فتدفع له تلك اللقمة أو أفضل ما تحب

وتشتبه من الطعام .. وهذا موقف محرج للإبن أو البنت .. فماذا أنت صانع؛ إن أكلت ما قدمت لك،

تكون قد أكلت ما تشتبه أمك وتحب .. وإن رددت ما قدمت لك .. فقد تحزنها .. وتظهر في موقف كمن

يرد عطيتها، وهديتها ..!؟

الأم تريد أن تمارس دورها المعتاد كأم عطوف ومعطاءة حتى في أشد لحظات ضعفها .. والولد

يريد أن يبرأه فلا يتناول ما تحب وتشتبه .. فكيف المخرج .. إنه حقاً لموقف محرج .. وقد حصل ذلك

معي أكثر من مرة .. فكنت . بفضل الله . أنهي الموقف بأن أقسم " اللقمة " إلى نصفين: نصف أطيّب

بها نفسها فأكله، ونصف تُطيب هي نفسي فتأكله .. فيتحقق بتلك القسمة المطلوب، والخيرين معاً ..

والحمد لله رب العالمين.

11- إن نزل بك عسر، أو ضيق، أو فقر، أو بلاء .. فاجتهد ما استطعت أن لا تشعرها به .. فإن

ذلك يحزن قلبها عليك .. ويُضاعف همها .. ثم هي قد تمتنع عن الاستعانة بك فيما هي تحتاجه حاجة

ماسة .. على اعتبار أنك مبتلى .. أو مريض .. أو فقير .. لا تريد أن تتناقل عليك .. فتزيد من فقرك،

وبلائك.

فَنُّ الْبِرِّ

أشعرها دائماً أنك لأجلها ميسور .. وفي صحة جيدة، وظرفٍ يسمح لك أن تلي حاجياتها، وطلباتها في أي وقت هي تشاؤه أو تحتاج فيه.

12- إن جالستها، فلا تقم من مجلسها، وتتركها حتى تشعر أنها هي تحب ذلك، وتسمح به .. كذلك عند الحديث معها، فلا تكن أنت من ينهي الحديث، وإنما هي التي تنهي الحديث .. فلو أنهيت الحديث من طرفك، فقد توصل إليها رسالة خاطئة وأنت لا تدري؛ وهي أنك مللت حديثها .. وتريد أن تستريح منه، ومنها!

13- أظهر اهتماماً واحتراماً بالغيث بحديثها، وكلامها . مهما كان حديثها غير مهم لك . فلا تقطع كلامها بكلامك أو كلام غيرك .. ولا ترفع صوتك فوق صوتها .. ولا تصرف وجهك عنها إلى غيرها، وهي تتحدث إليك.

14- لا تمدح أمامها من تكره، ولا تدم من تحب.

15- إن أخطأت .. فلا تصحح خطأها أمام الناس .. وإنما برفق .. وبشعور الولد الغيور على مصلحتها، ودينها، وآخرتها .. تصحح لها الخطأ عندما تنفرد بها؛ بعيداً عن أعين ومسامع الناس . وإن كان ولا بد من إصلاح الخطأ في المجلس، وأمام الناس .. فتعتذر لخطئها .. وتتوسع لها في التأويل والعذر .. بألطف وأرفق العبارات .. والمخارج.

16- أظهر غيرة صادقة عليها .. واهتماماً بالغاً بأحوالها .. وصحتها .. ودوائها .. وغذائها .. ولباسها .. وطريقة حياتها .. وبرنامجه اليومي .. فهذا مما يفرحها .. ويشعرها أنك تهتم بها.

17- أمك . يا هذا . تريد منك ثلاثة أشياء، وهي من حقوقها عليك: الرفق .. والاحترام .. والاهتمام .. فانظر أين أنت من هذه المعاني.

هذا بعض ما وددت التذكير به في هذه المقالة التي أسميتها " فَنُّ الْبِرِّ " .. وما قلناه عن الأم .. يُقال عن الأب، ويُصرف له، وبخاصة في الكبر، عندما يهن العظم منه.

فَنُ الْبِرِّ

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء:23.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1436/11/19هـ

أبو بصير الطرطوسي

2015/09/03م

فنُّ البرِّ، الجزء الثاني

فنُّ البرِّ، الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

كنت قد ذكرت في الجزء الأول من مقالة " فنُّ البرِّ"، جملة من صور التفنن والإبداع في الإحسان والبر .. عندما يتعامل الأبناء مع آبائهم وأمهاتهم .. وبخاصة عندما يبلغان الكِبَر: أحدهما أو كلاهما، وبين العظم منهما .. ويضعف البدن منهما عن الحركة .. وأضيف إليها هنا . في الجزء الثاني من المقال . صوراً أخرى من البر والإحسان، قد يغفل عنها كثير من البررة فضلاً عن غيرهم !!

من هذه الصور . في حال كان التعامل مع الأم مثلاً:

1- أحياناً تتعدّد للأم حاجياتها، وأغراضها، فتأمرك بأكثر من أمر، وتطلب منك أكثر من طلب في آن معاً؛ أريد هذا، وهذا .. افعل هذا .. ولا تفعل هذا .. وأنت لا تستطيع أن تلي جميع الطلبات أو الأوامر في آن معاً، فماذا تفعل ..؟

تنظر أوكد الأوامر والطلبات، وأهمها بالنسبة لها فتنفذه، وتقدمه على ما سواه .. ثم تنظر في الأمر الذي يليه، ثم الذي يليه .. بحسب الأهمية!

2- وأنت تشاركها الطعام .. قد تغفل أمك عن اللقمة الأحسن .. والأطيب .. لكن الله لا يغفل عنك وعنهما .. فحذار أن تقدم لها الرديء من الطعام .. وتخص نفسك بالأطيب والأجود!

3- أحياناً عن غير قصد منها .. وهي على مائدة الطعام .. قد يرتمي منها صحن مليء بالطعام .. أو ينكسر، ونحو ذلك .. فخذ الأمور بالبسمة، والتبسيط .. وأنه أمر عادي .. لا يستدعي أدنى قلق أو حرج .. وحذار أن يظهر على وجهك علامات التسخّط، أو النكير .. فالأم تجيد قراءة وجه ابنها .. أكثر مما يجيد ولدها قراءة الصحف والكتب!

4- جيد جداً أن تأكل معها، وتشاركها الطعام .. لكن من اللباقة والبر أن تعطيتها فرصة قبل أن تنهي وجبتها .. أن تأكل بمفردها، وعلى طريقتهما . ولو لدقائق . بعيدة عن ناظريك، ونظر غيرك .. فهذا

فن البر، الجزء الثاني

مما يريحتها .. وقد يجربها على أن تتناول أشياء . بطريقتها الخاصة والمريحة لها . تتحرج من تناولها أمامك، وأنت لا تدري!

5- قد تجد الأم متعتها في المشاركة في صغائر الأمور .. فهي وإن كانت بالنسبة لك من صغائر الأمور، إلا أنها بالنسبة لوالدتك قد تكون من أعظم الأمور وأهمها .. فعليك . حينئذٍ . أن تظهر اهتماماً بهذه الأمور الصغيرة على قدر اهتمام والدتك بها.

6- ونحو ذلك، قد توجه إليك أسئلة غير مهمة .. لا قيمة لها .. لكن بالنسبة لها قد تكون مهمة وذات قيمة .. فتظهر اهتمامك بأسئلتها . وتجييبها عنها، وتتفاعل معها . على قدر اهتمامها بها.

7- أحياناً قد تكرر على مسامعك قصصاً من حياتها .. فاستمع إليها باهتمام وتشوق، وكأنك تسمعها منها لأول مرة .. فهذا من حقها عليك.

8- سهّل على والدتك الأمور، وما قد تتخيله أنه صعب .. حتى الأمور الصعبة . الخاصة بها . لا تظهرها لها على أنها صعبة .. فهذا مما قد يفرح قلبها .. افعل ذلك ما استطعت .. وحينئذٍ ستجد أن الله تعالى معك .. ييسر لك الصعب من الأمور .. وما قد تعجز عنه .. كما يسرت على أمك الصعب أو العسر، فيكافئك من جنس عملك.

9- أحياناً قد تسألك عن أسعار ما تشتريه لها .. لتطمئن أنها لم تكلفك الكثير .. أو مالا تطيق .. فاحذر أن تشعرها بأن شيئاً غالٍ عليها .. أو أنها قد أخرجتك فيما طالبتك به .. وربما من الحكمة حينئذٍ أن تهون عليها الأسعار، وتقللها، حتى لا تقلقها عليك وعلى وضعك المادي .. وأحياناً تعظم من أسعار الأشياء، لتشعرها بأنها عظيمة، لا يوجد كثير ولا غالٍ عليها .. وهذا يستدعي منك نوع فقه ونظر.

10- من المهم جداً أن تستشيرها في الأمور التي تخصها .. وتشعرها بأن رأيها مهم جداً بالنسبة لك .. لكن أحياناً قد يصعب عليها أن تتخذ القرار المناسب، فيما تستشيرها فيه . أو فيما هي تستشيرك فيه . وقد يتعبها، ويقلقها ذلك، لو تركت القرار أو الخيار لها .. فهنا تتدخل .. فتساعدتها، فتختار لها المناسب والأحسن.

فنُّ البر، الجزء الثاني

عليك أن تحسن التمييز ما يرهق الوالدة لو ترك لها القرار فيه .. وما هو خلاف ذلك .. لتفعل المناسب، والواجب.

11- إدخال السعادة على قلب أمك .. هدف ينبغي أن تسعى إليه .. ومما يساعدك على ذلك المزاح المنضبط الذي يجمع بين الخصال التالية: الأدب، والاحترام .. والسعادة والسرور.. ورفع التكلّف بينكما .. وهو أدعى للاسترخاء، ورفع الحرج .. والتعبير عن المشاعر بطريقة أريحية بعيدة عن التكلّف أو الحرج.

الرسمية الزائدة هنا قد تضر؛ وقد تمنع الأم من الاسترخاء .. ومدّ رجلها .. والتعبير عن مشاعرها، وحاجياتها .. وممارسة كثير من حقوقها.

ما تقدم أعلاه، يستدعي منك أن تراعي الوقت المناسب للمزاح .. والقدر المناسب منه .. إذ المزاح في غير وقته المناسب، وأن يكون زائداً عن القدر المناسب .. قد لا يحقق الغرض المنشود منه ، وربما حقق خلافه.

فالمزاح في موضع الجد، استخفاف لا يليق .. والجد في موضع المزاح قسوة، وجفوة، وغفلة.

12- بالغ في الاهتمام بلباسها .. وشكلها .. وحركتها .. ومشيتها .. وحاجياتها الخاصة.

13- موافقتها فيما تحب، وفيما تكره .. فتحب ما تُحب، وتكره ما تكره .. ما لم يكن في ذلك إثماً أو معصية، فتبتعد عنه، وتجتهد . بالرفق . أن تبعتها عنه.

14- أحياناً قد تطالبك أمك بأمور فيها ضرر لها، ولصحتها .. إن أطعتها وأجبتها لما تريد، تسببت لها بالضرر، وإن عصيتها أغضبتها .. فما العمل، وكيف السبيل؟

الجواب عن هذا السؤال ينقسم إلى مرحلتين: الأولى أن تعرّس عليها ما تطالب به مما فيه ضرر راجح عليها، وتظهر لها أنك حاولت، فما استطعت .. وما وجدت .. فتجمع حينئذٍ بين الأمرين؛ دفع الضرر عنها، ودفع غضبها وسخطها عليك.

فإن لم تفلح . هنا تأتي المرحلة الثانية . فتشرح لها برفق أن ما تطالب به فيه ضرر محقق لها ولصحتها .. وأنت لا تستطيع أن تجلب لها الضرر .. وأن الإسلام جاء بدفع الضرر .. عساها . إن شاء

فن البر، الجزء الثاني

الله . بعد ذلك أن تتفهم الأمر، وينشرح صدرها .. فإن لم تتفهم، وأصرت على طلبها .. لا يضرك بعد ذلك غضبها، لو غضبت .. لأن دفع الضرر مقدم حينئذٍ .. كما أن في جلب الضرر لها معصية لله عز وجل، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

15- أحياناً تحب الأم أن تمارس قلق الأمومة على ولدها . أو بنتها . من تقبيل .. أو دعاء .. أو توجيهه ونصيحة، ونحو ذلك .. فمكّنها من ذلك .. وتواضع لها .. وأصغ بكل احترام لنصائحها وتوجيهاتها . حتى وإن بدت أنها غير مهمة لك . وأظهر اهتماماً بالغاً بما تمليه عليك ... فهذا مما يفرحها، ويدخل السعادة إلى قلبها.

16- قد تحصل أمور محزنة ومزعجة .. لا بد من إطلاعها عليها .. وأن تكون على علم بها .. فلا تخبرها عنها دفعة واحدة؛ في خبر واحد، ووقت واحد، ومجلس واحد .. فهذا مما يُضعف البلاء والضرر عليها .. وإنما مهد للخبر .. وجزئه ما استطعت .. وعلى مراحل .. وفي دفعات وجرعات عدة .. فهذا مما يهون من أثر الخبر عليها.

ثم حاول ما استطعت أن تهون عليها الأمر .. حتى لو كان في حقيقته خطيراً وكبيراً.

17- تخصص ساعة في اليوم إن استطعت .. فإن لم تستطع كل يومين .. أو إسبوع .. ولا ينبغي أن تتأخر هذه الساعة عن الأسبوع .. تُذاكر مع أمك الإيمان .. وأمور الآخرة .. وتنتظر في برنامجها التعبدي اليومي؛ هل يتخلله نقص، يمكن جبره أو إكماله، أم لا..؟

فمن بر الولد . أو البنت . بأمه .. أن يحرص على سعادتها في الآخرة .. أكثر من حرصه على سعادتها في الدنيا .. وقد خاب وخسر من حرص على إسعاد أمه في الدنيا على حساب سعادتها ونجاتها في الآخرة.

18- قد تخرج من والدتك أشياء اضطرارية . وبخاصة إن تأخر بها العمر . لا مناص لها منها .. على غير وجه اللباقة؛ كالبصاق، والمخاط .. والهوى .. وغير ذلك .. فلا يجوز لك أن تظهر لها أدنى اشمئزاز أو تقزز .. أو حرج .. بل تتصرف وكأنك لم تر، ولم تسمع شيئاً .. ولو لمست من والدتك نوع تحجّج أو

فنُّ البرِّ، الجزء الثاني

استحياء .. فتقابلها مباشرة بأن هذا أمر ضروري وعادي .. لا حرج فيه .. ولا بد منه .. يجري على جميع بني آدم .. وبخاصة من يتناول به العمر.

19- من بر الولد . أو البنت . بأمه أن يشعرها بالأمان .. وأنه . مهما بدا منها . ستر لها، ولعيوبها .. لا يمكن أن يحدث عنها شيئاً هي لا تريد ولا ترغب في أن يُعرَف عنها.

20- أحياناً في مواضع . تحرّجاً واستحياء . قد تقول لك: نعم، وأريد .. وهي على الحقيقة لا تريد .. والعكس كذلك، قد تقول عن أشياء: لا؛ لا أريد .. وهي في الحقيقة تريد، وتحب .. عليك . يا هذا . أن تحسن التمييز والتفريق بين الأمرين .. وإلا فإنك تسيء من حيث لا تدري ولا تحتسب .. ولا يليق بالبار الفطن إلا التفطن والتنبّه لمثل هذا الأمر.

21- جميل منك يا هذا . بين الفينة والأخرى . أن تمسح على بطن أمك الشريف .. وتخاطبه على مسمع من أمك، بأنه . رغم تطوافك في الأرض . أفضل، وأشرف، وأعظم، وأهنأ عشّيّ عشته وآويت إليه في حياتك كلها .. فهذا مما يسعدها ويهون الأمور عليها .. ويشعرها بفضلها عليك .. وهو من قبيل الشكر الواجب، ومن لا يشكر الناس، لا يشكر الله.

وفي الختام، نعيد ونكرر ما قلناه في المقالة السابقة: أن ما يُقال ويُجرى على الأم .. يُقال ويُجرى على الأب، وبخاصة إن وهن العظم منه، وعلاه الشيب .. نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا .. وأن يهدينا لأحسن البر وأكملها، وأن يجعلنا وإياكم من أهل البر والتقوى والصلاح .. إنه تعالى سميع قريب مجيب، وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1437/07/20هـ

2016/04/28م

ضابط الاستطاعة

ضابط الاستطاعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

الناس مع مفهوم " الاستطاعة"، فريقان: فريق جنح إلى الإفراط والتنطع والتشدد؛ فكلف نفسه مالا يُطيق، واستشرف بلاء ليس له به طاقة .. أراد الأمور كلها في سلة واحدة، ودفعة واحدة، وفي زمن واحد .. والويل لمن يخالفه ولا يرى رأيه!

أما الفريق الآخر؛ فقد جنح إلى التفريط والجفاء والتقصير؛ فتخلف عما يجب عليه، مما هو قادر عليه .. تحت عنوان " فقه التدرج"، و" الاستطاعة"، وفقه العجز.. وفي الحقيقة هو قادر ويستطيع لو توفرت لديه العزيمة والإرادة .. وهذا والذي قبله؛ كلاهما على خطأ، وضرر، وخطر.

وفريق ثالث انتهج الوسطية والاعتدال في المسألة من غير جنوح إلى إفراط ولا تفريط؛ فأقر أن مسألة مراعاة القدرة والاستطاعة في التكليف الشرعية حق وضروري، وأن جميع التكليف الشرعية يُشترط لها الاستطاعة، ومنوطة بانتفاء العجز، إلا أنه لم يجنح في فهمه للاستطاعة وتقديرها إلى الإفراط أو التفريط؛ فإن تحقق العجز يقيناً، وانتفت القدرة والاستطاعة، اعتذر بفقهِ الاستطاعة .. وعمل حينئذٍ على دفع العجز، وتحقيق الاستطاعة قدر طاقته .. وإن تحققت الاستطاعة المطلوبة لم يتهرب، ولم يتخلف عن الواجب المقدر عليه تحت زعم مراعاة فقه الاستطاعة، وفقه العجز!

فإن قيل: أين الدليل الذي يوجب مراعاة فقه الاستطاعة عند القيام بالتكليف والواجبات ..

وأن العجز يُسقط التكليف إلى حين توفر القدرة أو الاستطاعة؟

أقول: الأدلة على هذا الفقه كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ﴾ التغابن:16.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286. وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

المؤمنون:62.

ضابط الاستطاعة

قال ابن كثير في التفسير: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة:286. أي لا يُكَلِّفُ أحد فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم ا- ه .

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ التوبة:91. وفي سورة الفتح: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرَجٌ﴾ الفتح:17. فهذه الأصناف ليس عليهم حرج لو تركوا الجهاد بالنفس . إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ . لأنهم مستضعفون، لا يستطيعون ولا يقدرّون على القيام بواجب الجهاد ومتطلباته، فعذروا لأجل ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾ الأنفال:60. فالإعداد واجب قدر الاستطاعة، فما زاد عن حد القدرة والاستطاعة لا يُسأل عنه، ولكن المحاسبة والمواخظة تكون لو حصل التقصير فيما هو ضمن القدرة والاستطاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران:97. فشرط الحج الاستطاعة؛ وهي الراحة، والزداد، وأمن الطريق .. فإذا انتفت الاستطاعة رُفِعَ التكليف والواجب إلى حين توفر وتحقق الاستطاعة.

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فإذا أمرتكم بشيء . وفي رواية: بأمر . فأتوا منه ما استطعتم" متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر، قال: كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا: "فيما استطعتم" البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: "فاكفوا من الأعمال ما تطيقون" . وفي رواية: "فاكفوا ما لكم به طاقة" مسلم.

ضابط الاستطاعة

وفي حديث، دعاء سيد الاستغفار: "وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ" متفق عليه. قال الخطابي: يريد أنا على ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت -هـ. أي بحسب استطاعتي، وقدر طاقتي.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فإن الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، وإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه" -هـ.

فإن قيل: ما هو ضابط الاستطاعة، كيف يعرف الإنسان أنه يستطيع أو لا يستطيع .. إذ من القضايا والحالات ما قد تشكل على المرء، فيتردد بين الإحجام والإقدام، بناء على ترده في تقدير قدراته واستطاعته ..؟

أقول: ضابط الاستطاعة يكون بالنظر الصحيح في تقييم القدرة أو الاستطاعة، ومن ثم متطلبات ما يجب القيام به .. وينظر هل يوجد تناسب وتكافؤ بينهما، أم أن متطلبات ما يجب القيام به . أمراً كان أم نهياً . هي أكبر من قدرات المرء وطاقته ..؟

ثم لو حاول القيام بها؛ هل يعجز عن القيام بها أم لا .. ولو قام بها، فهل ينتج عن محاولته حرج شديد، أو مشقة غير محتملة، أو مفسدة راجحة، أم لا ..؟
من خلال النظر الدقيق والمنصف في هذه الجوانب مجتمعة يتحدد ضابط الاستطاعة، ويُعرف ما يمكن القيام به، وما لا يمكن.

ويقال كذلك: أن الواجبات والحالات التي تواجه المرء، نوعان: نوع محكم صريح، يكون تقدير الاستطاعة فيه سهل .. سواء بالنفي أو الإيجاب .. بصورة لا يمكن أن يختلف عليها النقل، ولا العقل .. وتقديرها لا يحتاج إلى مزيد علم، ولا إلى علماء.

ضابط الاستطاعة

مثال ذلك: شخص يستطيع أن يحمل عشرين كيلو جرام .. فيُطلب منه أن يحمل عشر كيلو جرامات .. فالعقل هنا مباشرة يقول: يستطيع .. ولو قيل: لا يستطيع لعلم عقلاً أنه كذب، يريد أن يتهرب مما يُطلب منه!

أو قيل له مثلاً: كل بيمينك، فقال: لا أستطيع .. من غير علة في يمينه .. لردّ عليه مباشرة اعتذاره بعدم الاستطاعة، وعلم أنه يتهرب من الواجب، أو يترفع عنه!

كما في الحديث عن سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله! فقال: "كُلْ بيمينك". قال: لا أستطيع. قال: "لا استطعت"، ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه. مسلم. أي فما قدر أن يرفع يده إلى فيه، لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليه .. فعذره بعدم الاستطاعة مردود لأنه كاذب، وما حمله على نفي الاستطاعة عن نفسه إلا الكبر!

فإن طُلب منه مثلاً أن يحمل مائة كيلو جرام .. أو أن ينازل ويُقاتل منفرداً مائة رجل .. فالعقل مباشرة يقول: لا يستطيع .. ولو قيل: أنه يستطيع، لعلم عقلاً. وعند جميع العقلاء. أن ذلك غير صحيح، وهو نوع من التهور والتكلف، وإلقاء النفس في التهلكة، والتشبع بما لم يُعط، وما ليس فيه، وفي الحديث: "المتشبع بما لم يُعط، كلابس ثوبي زور" مسلم.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:195. والتهلكة هي كل ما يترتب على فعله أو عدمه ضرر راجح، ومفسدة راجحة، أو تفويت مصلحة راجحة.

قال صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي للمؤمن أن يُذلل نفسه". قالوا: وكيف يُذلل نفسه؟ قال: يتعرّض من البلاء لما لا يُطيق" [صحيح سنن الترمذي:2254].

ونوع آخر متشابه، يلتبس أمره على العامة: تقدير الاستطاعة فيه غير واضح، يحتمل الأمرين معاً الاستطاعة، وعدمها .. وهذه حالات تحتاج إلى علم ودقة نظر وفقه، بما ينبغي تقديمه، والقيام به، وبما يملكه الإنسان من طاقة وقدرة .. هل يوجد بينهما تناسب .. ومثل هذه الحالات المتشابهة التي تشكل على العامة، معرفة الاستطاعة فيها يكون بردها لأهل العلم والاختصاص، الذين يُحسنون تقدير

ضابط الاستطاعة

الاستطاعة المطلوبة لما يُراد القيام به أمراً أو نهياً، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء:7.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ لكثرتهم، ولكن هذا قول وتقدير العامة من المؤمنين .. ممن جاوزوا النهر مع طالوت .. ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ .. لكن قول وتقدير علمائهم كان مختلفاً، والقول الفصل في مثل هذا الأمر المتشابه . الذي يحتمل الاستطاعة وعدمها . لهم، وليس لغيرهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة:249. فجزأوهم على القتال والمواجهة، وكان النصر حليفهم بإذن الله.

والاختلاف بين أهل العلم والنظر في الأمور المتشابهة التي تحتمل الأمرين معاً: الاستطاعة أو عدمها .. مستساغ لا ينبغي أن يفسد الود بين الإخوان، كما لا يجوز أن يترتب عليه ولاء وبراء أو جرح وتعديل .. فالاختلاف في مثل هذه المواضع إن كان ناتجاً عن اجتهاد، هو بين الأجر والأجرين، إن أخطأ صاحبه فله أجر، وإن أصاب فله أجران.

لكن الاختلاف يضيق .. وكذلك الأعداء تضيق أكثر .. عندما يحصل خلاف على المقدور عليه يقيناً، مما يجب القيام به .. بصورة جلية لا يختلف عليها عاقلان!

ويقال أيضاً: أن العجز نوعان: عجز دائم لا يُرجى البرؤ منه، وهذا غالباً يكون عجزاً عضوياً لصيقاً بالأفراد، وهذا يعذر صاحبه أبداً لدوام العجز، واستحالة التخلص منه، كالأعمى، أو الأعرج، ونحو ذلك .. وعجز مؤقت يرجى برؤه، ويمكن دفعه، مع المحاولة وبذل الجهد المستطاع على دفعه .. وهذا يمكن أن يكون عجزاً عضوياً، ومادياً، أو معنوياً .. قد تتصف به الأفراد، والجماعات سواء .. وهذا يتعين العمل على دفعه وإزالته وفق القدرة والممكن، إذ لا يجوز الاستسلام لخيار العجز ما دام

ضابط الاستطاعة

يمكن دفعه .. والتقصير في دفعه، والعمل على إزالته، كالتقصير في القيام بأي واجب من الواجبات يمكن القيام به من حيث الوزر، والمساءلة.

فمثلاً لو سقط الجهاد في مرحلة من المراحل، لعجز أو لعدم توفر القدرة .. ينصرف الجهد حينئذٍ إلى دفع العجز، بتحقيق الإعداد الواجب والمطلوب قدر المستطاع .. إلى أن تتحقق القدرة على العمل بواجب الجهاد، ويكون الإعداد حينئذٍ هو واجب المرحلة وجهادها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .. وما يُقال في الجهاد، يُقال في الحج، وغيره من الواجبات.

فالعجز أمر نسي، وكذلك الاستطاعة أمر نسي؛ كلما زادت الاستطاعة كلما زال جزء من العجز على قدر نمو وزيادة الاستطاعة، وكلما زادت التكاليف والواجبات بحسب زيادة ونمو الاستطاعة .. فمن كان عاجزاً اليوم، فغداً قد يكون قادراً .. ومن كان يستطيع اليوم أن يقوم بواجب واحد، فغداً قد يستطيع أن يقوم بأكثر من واجب .. وفي أكثر من ميدان .. وأكثر من صعيد .. فالواجبات تتعين على المرء كمّاً ونوعاً على قدر نمو وتطور الاستطاعة كمّاً ونوعاً .. فهما متلازمان في الزيادة كما أنهما متلازمان في النقصان .. وعليه فإن العمل على تنمية الاستطاعة لا يجوز أن يقف عند حد يمكن تجاوزه .. فهذا من التطور المحمود والواجب .. وهو من معاني ودلالات، ولوازم العمل بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16. وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال:60.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1437/08/02هـ

أبو بصير الطرطوسي

2016/05/10م

آية توضع في غير موضعها

آية توضع في غير موضعها

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات:9.

جرت العادة عند بعض الفصائل الشامية . كما هو حاصل الآن في الغوطة الشرقية . إذا تقاتل فصيلان .. تداعى شيوخ كل فصيل ليحكم على الفصيل الآخر بأنه هو الظالم الباغي، وأن فصيله هو المظلوم المبغي والمجني عليه .. ثم يقومون بتعبئة عناصر الفصيل على قتال الفصيل الآخر .. مستدلين بالآية الكريمة الواردة أعلاه ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ ، فيفني الفصيلان بعضهما البعض، وبخاصة إن كانا متكافئان في القوة، كما هو الحال بين جيش الإسلام، وفيلق الرحمن !...

وفي أحسن الأحوال . بل وأسوأها وأشدّها وأنكأها . عندما يقوم شيوخ كل فصيل . تعصباً لفصيلهم . بإقناع واستعطاف من يستطيعون إقناعه من الفصائل الأخرى بأن فصيلهم هو الفصيل المظلوم المبغي عليه .. عساها تقف بجواره ومعه ضد الفصيل الآخر الذي أيضاً قد يجد من ينصره ويؤازره من الفصائل المسلحة .. فيكون القتال حينئذٍ بين فصائل، وفصائل .. إلى أن تتقاتل فصائل الثورة بعضها مع بعض، وتفني بعضها بعضاً .. فيضيعون وتضيع بضياعهم الثورة وأهدافها .. ويمكنون للنظام النصيري المجرم من رقابهم ورقاب ذويهم، ومن يُقاتلون دونهم من مسلمي ومستضعفي أهل الشام .. ويا لفرحة، وشماتة العدو بهكذا نتيجة!

ثم هم بعد كل ذلك تراهم يستدلون زوراً وجهاً على فعالهم الخاطئة بالآية الكريمة الواردة أعلاه ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ..﴾ ، وعلى مبدأ وطريقة عليهم يا عرب !!

آية توضع في غير موضعها

وهذا فهم خاطئ وظالم للآية الكريمة، وذلك من أوجه:

أولها: أن الطائفتين أو الفصيلين المتقاتلين هما خصمان لبعضهما البعض .. والخصم لا يُرجى منه إنصاف خصمه .. كما لا يجوز لأحدهما أن يكون خصماً وحكماً في آنٍ معاً .. لذا لتحديد الباغي منهما، وما له وما عليه، لا بد من تشكيل هيئة قضائية مستقلة عن أطراف النزاع يكون قرارها ملزماً ومحترماً، تحكم في المتنازعين، وتنظر في دعاويهما .. وتبين من الظالم الباغي منهما، ومن المظلوم.

وسبب نزول الآية الكريمة يزيد هذا المعنى وضوحاً، أخرج أحمد وغيره، عن أنسٍ قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم، لو أتيت عبد الله بن أبي . رأس النفاق ؟. فانطلق إليه نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب حماراً، وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سبخة، فلما انطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إليك عني، فوالله لقد آذاني ريح حمارك"، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحا منك. قال: فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ .

قال ابن كثير في التفسير: وذكر سعيد بن جبير: "أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسيف والنعال، فأنزل الله هذه الآية، فأمر بالصلح بينهما". فكان الحكم والمصلح هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس أحداً من طرفي النزاع.

ثانيها: الخطوة الثانية تكون بتحقيق ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ، وذلك بحمل الطائفتين المتنازعتين على النزول عند حكم الله تعالى والرضى به .. وبيان ما لهما وما عليهما .. وهذه الخطوة "الإصلاح" ينبغي أن تُعطى حقها من حيث الوقت، وإفراغ الجهد .. فإن أبت الطائفتان التوقف عن القتال، والانصياع لحكم الله تعالى .. تكون حينئذٍ الطائفتان باغيتان .. فإن رضيت ووافقت إحداهما على النزول والرضى بحكم الله تعالى .. والأخرى أبت إلا أن تستمر في القتال .. تكون الأخرى حينئذٍ هي الفئة الباغية.

آية توضع في غير موضعها

أي أن تحديد الفئة الباغية لا يكون خلال تقاتل الطائفتين .. وقبل الإصلاح .. لا؛ وإنما يكون بعد تشكيل قضاء مستقل .. وبعد الإصلاح بينهما .. وإفراغ الجهد والطاقة في الإصلاح .. والتي تأتي الإصلاح، والقبول بحكم الله .. تكون حينئذٍ هي الفئة الباغية .. ويكون بغيا بسبب عدم توقفها عن القتال، وعدم إجابتها لحكم الله وأمره، واستمرارها بالعدوان.

قال ابن جرير في التفسير: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ يقول: فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ يقول: فقاتلوا التي تعتدي، وتأتي الإجابة إلى حكم الله ا- هـ.

ثالثاً: بعد أن يتحدد الباغي منهما، باستمرار عدوانه، وعدم انصياعه لحكم الله تعالى، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم .. تأتي مرحلة قتالها .. لكن من الذي يقاتلها؟ يقاتلها طرف ثالث متمثل بالإمام أو الحاكم المسلم المتنفذ ومعه جميع المؤمنين .. أو من ينوب عنه، من ذوي الشوكة والمنعة ممن يقدر على إيقاف الباغي عن بغيه، وأطره إلى الحق بأقل مفسدة من مفسدة بغي الباغي ذاته .. وقولي: بأقل مفسدة من مفسدة بغي الباغي ذاته .. هو شرط .. وإلا نكون ممن يزيل مفسدة صغرى بمفسدة كبرى .. وضرر أصغر بضرر أكبر، وهذا بخلاف ما يقضي به النقل والعقل.

أخرج ابن جرير الطبري في التفسير بسنده، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "فإن الله سبحانه أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله.

آية توضع في غير موضعها

وقال . أي ابن جرير: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: هذا أمر من الله أمر به الولاية كهيئة ما تكون العصابة بين الناس، وأمرهم أن يصلحوا بينهما، فإن أبوا قاتلوا الفئة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله، فإذا رجعت أصلحوا بينهما، وأخبروهم أن المؤمنين إخوة، فأصلحوا بين أخويكم. قال: ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام -هـ.

فتأمل قول ابن عباس: "فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاثلهم". وقول ابن زيد: "ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام". وهذا حق لأنه لو استشرف العامة وكل أحد لقاتل الفئة الباغية من غير سلطان ولا شوكة .. لزاد الطين بلة .. وتعدد البغي والباغاة .. وتشعبت الأهواء والأغراض .. ولربما أصبحنا أمام باغاة وطوائف باغية .. وليس طائفة واحدة.

لكن نقول: في حال عدم وجود الإمام العام، ووجود من ينوب عنه من ذوي الشوكة والمنعة .. وكان قادراً على إيقاف مفسدة بغي الباغي من غير مفسدة .. أو بمفسدة أو ضرر أقل من مفسدة وضرر الباغي .. فهذا وجه جائز .. تؤيده وتقره نصوص الشريعة التي جاءت بدفع الضرر والأذى قدر المستطاع، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن:16.

وقال صلى الله عليه وسلم: "فإذا أمرتكم بشيء . وفي رواية: بأمر . فأتوا منه ما استطعتم" متفق عليه. وحدود الاستطاعة أن لا يؤدي إزالة المنكر إلى منكر أكبر، ولا إزالة الضرر إلى ضرر مثله أو أكبر، ولا إزالة المفسدة بمفسدة مثلها أو أكبر منها .. فالضرر . وكذلك المنكر . عندما يُزال بلا ضرر، أو بضرر أقل .. ومفسدة أقل، لا خلاف على مشروعية زواله.

رابعها: فإن فاءت وعادت الطائفة الباغية إلى رشدها، فأوقفت عدوانها، ورضيت بحكم القضاء الشرعي والمستقل .. هنا يتوجب وقف قتالها مباشرة .. والعودة بها والطائفة الأخرى إلى الخطوة الأولى من جديد وهي الإصلاح بالعدل، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ . فالقتال لم يُشرع لذاته أو للثأر والانتقام، لا؛ وإنما لحمل الطائفة الباغية على أن

آية توضع في غير موضعها

توقف بغيا، وترضى بحكم القضاء الشرعي والمستقل .. فإن تحقق هذا الغرض .. تعين وقف القتال ولا بد.

وقوله تعالى: ﴿بِالْعَدْلِ﴾؛ لأن العدل تطيب به النفوس، وتذهب الأحقاد والضغائن، ويأخذ كل طرف حقه من غير أن يكون ظالماً ولا مظلوماً.

وخلاف العدل، الظلم .. والصلح بالظلم؛ يعني بقاء أسباب النزاع والاقتيال قائمة .. ويعني بقاء جذور المشكلة .. وأن تبقى النفوس مشحونة بالأحقاد والكراهية .. والشعور بالغبن والظلم .. مستعدة للانقضاض من جديد عندما تتوفر الظروف المواتية .. وهذا وصف لا ينهي المشكلة .. وإنما يبقمها قائمة وقابلة للاشتعال في أي وقت آخر تتوفر فيه الظروف المناسبة .. وهو ما لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

. **تنبيه هام:** بقي أن نشير إلى أمر هام؛ وهو في حال قتال الفئة الباغية من قبل الحاكم المنتفذ، أو من ينوب عنه من ذوي الشوكة والمنعة .. في دار الحرب .. وكان العدو الأكبر والأخطر والأشد ظلماً وكفراً، محدقاً بالديار، وعسكر المسلمين .. وسيستفيد من هذا التقاتل الداخلي بين المسلمين .. وبطريقة قد تؤدي إلى استيلائه على الديار، واستئصال عسكر المسلمين ومن وراءهم من المستضعفين .. كما هو الحال في مثال الغوطة الشرقية .. ففي هذه الحالة الفقه يقضي بإيقاف وتأجيل قتال الفئة الباغية إلى أن تتوفر الظروف المواتية، والتي تسمح بهكذا عمل بأقل ضررٍ ممكن .. ومن دون احتمال وقوع المخاطر والأضرار الأنفة الذكر أعلاه.

فمن أهل العلم من نقل الإجماع على أن الحدود الشرعية لا تُقام في دار الحرب خشية أن يفر المحدود إلى العدو المحارب، فيفتن في دينه .. وحتى لا يتقوى به العدو على قتال ومحاربة المسلمين .. فيكون تأجيل قتال الفئة الباغية .. دفعاً للمحذور المشار إليه من باب أولى.

قال القرطبي في التفسير: "لو أن علياً تعاطى القود منهم . أي من قتلة عثمان رضي الله عنه . لتعصبت لهم قبائل وصارت حرباً ثالثة، فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة، ويقع الطلب من

آية توضع في غير موضعها

الأولياء في مجلس الحكم، فيجري القضاء بالحق، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة "أ- هـ.

فإذا كان الخليفة العام لجميع المسلمين . كما يقول القرطبي . يجوز له أن يؤجل القصاص، وقتال الفئة الباغية، إلى حين آخر يراه مناسباً أكثر.. إذا كان تنفيذ القصاص أو قتال الفئة الباغية سيترتب عليه فتنة، وتشتيت الكلمة، وتفريق الصف .. فمن باب أولى في مثالنا في الغوطة الشرقية . مع غياب الإمام أو الحاكم العام . أنه يجوز ذلك، بل يجب .. دفعاً للفتنة، والإنهيار، وضياع البلاد والعباد في قبضة الطاغوت، ونظامه النصيري المجرم.

هكذا نفهم الآية الكريمة الواردة أعلاه .. وهكذا ينبغي أن نفهمها ونتعامل معها ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليلة

أبو بصير الطرطوسي

1437/08/07 هـ

2016/05/15 م

حديث: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم"؛ كيف نفهمه..؟

حديث: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم"؛ كيف نفهمه..؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

عن أنس، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ نَخْلًا. فَقَالَ: "لَوْلَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ . وفي رواية: فلم يؤثروا عامئذٍ". قال: فخرج شَيْصًا . أي خرجاً تمرًا متراخيا لا يشتد نواه، وفي رواية: "فَنَقَصْتُ أَوْ فَتَقَصْتُ". فمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: " ما لَنَخْلِكُمْ ؟ " قالوا : قلتَ كذا وكذا. قال: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم" مسلم وغيره.

استدل العلمانيون والليبراليون، والحداثيون المفتونون من بني جلدتنا، بهذا الحديث على فصل الدين عن الدولة، والسياسة، وشؤون الحكم، على اعتبار أن النظام السياسي، وشؤون الحكم من أمور الدنيا، لا دخل للشرع بها، كما أفاد منطوق الحديث: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم"، وهكذا كلما أُلزِموا بأمرٍ من أمور الدنيا، والسياسة، والحكم، قد نصت عليه الشريعة، اعترضوا وقالوا: هذا أمر دنيوي لا يلزمنا الالتزام به، فنحن أعلمُ بأمرِ دنيانا .. وما أرادوا من ذلك سوى الرغبة في التفلت من قيود ودلالات نصوص الشريعة؟!!

أقول: هذا تعميم خاطئ وظالم، ليس لهم فيه مستند شرعي ولا عقلي، ولم يقل به عالم معتبر، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا حقًا، وكل ما يصدر عنه من أمور الدين والدنيا، فهو حق وشرع ملزم، هذا هو الأصل، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم/3-4.

وعن عبد الله بن عمرو، قال كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق" أخرجه أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إني لأمنحُ ولا أقولُ إلا حقًا"، قالوا: إنك تُداعِبُنَا يا رسولَ الله؟ قال: "إني

لا أقولُ إلا حقًا" السلسلة الصحيحة:4/304.

حديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"؛ كيف نفهمه ..؟

فإن قيل: كيف نفهم الحديث الوارد أعلاه: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"، ونوفق بينه، وبين ما تقدم من نصوص؛ التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقاً وصواباً، حتى في حالات المزاح والمداعبة ..؟

أقول: لا تعارض والله الحمد؛ فالأصل أن جميع ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الدين والدنيا، من قول أو فعل أو إقرار، فهو حق وشرع، له الصفة التشريعية، إلا إذا جاءت قرينة صريحة تصرف قولاً من أقواله أو فعلاً من أفعاله عن الصفة التشريعية إلى مجرد الرأي والاجتهاد، فإذا غابت القرينة الصارفة، بقيت الصفة التشريعية ثابتة لكل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو إقرار، لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم عن الاستمرار في الاجتهاد الخاطئ، مهما دق، وفي أي مجال من مجالات الحياة كان هذا الخطأ، فهو مراقب ومسدد من جبريل عليه السلام على مدار الوقت، فإذا أخطأ في رأي أو اجتهاد ما من عند نفسه، مباشرة يقومه، ويصحح له اجتهاده، ولا يقره، ليبقى دائماً في دائرة ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم:4.

مثال ذلك، موقفه صلى الله عليه وسلم من الأعمى، لما انشغل عنه وأقبل على سادة قريش رغبة منه في إسلامهم .. علمنا أن هذا الموقف كان عن اجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم ليس له الصفة التشريعية، بدليل القرينة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ عبس:1-2. ولولا وجود هذه القرينة لما استطعنا ولا جاز لنا أن نعتبر موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمى اجتهاداً ليس له صفة تشريعية.

مثال آخر: عندما حرم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شرب العسل، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري، عن عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ، أَنَّ أَيْلُنَا دَخَلَ عَلَيَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ فِيكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ. وَهُوَ شَبِيهِه بِالصَّمْغِ فِيهِ حَلَاةٌ، وَلَهُ رَائِحَةٌ . فَدَخَلَ عَلَيَّ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِي ذَلِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، ولكني كنتُ أشربُ عسلاً عندَ زينبَ بنتِ جحشٍ، فلن أعودَ له، وقد حلفتُ، لا تُخبري بذلك أحداً" البخاري.

حديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"؛ كيف نفهمه..؟

علمنا أن هذا التحريم كان عن تنزه واجتهاد ورأي من النبي صلى الله عليه وسلم، ليس له صفة تشريعية، بدليل القرينة الشرعية المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التحريم:1. ولولا وجود هذه القرينة الشرعية لما استطعنا ولا جاز لنا، أن نخرج تحريم النبي صلى الله عليه وسلم العسل عن نفسه، عن صفته التشريعية.

حتى مسألة تأبير النخل وتلقيحه، موضوع مقالتنا، قد وردت القرينة الدالة على أن نهي النبي صلى الله عليه وسلم كان عن رأي وظن، ليس له صفة تشريعية ملزمة، لكن الصحابة لشدة اقتدائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وطاعتهم له، لم يتنبهوا لهذه القرينة، كما في رواية عند مسلم، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: مررتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُؤُوسِ النَّخْلِ. فَقَالَ: "مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟". فَقَالُوا: يُلْقِحُونَهُ؛ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَتَلَقَّحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَظُنُّ يَغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا". قَالَ فَأَخْبَرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكَوهُ. فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: "إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تَوَاحِدُونِي بِالظَّنِّ" مسلم.

فالقريظة هنا واضحة؛ وهي قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أظنُّ يغني ذلك شيئاً"، فهو رأي وظن ليس له صفة تشريعية ملزمة؛ لأن الذي له صفة تشريعية لا يُقال بالظن .. ثم قال صلى الله عليه وسلم تأكيداً أن كلامه كان عن رأي وظن ليس له صفة تشريعية ملزمة: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنني إنما ظننتُ ظنًّا، فلا تَوَاحِدُونِي بِالظَّنِّ". ولولا وجود هذه القرينة الشرعية لما استطعنا ولا جاز لنا، أن نخرج نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تأبير وتلقيح النخل عن صفته التشريعية.

مثال آخر: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اسْقِهِ عَسَلًا". ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا". ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا". فِي رِوَايَةٍ: إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا؟. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا"، فسقاه فبرأ. متفق عليه.

حديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"؛ كيف نفهمه ..؟

فهذا أمر طي دنيوي بحت، ومع ذلك لما لم يجد العسل من أول مرة، ولا ثاني، ولا ثالث مرة في صرف الألم عن بطن المريض .. لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: هذه أمور دنيوية، وأنتم أعلم بأمر دنياكم، لا .. ولما غابت القرينة التي تصرف أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يُسقى المريض العسل، عن الصفة التشريعية، علمنا أن الأمر له صفة تشريعية، وأنه حق وصواب .. ونحوه كل أمر أو توجيه نبوي له علاقة بالطب، والتطبيب.

وكذلك لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يستشير أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران:159. وهذا لا يكون إلا لوجود مساحة خاضعة للرأي والمشورة ليس لها ابتداء الصفة التشريعية الملزمة، لأن الشورى لا تكون في أمر فيه نص، أو له صفة تشريعية، وإنما تكون في الأمور التي تخضع للرأي والاجتهاد مما لا نص فيها .. فإذا شاورهم في أمرٍ، واتخذ قراراً بعد مشورتهم، وغابت القرينة الشرعية . آية أو حديث . التي تصرف ما انتهت إليه المشورة عن صفتها التشريعية .. علمنا وجزمنا بصفتها التشريعية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُقر على اجتهاد خاطئ، ولا مشورة تنتهي إلى خطأ، ولو حصل شيء من ذلك، فالوحي سرعان ما يصحح له الرأي والاجتهاد .. كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

والصحابه رضي الله عنهم كانوا يعلمون هذه الحقيقة، فلا يتعدونها . حاشاهم ! . وكانوا إذا أرادوا أن يدلوا رأياً أو مشورة حول أمر من الأمور التي تخضع للشورى، يسألون ابتداءً النبي صلى الله عليه وسلم هل هذا الأمر أراك الله إياه، فنلتزمه ولا نتعداه، ولا يكون لنا فيه رأي، أم هو الرأي والمشورة، كما في موقعة بدر، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: أشيروا عليَّ في المنزل، فقال الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَه وَلَا نَتَأَخَّرَه؟ أم هو الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

فتأملوا إلى أدب وفقه الصحابي الجليل الحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ، فلم يقل: تحديد موقع المعركة أمر دنيوي، وعسكري، لا دخل له في التشريع، والعصمة، وبالتالي علي أن أقول رأيي من دون أن أتحرى وأتبين وأستأذن .. لم يفعل شيئاً من ذلك، حاشاه .. بل قال: أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَه وَلَا نَتَأَخَّرَه؟ أم هو الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

حديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"؛ كيف نفهمه..؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل هو الرأى والحرب والمكيدة". فهذه قرينة صريحة تصرف الموقع الذي نزل به النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء، عن الصفة التشريعية، وأن الأمر قابل للرأى والمشورة، حينئذ تجرأ الحباب فقال: فإن هذا ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم..".

أمر آخر له علاقة بشؤون الحرب والقتال، وهو أمر دنيوي، لكن له صفة تشريعية، لا تجوز المخالفة فيه؛ وذلك لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرماة على الجبل في موقعة أحد، أن لا يبرحوا مكانهم، سواء انتصر المسلمون أم انهزموا حتى يرسل إليه، كما في الحديث عن البراء بن عازب، قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير، وقال: "إن رأيتُمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أُرسل لكم، وإن رأيتُمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم". قال: فهزمتهم الله. فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: والله لنائين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فأتوهم فصرقت وجوههم وأقبلوا مهزمين " صحيح أبي داود: 2662. بعد أن كانوا منتصرين.

فأنزل الله تعالى قوله فيهم: ﴿أولمَّا أصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ آل عمران: 165. أي هو بسبب من عند أنفسكم، لما عصيتم أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلتم عن الجبل من دون إذنه.

وعليه، ومن خلال ما تقدم أعلاه، نقول: بعد أن اكتمل الدين، وأمضاه الله تعالى لعباده، وتوفي الحبيب صلى الله عليه وسلم، لا يجوز أن نتعامل مع أي نص من نصوص الشريعة. الكتاب والسنة. وفي أي مجال من مجالات الدين والحياة، سواء منها الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والطبية، والأخلاقية، وغيرها.. على أنه غير ملزم، وليس له الصفة التشريعية، تحت زعم " أنتم أعلم بأمر دنياكم"، ما لم توجد قرينة من خلال نص شرعي يخرج من صفة التشريعية، فإذا انتفت هذه القرينة، وانتفى هذا النص، ثبت

حديث: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم"؛ كيف نفهمه ..؟

للنص صفته التشريعية الملزمة بحسب الأحكام الشرعية الخمسة: الواجب، والحرام، والسنة أو المندوب، والمكروه، والمباح.

فإن قيل: إذاً ماذا نستفيد من قوله صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم"؟

أقول: نستفيد منه كثيراً، ونستدل به على جنس العمل الذي ذكر الحديث بسببه، ونحوه، فنقول: فنون وطرق الزراعة، والصناعات المختلفة، وطرق وكيفية تصنيعها، ونحوها الأمور الإدارية التنظيمية مما لا نص فيها .. فهذه ومثيلاتها لا يُطالب لها الدليل من الكتاب أو السنة، فيقال: أين الدليل على كيفية صناعة الطيارة أو السيارة .. لا .. وإنما يُقال: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم". ومع ذلك هذه الأمور فالشرع لم يتركها من دون أن يُحيطها بجملة من التوجيه والإرشادات العامة، والحضارية الراقية، كالتوصية بإتقان العمل، والنظام، والتنظيم، والنظافة، واستغلال الوقت، والوقت المبكر، وعدم الكسل أو الغش، وبذل الجهد المستطاع في الإعداد، والحض على النظر والاجتهاد، والعلم التجريبي، وغيرها من التوجيهات التي تجعل من كل عمل . أياً كان نوعه . عبادة، يعطي عطاءه المرجو على أحسن وأكمل وجه.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1438/04/20هـ

أبو بصير الطرطوسي

2017/01/19م

عندما يكون النص ظني الدلالة

عندما يكون النص ظني الدلالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ الحج:30. وحرمات الله؛ كل ما حرم

انتهاكه، والاقتراب منه بسوء، ومن أعظم حرمات الله النص الشرعي: كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج:32. ومن أعظم شعائر الله

تعالى التي يجب أن يُصرف لها التعظيم والتوقير والإجلال، النص الشرعي: قال الله تعالى، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، فتعظيم القول تعظيم لقائله، والاستهانة والاستخفاف بالقول، استهانة واستخفاف بقائله. وقد ظهر منا قوم يتحرّجون من شرع الله ومن كلامه. قد أشربوا في قلوبهم حب التفلت من قيود الشريعة والدين، ومُلئت فتنة بما يفد إلى بلاد المسلمين من شعارات الحداثة، والتغريب، والليبرالية، والديمقراطية، وغيرها .. فقالوا: أكثر نصوص الكتاب والسنة ظنية الدلالة، وما كان ظنياً، فهو لا يلزمنا في شيء، نحن في حلٍّ منه، تجوز لنا مخالفته، ومعارضته، وذلك تحت عنوان وزعم الاجتهاد .. فعزلوا بذلك الدين عن الحياة، وواقع الناس السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي .. وكرسوا مبدأ علمنة الدولة والمجتمع وهم يعلمون أو لا يعلمون!

ومن هؤلاء . لزيغ قلوبهم عن الحق . من تراه يتبع المتشابه من القول، ويتبع التفسير المرجوح والأضعف، والشاذ للمتشابه، ويتعامل معه على أنه هو المحكم من الدين الذي ليس بعده إلا الضلال، ليس رغبة، ولا انصياعاً منه للنص الشرعي المتشابه؛ لا، وإنما ليرد به المحكم والمجمّع عليه من الدين، ولأنه يجد في النص المتشابه السعة، والخيارات التي تسمح له أن يذهب في الاتجاه الذي يرغب، ويمهوى، والتي تعينه على إضلال المسلمين عن دينهم، وتفريق جماعتهم وكلمتهم!

عندما يكون النص ظني الدلالة

ونحن لا ننكر وجود نصوص من الكتاب والسنة، متشابهة وظنية في دلالتها، ظاهرها يفيد أكثر من دلالة ومعنى، وأكثر من احتمال، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾؛ وواضحات في الدلالة والمعنى، لا تحتمل إلا معنى وتفسيراً واحداً، لا لبس، ولا غموض فممن ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مَتَشَابِهَاتٌ﴾؛ حمالة أوجه ومعاني، تقبل أكثر من تفسير ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران:7.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو التعامل الأمثل والصحيح مع النصوص الظنية الدلالة،

وكيف نفهمها ونفسرها، ونستدل بها ..؟

هذا سؤال كبير، يُجاب عنه وفق تسلسل النقاط التالية:

أولاً: ظنية النص في دلالته أمر نسبي؛ فما يكون عندك ظنياً، قد يكون عند غيرك محكماً، وما يكون عندك مثلاً يحتمل خمسين بالمائة 50% أن يكون ظنياً، قد يحتمل عند غيرك أقل من ذلك أو أكثر، بحسب ما لديه من علم بدلالة النص، وبالنصوص الأخرى ذات العلاقة به وبموضوعه، التي ترجح معنى دون آخر، وتفسيراً دون آخر، إلى أن يرقى هذا التفسير أو المعنى إلى درجة المحكم عنده.

وما دام الأمر كذلك، ليس من التقوى ولا الإنصاف على طالب العلم، ومن يكون حديث عهد مع العلم الشرعي، أن يتسرع في الحكم على نص . أشكل عليه فهمه، والمراد منه . بأنه ظني الدلالة، وإنما عليه أن يلتمس أعلم من في بلده، أو من يمكن أن يصل إليه من أهل العلم، ممن يثق بدينه وأمانته، ويسأله عن هذا النص، وما قد أشكل عليه منه، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل:43. فالحكم على نص شرعي من الكتاب أو السنة بأنه ظني الدلالة، فتوى عظيمة، لا ينبغي أن يتجرأ عليها إلا من كان من أهل الفتوى والعلم.

ثانياً: أن يرد النص الظني في دلالته إلى النصوص المحكمة في دلالتها، ذات العلاقة بموضوعه، فيفسر

ويُفهم على ضوء ما تقضي به النصوص المحكمة، ويرجح من المعاني التي يحتملها النص الظني في دلالته،

عندما يكون النص ظني الدلالة

المعنى التي ترجحه وتقضي به النصوص المحكمة، حيث لا يجوز أن نذهب إلى معنى يحتمله النص الظني المتشابه، يخالف دلالة النصوص المحكمة في بابه وموضوعه.

ثالثاً: أن يلتَمَس فهم الصحابة رضي الله عنهم لهذا النص الظني، ويُنظر ماذا قالوا فيه، فقولهم وفهمهم مُقدِّمان على قول وفهم من جاء بعدهم، فهم الأقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فهم الأعلَم، وحكمهم هو الأسلم والأحكم، بهذا قضت نصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء: 115. وأولى الناس دخولاً في ﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هم الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعون لهم، بإحسان.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يوسف: 108. وأولى الناس دخولاً في معنى ودلالات ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ هم الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعون لهم، بإحسان .. مفهوم المخالفة يقضي أن ما سواهم، ومن يخالفهم، لا يدعو على بصيرة، وإنما دعوته تتسم بالعمى والجهل، والضلالة.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ : أي بمثل ما آمن به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ، عن الإيمان بمثل ما آمن به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: 137.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: 100. والله تعالى إذ رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فهو سبحانه وتعالى رضي عنهم لسلامة دينهم واعتقادهم، وفهمهم، والتزامهم.

عندما يكون النص ظني الدلالة

وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "اقتدوا باللذين من بعدي؛ أبي بكر، وعمر" [1]. وفي رواية: "إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي"؛ وأشار إلى أبي بكر وعمر [2]. وقال صلى الله عليه وسلم: "فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعصوا عنها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" [3].

وقال صلى الله عليه وسلم: "أكرموا أصحابي فإنهم خياركم" [4]. فإنهم خيارنا لسلامة دينهم واعتقادهم، ولشرف صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وسبق جهادهم ونصرتهم لدين الله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء".

فإن قيل: إن اختلف الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم، في فهم ودلالات النص الظني، مع غياب النص المرجح من الكتاب أو السنة لقول من الأقول.. فكيف السبيل، والتوفيق، والترجيح؟

أقول: في هذه الحالة يُقدّم قول وفهم السابق في الإسلام على اللاحق المتأخر، هذا الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْبَرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰكِرُونَ﴾ [التوبة: 10]. فلا يستويان في المنزلة والفضل والأجر، كما لا يستويان في الدين، والفهم والإيمان.

¹ رواه ابن ماجه والترمذي، صحيح سنن الترمذي: 2895.

² صحيح سنن الترمذي: 2896.

³ صحيح سنن أبي داود: 3851.

⁴ رواه النسائي، وأحمد، والحاكم، وصححه الشيخ ناصر في تخرج المشكاة: 6003.

عندما يكون النُّس ظنِّي الدّلالة

وفي الحديث، عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسولُ الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل جبلٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه.

وفي رواية عن أنس، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيامٍ سبقتُمونا بها؟! فبلغنا أن ذلك ذُكِرَ للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثلَ أُحُدٍ أو مثلَ الجبالِ ذهباً ما بلغتم أعمالهم" [1].

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خالد رضي الله عنه: "خالدٌ سيف من سيوف الله عز وجل، نعم فتى العشيرة" السلسلة الصحيحة: 1826. ومع ذلك لما حصل خلاف بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يُنكر النبيُّ صلى الله عليه وسلم على خالد، ويقول له ولغيره ممن تأخر إسلامهم وتأخرت نصرتهم للإسلام عن عبد الرحمن بن عوف: "دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثلَ أُحُدٍ أو مثلَ الجبالِ ذهباً ما بلغتم أعمالهم!"

حتى لو اختلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع عمر رضي الله عنه في نازلة، أو في فهم نص ظني، قدّم قول وفهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه لسابقتها في الإسلام، كما في الحديث: عن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما صاحبكم فقد غامر". فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر". ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت وفي رواية: إني قلت: يا أيها الناس، إني رسولُ الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت .

¹ أخرجه أحمد، السلسلة الصحيحة: 1923.

عندما يكون النص ظني الدلالة

وإساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي، مرتين " فما أؤدي بعدها. البخاري. فتأمل كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم فرّق بين أبي بكر وعمر، وعمر هو هو، ومنزلته العظيمة معلومة، لكن لما كان أبو بكر هو الأسبق في الإيمان، والاستجابة، والنصرة لدين الله، غضب النبي صلى الله عليه وسلم له هذا الغضب، وقال لعمر، ولغيره من الصحابة: "فهل أنتم تاركوا لي صاحبي!"

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهِدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السِّمْنَ" متفق عليه. والقرن الأول هو قرن الصحابة، ثم القرن الثاني؛ وهو قرن التابعين، ثم القرن الثالث؛ وهو قرن تابعي التابعين. وعن عائشة قالت: سألت رجلاً النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: "القرن الذي أنا فيه، ثمّ الثاني، ثمّ الثالث" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسدوا الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يُسْتَشْهِد، ويحلف الرجل ولا يُسْتَحْلَف" [1]. وغيرها كثير من النصوص التي تدل على صحة هذا القيد في الترجيح. عند مورد الخلاف. بين أقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان في القرن الثاني، والثالث.

رابعاً: بعد مراعاة ما تقدم، إذا لم يجد العالم جواباً فيما أشكل عليه فهمه من النص الظني، وأراد أن يجتهد، ويدلي بدلوه، فله ذلك، لكن بثلاثة شروط:

أولها: أن لا يخالف اجتهاده. أو ما ينتهي إليه اجتهاده. نصاً محكماً، أو إجماعاً، أو قولاً لصحابي، وبخاصة السابقين منهم في دخول الإسلام، ونصرتة، للأدلة الأنفة الذكر. ثانيها: أن لا يخالف اجتهاده مقاصد الشريعة.

¹ صحيح الجامع: 206.

عندما يكون النص ظني الدلالة

ثالثها: أن لا ينتهي اجتهاده إلى ما لا تحتمله لغة ودلالات النص؛ فيكون اجتهاده حينئذٍ شاذاً، ومرفوضاً، وهو أقرب للتحريف والبدعة، والإحداث في الدين، وفي الحديث قال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌ" متفق عليه. وقال ﷺ: "من صنع أمراً على غير أمرنا فهو رد" [1].

وقال ﷺ: "شرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعة ضلالة" مسلم.

وقال ﷺ: "شرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار" [2].

أمثلة توضح ما تقدّم:

مثال في العقيدة: قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد:4. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ المجادلة:7. فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾. ابتداء يفيد التّشابه والظنية في الدلالة، يحتمل أكثر من وجه ومعنى:

هل المعية هنا معية علم وإحاطة، وقدرة، أم معية ذات، وحلول، ووحدة الوجود...؟

الجواب: لكي نحدد المعنى المراد من هذا النص المتشابه الظني في دلالته، نرده أولاً إلى النصوص المحكمة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفسره على ضوء ما ورد من نصوص محكمة ذات العلاقة بالموضوع، والتي تفيد وتثبت أن الله تعالى له صفة العلو، يعلو ولا يُعلَى عليه، مستوٍ على عرشه فوق السماوات السبع، بائن عن خلقه.

كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الحديد:4. وهي نفس الآية التي ورد في نهايتها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الحديد:4. فأثبت الخالق سبحانه وتعالى لنفسه في أول الآية صفة الإستواء والعلو على العرش، وأنه تعالى فوق الخلق والعرش، حتى لا تُفهم المعية الواردة في نهاية الآية على أنها معية ذات، وحلول...!

¹ صحيح الجامع: 6369.

² صحيح سنن النسائي: 1487.

عندما يكون النص ظني الدلالة

وقد تكررت عبارة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع من كتاب الله تعالى، لتؤكد المعنى المحكم الدال على أن الله تعالى فوق عرشه، غني وبائن عن خلقه .. وفي سورة طه . وهو موضع سابع من كتاب الله تعالى . جاءت الآية كالتالي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه:5. لتؤكد نفس المعنى المحكم المشار إليه أعلاه. وكذلك قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ الملك:16. أي الله تعالى الذي له العلو في السماء. ونحوه قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الملك:17.

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى:1. وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النحل:50. وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فاطر:10. والسنة في السجود ، يُقال: "سبحان ربي الأعلى".

وفي صحيح مسلم، سأل النبي صلى الله عليه وسلم جارية مملوكة: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله. قال صلى الله عليه وسلم لصاحبها: "أعتقها فإنها مؤمنة". وقال صلى الله عليه وسلم: "ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء" سنن الترمذي، وقال عنه: حسن صحيح.

وكانت زينب بنت جحش تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات" البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ: "لقد حكمت فيهم . أي في يهود بني قريظة . بحكم الملك من فوق سبع سماوات" النسائي وغيره. وغيرها عشرات النصوص التي تفيد بأن الله تعالى في السماء؛ فوق عرشه، يعلو ولا يُعلى عليه، بائن عن خلقه.

وكذلك لو نظرنا إلى أقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان في هذه المسألة، لوجدناها قد أجمعت على هذا المعنى المشار إليه أعلاه، وقد نقل الإجماع عنهم عدد كبير من علماء السلف .. وبذلك ينتفي التشابه عن النص، ويحسن فهمه وتفسيره التفسير الحسن، ويصبح الجانب المتشابه منه محكماً .. ونعلم أن المعية المراد منها في الآية هي معية شهادة، وعلم، وقدرة، وإحاطة، قال ابن جرير الطبري في التفسير: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

عندما يكون النص ظني الدلالة

كُنْتُمْ؛ وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ا- هـ.

وقال ابن كثير في التفسير: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم ا- هـ.

وعليه تُقاس غيرها من النصوص العقديّة التي تفيد ابتداء معنى ظنيّاً متشابهاً .. وبمثل هذا التعامل مع الجانب الظني المتشابه من النص، وردّه إلى النصوص المحكمة والمفسرة، يزول بإذن الله تعالى التشابه وتزول ظنيته، ليرقى إلى درجة المحكم في الدلالة، والحمد لله رب العالمين.

فإن قيل: علامَ فسرتم " المعية"، بمعية العلم، والشهادة، والقدرة، والإحاطة .. فهذا تأويل .. والتأويل ليس من مذهب الصحابة ولا علماء السلف؟

أقول: التأويل الذي يصرف النص عن مراده الشرعي، والراجح من دلالاته الشرعية واللغوية، لقريظة مرجوحة، يُصادم المحكم من النصوص الشرعية .. نعم هو تأويل مذموم ومرفوض .. أما التأويل الذي يراد منه حمل النص الشرعي على مراد الشارع، وتفسير المتشابه منه على ضوء المحكم، وحتى لا يخالف ولا يعارض النصوص المحكمة في بابه .. هو تأويل حسن، وممدوح بالنقل، والعقل، والإجماع.

مثال في الفقه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: نَادَى فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ: "أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوَتَّ الْوَقْتَ فَصَلُّوا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قَالَ: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنْ الْفَرِيقَيْنِ. متفق عليه.

النبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعنف واحداً من الفريقين؛ لأن النهي النبوي متشابه ظني يحتمل المعنيين معاً، لكن هل لا يزال هذا النص ظني الدلالة، بحيث لو تكررت صورته، فأمر أمير جنده أن لا يصلوا العصر إلا في مكان كذا، يجوز للجنود أن يذهبوا مذهبين في تنفيذ الأمر، كما حصل للصحابة من قبل ..؟

عندما يكون الظني الدلالة

الجواب: لا؛ لأن المحكم من النصوص الشرعية قد رجحت مذهباً من المذهبين، وقولاً من القولين، وفهماً من الفهمين؛ وهو الصلاة في وقتها، وعدم تفويت وقت الصلاة لأي سبب من الأسباب، وأنه لا بد من العمل بما دلت عليه هذه النصوص المحكمة، ورجحته، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ النساء:103. أي محددًا لا يجوز الخروج عنه. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ النساء:101. فرخص لهم التقصير في الصلاة؛ بحيث يصلون الأربعة اثنان عند خشيتهم من فتنة العدو، ولم يرخص لهم في ترك الصلاة إلى أن يخرج وقتها المحدد.

وفي الحديث، عن عبد الله بن مسعود، قال: سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا "متفق عليه.

وعن أبي ذرٍّ، قال: قال لي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كيف أنت إذا كانت عليك أمراءٌ يُؤَخِّرُونَ الصلاةَ عن وقتِها، أو يُمَيِّتُونَ الصلاةَ عن وقتِها؟" قال قلتُ: فما تأمرني؟ قال: "صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا" مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وتر أهلَهُ وماله" البخاري.

وعن أبي المليح، قال: كنا مع بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِي فِي غَزْوَةٍ، فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلَاةِ الْعَصْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "من ترك صلاة العصر فقد حَبِطَ عمله" البخاري. فرغم أنهم في غزوة وجهاد، وفي يوم ذي غيم، ومع ذلك لم يجد الصحابي عذراً في تأخير صلاة العصر حتى يخرج جميع وقتها، واستدل على قوله بحديث النبي صلى الله عليه وسلم المخيف: "من ترك صلاة العصر فقد حَبِطَ عمله!"

فهذه النصوص المحكمة في دلالتها، هي التي تجعل الصلاة في وقتها هو الواجب، والراجح، مهما كانت الظروف والأسباب، وما كان ظنياً في بابه يُرد لهذا المحكم، ويُفسر على ضوء هذا المحكم، فيصبح المتشابه الظني بالمحكم محكماً في دلالته، والله الحمد.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ النساء:43. فالنص متشابه وظني

في دلالته؛ هل المراد من "لامستم"، مجرد لمس بشرة المرأة، وأي امرأة، أم المراد منه الجماع.. وأهل العلم منهم من ذهب للقول الأول، معتمداً على الدلالات اللغوية للنص، ومنهم من ذهب للقول الآخر، معتمداً على

عندما يكون النص ظني الدلالة

الأثر في تفسير النص .. لكن عند الرجوع لنصوص السنّة، نجد أن السنّة تفسر " لامستم"، بالجماع، وليس بمجرد ملامسة البشرة، كما في الحديث المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كنتُ أنامُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبليته، فإذا سجد غمزني، فقبضتُ رجليّ، فإذا قام بسطتُهما، قالت: والبيوتُ يومئذٍ ليس فيها مصابيحُ". فدل الحديث أن مجرد لمس المرأة لا ينقض الوضوء، بل ولا يبطل الصلاة، وأن المراد من " لامستم" الواردة في القرآن الكريم، هو الجماع.

شاهدنا من هذا المثال والذي قبله أن نبين كيفية التعامل مع النص المتشابه الظني في دلالته، وكيف تتم عملية ترجيح قول على قول، وفهم على فهم، ومعنى على معنى، لا أن نستقصي النصوص المتشابهة الظنية، فهذا عمل كبير قد يحتاج إلى مجلدٍ أو مجلدين أو أكثر.

. تنبيه: أحياناً قد يغيب عن المجتهد النص المحكم المفسّر والمرجّح لأحد معاني النص المتشابه الظني في دلالته، فيضطر للاجتهاد والقياس، والاستصحاب، والاستحسان .. وقد يُصيب حيناً، ويُخطئ حيناً آخر .. وله في الأولى أجرين، وفي الثانية أجر واحد .. وكلما خفيت النصوص المحكمة المفسّرة والمرجحة على العالم المجتهد، كلما كان ذلك ادعى لتوسيع ساحة التأويل والأعذار عند حصول الخطأ، وعند مورد الاختلاف والتباين بين أقوال العلماء.

فالاختلاف حول فهم وتفسير النصوص المتشابهة الظنية في دلالتها وارد وحاصل .. وبالتالي لا يجوز أن يترتب عليه ولاء وبراء .. ولا تعديل ولا تجريح .. ولا تفسيق ولا تضليل أو تكفير .. وبخاصة عندما تكون منطلقات وأصول العالم المجتهد في فهمه وتعامله مع نصوص الشريعة صحيحة وسنيّة، يتحرى السنّة في اجتهاداته قدر المستطاع .. بعيداً عن زيغ وضلالات أهل البدع والأهواء.

كما لا يجوز أن يترتب عليه تنازع، وتحزّب، وتفرق في الدين، فقد نهى الشارع عن التنازع والتفرق في الدين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران:105. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْباً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ الأنعام:159. وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْباً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم:31-32. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال:46.

عندما يكون النص ظني الدلالة

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفتقاً في وجهه حب الرمان من الغضب! فقال: "بهذا أمرتكم أو لهذا خلقتكم تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم" [1].

وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوماً يتدارون في القرآن. يدفعون ويضربون بعضه ببعض. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا: ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما عملتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوا إلى عالمه [2]. قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ النحل:43.

قاعدة: إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال: كثير من الناس يفسر هذه القاعدة تفسيراً خاطئاً، فيبطلون الاستدلال بالنص الذي يحتمل أكثر من معنى أو دلالة .. ويعطلون العمل به .. ولوراجعتهم، لقالوا لك: "إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال"، وهذا جهل وظلم منهم لنصوص الشريعة .. فليس ما ذهبوا إليه هو المراد من القاعدة، وإنما المراد بها: إذا احتمل النص رأياً: راجحاً ومرجوحاً .. ظنياً ووهيمياً .. بطل الاستدلال بالمرجوح على الراجح، وبالوهمي على الظني.

ويقال أيضاً: إذا تساوى المعنيان المستخرجان من النص في القوة والحجة والاستدلال .. فلا حجة حينئذٍ لقول على آخر .. ويبطل الاستدلال بالنص الظني على بطلان أحد المعنيين المستفادان منه، ولكل فريق يعمل بما انتهى إليه اجتهاده من المعنيين أو أكثر .. ويكون الخلاف حينئذٍ أقرب لخلاف التنوع منه لخلاف التضاد.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1439/02/16هـ

أبو بصير الطرطوسي

2017/11/06م

¹ صحيح ابن ماجه: 69.

² مشكاة المصابيح: 228. قال الألباني: إسناده حسن.

التفسير النفعي للعبادة

التفسير النفعي للعبادة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فإن الإنسان خلق لعبادة الله تعالى وحده، وهو يعبد الله تعالى محبة، وطاعة، وخضوعاً، وانقياداً لأمره سبحانه تعالى، ابتغاء مرضاته، والتماساً لمحبتة، واتقاء لسخطه وغضبه، ورغبة بما أعد الله تعالى لعباده المؤمنين من أجرٍ عظيم، في جنات النعيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:56. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة:5. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام:162.

فالمرء يعبد الله تعالى على النحو الذي أمر الله به؛ لأنه تعالى هو المطاع والمحبوب لذاته؛ لأنه هو هو سبحانه الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ولأنه المعبود بحق، الذي يجب أن تُصرف العبادة له وحده، ولأنه تعالى يريد منّا أن نعبدَه على الوجه الذي أمر به وشرع، فنعبده كما أمر، وبنقاد لأمره بغض النظر عما يترتب على الأمر أو النهي من حكمة، ومصالح .. وما يترتب على العبادة بعد ذلك من منافع ماديّة دنيوية. إن قدر الله شيئاً منها. فهي تأتي تبعاً لا قصداً، كما لا يجوز أن تكون شرطاً للعبادة؛ إن تحققت تمت ووجدت العبادة، وإن تعطلت أو تأخرت، توقفت وانتفت العبادة!

عندما يكون الغرض من العبادة المنافع الماديّة الدنيوية، يضعف الإخلاص، والتّجرد، وتضعف علاقة العبد بربه، وتصبح العلاقة تجارية مقتصرة على الجانب النفعي المادي المصلحي وحسب، والنظر إلى مبدأ الربح والخسارة، ماذا يربح من هذه العبادة، وماذا يخسر من المنافع .. وتكون العبادة بمثابة شرط وتجارة ومكاسب مادية نفعيّة، فهذا مقابل هذا؛ فالعبادة مقابل المنافع المادية الناجمة عنها، فإن انتفت المنافع ولم تتحقق انتفت العبادة أو ضعفت وفترت، أو شكك في الجدوى منها، وبخاصة في أجواء المحن والشدة .. وهذا لا ينبغي ولا يجوز، لما فيه من إساءة أدب في التعامل مع الله تعالى، ولمخالفته لما كان عليه النبي صلى

التفسير النفعي للعبادة

الله عليه وسلم وصحبه الكرام من نهج، واستقامة .. فالله تعالى لا يُشترط عليه، كما لا يجوز أن يُجرب؛ إن أعطانا عبدناه، وإن أمسك أمسكنا، وانتكسنا!

الذي حملني على تسجيل هذا التنبيه أن كثيراً من وعَاط هذا العصر. من قبيل ترغيب الناس بالعبادة! . يفسرون العبادة تفسيراً نفعياً مادياً دنيوياً، ويربطون بين الشعائر التعبدية وبين منافعها المادية الدنيوية، ويصورون المنافع المادية الدنيوية الناجمة عن العبادات، وكأنها هي الأصل، وهي القصد، والغرض الأساس من العبادة!

فالصوم؛ شُرِع لأن فيه نفع للجسد وللصحة .. فصوموا تصحوا .. ويتحقق منه " الرجيم " المطلوب لتخفيف الوزن .. ونحو ذلك من التفسيرات .. المباشرة للتفسير التعبدي للصوم؛ وهو أننا نصوم عبادة وطاعة لله تعالى، امتثالاً لأمره، وطلباً لرضاه.

وكذلك الصلاة؛ فهي رياضة بدنية، وتنشيط للجسم والقلب .. والدورة الدموية .. ومناسبة للقاء المصلين بعضهم مع بعض، يتفقدون أحوالهم!

والزكاة والصدقات؛ تنمي الأموال وتزيدها ...!

والحج؛ مؤتمر سنوي عالمي يجمع المسلمين في العالم، على اختلاف مشاربهم، وألوانهم، ليتدارسوا أحوالهم وقضاياهم الهامة ...!

والتقوى؛ من أجل الرزق، وتعجيل الفرج .. وليس لأن الله تعالى أهل للتقوى؛ بامتثال فعل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر!

والاستغفار؛ مجلبة للرزق، وللولد ...!

والشكر؛ من أجل الزيادة، وحرصاً على الزيادة؛ فهو قبل الشكر، ومع الشكر، وبعد الشكر يفكر بالزيادة .. وليس لأن الله تعالى أهل لبالغ وعظيم الشكر، على نعمه الوافرة التي لا تُعد ولا تُحصى .. ثم الزيادة تأتي تبعاً إذا شاءها الله تعالى وقدرها.

وصلة الرحم؛ من أجل تنمية المال، وإطالة العمر ...!

التفسير النفعي للعبادة

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل رفع الهم والغم، وصرف البلاء ... وليس لأن الله تعالى أمرنا وتعبدنا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم علينا أن نصلي عليه، وكلما ذُكر صلى الله عليه وسلم!

حتى الأذكار؛ التَّسْبِيح، والتَّهْلِيل، والتَّكْبِير، فهي تُقال من أجل دفع الشر والأشرار.. وجلب الخير والنفع المادية.. وليس لأن الله تعالى يستحق التمجيد والتَّعْظِيم والتَّأْلِيهِ، وأن هذه الأذكار تقربنا إلى الله تعالى، وتزيد من حبنا له، ومن حبه لنا سبحانه وتعالى!

وكذلك الجهاد؛ شُرع من أجل أغراض ومكاسب ومنافع دنيوية، فإذا انتفت هذه المكاسب والمنافع، تعطلَّ الجهاد، وأصبح الجهاد إرهاباً...!

والإسلام قبل الانتخابات، هو الحل، وبعد الانتخابات والفوز بالمكاسب والمنافع المادية الدنيوية، يصبح القانون الوضعي هو الحل...!

حتى الولاء والبراء، أصبحا يُعقدان على أسس نفعية مادية، وحزبية ضيقة، ويُعلقان بالمكاسب والمنافع المادية الدنيوية...!

والحجاب؛ لأنه جميل، ولأنه يحفظ المرأة من الأذى والأشرار.. وليس لأن الله تعالى قد أمر بالحجاب، وما على المرأة المسلمة إلا السمع، والطاعة، والانقياد لأمر ربها وخالقها؛ حتى لو أمنت. في ظرف من الظروف. جانب الأذى والشر، والعدوان!

وطلب العلم، يفتح لك باباً للوظيفة والعمل، والكسب...!

والإمارة؛ مكسب، وغنيمة، وسيادة، ورياسة، وعلو في الأرض...!

وهكذا كل أمر تعبدي يفسرونه تفسيراً نفعياً، ويعلقونه بالمنافع المادية الدنيوية، حتى غاب المعنى الحقيقي للعبادة، والغاية منها، وما هو المراد من كل أمر تعبدي تعبَّدنا الله به، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ الحج:37.

التفسير النفعي للعبادة

وفي الحديث، قد صحَّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صورِكُمْ وأموالِكُمْ، وَلَكِن يَنْظُرُ إلى قلوبِكُمْ وأعمالِكُمْ" مسلم. ماذا وقر في القلوب من إخلاص، وإجلال، وخشية، وتوقير، وتعظيم، وخضوع، وانقياد، ومحبة لله عز وجل، هذا الذي ينظر اللهُ إليه، وهذا الذي يريده من عبده.

ونحن هنا لا ننكر المنافع والمكاسب الماديّة والنفسية الناجمة عن العبادة، فهي حق، وهي كثيرة وعظيمة الشأن والله الحمد، يُمضي الله منها ما يشاء، وقتما يشاء .. نحمده تعالى ونشكره عليها .. ولكن لا يجوز أن تكون هي الغرض أو القصد من العبادة .. كما لا يجوز أن تكون علاقة العبد بربه قائمة على أساس نفعي مادي دنيوي، فالمنافع المادية الدنيوية تأتي تَبَعاً، لا قصداً، والله تعالى أعلم.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1439/09/29هـ

أبو بصير الطرطوسي

2018/06/13م

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

. مقدمة هامة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

كنا نود مخلصين أن تكون جميع الطوائف السورية . النَّصَارَى، والدروز، والنصيرية، وغيرها من الأقليات . لها اشتراك فاعل في الثورة ضد النظام الأسدِي الطائفي المجرم، ليعرّف لها معروفها وفضلها فيما بعد، وليحسب لها حسابها عند الحديث عن الحقوق والواجبات، بعد أن تضع الحرب أوزارها .. لكن وللأسف، قد استطاع النظام الأسدِي المجرم، أن يحمل هذه الطوائف على أن تقف في صفه وتكون معه ضد الثورة، وضد من يساكنونهم ويجاورونهم من الأكثرية السورية .. وأحسنهم حالاً من وقف على الحياد، يراقب الأحداث، والنتائج، ولمن ستكون الغلبة والعواقب؛ الحياد الظالم الذي ساوى بين الظالم والمظلوم، بين المجرم الجزار وضحيته .. ومن شدّد عن هذين الوصفين الأنفي الذكرا لا يتجاوزون من كل طائفة أصابع الكفّين، والأحكام العامّة لا تُبنى على هذا الشاذ النادر، الذي سنشكره في وقته على قلته وندارته!

ما تقدّم يعني وبكل وضوح، وكما هو معلوم للجميع، للقاصي والداني، للعدو والصديق .. أن مادة الثورة السورية، وجميع ضحاياها من الشهداء، والمعتقلين، والجرحى، والمهجرين، الذين تجاوز تعدادهم الملايين، هم من المسلمين السُنّة، الذين يمثلون الأكثرية والسواد الأعظم للشعب السوري، والذي يبلغ تعدادهم على أقل تقدير 85% من الشعب السوري، ومهما حاولت إيران وذنبيها الخائن العميل أن يطمسوا هذه الحقيقة، ويتلاعبوا بهذا الرقم من خلال التّهجير، والتوطين المضاد، والتغيير الديمغرافي، لن يفلحوا في تغيير أو تغييب هذه الحقيقة.

وبالتالي عند الحديث عن النظام السياسي الذي يحكم سوريا ما بعد الثورة، وعن الحقوق والواجبات، لا بد من مراعاة حقوق وتطلعات السّواد الأعظم للشعب السوري، والتي هي مطالب وتطلعات الثورة ذاتها، وبخاصّة أن الأقليات وعبر عقود عديدة ماضية قد أثبتت فشلها الذريع في حكمها وقيادتها

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

لسورية؛ من حيث تحقيق التعايش الأمن والعدل، والمحترم بين جميع فئات المجتمع السوري، ومن حيث استقلال سوريا، والتقدم الإقتصادي والحضاري للدولة السورية، حيث كان الفساد بكل أبعاده هو السمة العامة لأنظمتهم ولفترات حكمهم للبلاد، كما أن تعاملهم مع الأكثرية والسواد الأعظم للشعب السوري . من خلال أجهزتهم الأمنية القمعية . يقوم على ركيزتين: القمع، والإرهاب، والقتل، والسجن والتعذيب، في أبشع صوره .. فإن فشلوا في تحقيق سيطرتهم من خلال هذا الأسلوب، أو ضعفوا عن السيطرة في مرحلة من المراحل، استقووا على هذه الأكثرية من الشعب السوري بالعدو الخارجي، وجعلوا البلاد مستباحة لكل كلب وعدو مستعمر متوحش وافد .. فهم لا يباليون أن تكون سوريا مرتعاً لكل عدو، ولأطماع كل مستعمر، مقابل أن يبقوا على سدة الحكم، وأن يبقى الشعب السوري ممثلاً بأكثرية ذليلاً، خائفاً، مستعبداً، مسلوب الحرية والكرامة.

وهذه حالة مزرية لا تليق بسورية العظيمة ولا بأهلها الشرفاء، ولا يجوز لها أن تدوم بعد الثورة، وبعد كل هذه التضحيات .. ونحن هنا نقترح تصوراً سياسياً لما بعد الثورة، يمنع سوريا بإذن الله، من العودة إلى الوراء، إلى عهد الفساد والاستبداد، والظلم والطغيان، والخيانة .. والافتتال الداخلي .. وما سنقترحه هنا من " رؤية سياسية " قد لا يمثل أقصى طموحاتنا وتطلعاتنا وما نريد، وإنما راعينا فيه الواقعية السياسية، وإمكانية التحقيق، والحد الأدنى الذي لا يمكن تجاوزه، بحسب الظروف والمعطيات المحيطة بسوريا أرضاً، وشعباً، وثورة.

تتمثل هذه الرؤية السياسية في النقاط والمحاور التالية:

المحور الأول: تشكيل مجلس أمناء الثورة: هذا المجلس يمكن أن يُسمى مجلس قيادة الثورة، أو

مجلس شيوخ وحكاماء الثورة، أو مجلس أمناء الثورة، لا مشاحة في المسميات، المهم في المجلس الأعمال والمهام الموكلة إليه .. تكون له الكلمة الفصل، والأولى والعليا في الثورة .. كما تكون له الصفة التمثيلية المطلقة للثورة، وللحديث باسمها، وله على جميع الفصائل، والتجمعات، والمؤسسات، والكوادر الثورية حق السمع والطاعة في المعروف .. يُنتخب أعضاء المجلس من صفوف قادة وعلماء الثورة الذين تحقق لهم القبول لدى

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

غالبية الثوار والمجاهدين، وعُرفوا بالدرّاية، والأمانة، والعطاء، وصدق الولاء والانتماء للثورة الشاميّة المجيدة، ولأهدافها، وبالاستقلال التّام عن جميع الضغوط والروابط والتبعيات الخارجية التي تؤثر سلباً على عطايتهم، وقراراتهم، ومهامهم، ودورهم المنشود .. يتكوّن عدد أعضاء المجلس ما بين أحد عشر شخصاً إلى واحدٍ وعشرين شخصاً، قابلاً للزيادة أو النّقصان بحسب ما تقتضيه الحاجة ومصلحة الثورة، مع التنبيه إلى أن التضخم الزائد لعدد أعضاء هذا المجلس قد يعيق من عمله وحركته، ويُضعف من عطائه، وبخاصّة في مرحلة ما قبل النصر التام للثورة، وقيام الدولة المنشودة ما بعد العصاة الأسيديّة المجرمة .. يَنتخبون من بينهم رئيساً، وناطقاً إعلامياً رسمياً.

هذا المجلس كان ينبغي أن يتشكل منذ الأيام الأولى للثورة، وما تعيشه الثورة من مشاكل، وفراغ على جميع المستويات: السياسية، والعسكرية، والأمنيّة، والاقتصادية، والتربوية، والإعلامية، والدستورية مرد غالبها إلى غياب هذا المجلس الهام .. ومع ذلك أن يأتي هذا المجلس متأخراً، ويرى النور متأخراً، خير من أن لا يتشكّل أبداً.

ولهذا المجلس مهمّتان أساسيتان:

المهمة الأولى: ما قبل انتصار الثورة، وتمثل في الحفاظ على الثورة ومكاسيها من أن تُسرق من قبل الأعداء، أو أن تنحرف مساراتها نحو الغلو والتنطع الذي يحرق كل شيء، أو الجفاء والتفريط الذي يفسد كل شيء.

يكون للمجلس الحضور الفاعل والمؤثر والكلمة الفصل، عند كل منعطف من منعطفات الثورة: عند التفاوض، وتشكيل الفريق المفاوض، وما يُفاوَض عليه، وما لا يقبل التفاوض .. تقرير حالة السلم أو الحرب .. صياغة الدستور وما يتعلق به من أنشطة وأعمال .. وغير ذلك من المنعطفات الهامة التي تحدد مصير الثورة ومسارها.

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

الإشراف على الانتقال من حالة التفرق والتشردم، والعمل الفصائلي، والفردية، إلى حالة العمل الجماعي والمؤسسي، في جميع المجالات العسكرية، والأمنية، والتعليمية، والتربوية، والإعلامية، والاقتصادية .. وعلى مستوى جميع التراب السوري.

يكون للمجلس الصفة الرقابية والتوجيهية على جميع الفصائل والمجالس، والتجمعات الثورية في حال ما أخطأت أو انحرفت عن مسار الثورة وأهدافها .. وتشهد على المحسن منها بأنه محسن، وتعزز إحسانه، وتشجعه، وعلى المسيء بأنه مسيء.

يُرَجَّع إليه في حال المنازعات بين الفصائل والتجمعات، وحصول الخلاف فيما بينها .. ويكون حكمها وتوجيهها لفرقاء النزاع ملزماً للجميع .. وغير ذلك من المهام والأعمال الهامة والعامّة التي توصل الثورة إلى بر الأمان بأقرب وقت، وأقصر طريق، وأقل تضحية ممكنة، بإذن الله.

المهمة الثانية: ما بعد انتصار الثورة، حيث تأتي مرحلة تقسيم الغنائم، والمناصب، والحصص، فتستشرف الأنفس الخائنة المريضة والظالمة لتأخذ ما لا يحق لها .. وعلى حساب الشرفاء والمخلصين، الذين ضحوا بالغالي والنفيس .. ولو ترك الأمر حينها مَسَاعاً يقتطع من يشاء ما يشاء من الحصص والغنائم، لضاعت الثورة ومكتسباتها وأهدافها، ولاستبدل طاغية بطاغية، وظالم بظالم .. ولبكينا الثورة السورية العظيمة، وتضحياتها العظيمة، كما بكينا من قبل ثورات الشعوب الحرة في أمصار شتى، لما سطا على ثوراتهم اللصوص، والخونة والعملاء!

فالمجلس المشار إليه يكون له حينئذٍ حضوره الفاعل والمؤثر في الحفاظ على الثورة ومكتسباتها، وتحقيق أهدافها، كما يكون له حضوره عند تقسيم المغنم والحقوق والواجبات .. وإنصاف الصادقين المخلصين، من المنافقين المتسلقين الانتهازيين .. كما يكون له الدور الكبير في توعية الناس، وما لهم وما عليهم تجاه ثورتهم، وبلدهم، وأنفسهم.

كل من يريد أن يعتلي منصباً سيادياً، أو وظيفة حكومية عامة وعليا في سوريا، لها صفة تمثيلية للنظام السياسي .. يجب أولاً أن يمر اسمه على هذا المجلس، وتُعرض عليه سيرته الذاتية، ومواقفه السابقة

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

من الثورة وأهلها .. ويكون له الحكم الفصل فيه، إن شاء أجازته، وإن شاء منع .. وهذا ليس غريباً أو جديداً في عالم الأنظمة السياسية الحديثة، حيث كثير من هذه الأنظمة المعاصرة لها مجالسها العليا التي تكون لها كلمتها العليا والفصل في القضايا المفصلية الهامة، كمجلس الشيوخ، ومجلس اللوردات، ومجلس الأعيان، ومجلس تشخيص مصلحة النظام، وغيرها من المجالس التي يرجع إليها فيمن يحكم البلاد والعباد، وعند موارد الاختلاف، وفي المنعطفات الهامة للنظام السياسي، وإلا لسطا ما ليس له حق، على حقوق من له حق، كما تسطو الضباع على فرائس وطرائد غيرها!

مجلس شوري مساعد: لعظم المهام وسعة الأعمال الموكلة إلى مجلس أمناء الثورة، لا حرج من أن يُشكّل لنفسه مجلس شوري يحوي على جميع الكفاءات العلمية، يرجع إليه فيما يُشكل عليه من النوازل والمسائل، وما تعترضه من مشاكل، ويكون هذا المجلس نواة لمجلس شوري أعم وأكبر، يمارس دوره وعمله جنباً إلى جنب مع مجلس أمناء الثورة، والقيادة التنفيذية ما بعد انتصار الثورة، وقيام الدولة السورية المستقلة الحرة العزيزة، بإذن الله تعالى ومشيتته.

عوائق ستواجه هذا المجلس: من أهمها الدول التي ستري في هذا المجلس منافسة ومزاحمة لنفوذها ووجودها في سوريا، إذ من مصلحة هذه الدول أن تبقى كلمة الثورة ضعيفة متفرقة، ليس لها رأساً، ولا مرجعية تمثيلية ترجع إليها، ليتسنى لها التدخل في الشأن السوري وقتما تشاء وبالطريقة التي تشاء، وللغرض التي تشاء، ومن دون أن يمنعها مانع، أو يُسائلها سائل!

ومنها، المجالس المحليّة المحسوبة على المعارضة والثورة، والتي منها الإنتلاف، والمجلس الوطني، وغيرهما من المجالس، لما يرون في هذا المجلس منافسة لنفوذها، ومصالحها، ووجودها .. ولهذه المجالس نقول: قد فشلتم فشلاً ذريعاً في قيادة المرحلة، وفي تمثيل الثورة، والدفاع عنها، وعن أهلها .. تحضرون وتستشرف أعناقكم وتمتد عند المغانم، وانتصارات الثوار والمجاهدين، وتغيّبون غياب الأموات عند الغرائم والشدائد .. فأنتم من جملة مصائب الثورة ومآسها .. وبعد مضي ثمان سنوات عجاف من عمر الثورة، ومن دون أن تقدموا للثورة شيئاً يُذكر، فأنتم بين خيارين: أما أن تنفضوا، وتستريحوا وتريحوا، وتعطوا فرصة

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

لغيركم أن يعمل .. وإما أن تكون مجالسكم . على عجزها وضعف وقلة عطائها . تكميلية، تخضع للمراقبة، والمساءلة من قبل مجلس أمناء أو قيادة الثورة، وعند التعارض والتباين تكون كلمة المجلس هي النافذة وليس كلمتكم.

ومنها، بعض النفوس الضعيفة من قادة بعض الفصائل، التي ستري في هذا المجلس منافسة ومعارضة لما يتمتعون به من خصائص، ونفوذ، ومصالح آنية .. ولهؤلاء نقول: اتقوا الله .. فمصلحة الثورة .. والشعوب .. والأوطان .. مقدمة على مصالحكم الشخصية، ثم أن مصالحكم الحقيقية لو كنتم تعلمون مرهونة بتحقيق مصلحة الثورة وأهلها أولاً، إذ لا مصلحة لكم، ولا وجود لكم ولشيء من مصالحكم عند غياب الثورة ومصالحكم.

فإن قيل: ما تقدم من عوائق وعقبات ليس بقليل، وتجاوزها ليس سهلاً...؟

أقول: هذا صحيح، ومع ذلك لا بد من أن تتوفر الإرادة والعزيمة لإنجاز هذا الصعب، وتجاوز هذه العوائق والعقبات، فالثورة الجادة أحياناً . ولكي تصل إلى أهدافها بأقل التكاليف . تحتاج إلى إحداث مراجعات، ووقوف صادق مع النفس، وإحداث ثورة داخلية على الأمراض، والتراكمات الخاطئة، والعوائق، والعقبات، التي تحيل بينها وبين حركتها نحو أهدافها .. وهذه ظاهرة صحية للثورات الجادة لا مَعيب فيها.

المحور الثاني: الدستور.

لا يُقبل ولا يليق بثورة عظيمة كالثورة السورية المباركة، التي زرعت في كل شبرٍ من أرضها شهيداً، ثم هي بعد كل تلك التضحيات يأتي الأجنبي الغريب، بل والأجنبي العدو، أو الخائن العميل للعدو، ليصنع لها دستورها، الذي ينظم الحياة السياسية لسوريا الأمل والمستقبل، الدستور الذي يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وحقوق وواجبات كل طرف منهما تجاه الآخر، وتجاه الوطن والإنسان .. وبصورة تخدم الأعداء أكثر مما تخدم أبناء الوطن الواحد.

لذا فإن اليد التي تخط الدستور الذي يمثل سوريا ما بعد الثورة، هي اليد الشريفة الطاهرة المجاهدة الثائرة على الظلم، والطغيان، التي خطت النصر بمداد العرق والدم، قبل أن تخطه بمداد الحبر .. وأيما

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

دستور يخص سوريا لا يخطه أبناء الثورة الشرفاء، المعروفين بإخلاصهم، وعطاءهم، وصدق ولائهم وانتمائهم للثورة وأهدافها .. فهو مرفوض، لا يُساوي المداد الذي يُكتب به.

ومن وظائف " مجلس أمناء الثورة "، الذي تقدّم الحديث عنه، أن يُشرف إشرافاً تاماً وكاملاً غير منقوص على مرحلة صياغة الدستور، وعلى صياغة الدستور ذاتها .. وينتدب من يرتضيه من ذوي الكوادر والكفاءات من أبناء سوريا الشرفاء الأوفياء والأمناء، لصياغة مواد الدستور .. ويعدّ لهذه المرحلة الهامة والمفصلية عدتها منذ الساعة، وقبل فوات الأوان، ووقوع الندم، ولات حين مندم!

وأنا لا أخشى على تلك المرحلة من العدو. سواء منه الداخلي أو الخارجي. كما أخشى طابوراً منا وفيينا، مهزوماً نفسياً، يهون عليه الركوع والانحناء لغير الله، يبدي الانبطاح والتنازلات. ويبرر لها. قبل أن تُطلب منه، وعند أدنى ضغط يُمارس عليه، أو يُلوّح له من بُعد، تحت هاجس الخوف من ردات فعل المجتمع الدولي والإقليمي .. وأننا " خلاص " تعبنا!

معركة الدستور لا تقل ضراوة وشراسة عن معارك الثورة في جميع مراحلها، وهي خلاصة وآخر وأهم مرحلة من مراحل الثورة .. والذي يريد أن يُشارك في تلك المعركة الدستورية المرتقبة، ينبغي أن يتحلّى بعزيمة وإرادة عاليتين، وبنفسٍ منتصرة غير مهزومة ولا مهزوزة، وأن يكون سقف مطالبه مرتفعاً عالياً يرقى إلى مستوى الثورة العظيمة المجيدة، وإلى مستوى تضحياتها، وآمالها، وأهدافها .. إلى مستوى مليون شهيد ... أو يدّع!

وحتى نضمّن سلامة مكتسبات الثورة السورية العظيمة، وحراراً سياسياً سلساً لمستقبل سوريا، يشارك فيه الجميع، واستقراراً دائماً للبلاد، وإنصافاً لشهداء الثورة، وللسواد الأعظم من سكان سوريا، ولعطاءهم، وتضحياتهم، وتطلعاتهم، لا بد من أن يتضمن الدستور الذي سيحكم البلاد . بإذن الله . مواداً دستورية سيادية، ونعني بالسيادية: أي أنها غير قابلة للنقاش، أو التصويت، أو الإلغاء، أو التعديل، وهي:

أولاً: دين الدولة السورية الإسلام.

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

ثانياً: رئيس الدولة مسلم سنيّ عدلّ، وكذلك نائبه، والمناصب السيادية: كوزارة الدفاع، والداخلية، والخارجية.

ثالثاً: الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتقنين والتشريع.

أو الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساس للتقنين والتشريع، وأيما قانون يتعارض مع الشرع الإسلامي المتزلّ، فهورد.

رابعاً: سوريا من جنوبها إلى شمالها، ومن غربها إلى شرقها، جزء واحد لا يقبل التقسيم ولا التجزئة، ولا القُدْرلة.

خامساً: اللغة العربية، هي اللغة الرسمية للدولة.

والفائدة المرجوة من هذه المطالب أو المواد الخمسة . كما هو ملاحظ . لا ترتد فقط على فئة معينة من المجتمع السوري وحسب، مهما عظمت وكان تعدادها، وإنما على جميع أبناء سوريا على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم، الذين ينشدون العدل والاستقرار والأمن، وبالتالي ينبغي أن تكون هذه المطالب الأساسية هي مطالب الجميع.

لا بد من الانتصار . بإذن الله . في معركة الدستور، لأن جميع ما يأتي بعدها من مراحل وخطوات، ومعارك سياسية، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدستور وما ينص عليه .. إن كانت خيراً فخير، وإن كانت شراً فشر! الانتصار في معركة الدستور؛ يعني الانتصار فيما بعدها من المعارك .. والفضل في معركة الدستور، يعني حتماً الفضل فيما بعدها وسواها من المعارك!

من قبل غامرنا وقامرنا بسوريا أرضاً وشعباً، تحت عنوان الوطنية الزائدة، وكلنا حبايب وأبناء وطن واحد .. فضاعت سوريا لعقود عديدة بأيدي الطائفيين الخونة، والعملاء المجرمين، ولا تزال .. فباعوا الوطن والمواطن للعدو بثمن بخس، وجعلوا الوطن مرتعاً لكل عدو طامع .. فأذلّوا الوطن والمواطن .. وتعاملوا مع الوطن والمواطن كبقرة حلوب لأنفسهم وعوائلهم، وشبهواتهم .. إلى أن خرجت على هؤلاء الطغاة المجرمين الطائفيين ثورة مباركة كلفت من أبناء سوريا أكثر من مليون شهيد، ولا تزال التضحيات مستمرة إلى الساعة

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

بغية التحرر من هؤلاء الطغاة الطائفيين المجرمين، ومن حكمهم، وما النصر ببعيد بإذن الله .. وسوريا ما بعد الثورة . بإذن الله تعالى وعونه . لم تعد تقبل المغامرة ولا المقامرة، ولا الرجوع إلى الوراء، مهما عظمت التكاليف، وتحت أي ذريعة أو شعار كان، ومهما كان برّاقاً!

المحور الثالث: الأحزاب، والانتخابات.

الجميع متواطئ على فكرة حرية الأحزاب، وعلى الانتخابات كوسيلة لفرز وترشيح القيادات، وهي فكرة ذات حدود، بعضها يحتمل الخير، وكثير منها يحتمل الشر، لو تركت من غير تقييد ولا تقنين، ولا ترشيح، لأصبحت شراً محضاً، ولأفرزت شراً، ولأدت إلى استبدال طاغية بطاغية، وظالم بظالم، وفساد بفساد، فنعود إلى نقطة الصفر والابتداء، وكأن الثورة لم تكن يوماً!

العدو الخارجي يريد لنا أن نمارس الانتخابات وحرية الأحزاب من غير قيد، ولا ضبط، ولا رصد .. يريدنا لنا فوضى عارمة .. وشعبية حاكمة .. وإباحية مطلقة .. وفرقة لا تعرف الوحدة بعدها .. ليجد لنفسه من خلال تزاخم الأحزاب وتعدادها، وتفرقها وتناحرها الثغرات العديدة التي من خلالها يتسلل بسهولة إلى الأوطان، ليتدخل بمصالح وموارد البلاد والعباد، وبقرارها السياسي، وبهوية من يحكم البلاد والعباد، وليفسد على الشعوب الحرة صدق اختياراتها .. فإذا جاءت النتائج وفق ما يريد ويتمنى، وما قد أعد له، فهذا هو المراد، وهذه هي الديمقراطية المقدسة حينئذٍ، وإن جاءت النتائج بخلاف ما يريد، وأفرزت الانتخابات الرجال المخلصين والصادقين في ولائهم وانتمائهم لأوطانهم وقضايا ومصالح شعوبهم .. ما أهون عليه حينئذٍ . أي العدو . أن يتواطؤوا عليهم، وعلى الانقلاب عليهم، وأن ينسلخوا من جلودهم وديمقراطيتهم وإنسانيتهم .. ولو كان البديل عنهم الديكتاتورية في أشد وأقبح صورها، كما حصل في كثير من الأمصار والبلدان!

العدو الخارجي يريد من أي عملية سياسية في أي مصر من أمصار المسلمين، ثلاثة أشياء، ولا يبالي

بعدها لشيء!

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

أولها وأهمها: إقصاء الإسلام عن مواطن النفوذ والتأثير للدولة، بمعنى آخر فصل الإسلام عن الدولة والحكم والسياسة، مهما أدى ذلك إلى اضطهاد وظلم وقمع الشعوب المسلمة الحرة.. فكمرات المراقبة لحقوق الإنسان حينئذٍ تتوقف وتتعلّل!

ثانيها: حماية دولة إسرائيل، وأمن ومصالح إسرائيل في المنطقة، ودول الجوار.

ثالثها: تأمين مصالح ونفوذ العدو المستعمر، الاقتصادية، والعسكرية في المنطقة.

فمن أعطاهم أو يعطيهم هذه الأشياء الثلاثة، لا يباليون له بعدها لو جاء إلى سدة الحكم عن طريق الدبابات وقمع الشعوب الحرة، أو عن طريق صناديق الاقتراع.. والطغاة المستبدون قد عرفوا هذه المعادلة، لذلك نراهم يتنافسون ويتسابقون فيما بينهم على تحقيق مطالب ورغبات العدو المتمثلة في النقاط الثلاثة الأئفة الذكر أعلاه!

أي أن العدو يريد منا أن نمارس التعددية الحزبية، ونهج طريق الانتخابات لغرض الشر، وللشر فقط.. فما هو العاصم والمنجى من هذا الشر؟

الموقف من الأحزاب: حتى لا تُفضي الأحزاب إلى الشر المشار إليه أعلاه، وتكون مطيئة لكل شرٍ وافدٍ من الخارج، وتتحول من أداة تخدم الوطن والإنسان، إلى أداة هدامة تدمر الوطن والإنسان.. أرى أن يقيد العمل الحزبي بجملة من الإجراءات والقوانين:

1- أن لا تكون برامج ومناهج هذه الأحزاب، تتعارض مع مبادئ الدستور، والتي منها المبادئ الخمسة الأساسية المنصوص عليها أعلاه.

2- أن لا يكون للحزب أي علاقة أو صلات مع جهات دولية خارجية معادية، يتلقى منها الدعم، والتوجيهات.

3- أن لا يكون للحزب مواقف معادية للثورة، وأهدافها، وأن لا يكون نسخة عن حزب النظام الأسدي المجرم، باسم وثوب جديدين.. يُعرف ذلك من السيرة الذاتية لمؤسسي ورجالات الحزب، ومن طبيعة مناهجه وسياساته.

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

4- أن يحصل الحزب على الموافقة من مجلس أمناء الثورة المشار إليه أعلاه، بعد أن تُعرض عليه أسماء مؤسسي الحزب، وبرامجه، وأهدافه.

5- أيما مخالفة لما تقدم ذكره أعلاه، تُسحب من الحزب الرخصة التي تسمح له بالعمل الحزبي، وبأي مشاركة سياسية.

6- تبادياً لحركة تزاخم الأحزاب، والضرر الناجم عن كثرتها، ولضعف عطاء الأحزاب الصغيرة المتفرقة، وحتى يُمارس العمل السياسي بسلاسة ويسر، يُنصح أن تُختزل الأحزاب في حزبين أو ثلاثة، أو أربعة .. لا أكثر.. تجتمع الأحزاب المتجانسة والمتقاربة في رؤاها، وبرامجها في حزب واحد .. كما هو الحال في كثير من الدول الكبيرة والمعاصرة، المتقدمة في نظامها الحزبي والإداري.

فإن قيل: ما ذكرته يستحيل أو يصعب تحقيقه ..؟!

أقول: هذا لا بد منه، إذا كنا مخلصين حقاً لأوطاننا ولشعبنا، وثورتنا، وإذا أردنا أن نجنب البلاد والعباد شرور التمزق، والتفرق، والفوضى، والاضطرابات السياسية التي قد لا نعرف الهدوء، والأمن، والاستقرار..!

ونقول كذلك: كثير من الدول والأنظمة المعاصرة التي تتشعب بالتعددية الحزبية، وأن نظامها يقوم على حرية الأحزاب، والتعددية الحزبية، تنص قوانينها صراحة على حظر تشكيل أي حزب على أساس ديني، ويعنون بذلك الدين الإسلامي، أو أن تكون مرجعية الحزب الفكرية والسياسية هي الإسلام .. وهم بذلك يُصادرون إرادة وحرية مئات الملايين من المسلمين، الذين يرون في الإسلام حلاً لمشاكلهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ويُجرّمون ويسجنون كل من يتجرأ منهم على العمل الحزبي السياسي، أو ممارسة أي نشاط سياسي .. ومع ذلك الجميع، بما في ذلك المجتمع الدولي الحر يتفهم مثل هذا الحظر ويؤيده .. فعلام ما يجوز لهم، وهم على باطل .. محرّم علينا، ونحن على حق؟!

الانتخابات: رغم أن الانتخابات لها مستند شرعي، كما في قصة اختيار الخليفة عثمان بن عفان رضي

الله عنه، وغيرها من القصص والشواهد، وتبدو هي الوسيلة الأمثل والممكنة في زماننا، في فرز واختيار من

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

يحكم البلاد والعباد .. إلا أنها لو تُركت على عواهنها كما تمارس اليوم في كثير من الأمصار، وكما يريد لها العدو .. من غير ضبط، ولا تقنين، ولا ترشيد، لربما أفرزت قادة أشرارا، ولأنت بنتائج عكسية وسلبية لا محالة، ولاستبدلت طاغية بطاغية، وظالم بظالم، وفساد بفساد، ولعدنا إلى حيث كنا، والعود غير أحمد! لنوصّف أولاً الواقع السوري الحالي، لنرى بعدها ما هو المناسب من الانتخابات، وكيف ينبغي أن نتعامل مع هذا الملف الحساس.

1- الفقر المدقع، وسوء الأحوال المعيشية التي يعيشها معظم الشعب السوري، بسبب سياسات القمع، والتهجير، والتفجير، والتدمير للبنية التحتية، واتباع سياسة الأرض المحروقة، التي انتهجها النظام الأسدي المجرم، وحلفاؤه .. وهذا يعني أنه من السهل جداً على الدول ذات الأطماع في سوريا . وبخاصة منها الدول الكبرى . أن تتدخل في اختيار من يمثل الشعب، ومن يفوز في الانتخابات ممن لا يفوز، من خلال استغلال نفوذها، وسلطة الإعلام التي تملكها، والإغراءات المالية، وشراء الأصوات، وضح الأموال في سبيل المرشح الذي يريدونه، ويخدم سياساتهم وأطماعهم في سوريا.

فإذا كانت الدول لا تُعَدَم وسيلة في التأثير على اختيار مرشح دون مرشح في دول عظمى، تقود الديمقراطية في العالم كما يزعمون، كأمریکا، وكما في قصة مساعدة روسيا لترمب في فوزه بالرئاسة ضد منافسيه، والتي لا تزال وسائل الإعلام تتناول الحديث عنها إلى الساعة هذه .. فمن باب أولى . ومن اليسير عليهم جداً . أن يتدخلوا في اختيارات الشعب، ويؤثروا عليها وفق ما يريدون في ظروف وأوضاع كالتالي تشهدها سوريا اليوم!

2- لاعتبارات وأسباب عدة . لا مجال لذكرها هنا . فقد تأطّر معظم الشعب السوري في ولاءات، وانتماءات، وانقسامات حزبية، وفصائلية، وقبلية، وطائفية .. تحيل بينه وبين اختيار الأفضل والأمثل لحكم البلاد والعباد، وتحتمّ عليه دائماً أن يختار ابن حزبه، وفصيله، وعشيرته، وطائفته، مهما كان اختياره سيئاً وضاراً .. وعلى مبدأ " ما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويتُ "!

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

3- رغم أن أهل السنة يمثلون السواد الأعظم، والأكثرية العظمى للمجتمع السوري .. إلا أن كل واحد منهم . وللأسف! . رأساً وزعيماً، يأنف أن يتنازل لأخيه .. فعن كل محافظة من المحافظات السورية، يمكن أن يترشح على المنصب الواحد، أو المقعد الواحد، أكثر من مائة زعيم سني؛ فتتكسر وتتقسم وتتوزع أصوات الأكثرية السنية عليهم، فيتحولون بذلك إلى أقلية بعد أن كانوا أكثرية، كما أن المرشحين بالنيابة عنهم مهما حصل الواحد منهم على أصوات فسوف تكون قليلة وضعيفة .. بينما الآخرون، على قلتهم، ورغم أنهم يمثلون الأقلية في المجتمع السوري، قد تقتضي منهم تجمعاتهم الطائفية على أن تجتمع أصواتهم على شخص واحد منهم، فيحصل بذلك على أكثرية الأصوات، قياساً لمنافسيه المتفرقين في الاتجاه الآخر، والطامة الكبرى تكون لو اجتمعوا على ترشيح طاغية كبشار الأسد، أو من يماثله في الطغيان والظلم، والفساد ..؟!!

4- أيما انتخابات قبل رحيل الطاغوت بشار الأسد، وجميع رموز نظامه، تعني بالضرورة الفشل، ويعني الكذب والتزوير والخداع يقيناً، ويعني الإكراه وتفاقم الأوضاع سوءاً، وإعادة تأهيل وشرعنت النظام الأسدي الطائفي المجرم من جديد .. وهذا لا يمكن، ولا يجوز، ولا يقبل به حرّ شريف.

فإن قيل: كيف نتفادى ما ذكرتم من شر، والانتخابات هي الوسيلة المتاحة والممكنة، لا نملك في الظروف الحالية التي تعيشها سوريا وسيلة أخرى ممكنة التطبيق، نعتمدها في اختيار وفرز القادة الذين يحكمون البلاد والعباد ..؟

أقول: إن لم نستطع أن نلغي ونتفادى الشرّ كله، فليكن عملنا على التقليل منه ومن آثاره ما أمكن، واستطعنا لذلك سبيلاً .. وبيان ذلك في النقاط التالية:

- 1- كل من كان له سابقة إجرام من بقايا ومخلفات النظام الأسدي الطائفي المجرم بحقّ الشام، وأهله، وثورته .. يمنع بقانون . يُسمّى قانون الانتخابات . من المشاركة في الانتخابات؛ مُرَشَّحاً، ومُرَشَّحاً.
- 2- كل من كان له سوابق إجرامية جنائية ثابتة عليه بدليل، بحقّ الشعب السوري، يُمنع بقانون . يُسمّى قانون الانتخابات . من أن يُرَشَّح نفسه لأي منصب قيادي، سواء كان هذا المنصب متعلقاً بالسلطة التنفيذية، أم بالسلطة النيابية التشريعية.

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

3- لا يُقبل من أي مرشح لأي منصب تنفيذي أو تشريعي، أن يكون من رؤاه وبرامجه، وأهدافه ما يتعارض مع الدستور، وأهمها المواد الأساسية السيادية الأنفة الذكر.. ويُنص على ذلك بقانون.

4- أيما مرشح لأي منصب تنفيذي، أو تشريعي، يتلقى دعماً مالياً أو سياسياً من قوى خارجية استعمارية معادية، في حملته الانتخابية، يُمنع من حقه في الترشح لأي منصب سيادي تنفيذي، أو تشريعي.. وينص على ذلك بقانون.

5- أيما مرشح لأي منصب تنفيذي، أو تشريعي، يتبع في حملته الانتخابية وسائل غير أخلاقية، كرشوة الناس، وشراء أصواتهم بالمال، مقابل أن يصوتوا له.. أو أن يستغل نفوذه في إرهاب وتخويف الناس، ليحملهم مكرهين على التصويت له.. يُمنع من حقه في الترشح لأي منصب سيادي تنفيذي، أو تشريعي.. ويُنص على ذلك بقانون.

6- أيما مرشح لأي منصب تنفيذي، أو تشريعي، يُعرض اسمه على مجلس أمناء الثورة، مرفقاً بسيرته الذاتية، لينظروا في أحواله وسيرته، ومواقفه من الثورة، وعلى ضوء ذلك إما أن يُجيزوه، أو يمنعوه، ولهم الحق في ذلك.. أي لا بد أولاً من أن يحصل من مجلس أمناء الثورة على بطاقة براءة ذمة، تثبت براءته من أي تهمة أو خيانة أو عمل إجرامي، وهذا ليس غريباً ولا جديداً، وهو أسلوب متبع في كثير من الدول المتقدمة إدارياً وتنظيمياً، والتي تنشُد الأمن والسلامة لمجتمعاتها ومؤسساتها الحكومية، كما في بريطانيا على سبيل المثال: الذي يريد أن يتقدم لأي عمل حساس له علاقة بالتربية والتعليم، يجب عليه أولاً أن يحصل على شهادة براءة ذمة من الشرطة (البوليس).

المحور الرابع: المجلس النيابي التشريعي.

عندما ينضبط الحراك السياسي، والعمل النيابي، بما ورد في محور الدستور أعلاه.. والمحاور الأخرى.. ينتفي الحرج، وتنتفي المحاذير الشرعية عن المشاركة في العمل النيابي التشريعي، ترشحاً، وترشيحاً، كما تنتفي عن المرشح صفة التآله، وادعاء الربوبية، أو أن يكون مشرعاً مع الله تعالى، أو من دونه؛ له الحق في أن يحلل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله سبحانه وتعالى.. ويقتصر العمل النيابي حينئذٍ على الاجتهاد والتشريع

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

في النوازل والأمور التي تقبل الاجتهاد، وفيما لا يخالف نصاً منزلاً .. وكذلك تشريع وسن القوانين في الأمور الإدارية التنظيمية، والتنفيذية، وفيما له علاقة بالمصالح المرسله، كشق الطرقات، وبناء المصانع والجامعات، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول والعالم الخارجي، وغيرها من الأمور الإجرائية العملية التي تحتاج إلى قوانين تلتزمها السلطة التنفيذية، وهذا لا حرج فيه إن شاء الله .. بل هو من جملة المصالح والمقاصد التي نص الإسلام على رعايتها والقيام بها .. كذلك لو حصل اتفاق على تقنين الشريعة أو الأحكام الشرعية في قوانين تسهل على القضاة الرجوع إليها، والتعامل معها .. فهذا غالباً يكون من عمل ووظيفة المجلس النيابي. يُضاف إلى ما تقدّم، فإن من أعمال المجلس النيابي التشريعي، مراقبة أداء السلطة التنفيذية ممثلة بالحكومة ورئيسها، ومحاسبتها على التّقصير، لو بدر منها التقصير .. أو خالفت شيئاً من القوانين .. وهذا عمل جيد ومشروع، يدخل في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا حرج فيه إن شاء الله. ليعلم الجميع أن سوريا ما بعد الثورة لم تعد تقبل الخضوع ولا الركوع للأصنام، ولا لمن يمارسون عليها الألوهية والربوبية من دون الله، على طريقة الطاغية الأول فرعون، الذي قال لقومه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ القصص:38. ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات:23-24. سواء جاءت هذه الألوهية والربوبية عن طريق الاستبداد والتسلط بالجبروت، أو عن طريق الديمقراطية .. والثورة عندما نشدت الحرية والتحرر، ورفعت شعار الحرية؛ أرادت بذلك الانعتاق، والتحرر من مطلق العبودية للعبيد .. وهذا مما أغاظ الأعداء أكثر، وحمل الكلاب كلها على أن تتكالب وتجتمع على الشعب السوري، وعلى ثورته المجيدة .. والله المستعان.

تحذير هام: أعلم أن ما تقدم أعلاه من مطالب . وبخاصة فيما يتعلق بمحور الدستور . يحتاج إلى تجلّد، وصبر، وثبات، وهمم عالية، لا يقوى على فعل ذلك أصحاب النفوس والمعنويات الضعيفة المهزومة والمنهارة، التي ترضى بالدون، وبأقل القليل .. لسان حالهم يقول: خلاص .. تعبنا .. نريد أن نستريح .. هؤلاء لا يحق لهم أن يمثلوا ثورة عظيمة كالثورة السورية، ولا شعباً عظيماً قدم مليون شهيد، ولا يزال يقدم، من

رؤية سياسية لمستقبل سوريا السياسي

أجل أن تتحقق مطالبه العادلة والمحقة .. وإني لأحذر أشد التحذير من أن يستجرنا العدو إلى بعض الفُتات والمكاسب، مقابل أن نتخلى عن المطالب الأساسية للثورة السورية، وعن النظام السياسي الذي يحقق هذه المطالب، ويحميها، فنقول على طريقة المفاوضين المهزومين: قليل خير من لا شيء .. درهم في الجيب، خير من ألف درهم في الغيب .. بريق المؤتمرات في الفنادق الفاهرة، وشهوة حب الظهور، والتَّمشُدق ببعض المصطلحات السياسية مع القوم، خير من الاعتزال .. فنخسر حينئذٍ كل شيء؛ القليل قبل الكثير .. ونفقد مبررات الثورة .. ويقع التفريط بالثوابت والحقوق .. وبالثورة كلها .. ويُرفَع عنا نصرُ الله .. ويقع الندم على ما فرطنا من عند أنفسنا، حيث لا ينفع الندم، فنقول كما قال مَنْ قبلنا: ﴿قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ آل عمران:165.

عبد المنعم مصطفى حليلة

1440/03/30هـ

أبو بصير الطرطوسي

2018/12/09م

المقالات المترجمة

AMESSAGE FOR THE NON-MUSLIMS, AFTER WHICH THEY ARE NOT EXCUSED BY IGNORANCE

Dear Reader,

The purpose of this message is to invite you to think of and contemplate about the real purpose of your life on this earth and where you will end up in the Hereafter. Will you end up in Paradise or in Hell-Fire? Please, take note, that when you have read this message, you are considered to have legislatively been given proof and been informed of the admonition of all messengers, and after which you will not be excused by ignorance:

Take note that Allah the Almighty is the One and Only God. He is Eternal. He is Absolute. He has not begotten and has not been begotten and no one is like Him.

▪ **Allah says:** "Say: He is Allah, the One; Allah, the Eternal, Absolute; He begetteth not, nor is He begotten; and there is none like unto Him." Surah No.112, Verses 1-4.

▪ **Allah says:** "He is the Creator of the heavens and the earth: He has made for you pairs from among cattle: by this means does He multiply you: there is nothing whatever like unto Him, and He is the One that hears and sees." Surah No. 42, Verse No. 11.

Learn that Allah the Almighty is the Creator of all creatures. There is no god for this universe and what it holds but Allah.

▪ **Allah says:** "Allah is the Creator Of all things, and He is the Guardian and Disposer of all affairs." Surah No.39 Verse 62.

▪ **Allah says:** "Such is Allah, your Lord, The Creator of all things, there is no god but He: Then how you are deluded away from the Truth!" Surah No.40, Verse No.62.

▪ **Allah says:** "To Allah belongs all that is in the heavens and earth: To Allah do all matters return." Surah No.3 Verse No. 109.

Be informed that Allah the Almighty has created you for one single purpose which is to worship Him alone.

▪ **Allah says:** "I have only created Jinns and men, that they may serve Me". Surah No.51 Verse No. 56.

▪ **Allah says:** "And they have been commanded no more than this: To worship Allah, offering Him sincere devotion, being true (in faith); to establish regular prayer; and to give zakat (i.e. charity given to the needy); and that is the Religion Right and Straight". Surah No.98, Verse No. 5.

Understand that it is out of sincerity and purity of worship to Allah to avoid worshipping the created whoever and whatever they may be.

▪ **Allah says:** "Certainly they disbelieve who say: "(Allah) is Christ the son of Mary." But said Christ: "O Children of Israel! Worship Allah, my Lord and your Lord." Whoever joins other gods with Allah, - Allah will forbid him the Garden, and the Fire will be his abode. There will for the wrong-doers be no one to help." Surah No. 5, Verse No. 72.

▪ **Allah says:** "Say: "I do no more than invoke my Lord, and I join not with Him any (false god)." Surah No 72, Verse No. 20.

▪ **Allah says:** "Say: "I am but a man like yourselves, (but) the inspiration has come to me, that your God is one God: whoever expects to meet his Lord, let him work righteousness, and, in the worship of his Lord, admit no one as partner." Surah No. 18, Verse No. 110.

▪ **Allah says:** "Those to whom We have given the Book rejoice at what hath been revealed unto thee: but there are among the clans those who reject a part thereof. Say: "I am commanded to worship Allah, and not to join partners with Him. Unto Him do I call, and unto Him is my return." Surah No. 13, Verse No. 36.

Learn that he, who worships Allah joining with Him another whoever or whatever it may be, has associated partners with Allah and consequently his deeds will turn fruitless and he will be among the losers.

▪ **Allah says:** "But it has already been revealed to thee, -as it was to those before thee,-"if thou wert to join (gods with Allah), truly fruitless will be thy work (in life), and thou wilt surely be among the losers." Surah No. 29, Verse No. 65.

▪ **Allah says:** "This is the Guidance of Allah: He giveth that guidance to whom He pleaseth, of His servants if they were to join other gods with Him, all that they did would be vain for them." Surah No. 6, Verse No.88.

Take note that Allah the Almighty sent all Prophets and Messengers to reinforce and remind people that there is no god but Allah. That is nothing is worthy of being worshipped but Allah.

▪ **Allah says:** "For we assuredly sent amongst every people a Messenger, (with the command),"serve Allah, and eschew Evil": of the people were some whom Allah guided, and some on whom Error became inevitably (established). So travel through the earth, and see what was the end of those who denied (the Truth)." Surah No.16, Verse No. 36.

▪ **Allah says:** "Not a messenger did We send before thee without this inspiration sent by Us to him: that there is no god but I; therefore worship and serve Me." Surah 21 Verse 25. There is no prophet who said to his people but: "We sent Noah to his people. He said: "O my people! Worship

كلمات تقوم بها الحجة على الآخرين " مترجمة إلى الإنجليزية "

Allah! Ye have no other god but Him. I fear for you the Punishment of a dreadful Day!" Surah No. 7, Verse No. 59.

Be informed that having faith and believing in all Prophets and Messengers is a must. If anyone rejects faith or doesn't believe one Prophet or Messenger of Allah's the Almighty, they are rejecting faith in Allah and disbelieving Him and all His Prophets and Messengers.

▪ **Allah says:** "The Messenger believeth in what hath been revealed to him from his Lord, as do the men of faith, each one (of them) believeth in Allah, His angels, His books, and His Messengers. "We make no distinction (they say) between one and another of his Messengers." And they say: "We hear, and we obey: (we seek) Thy forgiveness, our Lord, and to Thee is the end of all journeys." Surah No. 2, Verse No. 285.

▪ **Allah says:** "Verily it has been revealed to us that the Chastisement (awaits) those who reject and turn away." Surah No. 20, Verse No. 48.

▪ **Allah says:** "And who does more wrong than he who invents a lie against Allah or rejects the Truth when it reaches him? Is there not a home in Hell for those who reject Faith?" Surah No.29, Verse No. 68.

▪ **Allah says:** "Those who reject the Book and the (revelations) with which we sent Our messengers: but soon shall they know." Surah No. 40, Verse No. 70.

Be informed that Muhammad bin Abudullah bin Abdullmutalib (Peace and Blessings of Allah Be Upon Him) (PBBUH) is the Messenger of Allah, who was sent by Allah as mercy to the worlds, giving glad tidings and warnings and that he is the seal of all Prophets and messengers and there is no Prophet after him.

▪ **Allah says:** "Muhammad is no more than a Messenger: many were the Messengers that passed away before him. If he died or were slain, will ye then turn back on your heels? If any did turn back on

his heels, not the least harm will he do to Allah; but Allah (on the other hand) will swiftly reward those who (serve Him) with gratitude." Surah No. 3, Verse No. 144.

▪ **Allah says:** "Those who follow the Messenger, the unlettered Prophet whom they find mentioned in their own (Scriptures),-in the Taurat and the Gospel; - for he commands them what is just and Forbids them what is evil; he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure): He releases them from their heavy burdens and from the yokes that are upon them. So it is those who believe in him, honour him, help him, and follow the Light which is sent down with him, - it is they who will prosper." Surah No. 7, verse No. 157.

▪ **Allah says:** "Say: "O men! I am sent unto you all, as the Messenger of Allah, to who belongeth the dominion of the heavens and the earth: there is no god but He: it is He that giveth both life and death. So believe in Allah and His Messenger. The unlettered Prophet, who believeth in Allah and His words, follow him that (so) ye may be guided." Surah No. 7, Verse No. 158.

▪ **Allah says:** "Now hath come to you a Messenger from amongst yourselves: it grieves him that you should suffer, ardently anxious is he over you: to the Believers is he most kind and merciful". Surah No. 9, Verse No. 128.

▪ **Allah says:** "Muhammad is not the father of any of your men, but (he is) the Messenger of Allah, and the Seal of the Prophets. And Allah has full knowledge of all things." Surah No. 33, Verse No. 40.

▪ **Allah says:** "Muhammad is the Messenger of Allah..." Surah No 48, Verse No. 29.

▪ **Allah says:** "And remember, Jesus, the Son of Mary, said: "O Children of Israel! I am the messenger of Allah (sent) to you, confirming the Taurat (which came) before me, and giving Glad Tidings of a messenger to come after me, whose name shall be Ahmad. But when he came to them with Clear Signs, They said,"This is evident sorcery!" Surah No.61, Verse No.6.

Take note that Allah the Almighty revealed to Muhammad (PBBUH) the Holy Quran which is the word of Allah and which contains Guidance and Light for the worlds. It has also explanation of everything.

▪ **Allah says:** "Ramadan is the (month) in which was sent down The Qur'an, as a guide to mankind, also clear (Signs) for guidance and judgment (between right and wrong) so every one of you who is present (at his home) during that month should spent it in fasting, but if anyone is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. Allah intends every facility for you: He does not want to put you to difficulties. (He wants you) to complete the prescribed period, and glorify Him in that He has guided you; and perchance ye shall be grateful." Surah No.2, Verse No.185.

▪ **Allah says:** "Say: "What thing is most weighty in evidence?" say: "Allah is witness between me and you; this Qur'an hath been revealed to me by inspiration. That I may warn you and all whom it reaches. Can ye possibly bear witness that besides Allah there are other gods?" say: "Nay! I cannot bear witness!" Surah No. 6, Verse No. 19.

▪ **Allah says:** "Verily this Quran doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the Believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward." Surah No. 17, Verse No. 9.

▪ **Allah says:** "We send down (stage by stage) of the Quran that which is a healing and a mercy to those who believe: to the unjust it causes nothing but loss after loss." Surah No. 17, Verse No. 82.

▪ **Allah says:** "As for thee, thou receives the Quran from One All-Wise, All-Knowing." Surah No. 27, Verse No. 6.

▪ **Allah says:** "And We have explained to man, in this Quran, every kind of similitude: yet greater part of men refuse (to receive it) except with gratitude!" Surah No. 17, Verse No. 89.

Appreciate that the Holy Quran, which was revealed to Allah's Prophet (PBBUH), has been the Greatest Evident Miracle Ever. It is continuing and everlastingly challenging all mankind gathered together to produce something like it or like one of its Surahs.

▪ **Allah says:** "Say: 'if the whole of mankind and Jinns were to gather together to produce the like of this Quran, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other with help and support.'" Surah No. 17, Verse No. 88.

▪ **Allah says:** "And if ye are in doubt as to what We have revealed from time to time to Our servant then produce a Surah like thereunto; and call your witness or helpers (if there are any) besides Allah, if ye are truthful." Surah No. 2, Verse No. 23.

Be informed that Allah has ordered all mankind no matter what their colours, sexes; languages may be to believe in Muhammad the Prophet (PBBUP), follow him and obey him. He who obeys the Prophet (PBBUH) obeys Allah and consequently he will be on the right path; and; he who disobeys the Prophet (PBBUH), disobeys Allah and consequently he will be on the wrong path.

▪ **Allah says:** "Say: "Obey Allah and His Messenger": but if they turn back, Allah loveth not those who reject faith." Surah No. 3, Verse No. 32.

▪ **Allah says:** "O ye who believe! Obey Allah and His Messenger, and turn not away from him when ye hear (him speak)." Surah No. 8, Verse No. 20.

▪ **Allah says:** "He who obeys the Messenger, obeys Allah..." Surah No. 4, Verse No. 80.

▪ **Allah says:** "Say: "if ye do love Allah, follow me: Allah will love you and forgive you your sins: for Allah is Oft-Forgiving, Most merciful." Surah No. 3, Verse No. 31.

Take note that he who hears of Muhammad the Prophet (PBBUH) and neither believes in him nor follows him is a disbeliever in Allah, rejecting faith in Him and consequently worthy to be tortured on the Day of Judgement.

▪ **Allah says:** "We know indeed the grief which their words do cause thee: It is not thee they reject: It is the Signs of Allah, which the wicked deny." Surah No. 6, Verse No. 33.

▪ **Allah says:** "On that day those who reject Faith and disobey the Messenger will wish that the earth were made one with them: but never will they hide a single fact from Allah!" Surah No. 4, Verse No. 42.

▪ **Allah says:** "If anyone contends with the Messenger even after Guidance has been plainly conveyed to him, and follows a path other than that becoming to men to Faith, we shall leave him in the path he has chosen, and land him in Hell,- What an evil refuge!" Surah No. 4, Verse No. 115.

▪ **The Prophet (PBBUH) says:** "By the One in whose hands Muhammad's soul is, if anyone, anywhere in the world, whether a Jew or Christian hears of me and dies without believing in my Message will definitely be amongst those in Hell-Fire." (Muslim)

Take note that the Religion before Allah is Islam and it is the religion of all Prophets and Messengers. No religion is accepted of anyone but Islam.

▪ **Allah says:** "And Abraham enjoined upon his sons and so did Jacob;"Oh my sons! Allah hath chosen the Faith for you; then die not except in the state of submission (to Me)." Surah No. 2, Verse No.132.

▪ **Allah says:** "The Religion before Allah is Islam.."Surah No. 3, Verse No. 19.

▪ **Allah says:** "If anyone desires a religion other than Islam (submission to Allah) never will it be accepted of him; and in the Hereafter he will be in the ranks of those who have lost." Surah No. 3, Verse No.85.

Be informed that resurrection after death is coming and absolutely true; the Hour is coming and absolutely true and the accountability on doomsday is absolutely true.

▪ **Allah says:** "Lost indeed are they who treat it as a falsehood that they must meet Allah, - until on a sudden the Hour is on them, and they say: "Ah! Woe unto us that we neglected; for they bear their burdens on their backs, and evil indeed are the burdens that they bear?" Surah No. 6 Verse No. 31.

▪ **Allah says:** "Verily the Hour is coming- I have almost kept it hidden- for every soul to receive its reward by the measure of its Endeavour." Surah No. 20, Verse No. 15.

▪ **Allah says:** "And verily the Hour will come: there can be no doubt about it, or about (the fact) that Allah will raise up all who are in the graves." Surah No. 22, Verse No. 7.

▪ **Allah says:** "The Unbelievers say, "Never to us will come the Hour": say, "Nay! But most surely, by my Lord, it will come upon you;..." Surah No 34, Verse No. 3.

▪ **Allah says:** "The Hour will certainly come: therein is no doubt: yet most men believe not." Surah No. 40, Verse No. No. 59.

▪ **Allah says:** "Again, on the Day of Judgement, will ye be raised up." Surah No. 23, Verse No. 16.

▪ **Allah says:** "Allah is never unjust in the least degree: if there is any good (done), He doubleth it, and giveth from His Own self a great reward." Surah No. 4, Verse No. 40.

▪ **Allah says:** "Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it! And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it." Surah No. 99, Verses Nos. 7-8.

Learn that Paradise and its bounties are absolutely true, therein everlasting goodness and bounties of which no ear has ever heard of, or an eye has ever seen or a mind has ever been able to imagine. All this has been prepared Allah's righteous believers.

▪ **Allah says:** "The parable of the Garden which the righteous are promised! - beneath it flow rivers; perpetual is the fruits thereof and the shade therein: such is the End of the Righteous and the End of the Unbelievers is the Fire." Surah No. 13, Verse No. 35.

▪ **Allah says:** "But give glad tidings to those who believe and work righteousness, that their portion is Gardens, beneath which rivers flow, every time they are fed with fruits therefrom, they say: "Why, this what we were fed with before," for that are given things in similitude; and they have therein spouses purified; and they abide therein (forever)." Surah No.2, Verse No. 25.

▪ **Allah says:** "But those who believe and work deeds of righteousness- to them shall We give a Home in Heaven, - lofty mansions beneath which flow rivers, -to dwell therein for aye; an excellent reward for those who do (good)!" Surah No. 29, Verse No. 58.

▪ **Allah says:** "Verily the Companions of the Garden shall that Day have joy in all that they do." Surah No. 36, Verse No. 55.

▪ **Allah says:** "(Here is) the description of the Garden which the righteous are promised: in it are rivers of water unstaling; rivers of Milk of which the taste never changes; rivers of wine, a joy to those who drink; and rivers of honey pure and clear. In it there are for them all kinds of fruits; and Forgiveness from their Lord, (can those in such Bliss) be compared to such as shall dwell forever in the Fire and be given to drink, boiling water, so that it cuts up their bowels (to pieces)?" Surah No.47, Verse No. 15.

▪ **Allah says:** "Be quick in the race for forgiveness from your Lord and for a Garden whose width is that (of the whole) of the heavens and of the earth, prepared for the righteous." Surah No.3 Verse No 133.

▪ **Allah says:** "Be ye foremost (in seeking) forgiveness from your Lord, and a Garden (of Bliss), the width whereof is as the width of heaven and earth prepared for those who believe in Allah and His

messengers: that is the Grace of Allah, which He bestows on whom He pleases: and Allah is the Lord of Grace abounding." Surah No. 57, Verse No. 21.

Learn that the Hell fire is absolutely true; its torture in is true; and fierce. It has a torture that is extremely fierce, harsh, and perpetual. Its torture is something that no ear has ever heard of, or an eye has ever seen or a mind has ever been able to imagine. All this has been prepared for those who associate partners with Allah and who made it false to believe in Allah.

▪ **Allah says:** "Know they not that for those who oppose Allah and His Messenger is the Fire of Hell? - Wherein they shall dwell. That is the supreme disgrace." Surah No.9, Verse No. 63.

▪ **Allah says:** "...on the Day of Judgement we shall gather them together, prone on their faces, blind, dumb, and deaf: their abode will be Hell: every time it shows abatement, We shall increase for them the fierceness of the Fire." Surah No. 17, Verse No. 97.

▪ **Allah says:** "And We shall drive the sinners to hell, (like thirsty cattle driven down to water)" Surah No. 19, Verse No. 86.

▪ **Allah says:** "Verily he who comes to his Lord as a sinner (at Judgement), -for him is Hell: therein shall he neither die nor live." Surah No. 20, Verse No. 74.

▪ **Allah says:** "But those who reject (Allah) - for them will be the Fire of Hell: not term shall be determined for them, so they should die, nor shall its Chastisement be lightened for them. Thus do WE reward every ungrateful." Surah No. 35, Verse No. 36.

▪ **Allah says:** "The Unbelievers will be led to Hell in groups: until, when they arrive there, its gates will be opened. And its Keepers will say,"Did not messengers come to you from among yourselves, rehearsing to you the Signs of your Lord, and warning you of the Meeting of this Day of yours?" The answer will be: "True: but the Decree of Chastisement has been proved true against the Unbelievers!" Surah No. 39, Verse No. 71.

Take note that if you die believing in the oneness of God and in Muhammad (PBBUH), Allah's last Messenger, you will be amongst those who will be saved and led into Paradise to live in its bounties for ever.

▪ **Allah says:** "But such as come to Him as Believers who have worked righteous deeds, for them are ranks exalted." Surah No. 20, Verse No. 75.

Whereas, if you die associating partners with Allah, disbelieving in Him and rejecting faith in Him, you will be among those who will be in Hell Fire for ever and ever.

▪ **Allah says:** "But whosoever turns away from My Message, verily for him is a life narrowed down, and We shall raise him up blind on the Day of Judgement." Surah No. 20, Verse 124.

▪ **Allah says:** "And who does more wrong than one to whom are recited the Signs of his Lord, and who then turns way therefrom? Verily from those who transgress We shall exact (due) retribution." Surah No. 32, Verse no. 22.

▪ **Allah says:** "Verily he who comes to his Lord as a sinner (at Judgement),-for him is Hell: therein shall he neither die nor live." Surah No. 20, Verse No. 74

▪ **Allah says:** "...and if any of you turn back from their faith and die in unbelief, their works will bear no fruit in this life and in the Hereafter; they will be companions of the Fire and will abide therein." Surah No. 2, Verse No. 217

Be informed that there is no force in religion; the right path is clear and the wrong path is clear. So after you have read and thought of and contemplated about the above message, you will not be excused by ignorance. As the warnings and message of all messengers have now reached you, you will be brought to account and be accountable on the Day of Judgment when there is no benefit for money or children but only for those who will come with good deeds and clear hearts.

كلمات تقوم بها الحجة على الآخرين "مترجمة إلى الإنجليزية"

Finally take note that the devils of mankind and Jinn's and the wicked of the learned among them are scheming day and night to prevent you from listening to this message and to any other message that speaks of the Truth.

We pray to Allah that He helps you find the right path and guide you to what pleases Him

Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds

Abdul Monem Halimah

17th Ramadan 1423

Abu Baseer

22/11/2002

الفهرس

- 5المراكزُ الإسلاميَّةُ في بريطانيا والجالِيَّةُ المسلمةُ
- 14آدابُ وضوابطُ النِّقْدِ والنَّصِيحَةِ في الإسلامِ
- 44أزمة اقتصادية أم أزمة في القيم والمفاهيم الرأسمالية
- 54لماذا كَفَّرْتُ يُوْسُفَ القرضاوي ..؟
- 83حوارُ الأديانِ كيفَ نقرأه وكيفَ نُفسِّره
- 92التَّفريقُ بين التَّناصُحِ والتَّراجُعِ
- 95دروسٌ وعِبَرٌ ودلالاتٌ مُستخلصةٌ من حربِ غَزَّة
- 109ضوابطُ وصفاتُ البحثِ الناجحِ
- 112نَهْجٌ جديدٌ في الدَّعوةِ إلى التَّشيعِ والرِّفْضِ
- 121الحركاتُ الإسلاميَّةُ المُصابةُ بِلوثةِ الزَّنْدَقَةِ!
- 124همسةٌ في أُذنِ المعارضةِ السورِيَّةِ
- 129مسألةُ التحاكمِ إلى الطاغوتِ
- 149تلاميذُ القرضاوي وغلالمُ المَلِكِ
- 154الخيارُ الأنجعُ الذي تخلَّتْ عنه المعارضةُ السورِيَّةِ
- 162الصُّوفيَّةُ الدينُ الرِّسمي لِطُغَاةِ الحُكْمِ
- 167تأليفُ قلوبِ المؤمنين بِطاعةِ رَبِّ العالمينِ
- 174المنهجُ في الطَّلَبِ، والتَّلَقِّي، والائْتِباعِ

الفهرس

- 216 دروسٌ وعِبْرٌ مستخلصةٌ من سقوطِ فرعون مصر
- 234 عُلَمَاءُ عِلْمَانِيُون
- 241 ما لا يعرفه الناس عن النظام السوري الطائفي
- 253 كلمات في السياسة الشرعية أخص بها أهلنا في تونس ومصر
- 263 الاستعمار القرمطي الباطني لسورية وشرعية الدفاع عن النفس
- 268 جملة من التوصيات والاقتراحات أخص بها الثورة السورية
- 273 كلمة أخص بها أهلنا الأبطال في ليبيا ما بعد الثورة وسقوط الطاغية
- 279 النظام السعودي نصير الطغاة وعدو الثورات
- 286 أحكامُ الشَّهَادَةِ
- 315 فضل عشر ذي الحجة وما يتخللها من أعمال
- 319 حتى يكونَ التمثيلُ عادلاً وشاملاً
- 345 قبل أن يقع المحذور نشير إلى جملةٍ من الأمور
- 349 " السَّيِّجَارَةُ " تلك الوثن
- 353 لِمَن الحُكْمُ..؟
- 386 بَيْعَةُ خَاطِئَةٍ بَاطِلَةٌ
- 391 استراتيجيّة جهاد الأُمَّة واستراتيجيّة جهاد العِصَابَةِ
- 396 الشُّورَى الفريضة الغائبة
- 400 بيانٌ ونداءٌ إلى الشَّبَابِ السوري الذين يفتشون المخيمات

الفهرس

404	إنكار المنكر السّياسيّ بالوسائل السّلميّة.....
410	الزم غرز أهل الشام ومجاهديهم.....
412	لن تنتصروا حتّى تحابّوا.....
418	شُرعيّة إمارّة المُتغلب.....
424	الانتصار بالكافر على دفع ظلم وبغي المسلم.....
430	- ملحق: الاستنصار بأمريكا على داعش في سوريا.....
432	فَنُ البرِّ.....
436	فَنُ البرِّ، الجزء الثاني.....
441	ضابط الاستطاعة.....
447	آية توضّع في غير موضعها.....
453	حديث: "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم"؛ كيف نفهمه ..؟.....
459	عندما يكون النصُّ ظنيّ الدّلالة.....
471	التّفسيرُ النَّفعيّ للعبادة.....
475	رؤيةً سياسيّةً لمستقبلِ سوريا السّياسيّ.....
491	المقالات المترجمة.....
504	الفهرس.....

الصفحات الالكترونية	
Abubaseer.bizland.com	الموقع الالكتروني
Tartosi.blogspot.com	المدونة الالكترونية
Twitter.com/abubaseer123	تويتر
facebook.com/abubaseer.altartosi	الفيسبوك
Youtube.com/altartosi	اليوتيوب